


تفسير
البيضاوى

٣

للإمام البيضاوى






بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير البيضاوي

المسمى

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

تأليف

إمام المحققين وقدوة المدققين

القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله

ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي

المتوفي ٧٩١ هجرية

تحقيق

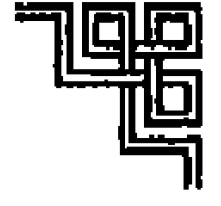
أ.د. حمزة النشرتي

الشيخ / عبد الحفيظ فرغلي

أ.د. عبد الحميد مصطفى

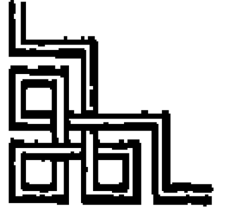
المجلد الثالث

١٤١٨هـ



الآيات من ١٧ : ٢٠

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩) أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) ﴾



حال المؤمنين وتصديقهم بالكتاب

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ برهان من الله يدله علي الحق والصواب فيما يأتيه ويذره ، والهمزة لإنكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وأفكارهم علي الدنيا وأن يقارب بينهم في المنزلة ، وهو الذي أغني عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان علي بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا ، وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص .

وقيل : المراد به النبي ﷺ ، وقيل : مؤمنو أهل الكتاب .

﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾ ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل . ﴿ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن .

﴿ وَمِن قَبْلِهِ ﴾ ومن قبل القرآن . ﴿ كِتَابُ مُوسَىٰ ﴾ يعني التوراة فإنها أيضا تتلوه في التصديق ، أو البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل ، أو لسان الرسول ﷺ علي أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظه .

والضمير في يتلوه أي يتلو القرآن شاهد ممن كان علي بينة دالة علي أنه حق كقوله : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١) يقرأ من قبل القرآن التوراة .

(١) الأحقاف : ١٠ .

﴿ إِمَامًا ﴾ كتابا مؤتما به في الدين .

﴿ وَرَحْمَةً ﴾ علي المنزل عليهم لأنه الوصلة إلي الفوز بخير الدارين .

﴿ أُولَئِكَ ﴾ إشارة إلي مكان علي بينة . ﴿ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ بالقرآن . ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ ﴾ من أهل مكة ومن تحزب معهم علي رسول الله ﷺ . ﴿ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ يردها لا محالة .

﴿ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ من الموعد ، أو القرآن ، وقرئ مرية بالضم وهما الشك . ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ لقلة نظرهم واختلال فكرهم (٢) .

عاقبة المكذبين

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ كأن أسند إليه ما لم ينزله أو نفي عنه ما أنزله . ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أي الكاذبون . ﴿ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ في الموقف بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم . ﴿ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ ﴾ من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم ، وهو جمع شاهد كأصحاب أو شهيد كأشراف جمع شريف . ﴿ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ تهويل عظيم مما

---

(٢) معنى هذه الآية كما جاء في مختصر ابن كثير :
أفمن كان على دين الفطرة ، وجاءه شاهد من ربه من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختتمة بشريعة سيدنا محمد ﷺ .
ومن قبل القرآن كتاب موسى أنزله الله إلى تلك الأمة السابقة إمامًا ورحمة ، وهم يؤمنون به وفيه البشرى برسالة محمد ﷺ ثم قال الله تعالى متوعداً : ومن يكفر به من الأحزاب أى من سائر الأمم وطوائف الناس على اختلافهم فالنار موعده أ هـ .
وجواب الشرط في صدر الآية مقدر يفهم مما سبق ، وتقديره :
أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا ؟
وهذه الآية تشير إلى أن الحجة لزمت كل من سمع بالنبي ﷺ وسمع القرآن الكريم .
قال رسول الله ﷺ فيما يرويه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري :
« والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار » .

يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب علي الله (٣) .

﴿ الَّذين يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّه ﴾ عن دينه . ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالردة . ﴿ وَهُم بالآخِرَة هُمْ كَافِرُونَ ﴾ والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به .

﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ أي ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم . ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّه مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم إلي هذا اليوم ليكون أشد وأدوم .

﴿ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد . ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ لتصامهم عن الحق وبغضهم له . ﴿ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ لتعاميهم عن آيات الله ، وكأنه العلة لمضاعفة العذاب .

وقيل : هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّه مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ فإن مالا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية ، وقوله : ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ اعتراض .

---

(٣) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ـ تفسير سورة هود عليه السلام جـ ٦ ص ٧٤ قال : حدثنا مسدد ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد وهشام قالا : حدثنا قتادة عن صفوان بن محرز قال : بينا ابن عمر يطوف إذ عرض له رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن ـ أو قال يا ابن عمر ـ : هل سمعت النبي ﷺ في النجوى ؟

فقال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يُدْنَى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه ، فيقرره بذنوبه : تعرف ذنب كذا ؟ يقول : أعرف ، يقول ربٌّ أعرف مرتين ، فيقول : سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم ، ثم تطوى صحيفة حسناته ، وأما الآخرون ـ أو الكفار ـ فينادى على رءوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » .

قال القسطلاني في شرح البخاري : وأخرجه البخاري أيضاً في المظالم ، والأدب ، والتوحيد ، وأخرجه مسلم في التوبة ، والنسائى في التفسير والرقائق ، وابن ماجه في سننه .

الآيات من ٢١ : ٢٧

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالي .. ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من الآلهة وشفاعتها ، أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوي الحسرة والندامة .

﴿ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾ لا أحد أبين وأكثر خسرانا منهم.

حال المؤمنين المصدقين

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ اطمأنوا إليه ، وخشعوا له ، من الخبت وهو الأرض المطمئنة . ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ دائمون .

موازنة بين حالي المؤمنين والكافرين

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ ﴾ الكافر والمؤمن . ﴿ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ

* الإعجاز العلمي

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾
ضرب الله لنا مثلا بالفارق بين الفريقين ، فريق الإيمان وفريق الكفر بالفارق بين من يتمتع بنعمة السمع والأبصار وغيره ممن لا يملك سمعًا ولا بصرًا فكان لزامًا أن نعرف =

وَالسَّمِيعِ﴾ يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمي لتعاميه عن آيات الله . وبالأصم

* الإعجاز العلمي

ونطوف حول قدرة الله عز وجل في آلتي السمع و البصر .

فمن مقال للدكتور / محمد كمال عبد العزيز أستاذ الأنف والأذن بكلية الطب جامعة الأزهر يقول تحت عنوان / الأذن عجيبة العجائب .

« إن نظرة في الناحية التشريحية والوظائفية لأذن الإنسان لتدعو إلى الدهشة بحيث لا يستطيع الإنسان العاقل إلا أن يسجد لله شكراً على هذه القوة المبدعة . أما الأنف فهو جهاز التكييف الذي يكيف الهواء الداخل إلى الجسم حسب الظروف المتباينة الأحوال المختلفة من الحرارة والرطوبة ، وفي المناطق الجغرافية المتعددة ، وفصول السنة المتغايرة » !

تتكون الأذن من ثلاثة أجزاء خارجية ، ووسطى ، وداخلية ، والأذن الداخلية تتكون من صيوان علي شكل بوق يقوم بتجميع الأصوات .

أما القناة السمعية الخارجية فهي على شكل متعرج غير مستقيم حماية للأجزاء الداخلية وطبلة الأذن تحمي الأذن من أي جسم غريب يدخل الأذن .

والإذن الوسطى حجرة صغيرة ذات جدران ستة لا يتعدي طولهاوعرضها سنتميتراً ونصفا ، ويحتوي هذا الحيز الضيق على ثلاث عظيمات عجيبة في شكلها وتناسقها وحجمها ، متلاصقة بجوار بعضها البعض ، تعمل في تناسق وانتظام وتكامل ، وتهتز معا استجابة لهزات غشاء الطبلة . وتقوم طبلة الأذن وهذه العظيمات الثلاث بتكبير الصوت داخل أذن الإنسان إلي نحو ٢٠ مرة .

أما الأذن الداخلية فإنها عجيبة العجائب ولغز يحير الألباب وتتيه العقول في تركيبه ووظيفة تلك القوقعة العظمية التي لا يزيد حجمها على نصف السنتيمتر ، ويتفرع منها ثلاث قنوات عظمية في اتجاهات مختلفة تقوم بوظيفتين حيويتين : أولاهما استقبال الموجات الصوتية القادمة من الأذن الوسطى وثانيهما التحكم في توازن الجسم على الأرض ، أو في الفراغ .

لقد خلق الله الأنف لوظائف شديدة من أعجبها تكييفه للهواء الداخل إلى الجهاز التنفسي عن طريق إمداده بالحرارة لجعله مناسبا ومقاربا لدرجة حرارة الجسم ، أو ترطيبه وإمداده بدرجة الرطوبة المناسبة حتى لا يكون جافًا فيحطم أغشية الرئة الرقيقة .

والخالق سبحانه وتعالى في إظهار إعجازه وقدرته في إمداد الأنف بهذه الوظيفة ، يتحدي البشرية على مر العصور والأزمنة أن يصنعوا جهاز تكييف صغير في الحجم يسيطر على مساحة كبيرة تفوق مساحته مئات المرات ، ومن العجيب أن هذا الجهاز لا يحتاج إلى

لتصامه عن إسماع كلا م الله تعالي وتأبيه عن تدبر معانيه ، وتشبيه المؤمن بالسميع

* **الإعجاز العلمي**

وقود أو كهرباء ليعمل ، ولا يحدث صخباً ، ولا أي صوت حينما يعمل ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق ﴾

كما هيأ الله سبحانه وتعالي الأنف بتركيب خاص يجعله قادراً على القيام بهذه المهمة ، فغشاؤه المخاطي المبطن له يحتوي على كمية كبيرة من الأوعية الدموية .

كما زوده الله سبحانه وتعالى بزوائد ذات نسيج إسفنجي تحتوي على كمية كبيرة من الأوعية الدموية . . وحيثما يمر الهواء الداخل للأنف على هذه الكمية الهائلة من الأوعية الدموية ، تتحول درجة حرارة الهواء من ٢٥ درجة مئوية إلى ٣٧ درجة .

أما ترطيب الهواء وإمداده بنسبة معينة ومحسوبة من بخار الماء فهي ضرورية ومهمة لحياة الأهداب الخلوية الموجودة بالغشاء المخاطي المبطن للأنف . وغياب هذه النسبة من الرطوبة حتي ولو لدقائق معدودة يؤدى إلى توقف هذه الأهداب عن الحركة وسبحان الله رب العالمين .

وعن الإعجاز في نعمة البصر تحت عنوان : العين : النعمة التي لا تكفي عبادة العمر لشكرها .

« لا يكفي لشكر الله علي نعمة الإبصار أن يتعبد المرء طول حياته » .

الكلام للدكتور سيد سيف الدين حسين عميد المعهد القومي لعلوم الليزر ، وأستاذ أمراض العيون بالقصر العيني ، وعضو المجالس القومية المتخصصة مضيفاً : العين من الأعضاء المهمة في جسم الإنسان قال تعالي : ﴿ هل يستوى الأعمي والبصر ﴾ ويتجلي في العين ذلك العضو الذي لا يتعدي طوله ٢٤ مليمتراً الإعجاز الألهي في أروع صوره .

وتتكون العين من ثلاث طبقات رئيسية هي : الشبكة وهي الطبقة التي تقع عليها صورة المرئيات ، وهي بمثابة الفيلم الحساس في الكاميرا .

أما الطبقة الثانية فعبارة عن أوعية دموية لتغذية الشبكية ، وبقية أجزاء العين وهي المشيمة والجسم المهدبي والقزحية أما الطبقة الثالثة فعبارة عن حماية لأجزاء العين الداخلية ، وتتكون من القرنية والصلبة . ولكي تتكون الصورة علي الشبكية لا بد من وجود عدسة لتركيز الضوء كما في كاميرا التصوير ، ولكي يدخل الضوء إلى العين لا بد من وجود فتحة في القرنية وهي الحدقة .

والبصير لأن أمره بالضد ، فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين ، أو

* الإعجاز العلمي

وحمي العين من الخارج الجفون وبها الأهداب ، والمسئول عن نظافة العين الجهاز الدمعي ، ولكن تبقي القرنية شفافة وتكون حركة الجفون ناعمة علي العين يوجد الملتحمة ، وهي غشاء مبطن للجفون ويغطي الصلبة جزئياً .

والعين تتحرك في جميع الاتجاهات بواسطة عضلات إرادية .

كما أنها موجودة في تجويف بعظام الجمجمة ، يسمى الحجاج لحماية العين . أما العين نفسها فعبارة عن جهاز لاستقبال الصورة وإرسالها عن طريق العصب البصري إلى مراكز الإبصار العليا في المخ وذلك في مؤخرة الجمجمة .

ويتجلى الإعجاز الإلهي في كل جزء صغير من أجزاء العين . فالجفون مثلا في الأساس لحماية العين . ولكن على الرغم من البساطة التي تبدو بها إلا أنها جهاز متكامل . ففي كل جفن عضلات لفتحة وعضلات لإغلاقه إراديا ، وعضلات لكي تبقى الجفون مفتوحة ما دام الإنسان في يقظة . ويساعد الجفون من ١٠٠ إلى ١٥٠ رمشا هدبيا في الجفن العلوي ، ونصفها تقريبا في الجفن السفلى لحراسة العين من أي جسم غريب يقترب من العين . وبالجفون غدد دهنية مهمة تكسب القرنية و الملتحمة البريق والرطوبة اللازمة .

ويقوم الجهاز الدمعي في العين ـ كما يضيف الدكتور سيف الدين ـ بإفراز الدموع لغسيل العين ونظافتها وتطهيرها من الميكروبات .

أما الملتحمة فتفرز مادة مخاطية ترطب العين وتكون مع الإفراز الدهني بالغدد الدهنية بالجفون ، والسائل المائى بالغدد الدمعية ثلاث طبقات على سطح العين لنظافتها ، ويأتي بعد ذلك دور القرنية ، وهي الجزء الأمامي الشفاف من العين ، وهي بمثابة زجاجة الساعة التي من خلالها ترى القزحية والحدقة . وشفافية القرنية إعجاز بكل المقاييس . وإذا حدثت بها عتامة ، أو ما يسمى سحابة ، فقدت العين الإبصار .

وهي أكثر أجزاء العين حساسية على الإطلاق ، فيغذيها ٧٠ عصباً ، كل عصب يغذي ثلاثة أرباع القرنية أي أن بها ٥٦ ضعف ما تحتاجه من الأعصاب ـ وهذا مهم جدا ـ لسلامة العين ، وهناك في العين قرص جميل يسمي « العدسة البللورية » أما الشبكية فهي بمثابة الفيلم الحساس في الكاميرا وتتكون من عشر طبقات بها ١٢٠ مليون خلية ضوئية ترى أبيض وأسود ، وكل هذه المكونات تدل على قدرة الله وإعجازه سبحانه .

تشبيه الكافر بالجامع بين العمي والصمم ، والمؤمن بالجامع بين ضديهما ، والعاطف لعطف الصفة علي الصفة كقوله :

فَالآيِب الصَّابِح فالغانم (٤)

وهذا من باب اللف والطابق . ﴿ **هَلْ يَسْتَوِيَانِ** ﴾ هل يستوي الفريقان . ﴿ **مَثَلاً** ﴾ أي تمثيلا أو صفة أو حالا . ﴿ **أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾ بضرب الأمثال والتأمل فيها .

الاعتبار من قصة نوح

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ** ﴾ بأني لكم . قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر علي إرادة القول ﴿ **نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص .

﴿ **أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ** ﴾ بدل من إني لكم ، أو مفعول مبين ، ويجوز أن تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير . ﴿ **إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾ مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب ، لكن يوصف به العذاب وزمانه علي طريقة جد جده ، ونهاره صائم للمبالغة .

﴿ **فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا** ﴾ لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة . ﴿ **وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا** ﴾ أخِسَّاؤُنا جمع أرذل ، فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر ، أو أرذُل جمع رَذْل .

﴿ **بَادِيَ الرَّأْيِ** ﴾ ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو ، أو أول الرأي من البدء، والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها .

وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف علي حذف المضاف أى : وقت حدوث بادي الرأي ، والعامل فيه اتبعك . وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الأحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها أرذل .

---

(٤) مر شرح هذا الشاهد ، ويروى أيضًا هكذا :

الصابح فالغانم فالآيب

﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ ﴾ لك ولمتبعيك . ﴿ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة . ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ إياي في دعوي النبوة وإياهم في دعوي العلم بصدقك فغلب المخاطب علي الغائبين .

الآيات من ٢٨ : ٣١

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١) ﴾

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبروني . ﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ حجة شاهدة بصحة دعواي . ﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ ﴾ بايتاء البينة أو النبوة . ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لأن البينة في نفسها هي الرحمة ، أو لأن خفاءها يوجب خفاء النبوة ، أو علي تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لأنه لكل واحدة منهما . وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت أي أخفيت . وقرئ فعماها علي أن الفعل لله .

﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أنكرهكم علي الاهتداء بها . ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ لا تختارونها ولا تتأملون فيها ، وحيث اجتمع ضميران وليس أحدهما مرفوعا ، وقدم الأعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل .

﴿ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ علي التبليغ وهو وإن لم يذكر فمعلوم مما ذكر . ﴿ مَالاً ﴾ جعلا : ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ فإنه المأمول منه .

﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ جواب لهم حين سألوا طردهم . ﴿ إِنَّهُم

مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ فيخاصمون طاردهم عنده ، أو أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم . ﴿ **وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ** ﴾ بلقاء ربكم ، أو بأقدارهم أو في التماس طردهم ، أو تتسفهون عليهم بأن تدعوهم أراذل .

﴿ **وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ** ﴾ بدفع انتقامه . ﴿ **إِن طَرَدتُّهُمْ** ﴾ وهم بتلك الصفة والمثابة . ﴿ **أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾ لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الإيمان عليه ليس بصواب .

﴿ **وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ** ﴾ رزقه وأمواله حتي جحدتم فضلي . ﴿ **وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ** ﴾ عطف علي عندي خزائن الله أي : ولا أقول لكم أنا أعلم الغيب حتي تكذبوني استبعادا ، أو حتي أعلم أن هؤلاء اتبعوني باديَ الرأي من غير بصيرة وعقد قلب ، وعلي الثاني يجوز عطفه علي أقول . ﴿ **وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ** ﴾ حتي تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا .

﴿ **وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ** ﴾ ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم . ﴿ **لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا** ﴾ فإن ما أعده الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا .

﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ إن قلت شيئا من ذلك ، والازدراء به افتعال من زري عليه إذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الراء في الجهر وإسناده إلي الأعين للمبالغة ، والتنبيه علي أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم .

الآيات من ٣٢ : ٣٧

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) ﴾

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا ﴾ خاصمتنا . ﴿ فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ فأطلته أو أتيت بأنواعه . ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ من العذاب . ﴿ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في الدعوي والوعيد فإن مناظرتك لا تؤثر فينا .

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ ﴾ عاجلا أو آجلا . ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بدفع العذاب أو الهرب منه .

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾ شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله : ﴿ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ وتقدير الكلام إن كان الله يريد أن يغويكم ، فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي ، ولذلك تقول : لو قال الرجل أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق ، وهو جواب لما أوهموا من جداله كلام بلا طائل . وهو دليل علي أن إرادة الله تعالي يصح تعلقها بالإغواء وأن خلاف مراده محال .

وقيل : أن يغويكم أن يهلككم من غَوِيَ الفصيل(٥) غَوِيَ إذا بشم فهلك .

---

(٥) الفصيل : ولد الناقة .

﴿ هُوَ رَبُّكُمْ ﴾ هو خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته . ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ فيجازيكم علي أعمالكم .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي ﴾ وباله وقرئ أجرامي علي الجمع ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي .

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ فلا تحزن ولا تتأسف . ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أقنطه الله تعالي من إيمانهم ونهاه أن يغتم بما فعلوه من التكذيب والإيذاء .

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ملتبسا بأعيننا ، عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشئ ويراعي عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية علي طريق التمثيل . ﴿ وَوَحْيِنَا ﴾ إليك كيف تصنعها . ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم . ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ محكوم عليهم بالإغراق فلا سبيل إلي كفه .

الآيات من ٣٨ : ٤٢

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) ﴾

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴾ حكاية حال ماضية . ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ استهزءوا به لعمله السفينة فإنه كان يعملها في بَرِّيةٍ بعيدة من الماء أوان عزته ، وكانوا يضحكون منه ويقولون له : صرت نجارا بعد ما كنت نبيا .

﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ إذا أخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة . وقيل المراد بالسخرية الاستجهال .

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ يعني به إياهم وبالعذاب الغرق . ﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ ﴾ وينزل عليه ، أو يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه . ﴿ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ دائم وهو عذاب النار .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتي هي التي يبتدأ بعدها الكلام . ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور ، والتنور تَنُّور الخبز ابتدأ منه النبوع علي خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها ، أو في الهند ، أو بعين وَرْدَة من أرض الجزيرة .

وقيل : التنور وجه الأرض أو أشرف موضع فيها

﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا ﴾ في السفينة . ﴿ مِن كُلٍّ ﴾ من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها . ﴿ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ذكرا وأنثي هذا علي قراءة حفص والباقون أضافوا علي معني احمل اثنين من كل صنف ذكر وصنف أنثي . ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ عطف علي زوجين أو اثنين ، والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم . ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان وأمه واعلة فإنهما كانا كافرين . ﴿ وَمَنْ آمَنَ ﴾ والمؤمنين من غيرهم .

﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ قيل كانوا تسعة وسبعين : زوجتُه المسلمة ، وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ، ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم . روي أنه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج ، وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين ، وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحش وفي أوسطها الإنس وفي أعلاها الطير .

﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا ﴾ أي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لأنها في الماء

كالمركوب في الأرض . ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ متصل باركبوا ، حال من الواو أي اركبوا فيها مسمين الله ، أو قائلين باسم الله وقت إجرائها وإرسائها ، أو مكانهما علي أن المجري والمرسي للوقت أو المكان أو المصدر ، والمضاف محذوف كقولهم : آتيك خفوقَ النجم ، وانتصابهما بما قدرناه حالاً ، ويجوز رفعهما ببسم الله علي أن المراد بهما المصدر ، أو جملة من مبتدأ وخبر ، أي إجراؤها بسم الله علي أن بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف ، وهي إما جملة مقتضية لا تعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء .

وروي أنه كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت ، وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست .

ويجوز أن يكون الاسم مقحما كقوله :

ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا (٦)

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جري وقرئ مرساها أيضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله . ﴿ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته إياكم لما نجاكم.

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ ﴾ متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أي فركبوا مسمين ، وهي تجري وهم فيها . ﴿ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ في موج من الطوفان ، وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها ، وما قيل

---

(٦) هذا جزء من شطر بيت للبيد بن ربيعة العامري ضمن أبيات يرثي بها نفسه عند وفاته ويوصي ابنتيه والأبيات بتمامها هي :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فإن حان يوماً أن يموت أبوكما ... فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا : هو المرء الذى لا صديقه ... أهان ، ولا خان الأمين ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت، والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا ، وإن صح فلعل ذلك قبل التطبيق . ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ كنعان ، وقرئ ابنها وابنَهَ بحذف الألف علي أن الضمير لامرأته ، وكان ربيبه ، وقيل : كان لغير رشدة لقوله تعالي ﴿ فخانتاهما ﴾(٧) وهو خطأ إذ الأنبياء عصمن من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين .

وقرئ ابناه علي الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف

﴿ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾ عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه ، مفعل للمكان من عزله إذا أبعده . ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا ﴾ في السفينة ، والجمهور كسروا الياء ليدل علي ياء الإضافة المحذوفة في جميع القرآن ، غير ابن كثير فإنه وقف عليها في لقمان(٨) في الموضع الأول باتفاق الرواة وفي الثالث في (٩) رواية قنبل وعاصم فانه فتح ها هنا اقتصارا علي الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة ، واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع

وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما (١٠) .

﴿ وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾ في الدين والانعزال .

الآيات من ٤٣ : ٤٧

﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ

---

(٧) التحريم : ١٠ .

(٨) فى الآية رقم ١٣ ﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

(٩) في الآية رقم ١٧ : ﴿ يابني أقم الصلاة ﴾ .

(١٠) في قوله تعالى : ﴿ اركبْ معنا ﴾ هود : ٤٢ .

فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) ﴾

﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ أن يغرقني ﴿ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ إلا الراحم وهو الله تعالي ، أو الإمكان من رحمهم الله وهم المؤمنون، رد بذلك أن يكون اليوم معتصَم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به إلا معتصَم المؤمنين وهو السفينة . وقيل لا عاصم بمعني لا ذا عصمة كقوله ﴿ في عيشة راضية ﴾ (١١)

وقيل : الاستثناء منقطع أي لكن من رحمه الله يعصمه .﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ ﴾ بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل . ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ فصار من المهلكين بالماء .

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ نوديا بما ينادي به أولو العلم وأُمرًا بما يؤمرون به ، تمثيلاً لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالأمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلي امتثال أمره ، مهابةً من عظمته وخشية من أليم عقابه ، والبلع النشف والإقلاع الإمساك .

﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾ نقص .﴿ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين . ﴿ وَاسْتَوَتْ ﴾ واستقرت السفينة ﴿ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ جبل بالموصل ، وقيل : بالشام ، وقيل : بآمل .

روي أنه ركب السفية عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار ذلك سنة (١٢)

---

(١١) الحاقة : ٢١ .

(١٢) روي الإمام أحمد في مسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : مر النبى ﷺ بأناس من اليهود وقد صاموا عاشورا ، فقال : ما هذا الصوم ؟ قالوا : هذا اليوم الذي نجي الله به موسى وبني إسرائيل من الغرق ، وغرق فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي ، فصام نوح وموسى عليهما السلام شكرا لله عز وجل ، فقال النبي ﷺ : أنا أحق بموسي وأحق بصوم هذا اليوم ، فصام وقال لأصحابه : من كان أصبح منكم صائماً فليتم صومه ، ومن كان أصاب من غداء أهله فليتم بقية يومه » . قال ابن كثير في تفسيره : وهذاحديث غريب من هذا الوجه ، ولبعضه شاهد في الصحيح .

﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا إذا أبعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجي عوده ، ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء .

بلاغة هذه الآية

والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة علي كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال ، وفي إيراد الأخبار علي البناء للمفعول دلالة علي تعظيم الفاعل ، وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره ، إذ لا يذهب الوهم إلي غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليها سوي الواحد القهار .

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ ﴾ وأراد نداءه بدليل عطف قوله : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ فإنه النداء . ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾ وإن كل وعد تعده حق لا يتطرق إليه الخلف ، وقد وعدت أن تنجي أهلي فما حاله ، أوفما له لم ينج ، ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه . ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ لأنك أعلمهم وأعدلهم أو لأنك أكثر حكمة من ذوي الحكم علي أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع .

﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار إليه بقوله : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ فإنه تعليل لنفي كونه من أهله ، ، وأصله إنه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة :

ترتع مَا رتعت حَتي إذا ادَّكَرَتْ .·. فإِنَّمَا هي إقبالٌ وإدْبَارٌ (١٣)

ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه . وقرأ الكسائى ويعقوب : إنه عَمِلَ غَيْرَ صالح أي عمل عملا غير صالح .

﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ مالا تعلم أصواب هو أم ليس كذلك ، إنما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة أهله استنجازه في شأن ولده أو استفسار المانع للإنجاز في حقه ، وإنما سماه جهلا وزجر عنه بقوله : ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ لأن استثناء من سبق عليه القول من أهله قد دله علي

---

(١٣) مر الحديث عن هذا الشاهد قبل .

الحال وأغناه عن السؤال ، لكن أشغله حبُّ الولد عنه حتي اشتبه عليه الأمر .

وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذلك نافع وابن عامر غير أنهما كسرا النون علي أن أصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ، ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية رويس إثباتها في الوصل .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ ﴾ فيما يستقبل . ﴿ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ مالا علم لي بصحته . ﴿ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي ﴾ وإن لم تغفر لي ما فرط مني في السؤال . ﴿ وَتَرْحَمْنِي ﴾ بالتوبة والتفضل علي . ﴿ أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ أعمالا .

الآيات من ٤٨ : ٥١

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ (٥١) ﴾

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا ﴾ انزل من السفينة مُسَلَّما من المكاره من جهتنا أو مسلما عليك . ﴿ وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴾ ومباركا عليك أو زيادات في نسلك حتي تصير آدما ثانيا . وقرئ اهبط بالضم وبركة علي التوحيد وهو الخير النامي . ﴿ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ وعلي أمم هم الذين معك ، سموا أمما لتحزبهم أو لتشعب الأمم منهم ، أو علي أمم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله : ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ﴾ أي وممن معك أمم سنمتعهم في الدنيا . ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه . وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب ، والعذاب ما نزل بهم .

﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلي قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها : ﴿ مِنْ أَنبَاءِ

﴿ الْغَيْبِ ﴾ أي بعضها . ﴿ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾ خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك، أو حال من الأنباء أو هو الخبر ومن أنباء متعلق به أو حال من الهاء في نوحيها . ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا ﴾ خير آخر أي مجهولة عندك وعند قومك من قبل إيحائنا إليك ، أو حال من الهاء في نوحيها أو الكاف في إليك أي : جاهلا أنت وقومك بها ، وفي ذكرهم تنبيه علي أنه لم يتعلمها إذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم ؟

﴿ فَاصْبِرْ ﴾ علي مشاق الرسالة وأذية القوم كما صبر نوح . ﴿ إِنَّ الْعَاقِبَةَ ﴾ في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز . ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ عن الشرك والمعاصي .

قصة هود

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ عطف علي قوله نوحا إلي قومه وهودا عطف بيان . ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وحده . ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ وقرئ بالجر حملا علي المجرور وحده (١٤) . ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ علي الله باتخاذ الأوثان شركاء وجعلها شفعاء .

﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ خاطب كل رسول به قومه إزاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فإنها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع . ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ؟

الآيات من ٥٢ : ٥٧

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ

(١٤) على المجرور وحده ، أى صفة على اللفظ .

فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦) فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧) ﴾

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ اطلبوا مغفرة الله بالإيمان ثم توسلوا إليها بالتوبة وأيضا التبري من الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله والرغبة فيما عنده . ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [١٥] كثير الدر . ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ ويضاعف قوتكم ، وإنما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات . وقيل : حَبَس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود عليه السلام علي الإيمان والتوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل . ﴿ وَلاَ تَتَوَلَّوْا ﴾ ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه . ﴿ مُجْرِمِينَ ﴾ مُصرِّين علي إجرامكم .

﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ بحجة تدل علي صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات . ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا ﴾ بتاركي عبادتهم . ﴿ عَن قَوْلِكَ ﴾ صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي . ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ إقناط له من الإجابة والتصديق .

﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ ﴾ ما نقول إلا قولنا اعتراك أى أصابك من عراه يعروه إذا أصابه . ﴿ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ بجنون لسبك إياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم لخرافات ، والجملة مقول القول وإلا لغو لأن الاستثناء مفرغ . ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ .

﴿ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ ﴾ أجاب به عن مقالتهم الحمقاء

---

(١٥) وقد قال ذلك نوح لقومه أيضًا كما جاء في سورة نوح ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ نوح ١٠ ـ ١٢ .

بأن أشهد الله تعالي علي براءته من آلهتهم وفراغه عن إضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له ، وأمرهم بأن يشهدوا عليه استهانة بهم ، وأن يجتمعوا علي الكيد في إهلاكه من غير إنظار حتي إذا اجتهدوا فيه ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم وهم الأقوياء الأشداء أن يضروه لم يبق لهم شبهة أن آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من إضراره انتقاما منه ، وهذا من جملة معجزاته فإن مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبارة الفتاك العطاش إلي إراقة دمه بهذا الكلام ليس إلا لثقته بالله وتثبطهم عن إضراره ليس إلا بعصمته إياه ولذلك عقبه بقوله :

﴿ **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم** ﴾ تقريرا له والمعني أنكم وإن بذلتم غاية وسعكم لن تضروني فإني متوكل علي الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ، ولا يقدرون علي ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله : ﴿ **مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا** ﴾ أي إلا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها علي ما يريد بها والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك . ﴿ **إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ أي أنه علي الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم .

﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا** ﴾ فإن تتولوا . ﴿ **فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ** ﴾ فقد أديت ما علي من الإبلاغ وإلزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم . ﴿ **وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ** ﴾ استئناف بالوعيد لهم بأن الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم وأموالهم ، أو عطف علي الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم علي الموضع كأنه قيل : وإن تتولوا يعذرني ربي ويستخلف . ﴿ **وَلاَ تَضُرُّونَهُ** ﴾ لتوليكم . ﴿ **شَيْئًا** ﴾ من الضرر ومن جزم يستخلف أسقط النون منه . ﴿ **إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ** ﴾ رقيب فلا تخفي عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم ، أو حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره شئ .

الآيات من ٥٨ : ٦٢

﴿ **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ**

جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) ﴾

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابنا أو أمرنا العذاب . ﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ وكانوا أربعة آلاف . ﴿ وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم ، كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطع أعضاهم ، أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضا ، والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالغذاب الغليظ .

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ﴾ أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة أو لأن الإشارة إلي قبورهم وآثارهم . ﴿ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ كفروا بها . ﴿ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾ لأنهم عصوا رسولهم ومن عصي رسولا فكأنما عصي الكل لأنهم أمروا بطاعة كل رسول . ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا إذا طغي ، والمعني عصوا من دعاهم إلي الإيمان وما ينجيهم وأطاعوا من دعاهم إلي الكفر وما يرديهم .

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب . ﴿ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾ جحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار . ﴿ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ ﴾ دعاء عليهم بالهلاك ، والمراد به الدلالة علي أنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم ، وإنما كرر ألا وأعاد ذكرهم تفظيعا لأمرهم وحثا علي الاعتبار بحالهم . ﴿ قَوْمِ هُودٍ ﴾ عطف بيان لعاد ، وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد إرم ، والإيماء إلي أن استحقاقهم للبعد بما جري بينهم وبين هود .(١٦)

---

(١٦) مرت قصة هود في سورة الأعراف ، وعرفنا منها أن مساكنهم كانت باليمن بالأحقاف وهي جبال الرمل ، ونضيف هنا ما رواه محمد بن إسحاق عن أبي الطفيل عامر بن

قصة صالح

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ هو كونكم منها لا غيره ، فإنه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب . ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ ﴾ عمركم فيها واستبقاكم من العمر ، أو أقدركم علي عمارتها وأمركم بها ، وقيل : هو من العمري بمعني أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم ، أو جعلكم ، معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم . ﴿ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ ﴾ قريب الرحمة . ﴿ مُّجِيبٌ ﴾ لداعيه .

﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ﴾ لما نري فيك من مخايل الرشد والسداد أن تكون لنا سيدا ومستشارا في الأمور ، أوأن توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك . ﴿ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ علي حكاية الحال الماضية . ﴿ وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ من التوحيد والتبري عن الأوثان . ﴿ مُرِيبٍ ﴾ موقع في الريبة من أرابه ، أو ذي ريبة علي الإسناد المجازي من أراب في الأمر .

الآيات من ٦٣ : ٦٩

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً

واثلة يقول : سمعت عليا يقول لرجل من حضرموت : هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء ذاك أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت، هل رأيته ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، والله إنك لنعتّه نعت رجل قد رآه . قال : لا ولكني حدثت عنه . فقال الحضرمي : وما شأنه يا أمير المؤمنين ؟ قال : فيه قبر هود عليه السلام . رواه ابن جرير . وهذا يفيد أن مساكنهم كانت باليمن ، فإن هوداً عليه السلام دفن هناك .
وفي لعن قوم هود ـ كما جاء في الآية الكريمة ـ قال السدي : ما بعث نبي بعد عاد إلا لعنوا على لسانه .

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨) وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) ﴾

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ بيان وبصيرة ، وحرف الشك[17] باعتبار المخاطبين . ﴿ وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ نبوة . ﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ ﴾ فمن يمنعني من عذابه ﴿ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ في تبليغ رسالته والمنع عن الإشراك به . ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِي ﴾ إذن باستتباعكم إياي . ﴿ غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ غير أن تخسروني بإبطال ما منحني الله والتعرض لعذابه ، أو فما تزيدونني بما تقولون لي غير أن أنسبكم إلي الخسران .

﴿ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴾ انتصب آية علي الحال وعاملها معني الإشارة ، ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها . ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ تَرْعَ نباتَها وتشربْ ماءها . ﴿ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ عاجل لا يتراخي عن مسكم لهابالسوء إلا يسيرا وهو ثلاثة أيام .

﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ﴾ عيشوا في منازلكم أو في داركم الدنيا . ﴿ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ الأربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون . ﴿ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ أي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجري المفعول به كقوله :

---

(١٧) حرف الشك هو (إنْ) الشرطية فهي تفيد الشك ، بعكس (إذا) التي تفيد التحقيق .

ويَوْمَ شَهِدْنَاهُ سَلِيماً وعَامِراً (١٨)

أو غير مكذوب علي المجاز ، وكأن الواعد قال له أفي بك فإن وفي به صدقه وإلا كذبه ، أو وعد غير كذب علي أنه مصدر كالمجلود والمعقول .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾ أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلا كهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة . وعن نافع يومئذ بالفتح علي اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه هنا وفي المعارج في قوله ﴿ من عذاب يومئذ ﴾ (١٩) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ القادر علي كل شئ والغالب عليه .

﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ قد سبق تفسير ذلك في سورة الأعراف .

﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾ نونه أبو بكر ها هنا وفي النجم (٢٠) والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو في قوله : ﴿ أَلا بُعْداً لِّثَمُودَ ﴾ ذهابا إلي الحي أو الأب الأكبر .

قصة إبراهيم والملائكة

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ ﴾ يعني الملائكة ، قيل : كانوا تسعة ، وقيل : ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل . ﴿ بِالْبُشْرَىٰ ﴾ ببشارة الولد . وقيل بهلاك قوم

---

(١٨) هذا شطر بيت ، وهو بتمامه :

ويومَ شهدناه سليما وعامرًا قليل سوى الطعن النهال نوافله

ولم ينسب لقائل

يقول : ورب يوم شهدنا فيه ، فخذف الجار وأوصل الضمير بالفعل ، فصار الفعل كانه متعد لمفعولين : الأول الضمير والثاني سليما .

وقليل : صفة ليوم ، والنهال : جمع ناهل ، وصف به الطعن على سبيل المجاز والمعنى إن هؤلاء القوم يتشفون بهذا الطعن من غيظ قلوبهم .

(١٩) المعارج : ١١ .

(٢٠) النجم : ٥١ .

لوط . ﴿ قَالُوا سَلامًا ﴾ سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا علي معني ذكروا سلاما . ﴿ قَالَ سَلامٌ ﴾ أي أمركم أو جوابي سلام أو عليكم سلام ، رفعه إجابة بأحسن من تحيتهم . وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح . ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ فما أبطأ مجيئه به ، أو فما أبطأ في المجئ به ، أو فما تأخر عنه والجار في أن مقدر أو محذوف والحنيذ المشوي بالرضف (٢١) . وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس إذا عرفته بالجلال لقوله ﴿ بعجل سمين ﴾ (٢٢) .

الآيات من ٧٠ : ٧٤

﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) ﴾

﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ لا يمدون إليه أيديهم . ﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ أنكر ذلك منهم وخاف أن يريدوا به مكروها ، ونكر وأنكر واستنكر بمعني والإيجاس الإدراك وقيل الإضمار ﴿ قَالُوا ﴾ له لما أحسوا منه أثر الخوف . ﴿ لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ إنا ملائكة مرسلة إليهم بالعذاب ، وإنما لم نمد إليه أيدينا لأنا لا تأكل .

﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾ وراء الستر تسمع محاورتهم أو علي رءوسهم للخدمة . ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد أو بإصابة رأيها ، فإنها كانت تقول لإبراهيم : اضمم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء القوم .

---

(٢١) الرضف : الحجارة المحماة .

(٢٢) الذاريات : ٢٦ .

وقيل : فضحكت فحاضت قال الشاعر :

وَعَهْدِي بِسَلْمَى ضَاحِكاً فِي لُبَابَةٍ ... وَلَمْ يَعْدُ حُقّاً ثَدْيُهَا أَنْ تَحَلَّمَا (٢٣)

ومنه ضحكت السمرة (٢٤) إذا سال صمغها ، وقرئ بفتح الحاء . ﴿ **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** ﴾ نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره : ووهبناها من وراء إسحاق يعقوب (٢٥) . وقيل : إنه معطوف علي موضع بإسحاق أو علي لفظ إسحاق ، وفتحته للجر فإنه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف . وقرأ الباقون بالرفع عليه أنه مبتدأ .

وخبره الظرف أى ويعقوب مولود من بعده . وقيل : الوراء ولد الولد ولعله سمي به لأنه بعد الولد وعلي هذا تكون إضافته إلي إسحاق ليس من حيث أن يعقوب عليه الصلاة والسلام وراءه ، بل من حيث أنه وراء إبراهيم من جهته وفيه نظر . والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيي ، ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا فسميا به ، وتوجيه البشارة إليهما للدلالة علي أن الولد المبشر به يكون منها لا من هاجر ولأنها كانت عقيمة حريصة علي الولد .

﴿ **قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ** ﴾ يا عجبا ، وأصله في الشر فأطلق علي كل أمر فظيع . وقرئ بالياء علي الأصل . ﴿ **أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ** ﴾ ابنة تسعين أو تسع وتسعين . ﴿ **وَهَٰذَا بَعْلِي** ﴾ زوجي وأصله القائم بالأمر . ﴿ **شَيْخًا** ﴾ ابن مائة أو مائة

---

(٢٣) يقول الشاعر : عهدي بسلمى طفلة صغيرة ، أول عهدها بالحيض ، تلبس ثياب الصغيرات ، وهي اللبابة ـ أو اللبيبة ـ ثوب يشق فيلبس بلا جيب ـ وكان ثديها كالحق، لم تبد حلمته التي تبرز من رأس الثدى .

(٢٤) السَّمُرَة : نوع من الشجر له شوك ، ويؤخذ منه الصمغ ، وهو نوع من شجر الطَّلْح.

(٢٥) استدل العلماء من هذه الآية على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وأنه يمتنع أن يكون إسحاق ، لأنه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعقوب فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد له بعد يعقوبُ الموعود بوجوده ووعد الله حق لا خلف فيه ، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه ؟ !! فتعين أن يكون الذبيح إسماعيل ، وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه وأبينه ولله الحمد ـ تفسير ابن كثير .

وعشرين ، ونصبه علي الحال والعامل فيها معني اسم الإشارة . وقرئ بالرفع علي أنه خبر محذوف أى هو شيخ ، أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعلي بدل . ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ يعني الولد من هَرِمَيْنْ ، وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك :

﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ منكرين عليها فإن خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات ، وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بأن يستغر به عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآبات ، وأهل البيت نصب علي المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم : اللهم أغفر لنا أيتها العصابة . ﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ ﴾ فاعل ما يستوجب به الحمد . ﴿ مَّجِيدٌ ﴾ كثير الخير والإحسان .(٢٦)

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴾ أي ما أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم . ﴿ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ ﴾ بدل الروع . ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته إياهم قوله : ﴿ إن فيها لوطا ﴾ (٢٧) وهو إما جواب لما جيء به مضارعا علي حكاية الحال ، أو لأنه في سياق الجواب بمعني الماضي كجواب لو ، أو دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ علي خطابنا أو شرع في جدالنا ، أو متعلق به أقيم مقامه مثل أخذ أو أقبل يجادلنا .

الآيات من ٧٥ : ٨١

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ

(٢٦) ثبت في الصحيحين أنهم قالوا : « قد علمتنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك يا رسول الله ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد » المرجع السابق .

(٢٧) العنكبوت : ٣٢ .

كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) ﴾

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ غير عجول علي الانتقام من المسئ إليه . ﴿ أَوَّاهٌ ﴾ كثير التأوه من الذنوب والتأسف علي الناس . ﴿ مُّنِيبٌ ﴾ راجع إلـي الله ، والمقصود من ذلك بيان الحامل له علي المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه .

﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ علي إرادة القول أي قالت الملائكة يا إبراهيم . ﴿ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ الجدال ﴿ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ قدره بمقتضي قضائه الأزلي بعذابهم وهو أعلم بحالهم . ﴿ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك .

قصة لوط

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ ﴾ ساءه مجيئهم لأنهم جاءوه في صورة غلمان فظن أنهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم . ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ وضاق بمكانهم صدره ، وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه . ﴿ وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ شديد من عصبه إذا شده .

﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ يسرعون إليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه . ﴿ وَمِن قَبْلُ ﴾ أى ومن قبل ذلك الوقت . ﴿ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتي جاءوا يهرعون لها مجاهرين .

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي ﴾ فدي بهن أضيافه كرما وحمية ، والمعني هؤلاء بناتي فتزوجوهن ، وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات علي الكفار فإنه شرع طارئ أو مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتي إن ذلك أهون منه ، أو إظهارا لشدة امتغاضه من ذلك كي يرقوا له . وقيل : المراد بالبنات نساؤهم فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود « وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم » (٢٨) ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ أنظف فعلا وأقل فحشا كقولك : الميتة أطيب من المغصوب وأحل منه . وقرئ أطهر بالنصب علي الحال علي أن هن خبر بناتي كقولك : هذا أخي هو الأفضل فإنه لا يقع بين الحال وصاحبها .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم . ﴿ وَلا تُخْزُونِ ﴾ ولا تفضحوني من الخزي ، أو ولا تخجلوني من الخزاية بمعني الحياء . ﴿ فِي ضَيْفِي ﴾ في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه . ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ يهتدي إلي الحق ويرعوي عن القبيح .

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ من حاجة ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ وهو إتيان الذكران .

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ لو قويت بنفسي علي دفعكم . ﴿ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ إلي قوي أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته . وعن النبي ﷺ « رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلي ركن شديد » .(٢٩) وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قال : لو أني لي بكم قوة أوأوياً وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم .

روي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار ، فلما رأت الملائكة ما علي لوط من الكرب .

---

(٢٨) الأحزاب : ٦ .

(٢٩) رواه ابن كثير في تفسيره من حديث أبي هريرة ، ولفظه « رحمة الله على لوط لقد كان يأوى إلى ركن شديد ـ يعني الله عز وجل ـ فما بعث الله بعده من نبي إلا فى ثروة من قومه » .

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ لن يصلوا إلى إضرارك بإضرارنا فهون عليك ودعنا وإياهم ، فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط سحرة .

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ بالقطع من الإسراء ، وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السُّرَيَ . ﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ بطائفة منه . ﴿ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ ولا يتخلف أو لا ينظر إلي ورائه والنهي في اللفظ لأحد وفي المعني للوط . ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَكَ ﴾ استثناء من قوله ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ ويدل عليه أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ، وهذا إنما يصح علي تأويل الالتفات بالتخلف فإنه إن فسر بالنظر إلي الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالرفع علي البدل من أحد ، ولا يجوز حمل القراءتين علي الروايتين في أنه خلفها مع قومها أو أخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت :يا قوماه فأدركها حجر فقتلها ، لأن القواطع لا يصح حملها علي المعاني المتناقضة ، والأولي جعل الاستثناء في القرائتين من قوله ﴿ وَلا يَلْتَفِتْ ﴾ مثله في قوله تعالي ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ (٣٠) ولا يبعد أن يكون أكثر القراء علي غير الأفصح ، ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علل طريقة الاستئناف بقوله : ﴿ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا علي قراءة الرفع . ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾ كأنه علة الأمر بالإسراء . ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب .

الآيات من ٨٢ :٨٤

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) ﴾

(٣٠) النساء : ٦٦ .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابنا أو أمرنا به ، ويؤيده الأصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله : ﴿ جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ فإنه جواب لما ، وكان حقه : جعلوا عاليها سافلها أي الملائكة المأمورون به ، فأسند إلي نفسه من حيث إنه المسبب تعظيما للأمر فإنه روي : (**أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها إلي السماء حتي سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم**) .

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ علي المدن أو علي شذاذها . ﴿ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ من طين متحجر لقوله ﴿ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ (٣١) وأصله (سنك كل) فعرب . وقيل إنه من أسجله إذا أرسله أو أدر عطيته ، والمعني من مثل الشئ المرسل أو من مثل العطية في الإدرار ، أو من السجل أي مما كتب الله أن يعذبهم به وقيل : أصله من سجين أى من جهنم فأبدلت نونه لاما . ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ نضد معدا لعذابهم ، أو نضد في الإرسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الأمطار ، أو نضد بعضه على بعض وألصق به .

﴿ مُسَوَّمَةً ﴾ معلمة للعذاب . وقيل : معلمة ببياض وحمرة . أو بسيما تتميز به عن حجارة الأرض ، أو باسم من يرمي بها . . ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ في خزائنه . ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم ، وفيه وعيد لكل ظالم . وعنه عليه الصلاة والسلام « **أنه سأل جبريل عليه السلام فقال : يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلي ساعة** » (٣٢)

وقيل : الضمير للقري أى هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في أسفارهم إلي الشام ، وتذكير البعيد علي تأويل الحجر أو المكان (٣٣) .

---

(٣١) الذاريات : ٣٣ .

(٣٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره عن أنس بغير سند .

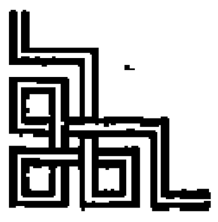
(٣٣) في التحذير من عمل قوم لوط قال النبي ﷺ فيما رواه أصحاب السنن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به »
قال ابن كثير في تفسيره : ذهب الإمام الشافعي في قوله وعنه جماعة من العلماء إلى أن اللائط يقتل سواء كان محصنا أو غير محصن عملا بهذا الحديث .
وذهب الإمام أبو حنيفة أنه يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط .

قصة شعيب

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ أراد أولاد مدين بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسه . ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ أمرهم بالتوحيد أولا فإنه ملاك الأمر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض . ﴿ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ ﴾ بسعة تغنيكم عن البخس ، أو بنعمة حقها أن تتفضلوا علي الناس شكرا عليها لا أن تنقصوا حقوقهم ، أو بسعة فلا تزيلوها بما أنتم عليه وهو في الجملة علة للنهي . ﴿ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ لا يشذ منه أحد منكم . وقيل : عذاب مهلك من قوله ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ (٣٤) والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ، ووصف اليوم بالإحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه .

الآيات من ٨٥ : ٨٨

﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾



﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ صرح بالأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها علي أنه لا يكفيهم الكف عن تعمدهم التطفيف ، بل يلزمهم السعي

---

(٣٤) الكهف : ٤٢ .

في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتي بدونها . ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل والسوية من غير زيادة ولا نقصان ، فإن الازدياد إيفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا . ﴿ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ تعميم بعد تخصيص فإنه أعم من أن يكون في المقدار ، أو في غيره وكذا قوله: ﴿ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ فإن العثو يعم تنقيص الحقوق و غيره من أنواع الفساد . وقيل : المراد بالبخس المكس كأخذ العشور في المعاملات ، والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة . وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح كما فعله الخضر عليه الصلاة والسلام . وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين في أمر دينكم ومصالح آخرتكم .

﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ ﴾ ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم . ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ مما تجمعون بالتطفيف .﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ بشرط أن تؤمنوا فإن خيرتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان . أو إن كنتم مصدقين لي في قولي لكم . وقيل البقية الطاعة كقوله : ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ (٣٥) وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي .

﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ أحفظكم عن القبائح ، أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها ، وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت حين أنذرت ، أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم .

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ من الأصنام ، أجابوا به آمرهم بالتوحيد علي الاستهزاء به والتهكم بصلواته والإشعار بأن مثله لا يدعو إليه داع عقلي ، وإنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه. وكان شعيب كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر . وقرأ حمزة والكسائي وحفص علي الإفراد والمعني : أصلاتك تأمرك بتكليف أن نترك ، فحذف المضاف لأن الرجل لا يؤمر بفعل غيره . ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ عطف علي ما أي وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا . . وقرئ بالتاء فيهما

---

(٣٥) الكهف : ٤٦ ، مريم : ٧٦ .

علي أن العطف علي أن نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر بالإيفاء . وقيل : كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك . ﴿ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك ، أو عللوا إنكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلي أمثال ذلك .

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ إشارة إلي ما آتاه الله من العلم والنبوة ﴿ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ إشارة إلي ما آتاه الله من المال الحلال ، وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الرحانية والجسمانية أن أخون في وحيه ، وأخالفه في أمره ونهيه . وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء ، والضمير في منه سلله أي من عنده وبإعانته بلا كد مني في تحصيله .

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ أي وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبد به دونكم ، فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلا عن أن أنهي عنه ، يقال خالفت زيدا إلي كذا إذا قصدته وهو مول عنه ، وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس ، ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ وما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع الإصلاح ، فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه ، ولهذه الأجوبة الثلاثة علي هذاالنسق شأن : وهو التنبيه علي أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها وأعلاها حق الله تعالي ، وثانيها حق النفس ، وثالثهاحق الناس . وكل ذلك يقتضي أن آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه ، وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته ، أو إصلاح ما استطعته فحذف المضاف . ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ وما توفيقي لإصابة الحق والصواب إلا بهدايته ومعونته . ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ فإنه القادر المتمكن من كل شئ وما عداه عاجز في حد ذاته ، بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار ، وفيه إشارة إلي محض التوحيد الذي هو أقصي مراتب العلم بالمبدأ . ﴿ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ إشارة إلي معرفة المعاد ، وهو أيضا يفيد الحصر بتقديم الصلة علي الفعل . وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لإصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالي ، والاستعانة به في مجامع

أمره والإقبال عليه بشراشره ، وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع إلي الله للجزاء .

الآيات من ٨٩ : ٩٢

﴿ وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) ﴾

﴿ وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ لا يكسبنكم . ﴿ شِقَاقِي ﴾ معاداتي . ﴿ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ﴾ من الغرق . ﴿ أَوْ قَوْمَ هُودٍ ﴾ من الريح . ﴿ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ﴾ من الرجفة .

وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم ، فإنه يعدي إلي واحد وإلي اثنين ككسب .

وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي إلي مفعول واحد ، والأول أفصح فإن أجرم أقل دورانا علي ألسنة الفصحاء . وقرئ مثل بالفتح لإضافته إلي المبني كقوله :

لَمْ يمنع الشُّرْبَ منها غيرَ أنْ نَطَقَتْ حَمامَةٌ في غُصُون ذات أرْقَال (٣٦)

﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم ، أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم ، وإفراد

---

(٣٦) هذا البيت لأبي قيس بن رفاعة يصف ناقة

والأرقال ـ جمع رَقَل كجبل ـ وهي الحجارة أو البقايا التي بقيت من جذع الشجرة بعد تقليم بعض أغصانها .

يقول : إن هديل الحمامة حال بين الناقة وشرب الماء لأنها أنست بالصوت وانشغلت به عن العطش .

البعيد لأن المراد وما إهلاكهم أو وما هم بشئ بعيد ، ولا يبعد أن يسوي في أمثاله بين المذكر والمؤنث لأنها علي زنة المصادر كالصهيل والشهيق .

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ عما أنتم عليه . ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ ﴾ عظيم الرحمة للتائبين . ﴿ وَدُودٌ ﴾ فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده ، وهو وعد علي التوبة بعد الوعيد علي الإصرار .

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ ﴾ ما نفهم . ﴿ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما ، وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم . وقيل : قالوا ذلك استهانة بكلامه ، أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه . ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءا، أو مهينا لا عز لك ، وقيل : أعمي بلغة حمير ، وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ، ومنع بعض المعتزلة استنباء الأعمي قياسا علي القضاء والشهادة والفرق بيِّن

﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾ قومك وعزتهم عندنا لكونهم علي ملتنا لا لخوف من شوكتهم ، فإن الرهط من الثلاثة إلي العشرة وقيل إلي التسعة . ﴿ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ لقتلناك برمي الأحجار أو بأصعب وجع . ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ فتمنعنا عزتك عن الرجم ، وهذا دَيْدَن السفية يقابل الحجج (٣٧) والآيات بالسب ، والتهديد وفي إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه علي أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة ، وأن المانع لهم عن إيذائه عزة قومه ولذلك

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والإهانة لرسوله فلا تبقون عليّ لله وتبقون عليّ لرهطي ، وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والرد والتكذيب ، وظهريا منسوب إلي الظهر والكسر من تغييرات النسب . ﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ فلا يخفي عليه شئ منها فيجازي عليها .

---

(٣٧) الديدن : العادة ، والمحجوج : المغلوب الذي تغلبه الحجة .

الآيات من ٩٣ : ٩٧

﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ
يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي
دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥)
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ
وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) ﴾

﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ سبق مثله في سورة الأنعام . والفاء في فسوف تعلمون (٣٨) ثمة للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك ، وحذفها ها هنا لأنه جواب سائل قال : فماذا يكون بعد ذلك ؟ فهو أبلغ في التهويل .

﴿ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ عطف علي من يأتيه لا لأنه قسيم له كقولك : ستعلم الكاذب والصادق ، بل لأنهم لما أوعدوه وكذبوه قال : سوف تعلمون من المعذّب والكاذب مني ومنكم . وقيل: كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم والثاني إليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال : ومن هو كاذب علي زعمهم .

﴿ وَارْتَقِبُوا ﴾ وانتظروا ما أقول لكم . ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ منتظر فعيل بمعني الراقب كالصريم ، أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع .

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ إنما ذكره بالواو كما في قصة عاد إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجري السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعد وذلك قوله ﴿ وعد غير مكذوب ﴾ (٣٩) وقوله

(٣٨) انظر الآية رقم ١٣٥ من سورة الأنعام ﴿ قل يا قوم اعلموا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون .... ﴾

(٣٩) هود : ٦٥ .

﴿ وإن موعدكم الصبح ﴾ (٤٠) فلذلك جاء بفاء السببية .

﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا. ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ ميتين ، وأصل الجثوم اللزوم في المكان .

﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ كأن لم يقيموا فيها . ﴿ أَلا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة ، غير أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم . وقرئ بعُدت بالضم علي الأصل ، فإن الكسر تغيير لتخصيص معني البعد بما يكون بسبب الهلاك ، والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور .

قصة موسي

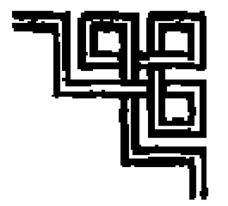
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ بالتوراة أو المعجزات . ﴿ وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ وهو المعجزات القاهرة أو العصا ، وإفرادها بالذكر لأنها أبهرها ، ويجوز أن يراد بهما واحد أي : ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له علي نبوته واضحا في نفسه أو موضحا إياها ، فإن أبان (٤١) جاء لازما ومتعديا ، والفرق بينهما أن الآية تعم الأمارة ، والدليل القاطع ، والسلطان يُخَصُّ بالقاطع ، والمبين يُخَصُّ بما فيه جلاء .

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾ فاتبعوا أمره بالكفر بموسي ، أو فما تبعوا موسي الهادي إلي لحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة ، واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان ، الداعي إلي مالا يخفي فساده علي من له أدني مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم . ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ مرشد أو ذي رشد ، وإنما هو غي محض وضلال صريح .

---

(٤٠) هود : ٨١ .

(٤١) أبان : يعني أن الفعل (أبان) هو الذي اشتق منه اسم الفاعل « بين » الذي وصف به سلطان .



الآيات من ٩٨ : ١٠٣

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) ﴾

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ إلي النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلي الضلال يقال قدم بمعني تقدم . ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمي إتيانها موردا ثم قال : ﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ أي بئس المورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش والنار بالضد ، والآية كالدليل علي قوله ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ فإن من كان هذه عاقبته فلم يكن في أمره رشد ، أو تفسير له علي أن المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها .

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ ﴾ الدنيا . ﴿ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى يلعنون في الدنيا والآخرة . ﴿ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ بئس العون المعان أو العطاء المعطي ، وأصل الرفد ما يضاف إلي غيره ليعمده ، والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة في الدارين .

عاقبة الأمم المكذبة بالرسل

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي ذلك النبأ . ﴿ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ ﴾ المهلكة . ﴿ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ﴾ مقصوص عليك . ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ ﴾ من تلك القري باق كالزرع القائم . ﴿ وَحَصِيدٌ ﴾ ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود ، والجملة مستأنفة وقيل : حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح إذ لا واو ولا ضمير .

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ بإهلاكنا إياهم . ﴿ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ بأن عرضوها له بارتكاب ما يوجبه . ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ﴾ فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم بل ضرتهم . ﴿ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ حين جاءهم عذابه ونقمته . ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ هلاك أو تخسير.

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ ومثل ذلك الأخذ . ﴿ أَخْذُ رَبِّكَ ﴾ وقرئ أخذ ربك بالفعل وعلي هذا يكون محل الكاف النصب علي المصدر . ﴿ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ ﴾ أي أهلها وقرئ إذ لأن المعني علي المضي . ﴿ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ حال من القري وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها ، وقائدتها الإشعار بأنهم أخذوا بظلمهم وإنذار كل ظالم ظلم نفسه ، أو غيره من وخامة العاقبة . ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ وجيع غير مرجو الخلاص منه ، وهو مبالغة في التهديد والتحذير .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ أي فيما نزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله تعالي من قصصهم . ﴿ لَآيَةً ﴾ لعبرة . ﴿ لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴾ يعتبر به عظمته لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعد الله للمجرمين في الآخرة ، أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بأنها من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء .، فإن من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار ، وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها . ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلي يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه . ﴿ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ ﴾ أي يجمع له الناس، والتغيير للدلالة علي ثبات معني الجمع لليوم وأنه من شأنه لا محالة وأن الناس لا ينفكون عنه فهو أبلغ من قوله ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ﴾ (٤٢) ومعني الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة . ﴿ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ أي مشهود فيه أهل السموات والأرضين فاتسع فيه بإجراء الظرف مجري المفعول به كقوله :

(٤٢) التغابن : ٩ .

في مَحفَلٍ مِنْ نَواصِي النَّاس مَشْهُود (٤٣)

أي كثير شاهدوه ، ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فإن سائر الأيام كذلك .

الآيات من ١٠٤ :١٠٨

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) ﴾

﴿ **وَمَا نُؤَخِّرُهُ** ﴾ أي اليوم . ﴿ **إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ** ﴾ إلا لانتهاء مدة معدودة متناهية علي حذف المضاف وإرادة مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاه فإنه غير معدود .

﴿ **يَوْمَ يَأْتِ** ﴾أي الجزاء أو اليوم كقوله ﴿ **أو تأتيهم الساعة** ﴾ (٤٤) علي أن يوم بمعني حين أو الله عز وجل كقوله تعالي﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل** ﴾ (٤٥) ونحوه .

وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسر . ﴿ **لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ** ﴾ لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة ، وهو الناصب

---

(٤٣) هذا شطر بيت من الشعر لامرأة من ضَبَّة اسمها أم قيس والبيت بتمامه هو :

ومشهد قد كفيت الغائبين به … في محفل من نواصي القوم مشهود .

ويعنى بالنواصي أشراف الناس : أصحاب النواصي جمع ناصية وهي مقدمة الرأس .

أى إنك كنت تكفى في مجلسك الغائبين عنه بالتكلم عنهم بين محفل من رؤساء القوم وأشرافهم يشهدونه .

(٤٤) يوسف : ١٠٧ .

(٤٥) البقرة : ٢١٠ .

للظرف ويحتمل نصبه لإضمار الذكر أو بالانتهاء المحذوف . ﴿ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ إلا بإذن الله كقوله : ﴿ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ﴾ (٤٦) وهذا في موقف وقوله ﴿ هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ (٤٧) في موقف آخر أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة . ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ ﴾ وجبت له النار بمقتضي الوعيد . ﴿ وَسَعِيدٌ ﴾ وجبت له الجنة بموجب الوعد الضمير لأهل الموقف وإن لم يذكر لأنه معلوم مدلول عليه بقوله ﴿ لا تكلم نفس ﴾ أو للناس

خلود الأشقياء في النار

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ الزفير إخراج النفس والشهيق رده ، واستعمالهما في أول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة علي شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة علي قلبه وانحصر في روحه ، أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير (٤٨) وقرئ شقوا بالضم .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فإن النصوص دالة علي تأييد دوامهم وانقطاع دوامهما . بل التعبير عن التأييد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه علي سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم أيضا من زوال السموات والأرض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما إلا من قبيل المفهوم ، لأن دوامهما كالملزوم لدوامه ، وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق . وقيل : المراد سموات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله تعالي : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ (٤٩) وإن أهل الآخرة لا بد لهم من مظل

---

(٤٦) النبأ : ٣٨ .

(٤٧) المرسلات ٣٥ ، ٣٦ .

(٤٨) قال الشماخ يصف حمار الوحش :

بعيد مدى التطريب أول صوته ... زفيرٌ ، ويتلوه شهيق محشرج

والتطريب ترديد الصوت وترخيمه ، والحشرجة تردد الصوت في الحلق والصدر .

وفي هذا الوصف التقاء مع ما قاله المؤلف من تشبيه صراخ الكفار الأشقياء بأصوات الحمير .

(٤٩) إبرهيم : ٤٨ .

ومقل (٥٠) ، وفيه نظر لأنه تشبيه بمالا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ، ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل علي دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه .(٥١)

﴿ إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ استثناء من الخلود في النار لأن بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها ، وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض ، وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم ، فإن التأييد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء ، وهؤلاء وإن شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم ، ولا يقال فعلي هذا لم يكن قوله ﴿ فمنهم شقي وسعيد ﴾ تقسيما صحيحا لأن من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه ، لأن ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع من الجمع وها هنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين ، وأن حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين ، أو لأن أهل النار ينقلون منها إلي الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه ، أو من أصل الحكم والمستثني زمان توقفهم في الموقف للحساب لأن ظاهره يقتضي أن يكونوا في النار حين يأتي اليوم ، أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ إن كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم ، وعلي هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود علي ما عرفت . وقيل هو من قوله ﴿ لهم فيها زفير وشهيق ﴾ وقيل إلا ها هنا بمعني سوي كقولك علي ألف إلا الألفان القديمان والمعني سوي ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها علي مدة بقاء السموات والأرض . (٥٢) ﴿ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ من غير اعتراض.

---

(٥٠) يقصد بالمظل : السماء ، وبالمقل : الأرض .

(٥١) قال الطبري في تفسيره : من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدا قالت : هذا دائم دوام السموات والأرض ، أو هو باق ما اختلف الليل والنهار ، ويعنون بذلك كله : أبداً . فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفونه بينهم .

(٥٢) جاء في تفسير ابن كثير حول هذه الآية :

اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة ، واختار أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري ما نقله عن خالد بن معدان ، والضحاك ، وقتادة ، وابن سنان ، ورواه

خلود السعداء في الجنة

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ غير مقطوع ، وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع، وتنبيه علي أن المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ، ولأجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأييد . وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا علي البناء للمفعول من سعده الله بمعني أسعده ، وعطاء نصب علي المصدر المؤكد أي أعطوا عطاء أو الحال من الجنة .

الآيات من ١٠٩ : ١١٣

﴿ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (١١٣) ﴾

﴿ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ ﴾ شك بعد ما أنزل عليك من مآل أمر الناس . ﴿ مِّمَّا

ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين حتي يشفعوا في أصحاب الكبائر ، ثم تاتي رحمة الله وهو أرحم الراحمين فتخرج من لم يعمل خيرا قط ، وقال يوماً من الدهر : لا إله إلا الله ، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ بمضمون ذلك من حديث أنس وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة ولا يبقي بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها . وهذا الذى عليه كثير من العلماء قديمًا وحديثًا في تفسير هذه الآية الكريمة .

وقال السدي: هي منسوخة بقوله تعالى: ﴿ خالدين فيها أبداً ﴾ ـ مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٦٣ .

يَعْبُدُ هؤُلاءِ ﴾ من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال مؤد إلي مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم ، أو من حال ما يعبدونه في أنه يضر ولا ينفع . ﴿ مَا يَعْبُدُونَ إلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آباؤُهُم مِّن قَبْلُ ﴾ استئناف معناه تعليل النهي عن المرية أي هم وآباؤهم سواء في الشرك ، أى ما يعبدون عبادة إلا كعبادة آبائهم أو ما يعبدون شيئا إلا مثل ما عبدوه من الأوثان ، وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله ، لأن التماثل في الأسباب يقتضي التماثل في المسببات، ومعني كما يعبد كما كان يعبد فحذف للدلالة من قبل عليه . ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ حظهم من العذاب كآبائهم ، أو من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه . ﴿ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ حال من النصيب لتقييد التوفية فإنك تقول : وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن . ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ يعني كلمة الإنظار إلي يوم القيامة . ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ بإنزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق .

﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ وإن كفار قومك . ﴿ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ من القرآن . ﴿ مُرِيبٍ ﴾ موقع في الريبة .

﴿ وَإِنَّ كُلاًّ ﴾ وإن كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين ، والتنوين بدل من المضاف إليه وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتبارا للأصل . ﴿ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ اللام الأولي موطئة لقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل . وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد علي أن أصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام ، فاجتمعت ثلاث ميمات فحذف أولاهن ، والمعني لمن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم . وقرئ لما بالتنوين أي جميعا كقوله ﴿ أكلا لما ﴾ (٥٣) ﴿ وإن كل لما ﴾ (٥٤) علي أن إن نافية ولما بمعني إلا وقد قرئ به . ﴿ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فلا يفوته شئ منه وإن خفي .

---

(٥٣) الفجر : ١٩ .

(٥٤) يس : ٣٢ .

أمر بالاستقامة والبعد عن الظالمين

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ لما بين أمر المختلفين في التوحيد والنبوة ، وأطنب في شرح الوعد والوعيد أمر رسوله ﷺ بالاستقامة مثل ما أمر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقي العقل مصونا من الطرفين ، والأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل ، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال ﷺ «شيبتني هود» (٥٥) . ﴿ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ أي تاب من الشرك والكفر وآمن معك ، وهو عطف علي المستكن في استقم وإن لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه . ﴿ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾ ولاتخرجوا عما حد لكم . ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فهو مجازيكم عليه ، وهو في معني التعليل للأمر والنهي . وفي الآية دليل علي وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان .

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ولا تميلوا إليهم أدني ميل فإن الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته . ﴿ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ بركونكم إليهم وإذا كان الركون إلي من وجد منه ما يسمي ظلما كذلك فما ظنك بالركون إلي الظالمين أي الموسومين بالظلم ، ثم بالميل إليهم كل الميل ، ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه . ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه، وخطاب الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت علي الاستقامة التي هي العدل ، فإن الزوال عنها بالميل إلي أحد طرفي إفراط وتفريط فإنه ظلم علي نفسه أو غيره بل ظلم في نفسه . وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء علي لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من أركنه . ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ من أنصار

---

(٥٥) ذكرنا في التعليق رقم (يكتب الرقم بعد التعديل) تخريج هذا الحديث .

وهذا الحديث ذكره الزمخشري في تفسيره بلفظ « شيبتني هود والواقعة وأخواتهما » .

وعن بعضهم : رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت له : روي عنك أنك قلت : شيبتني هود ، فقال : نعم ، فقلت : ما الذي شيبك منها ؟ أقصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال : لا ، ولكن قوله : فاستقم كما أمرت .

وعن جعفر الصادق رضي الله عنه : فاستقم كما أمرت قال : افتقر إلى الله بصحة العزم .

يمنعون العذاب عنكم والواو للحال . ﴿ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ أي ثم لا ينصركم الله إذ سبق في حكمه أن يعذبكم ولا يبقي عليكم ، وثم لاستبعاد نصره إياهم وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم ، ويجوز أن يكون منزلا منزلة الفاء لمعني الاستبعاد ، فإنه لما بين أن الله معذبهم وأن غيره لا يقدر علي نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلا .

الآيات من ١١٤ : ١١٧

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧) ﴾

الحسنات يذهبن السيئات

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ﴾ غدوة وعشية وانتصابه علي الظرف لأنه مضاف إليه . ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ وساعات منه قريبة من النهار ، فإنه من أزلفه إذا قربه وهو جمع زلفة ، وصلاة الغداة صلاة الصبح لأنها أقرب الصلاة من أول النهار ، وصلاة العشية صلاة العصر . وقيل الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء .

وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفي بمعني زلفة كقربي وقربة . ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ يكفرنها . وفي الحديث « **إن الصلاة إلي الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر** » (٥٦)

(٥٦) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة رضي لله عنه بلفظ « الصلاة المكتوبة إلى الصلاة المكتوبة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » .
وروى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » .

وفي سبب النزول « **أن رجلا أتي النبي ﷺ فقال إني قد أصبت من امرأة غير أني لم آتها فنزلت** » (٥٧) . ﴿ **ذَلِكَ** ﴾ إشارة إلي قوله فاستقم وما بعده وقيل إلي القرآن . ﴿ **ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ** ﴾ عظة للمتعظين .

﴿ **وَاصْبِرْ** ﴾ علي الطاعات وعن المعاصي . ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ عدول عن الضمير ليكون كالبرهان علي المقصود ودليلا علي أن الصلاة والصبر إحسان وإيماء بأنه لا يعتد بهما دون الإخلاص .

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿ **فَلَوْلا كَانَ** ﴾ فهلا كان . ﴿ **مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ** ﴾ من الرأي والعقل ، أو أولو فضل وإنما سمي بقية لأن الرجل يستبقي أفضل ما يخرجه ، ومنه يقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم ، ويجوز أن يكون مصدرا كالتقية أى ذوو إبقاء علي أنفسهم وصيانة لها من العذاب ، ويؤيده أنه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه إذا راقبه ﴿ **يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ** ﴾ لكن قليلا منهم أنجيناهم لأنهم كانوا كذلك ، ولا يصح اتصاله إلا إذا

---

(٥٧) ذكره السيوطي في « لباب النقول فى أسباب النزول » وعزاه إلى الشيخين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

وذكر الزمخشري في تفسيره قصة هذا الصحابي وقال :

نزلت هذه الآية في أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري ، وكان يبيع التمر في المدينة فأتته امرأة فأعجبته ، فقال لها : إن في البيت أجود من هذا التمر ، فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها ، فقالت له : اتق الله ، فتركها وندم ، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بما فعل ، فقال ﷺ : « انتظر أمر ربي » ، فلما صلى صلاة العصر نزلت ، فقال : نعم ، اذهب فإنها كفارة لما علمت .

وروي أنه أتى أبا بكر فأخبره فقال له : استر علي نفسك وتب إلى الله ، فأتي عمر رضي الله عنه ، فقال له مثل ذلك . ثم أتي رسول الله ﷺ فنزلت . فقال عمر : أهذا له خاصة أم للناس عامة ؟ فقال : بل للناس عامة . .

قال ابن حجر في تحقيقه لأحاديث الكشاف : أصل هذا الحديث فى الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه .

جعل استثناء من النفي اللازم للتخضيض . ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾ ما أنعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك . ﴿ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ كافرين كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة ، وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوي وترك النهي عن المنكرات مع الكفر، وقوله واتبع علي معطوف مضمر دل عليه الكلام إذ المعني : فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف علي اتبع أو اعترض . وقرئ وأتبع أى وأتبعوا جزاء ما أترفوا فتكون الواو للحال ، ويجوز أن تفسر به المشهورة ويعضده تقدم الإنجاء .

الظلم وعاقبته السيئة

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ بشرك ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ فيما بينهم لا يضمون إلي شركهم فسادا وتباغيا ، وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد . وقيل الملك يبقي مع الشرك ولا يبقي مع الظلم .

الآيات من ١١٨ : ١٢٣

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣) ﴾

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ مسلمين كلهم ، وهو دليل ظاهر علي أن الأمر غير الإرادة وأنه تعالي لم يرد الإيمان من كل أحد وأن ما أراده يجب وقوعه . ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ بعضهم علي الحق وبعضهم علي الباطل لا

تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا .

﴿ **إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ** ﴾ إلا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا علي ما هو أصول دين الحق والعمدة فيه . ﴿ **وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾ إن كان الضمير للناس فالإشارة إلي الاختلاف ، واللام للعاقبة أو إليه وإلي الرحمة ، وإن كان لمن فإلي الرحمة .﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ** ﴾ وعيد أو قوله للملائكة . ﴿ **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾ أى من عصاتهما . ﴿ **أَجْمَعِينَ** ﴾ أو منهما أجمعين لا من أحدهما .

العبرة من قصص الأنبياء والرسل

﴿ **وَكُلًّا** ﴾ وكل نبأ . ﴿ **نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ** ﴾ نخبرك به . ﴿ **مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾ بيان لكلا أو بدل منه ، وفائدته التنبيه علي المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه علي أداء الرسالة واحتمال أذي الكفار ، أو مفعول وكلا منصوب علي المصدر بمعني كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من أنباء الرسل . ﴿ **وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ** ﴾ السورة أو الأنباء المقتصة عليك ﴿ **الْحَقُّ** ﴾ ما هو حق . ﴿ **وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ إشارة إلي سائر فوائده العامة .

﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ** ﴾ علي حالكم ﴿ **إِنَّا عَامِلُونَ** ﴾ علي حالنا .

﴿ **وَانتَظِرُوا** ﴾ بنا الدوائر . ﴿ **إِنَّا مُنتَظِرُونَ** ﴾ أن ينزل بكم نحو ما نزل علي أمثالكم .

﴿ **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ خاصة لا يخفي عليه خافية مما فيهما . ﴿ **وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ** ﴾ فيرجع لا محالة أمرهم وأمرك إليه . وقرأ نافع وحفص يرجع علي البناء للمفعول . ﴿ **فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ** ﴾ فإنه كافيك . وفي تقديم الأمر بالعبادة علي التوكل تنبيه علي أنه إنما ينفع العابد .﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ أنت وهم فيجازي كلا ما يستحقه . وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء هنا وفي آخر النمل .

فضل سورة هود

عن رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسي وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالي » . (٥٨)

(٥٨) ذكره الزمخشري في تفسير الكشاف دون إسناد .

(١٢) سورة يوسف مكية (١)

وآياتها إحدى عشرة ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٥

﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ① إِنَّا أَنـزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ② نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ③ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ④ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ⑤ ﴾

سبب نزول السورة

﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ تلك إشارة إلى آيات السورة وهي المراد بالكتاب ، أى تلك الآيات آيات السورة الظاهرة أمرها في الإعجاز أو الواضحة معانيها ، أو المبينة لمن تدبرها أنها من عند الله ، أو لليهود ما سألوا إذ روي أن علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت (٢) :

---

(١) في تفسير ابن كثير والكشاف مكية ما عدا الآيات رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٧ فهي مدنية ـ وهذه السورة نزلت بعد سورة هود .

(٢) قال ابن كثير في تفسيره : ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة على مدح القرآن الكريم وأنه كاف عن كل ما سواه ما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ . قال : فغضب وقال : « أمتهوكون فيها يا بن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه ، أو باطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده لو أن موسي كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني .

وروى الإمام أحمد أيضا عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ ﴾ أي الكتاب . ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ سمى البعض قرآناً لأنه في الأصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علماً للكل بالغلبة ، ونصبه على الحال ، وهو في نفسه إما توطئة للحال التي هي عربياً أو حال لأنه مصدر بمعنى مفعول ، وعربياً صفة له ، أو حال من الضمير فيه ، أو حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ علة لإ نزالة بهذه الصفة أى أنزلناه مجموعاً أو مقروءاً بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه ، أو تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور إلا بالإيحاء .

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ أحسن الاقتصاص لأنه اقتص على أبدع الأساليب ، أو أحسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض وكالسلب ، واشتقاقه من قص أثره إذا اتبعه ﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي بإيحائنا . ﴿ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ يعنى السورة ، ويجوز أن يجعل هذا مفعول نقص على أن أحسن نصب على المصدر . ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط و وهو تعليل لكونه موحى وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة (٣) .

ﷺ فقال : يارسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة ، ألا أعرضهاعليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ . قال عبد الله بن ثابت : فقلت له : ألا تري ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا . قال : فسري عن رسول الله ﷺ وقال : « والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين » .

(٣) ذكر السيوطي في كتاب « لباب النقول في أسباب النزول » روي الحاكم وغيره عن سعد ابن أبي وقاص قال : أنزل على النبى ﷺ القرآن فتلاه عليكم زمانا فقالوا : يا رسول الله لو حدثتنا ؟ فنزل : ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ الآية . . زاد ابن أبي حاتم : قالوا : يا رسول الله لو ذكرتنا ؟ فانزل الله : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ الآية .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ .

رؤيا يوسف وهو صغير

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ ﴾ بدل من أحسن القصص إن جعل مفعولاً بدل الاشتمال ، أو منصوب بإضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربياً لصرف . وقرئ بفتح السين وكسرها علي التلعب به لا على أنه مضارع بنى للمفعول أو الفاعل من آسف لأن المشهورة شهدت بعجمته . ﴿ لأَبِيهِ ﴾ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام

* الإعجاز العلمى

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

تعتبر سورة « يوسف » من سور القرآن التي اشتملت علي قصة نبي الله يوسف عليه السلام في عرض واحد لم يتجزأ على مدار سور القرآن مثل قصة سيدنا موسى أو إبراهيم وغيرهم من الأنبياء ، وتعتبر أحداث قصة نبي الله يوسف مبهرة للعقل البشري من كونه عليه السلام وهو طفل تآمر عليه أخوته رميا في الجب إلى وصوله إلى التحكم في خزائن مصر .

وهي قصة نتعلم منها أن الله سبحانه وتعالى بيده وحده مقاليد الأمور ومجريات الأحداث وأن الأمة لو اجتمعت على أن تضرك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ولذلك يقول الله تعالى فى الآية ٢١ من سورة يوسف ﴿ والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾.

ولقد تكلم العلماء والمفسرون للقرآن العظيم كثيراً عن قصة يوسف وإخوته ولكننا هنا نريد أن نلفت الأنظار إلى قدرة الله عز وجل في موضوع الرؤيا .

فما يراه الإنسان في منامه من سرعة تنقله في البلاد أو ما يراه الإنسان في منامه من أحداث وأشخاص سواء موجودين أو رحلوا عنا هو في الحقيقة أمر احتار في تفسيره العلماء وهو أمر بيد الله وحده فلا أحد يستطيع أن يجبر إنسانا أن يرى أو لا يرى فى منامه شيئاً بعينه .

ولأن قدرة الله بلا حدود وهو الخالق سبحانه وتعالى أراد أن تكون رؤيا يوسف التي رآها وهو صغير واقع يتحقق . ولا يكون ذلك إلا لله عز وجل بل أنعم على سيدنا يوسف بقدرته على تأويل الرؤيا والأحاديث .

وعنه ﷺ « **الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** (٤) » ﴿ **يَا أَبَتِ** ﴾ أصله يا أبي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ، ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وكسرها لأنها عوض حرف يناسبها ، وفتحها ابن عامر في كل القرآن لأنها حركة أصلها ، أو لأنه كان يا أبتا فحذف الألف وبقى الفتحة ، وإنما جاز يا أبتا ولم يجز

---

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عمر ، وانفرد بإخراجه البخاري ، وورواه الترمذي والنسائي والحاكم من حديث أبي هريرة .

* الإعجاز العلمي

وهنا نتذكر ما مر بنا في سورة الأنفال من رؤيا سيدنا رسول الله ﷺ قبل تلاقي الفريقين في غزوة بدر وكان عدد المشركين أكبر ثلاثة أضعاف عدد المسلمين ومع ذلك رآهم سيدنا رسول الله ﷺ فى منامه عددا قليلا ففي سورة الأنفال الآية ٤٣ ﴿ إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم و لتنازعتم في الأمر . . . ﴾ وكذلك رؤيا سيدنا رسول الله ﷺ وتبشيره بدخول مكة فاتحا رغم وجود عهد وميثاق بينه وبين المشركين في صلح الحديبية بعدم دخوله إلى مكة حيث تم نقض هذا العهد بواسطة المشركين أنفسهم ففي سورة الفتح الآية ٢٧﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ .

فمن غير الله سبحانه وتعالى الذي يستطيع أن يريك في منامك شيئا ثم يحققه لك . فسبحان الله العظيم .

ونعود إلى قصة سيدنا يوسف وإلى تلك الرؤيا التي تحققت وسجود أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له .

والسؤال عن كيفية سحود الشمس والقمر والكواكب ، إنها قدرة الله عز وجل التي جعلت سيدنا يوسف يرى ذلك في منامه سواء رآه بصورة حقيقية أو بصورة تقديرية كما قال بعض المفسرين غير أن جميع من فى الكون يسجد لله حتى الشمس والقمر .

ففي حديث رسول الله ﷺ . مامعناه أن الشمس حينما تغيب إنما تذهب ساجدة تحت عرش الله سبحانه وتعالى فكيف يكون ذلك؟ إنما علمه عند الله لأننا بعقولنا المحدودة الضعيفة لا نستطيع أن ندرك ذلك . ولكن لله يسجد النجوم والكواكب والشجر . وكثير من الناس .

يا أبتى لأنه جمع بين العوض والمعوض ، وقرئ بالضم إجراء لها مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء من غير التعويض ، وإنما لم تسكن كأصلها لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب ، ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ من الرؤيا لا من الرؤية لقوله : ﴿لا تقصص رؤياك﴾ (٥) ولقوله ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ﴾(٦) ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ . روى عن جابر رضى الله تعالى عنه «**أن يهودياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف ، فسكت فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك ، فقال : إذا أخبرتك هل تسلم؟ قال : نعم ، قال جريان ، والطارق ، والذيال ، وقابس ، وعمودان ، والفليق ، والمصبح ، والضروح ، والفرغ ، ووثاب ، وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى إى والله إنها لأسماؤها** (٧) » ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ استئناف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكرير وإنما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم .

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ﴾ تصغير ابن صغره للشفقه أو لصغر السن لأنه كان ابن اثنتي عشرة سنة ، وقرأ حفص هنا وفي الصافات (٨) بفتح الياء . ﴿لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ فيحتالوا لإهلاكك حيلة ، فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته ويفوقه علي إخوته ، فخاف عليه حسدهم وبغيهم .

---

(٥) يوسف ٥

(٦) يوسف ١٠٠

(٧) رواه الحاكم في المستدرك من طريق أسباط عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر رضي الله عنه قال : جاء بستان اليهودي إلي النبي ﷺ فقال : يامحمد ، هل تعرف النجوم التي رآها يوسف فسجدن له ؟ ..الحديث ، ورواه أبويعلي والبزار والبيهقي وأبو نعيم في دلائل النبوة وغيرهم .

(٨) في قوله تعالي ﴿ يابني إني أري في المنام أني أذبحك ﴾ الآية رقم ١٠٢ الصافات .

معنى الرؤيا

والرؤيا كالرؤية غير أنها مختصة بما يكون في النوم ، فرق بينهما بحر في التأنيث كالقربة والقربى ، وهي انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك ، والصادقة منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ ، فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ، ثم إن المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة ، ثم إن كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت إلا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبيز وإلا احتاجت إليه .

وإنما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى (٩) به تأكيداً ولذلك أكد بالمصدر وعلله بقوله : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألو جهداً في تسويلهم وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم علي الكيد .

الآيات من ٦ :٨

﴿ **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٨)** ﴾

﴿ **وَكَذَلِكَ** ﴾أي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس ﴿ **يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ** ﴾ للنبوة والملك أو لأمور عظام ، والاجتباء من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك ، ﴿ **وَيُعَلِّمُكَ** ﴾ كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك . ﴿ **مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ** ﴾ من تعبير الرؤيا لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة ، وأحاديث النفس أو الشيطان إن كانت كاذبة ، أو من تأويل غوامض كتب الله تعالي وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء ، وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل . ﴿ **وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ** ﴾ بالنبوة أو بأن يصل

---

(٩) ضمنه فعل : يحتالوا لك مثلا

نعمة الدنيا بنعمة الآخرة . ﴿ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ يريد به سائر بنيه ، ولعله استدل علي نبوتهم بضوء الكواكب ، أو نسلة . ﴿ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ ﴾ بالرسالة ؛ وقيل : على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار ، وعلى إسحاق بانقاذه من الذبح (١٠) وفدائه بذبح عظيم . ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أى من قبلك أو من قبل هذا الوقت . ﴿ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴾ عطف بيان لأبويك ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴾ بمن يستحق الاجتباء . ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يفعل الأشياء على ما ينبغي .

كيد الإخوة ليوسف

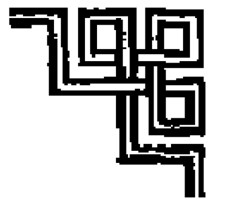
﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ﴾ أي في قصتهم . ﴿ آيَاتٌ ﴾ دلائل قدرة الله تعالى وحكمته ، أو علامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية . ﴿ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ لمن سأل عن قصتهم ، والمراد بإخوته بنو علاته (١١) العشرة وهم : يهوذا ، وروبيل ، وشمعون ، ولاوي ، وزبالون، ويشخر ، ودينة، من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب أولاً فلما توفيت تزوج أختها راحيل ، فولدت له بنيامين ويوسف . وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرماً حينئذ وأربع آخرون : دان ، ونفتالي ، وجاد، وأشر، من سريتين : زلفة وبلهة .

﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ ﴾ بنيامين وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوة من الطرفين . ﴿ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا ﴾ وحده لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ، والمذكر وما يقابله ، بخلاف أخويه فإن الفرق واجب في المحلي جائز في المضاف . ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما ، والعصبة والعصابة العشرة فصاعداً سموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم. ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ لتفضيله المفضول أو لترك التعديل في المحبة ، روي أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من المخايل ، وكان إخوته يحسدونه ، فلما رأي الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه ، فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له .

---

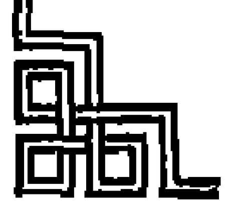
(١٠) سبقت الإشارة إلي أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام – لا إسحاق ، انظر التعليق رقم٢١٧ .

(١١) بنو العلات : الإخوة أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفات



الآيات من ٩ : ١٢

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) ﴾



﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾ من جملة المحكي بعد قوله إذ قالوا ، كأنهم اتفقوا على ذلك الأمر إلا من قال لا تقتلوا يوسف . وقيل : إنما قاله شمعون أو دان ورضي به الآخرون .

﴿ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ منكورة بعيدة من العمران ، وهو معنى تنكيرها وإبهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة . ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ جواب الأمر ، والمعنى يَصْفُ لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم إلي غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد . ﴿ وَتَكُونُوا ﴾ جزم بالعطف على يخل أو نصب بإضمار أن . ﴿ مِن بَعْدِهِ ﴾ من بعد يوسف أو الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه . ﴿ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ تائبين إلى الله تعالى عما جنيتم أو صالحين مع أبيكم بصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه ، أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم .

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني يهوذا وكان أحسنهم فيه رأياً . وقيل : روبيل . ﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾ فان القتل عظيم . ﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ في قعره ، سمى بها لغيبوبته عن أعين الناظرين . وقرأ نافع في غيابات في الموضعين (١٢) علي الجمع كأنه لتلك الجب غيابات . وقرىء غيبة وغيابات بالتشديد . ﴿ يَلْتَقِطْهُ ﴾ يأخذه . ﴿ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ بعض الذين يسيرون في الأرض ﴿ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ بمشورتي أو إن كنتم على أن تفعلوا ما يفرق بينه وبين أبيه .

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ لم تخافنا عليه . ﴿ وَإِنَّا لَهُ

---

(١٢) هذا الموضع والموضع الآخر في الآية رقم ١٥

لَنَاصِحُونَ ﴾ ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ، أرادوا به استنزاله عن رأيه في حفظة منهم لما تنسم من حسدهم ، والمشهور تأمنا بالإدغام بإشمام . وعن نافع بترك الإشمام ومن الشواذ ترك الإدغام لأنهما من كلمتين وتيمناً بكسر التاء .

﴿ **أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً** ﴾ إلى الصحراء. ﴿ **يَرْتَعْ** ﴾ نتسع في أكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب . ﴿ **وَيَلْعَبْ** ﴾ بالاستباق والانتقال ، وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين علي أنه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب . وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء ، والسكون علي إسناد الفعل إلى يوسف . وقريء يرتِع من أرتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء . ﴿ **وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ من أن يناله مكروه .

الآيات من ١٣ : ١٧

﴿ **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)** ﴾

﴿ **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ** ﴾ لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه . ﴿ **وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ** ﴾ لأن الأرض كانت مذأبة (١٣) . وقيل : رأى في المنام أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره عليه ، وقد همزها على الأصل ابن كثير ونافع في رواية قالون ، وفي رواية اليزيدي وأبو عمرو وقفاً وعاصم وابن عامر وحمزة درجاً ، واشتقاقه من تذاءبت الريح إذا هبت من كل جهة . ﴿ **وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ** ﴾ لا شتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه .

---

(١٣) مذأبة : كثيرة الذئاب

﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ اللام موطئة للقسم وجوابه : ﴿ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ ضعفاء مغبونون . أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والواو في ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ للحال .

يوسف في البئر

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ﴾ وعزموا على إلقائه فيها ، والبئر بئر بيت المقدس ، أو بئر بأرض الأردن ، أو بين مصر ومدين ، أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب ، وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الأذى . فقد روى «**أنهم لما برزوا به إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا : أما عاهدتموني أن لا تقتلوه؟ فأتوا به إلي البئر ، فدلّوه فيها فتعلق بشفيرها ، فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم ، فقال : يا إخوتاه ردوا على قميصي أتواري به ، فقالوا : ادع الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك ، فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط فيه ، ثم آوي إلى صخرة كانت فيها فقام يبكي فجاءه جبريل بالوحي**» كما قال : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾ وكان ابن سبع عشرة سنة ، وقيل : كان مراهقاً أوحي إليه في صغره كما أوحي إلى يحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام .

وفي القصص : أن إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه ، فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعل في تميمة علقها بيوسف فأخرجه جبريل عليه السلام وألبسه إياه .

﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا ﴾ لتحدثنهم بما فعلوا بك . ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنك يوسف لعلو شأنك وبعده عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلي والهيئات، وذلك إشارة إلي ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون . بشره بما يؤول إليه أمره إيناساً له وتطييباً لقلبه . وقيل : وهم لا يشعرون متصل بأوحينا أي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك .

﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً ﴾ أي آخر النهار : وقريء عُشَيًّا وهو تصغير عَشِي

وعُشِي بالضم والقصر جمع أعشى أي عُشْوا من البكاء . ﴿ يَبْكُونَ ﴾ متباكين . روي أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يابني وأين يوسف ؟

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾ نتسابق في العدو أو في الرمي ، وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل. ﴿ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ بمصدق لنا﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف .

الآيات من ١٨ : ٢٠

﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) ﴾

﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ أي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ، ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة . وقرئ بالنصب علي الحال من الواو أي جاؤوا كاذبين، وكدب بالدال غير المعجمة أي كدر أو طري . وقيل : أصله البياض الخارج على أظفار الأحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص ، وعلى قميصه في موضع النصب علي الظرف أي فوق قميصه ، أو علي الحال من الدم إن جوز تقديمها على المجرور.

روي : «أنه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فأخذه وألقاه علي وجهه ، وبكي حتي خضب وجهه بدم القميص وقال : ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه» .

ولذلك ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ أي سهلت لكم أنفسكم وهونت في أعينكم أمراً عظيماً من السول وهو الاسترخاء . ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أي فأمرى صبر جميل ، أو فصبر جميل أجمل ، وفي الحديث «الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق (١٤) » .

---

(١٤) أخرجه الطبري من طريق حبان بن أبي حبلة قال : سئل رسول الله ﷺ عن قوله ﴿ فصبر

﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ على احتمال ما تصفونه من إهلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم إن صح .

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ رفقة يسيرون من مدين إلي مصر فنزلوا قريباً من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من إلقائه فيه .﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾ الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي . ﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ﴾ فأرسلها في الجب ليملأها فتدلي بها يوسف فلما رآه .

﴿ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ﴾ نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال : تعالَيْ فهذا أوانك . وقيل: هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على إخراجه .

وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالإضافة ، وأمال فتحة الراء حمزة والكسائي ، وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشرى بالإدغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف .

﴿ وَأَسَرُّوهُ ﴾ أي الوارد وأصحابه من سائر الرفقة . وقيل : أخفوا أمره ، وقالوا لهم : دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر . وقيل الضمير لإخوة يوسف ، وذلك أن يهوذاً كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فأخبر إخوته : فأتوا الرفقة وقالوا : هذا غلامنا أبق منا فاشتروه ، فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه . ﴿ بِضَاعَةً ﴾ نصب على الحال أي أخفوه متاعاً للتجارة ، واشتقاقه من البضع فإنه ما بضع من المال للتجارة . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ لم يخف عليه أسرارهم أو صنيع إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم .

﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ وباعوه، وفي مرجع الضمير الوجهان ، أو اشتروه من اخوته . ﴿ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ مبخوس لزيفه أو نقصانه . ﴿ دَرَاهِمَ ﴾ بدل من الثمن . ﴿ مَعْدُودَةٍ ﴾ قليلة فإنهم كانوا يزنون ما بلغ الأوقية ويعدون ما دونها ، قيل : كان عشرين درهمًا وقيل كان اثنين وعشرين درهمًا . ﴿ وَكَانُوا فِيهِ ﴾ في يوسف . ﴿ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ الراغبين عنه والضمير في وكانوا إن كان للإخوة فظاهر ، وإن كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه ، لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه ، وإن كانوا مبتاعين فلأنهم اعتقدوا أنه آبق وفيه

جميل﴾ قال : صبر لاشكوي فيه ، من بث لم يصبر » وهو حديث مرسل .

متعقل بالزاهدين إن جعل اللام للتعريف ، وإن جعل بمعني الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لأن متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول .

الآيات من ٢١ : ٢٤

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾

يوسف في بيت العزيز في مصر

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ ﴾ وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو إطفير ، وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته ، وقيل كان فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله تعالي : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ (١٥) والمشهور أنه من أولاد فرعون يوسف . والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء .

روى : «**أنه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاثة عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة** » .

واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه به غير الأول فقيل : عشرون ديناراً وزوجا نعل وثوبان أبيضان ، وقيل : ملؤه فضة ، وقيل : ذهباً .

﴿ لامْرَأَتِهِ ﴾ راعيل أو زليخا . ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ اجعلي مقامه عندنا كريماً

(١٥) غافر : ٣٤

أي حسناً والمعني أحسني تعهده . ﴿ **عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا** ﴾ في ضياعنا وأموالنا ونستظهر به في مصالحنا . ﴿ **أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً** ﴾ نتبناه وكان عقيماً ، لما تفرس فيه من الرشد ، ولذلك قيل : أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر ، وابنة شعيب التي قالت يا أبت استأجره، وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالي عنهما .

﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ** ﴾ وكما مكنا محبته في قلب العزيز أو كما مكناه في منزله أو كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ﴿ **وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ** ﴾ عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ، ولنعلمه أي كان القصد في إنجائه وتمكينه إلى أن يقيم العدل ويدبر أمور الناس ، ويعلم معاني كتب الله تعالي وأحكامه فينفذها ، أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل أن تحل كما فعل لسنيه . ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ** ﴾ لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء أو على أمر يوسف أراد به إخوته شيئاً وأراد الله غيره فلم يكن إلا ما أراده . ﴿ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ أن الأمر كله بيده ، أو لطائف صنعه وخفايا لطفه .

﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ** ﴾ منتهي اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والأربعين ، وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم . ﴿ **آتَيْنَاهُ حُكْماً** ﴾ حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل ، أو حكماً بين الناس . ﴿ **وَعِلْماً** ﴾ يعني علم تأويل الأحاديث . ﴿ **وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ تنبيه على أنه تعالى إنما آتاه ذلك جزاء على إحسانه في عمله وإتقانه في عنفوان أمره .

قصة المراودة

﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ** ﴾ طلبت منه وتمحلت أن يواقعها ، من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد . ﴿ **وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ** ﴾ قيل : كانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الإيثاق . ﴿ **وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ** ﴾ أي أقبل وبادر ، أو تهيأت ، والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك . وقرأ ابن كثير بالضم وفتح الهاء تشبيهاً له بحيث، ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط ، وقرأ هشام كذلك إلا أنه يهمز. وقد روي عنه ضم التاء وهو لغة فيه . وقرىء هيت كجير وهئت كجئت من

هاء يهيء إذا تهيأ ، وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته .

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ أعوذ بالله معاذاً . ﴿ إِنَّهُ ﴾ إن الشأن . ﴿ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ سيدي قطفير أحسن تعهدي إذ قال لك في ﴿ أكرمي مثواه ﴾ فما جزاؤه أن أخونه في أهله . وقيل الضمير لله تعالي أي إنه خالقي أحسن منزلتي بأن عطف على قلبه فلا أعصيه . ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ المجازون الحسن بالسيء . وقيل الزناة فإن الزنا ظلم على الزاني والمزني بأهله .

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ قصدت مخالطته وقصد مخالطتها ، والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بشيء أمضاه ، والمراد بهمه عليه الصلاة والسلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري ، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف : بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ، أو مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم أخف الله . ﴿ لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغُلْمة وكثرة المغالبة ، ولا يجوز أن يجعل وهم بها جواب لولا فإنها في حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها ، بل الجواب محذوف يدل عليه . وقيل : رأي جبريل عليه الصلاة والسلام . وقيل : تمثل له يعقوب عاضاً على أنامله ، وقيل : قطفير . وقيل نودي يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء (١٦) . ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه ، أو الأمر مثل ذلك . ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ﴾ خيانة السيد . ﴿ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ الزنا . ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن إذا كان في أوله الألف واللام أي الذين أخلصوا دينهم لله .

---

(١٦) لا ينبغي أن نغفل عما جاء في قوله تعالي قبل ذلك ﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ﴾ وهذا يدل علي أنه في مقام النبوة » وهذا المقام يقتضي العصمة ، والعصمة أعظم برهان يحول بين المرء والشهوة.

الآيات من ٢٥ : ٢٨

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ أي تسابقا إلي الباب ، فحذف الجار أو ضمن الفعل معني الابتدار ، وذلك أن يوسف فر منها ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج. ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ ﴾ اجتذبته من ورائه فانقد قميصه ، والقد الشق طولاً والقط الشق عرضاً . ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا ﴾ وصادفا زوجها . ﴿ لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إيهاماً بأنها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف وإغراءه به انتقاماً منه . وما نافية أو استفهامية بمعني أي شيء جزاءه إلا السجن .

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ طالبتني بالمؤاتاه ، وإنما قال ذلك دفعاً لما عرضته له من السجن أو العذاب الأليم ، ولو لم تكذب عليه لما قاله . ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ قيل : ابن عم لها . وقيل: ابن خال لها صبياً في المهد . وعن النبي ﷺ «**تكلم أربعة صغاراً ابن ماشطة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسي ابن مريم عليه الصلاة والسلام** (١٧) » وإنما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها لتكون ألزم عليها . ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ لأنه يدل على أنها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها ، أو أنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه .

(١٧) رواه جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه الحاكم وابن حبان وأحمد وابن أبي شيبة والبزار وأبو يعلي من حديث ابن عباس ، رواه عنه سعيد بن جبير

﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ لأنه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته . والشرطية محكية على إرادة القول أو على أن فعل الشهادة من القول ، وتسميتها شهادة لأنها أدت مؤداها والجمع بين إن وكان علي تأويل أن يعلم أنه كان ونحوه ونظيره قولك : إن أحسنت إلى اليوم فقد أحسنت إليك من قبل ، فإن معناه أن تمنن علي بإحسانك أمنن عليك بإحساني لك السابق . وقريء من قُبُلُ ومن دُبُرُ بالضم لأنهما قطعاً عن الإضافة كقبل وبعد ، وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين .

﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ ﴾ إن قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً أو إن السوء أو إن هذا الأمر . ﴿ مِن كَيْدِكُنَّ ﴾ من حيلتكن والخطاب لها ولأمثالها أو لسائر النساء . ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ فإن كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيراً في النفس ، ولأنهن يواجهن به الرجال ، والشيطان يوسوس به مسارقة(١٨) .

الآيات من ٢٩ : ٣١

﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾

﴿ يُوسُفُ ﴾ حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث . ﴿ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ اكتمه ولا تذكره . ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾ يا راعيل ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ من القوم المذنبين من خطيء إذا أذنب متعمداً والتذكير للتغليب .

(١٨) مسارقة : خفية .

لغط النسوة في المدينة

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ ﴾ هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها . ﴿ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ ظرف لقال أي أشعن الحكاية في مصر ، أو صفة نسوة وكن خمساً : زوجة الحاجب ، والساقي ، والخباز ، والسجان ، وصاحب الدواب . ﴿ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ تطلب مواقعة غلامها إياها . والعزيز بلسان العرب الملك وأصل فتى فتيٌ لقولهم فتيان ، والفتوة شاذة . ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل إلى فؤادها حباً ، ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه ، وقرئ شعفها من شعف البعير إذا هنأه بالقطران فأحرقه . ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب .

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ باغتيابهن ، وإنما سماه مكراً لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره ، أو قلن ذلك لتريهن يوسف ، أو لأنها استكتمتهن سرها فأفشينه عليها . ﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ﴾ تدعوهن ، قيل : دعت أربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات . ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾ ما يتكئن عليه من الوسائد . ﴿ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ حتى يتكئن والسكاكين بأيديهن فإذا خرج عليهن يُبْهَتْن ويُشْغَلْن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة ، أو يهاب يوسف مكرها إذا خرج وحده على أربعين امرأة في أيديهن الخناجر ، وقيل : متكأ طعاماً أو مجلس طعام فإنهم كانوا يتكئون للطعام والشرات ترفاً ولذلك نهي عنه . قال جميل :

فَظَلِلْنا بِنِعْمَةٍ وَاتكَأْنَا وَشَرِبْنَا الحَلَالَ مِنْ قُلَلِهْ (١٩)

وقيل المتكأ طعام يحز حزاً كأن القاطع يتكىء عليه بالسكين . وقرىء متكا

---

(١٩) وقيل : لحميد بن ثور الهلالي .

يقول : ظللنا في نعمة أو متلبسين بنعمة ،واتكأنا أي اتخذنا متكأ اضطجعنا عليه وشربنا الحلال : يعني به الشراب الحلال وهو النبيذ .

بحذف الهمزة ومتكأ بإشباع الفتحة كمنتزاح ومتكاً وهو الأترج (٢٠) ، أو ما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ، ومتكأ من تكيء إذا اتكأ . ﴿ وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ﴾ عظمنه وهبن حسنه الفائق . وعن النبي ﷺ «**رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر** (٢١) » وقيل : كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران . وقيل : أكبرن بمعني حضن من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل الكبر بالحيض، والهاء ضمير للمصدر ، أو ليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى :

خف اللّهَ واسْتُرْ ذَا الَجمَالَ ببرقعٍ فَإِنَ لحتَ حَاضَتْ في الخُدُورِ العَواتقُ(٢٢)

﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة . ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ تنزيهاً له من صفات العجز وتعجباً من قدرته على خلق مثله ، وأصله حاشا كما قرأ أبو عمرو في الدرج فحذفت ألفه الأخيرة تخفيفاً ، وهو حرف يفيد معني التنزيه في باب الاستثناء ، فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك، وقرئ حاش الله بغير لام بمعني براءة الله ، وحاشاً لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر . وقيل : حاشا فعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه .

﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ لأن هذا الجمال غير معهود للبشر ، وهو على لغة الحجاز في إعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال ، وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم ، وبِشَرِيْ أي بعبد مشترى لئيم . ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ فإن الجمع بين الجمال

---

(٢٠) ومن ذلك قول الشاعر

فأهدت متكة لبني أبيها تخيب بها العثمثمة الوقاحُ

ويعني بالمتكة هنا الأترجة ، ويبدو أنها كانت ضخمة ثقيلة شقت نصفين وحملت علي ناقة سارت بها تخب والخبب نوع من السير والعثمثة : الصلبة والوقاح : شدة وقع الخف علي الأرض

(٢١) أخرجه الثعلبي من رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢٢) يقول لمخاطبه :اتق الله واستر هذا الجمال الذي لو رأته العواتق حضن وهن في خدورهن من شدة الشوق إليك.

الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة ، أو لأن جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه إلا الملك .

الآيات من ٣٢ : ٣٥

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥) ﴾

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصوره ، ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني ، أو فهذا هو الذي لمتنني فيه ، فوضع ذلك موضع هذا رفعاً لمنزلة المشار إليه . ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ فامتنع طلباً للعصمة ، أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على إلانة عريكته . ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ ﴾ أي ما آمر به ، فحذف الجار ، أو أمرى إياه بمعنى موجب أمرى فيكون الضمير ليوسف . ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ من الأذلاء وهو من صَغِرَ بالكسر يصغَر صَغَراً وصَغاراً ، والصغيرمن صغُر بالضم صغراً . وقرئ ﴿ ليكونن ﴾ وهو يخالف خط المصحف لأن النون كتبت فيه بالألف ﴿ نسفعا ﴾ (٢٣) على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين .

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ ﴾ وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر . ﴿ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ أي آثر عندي من مؤاتاتها زنًا نظراً إلى العاقبة ، وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه، وإسناد الدعوة إليهن جميعاً لأنهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها ، أو دعونه إلى أنفسهن ، وقيل : إنما ابتلي بالسجن

(٢٣) العلق ١٥

لقوله هذا وإنما كان الأولي به أن يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل الصبر . ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي ﴾ وإن لم تصرف عني . ﴿ كَيْدَهُنَّ ﴾ في تحبيب ذلك إلي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة . ﴿ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضي شهوتي ، والصبوة الميل إلى الهوي ومنه الصبا لأن النفس تستطيبها وتميل إليها . وقرىء أصب من الصبابة وهو الشوق، ﴿ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح ، أو من الذين لا يعلمون بما يعلمون فإنهم والجهال سواء .

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ﴾ فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله : وإلا تصرف ﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ فثبته بالعصمة حتي وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة والمتضمنة للعصيان . ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لدعاء الملتجئين إليه . ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بأحوالهم وما يصلحهم .

يوسف في السجن

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ ﴾ ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره . ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته على سجنه زماناً حتي تبصر ما يكون منه ، أو يحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن سبع سنين . وقرىء بالتاء على أن بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه ، وعني بلغة هذيل .

الآيات من ٣٦ : ٣٩

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ

بِاللَّه مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّه عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) ﴾

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ أي أدخل يوسف السجن واتفق أنه أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يَسُمَّاه .﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا ﴾ يعني الشرابي﴿ إِنِّي أَرَانِي ﴾ أي في المنام وهي حكاية حال ماضية . ﴿ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ أي عنباً وسماه خمراً باعتبار ما يؤول إليه . ﴿ وَقَالَ الآخَرُ ﴾ أي الخباز ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾ تنهش منه .﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ من الذين يحسنون تأويل الرؤيا ، أو من العالمين وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم ، أو من المحسنين إلي أهل السجن فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه .

﴿ قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ أي بتأويل ما قصصتما علي، أو بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فإنه يشبه تفسير المشكل ، كأنه أراد أن يدعوهما إلي التوحيد ويرشدهما إلي الطريق القويم قبل أن يسعف إلي ما سألاه عنه كما هو طريقة الأنبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والإرشاد ، فقدم ما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب ليدلهما علي صدقه في الدعوة والتعبير. ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا ﴾ أي ذلك التأويل . ﴿ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ بالإلهام والوحي وليس من قبيل التكهن أو التنجيم . ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ تعليل لما قبله أى علمني ذلك لأني تركت ملة أولئك.

﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ أو كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة وإظهار أنه من بيت النبوة لتقوي رغبتهما في الاستماع إليه والوثوق عليه ، ولذلك جوز للخامل أن يصف نفسه حتي يُعرف فيقتبس منه ، وتكرير الضمير للدلالة علي اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة . ﴿ مَا كَانَ لَنَا ﴾ ما صح لنا معشر الأنبياء .﴿ أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ أي شيء كان . ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي التوحيد﴿ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا ﴾ بالوحي ﴿ وَعَلَى النَّاسِ ﴾ وعلي سائر الناس يبعثنا

لإرشادهم وتثبيتهم عليه . ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ﴾ المبعوث إليهم . ﴿ لا يَشْكُرُونَ ﴾ هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون ، أو من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وإنزال الآيات ولكن أكثرهم لا ينظرون إليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها .

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ﴾ أي يا ساكنيه ، أو يا صاحبي فيه فأضافهما إليه على الاتساع كقوله :

يَا سَارِقَ اللَّيْلَةَ أَهْلَ الدَّارِ (٢٤)

﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾ شتى متعددة متساوية الأقدام . ﴿ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ ﴾ المتوحد بالألوهية . ﴿ الْقَهَّارُ ﴾ الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره .

الآيات من ٤٠ : ٤٤

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) ﴾

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ ﴾ خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر . ﴿ إِلاَّ

(٢٤) فكما أن الليلة مسروق فيها وهي غير مسروقة ، فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب .

أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ أي إلا أشياء باعتبار أسامٍ أطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا تعبدون إلا الأسماء المجردة . والمعني أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الألوهية عقلٌ ولا نقلٌ آلهةً ، ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ** ﴾ ما الحكم في أمر العبادة . ﴿ **إِلاَّ لِلَّهِ** ﴾ لأنه المستحق لها بالذات من حيث إنه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لأمره . ﴿ **أَمَرَ** ﴾ على لسان أنبيائه . ﴿ **أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ الذي دلت عليه الحجج . ﴿ **ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾ الحق وأنتم لا تميزون الْمُعْوَجَّ عن القويم ، وهذا من التدرج في الدعوة وإلزام الحجة ، بَيَّنَ لهم أولاً رجحان التوحيد علي اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ، ثم برهن علي أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الآلهية ، فإن استحقاق العبادة إما بالذات وإما بالغير ، وكلا القسمين منتف عنها ، ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه . ﴿ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ فيخبطون في جهالاتهم .

﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا** ﴾ يعني الشرابي . ﴿ **فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً** ﴾ كما كان يسقيه قبل ، ويعود إلى ما كان عليه . ﴿ **وَأَمَّا الآخَرُ** ﴾ يريد به الخباز . ﴿ **فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ** ﴾ فقالا : كذبنا فقال ﴿ **قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ** ﴾ أي قطع الأمر الذي تستفتيان فيه ، وهو ما يؤول إليه أمركما ولذلك وحَّدَه ، فإنهما وإن استفتيا في أمرين لكنهما أرادا استبانة عاقبة ما نزل بهما .

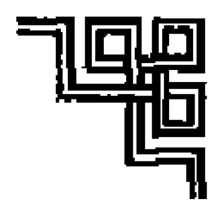
﴿ **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا** ﴾ الظان يوسف إن ذكر ذلك عن اجتهاد وإن ذكره عن وحي فهو الناجي إلا أن يؤول الظن باليقين . ﴿ **اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ** ﴾ اذكر حالي عند الملك كي يخلصني . ﴿ **فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ** ﴾ فأُنْسِيَ الشرابيُّ أن يذكره لربه ، فأضاف إليه المصدر لملابسته له أو على تقدير ذكر إخبار ربه ، أو أنسي يوسف ذكر الله حتي استعان بغيره ، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام «**رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعاً بعد الخمس**» . والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وإن كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء . ﴿ **فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ** ﴾ البضع ما بين

الثلاث إلى التسع من البضع وهو القطع .

رؤيا الملك

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ لما دنا فَرَجه رأي الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان . ﴿ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ ﴾ قد انعقد حبها ﴿ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ وسبعاً أخر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات علي الخضر حتي غلبت عليها ، وإنما استغني عن بيان حالها بما قص من حال البقرات ، وأجري السمان على المميز دون المميز لأن التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجرداً عن الموصوف فإنه لبيان الجنس ، وقياسه عُجْف لأنه جمع عجفاء لكنه حمل علي سمان لأنه نقيضه . ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ ﴾ عبروها . ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ إن كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية إلي المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة ، وعبرت الرؤيا عَبارة أَثْبَتُ من عَبَّرْتُها تعبيراً ، واللام للبيان أو لتقوية العامل ، فإن الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل ، أو لتضمن تعبرون معني فعل يعدي باللام كأنه قيل : إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا .

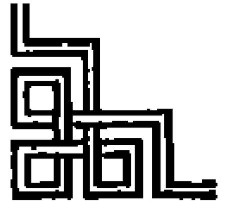
﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾ أي هذه أضغاث أحلام وهي تخاليطها جمع ضغث وأصله ما جمع من أخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة ، وإنما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم : فلان يركب الخيل ، أو لتضمنه أشياء مختلفة . ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴾ يريدون بالأحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس لها تأويل عندنا ، وإنما التأويل للمنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثالثة للعذر في جهلهم بتأويله .



الآيات من ٤٥ : ٥٠

﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ

تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) ﴾



تعبير يوسف للرؤيا

﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا ﴾ من صاحبي السجن وهو الشرابي . ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة . وقرئ إمة بكسر الهمزة وهي النعمة أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة ، وأَمَه أي نسيان يقال أمه يأمه أمها إذا نسي ، والجملة اعتراض ومقول القول . ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ أي إلي من عنده علمه أو إلى السجن .

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ أي فأرسل إلى يوسف فجاءه فقال يا يوسف ، وإنما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه . ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ أي في رؤيا ذلك ﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ ﴾ أعود إلي الملك ومن عنده ، أو إلى أهل البلد إذ قيل إن السجن لم يكن فيه . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ تأويلها أو فضلك ومكانك ، وإنما لم يبت الكلام فيهما لأنه لم يكن جازماً بالرجوع فربما اخترم دونه ولا يعلمهم .

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ أي علي عاداتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعني دائبين ، أو المصدر بإضمار فعله أي تدأبون دأباً وتكون الجملة حالاً وقرأ حفص دأباً بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل ، وقيل تزرعون أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله : ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ﴾ لئلا يأكله

السوس ، وهو على الأول نصيحه خارجة عن العبارة . ﴿ **إلاَّ قَليلاً مِّمَّا تَأْكُلُون** ﴾ في تلك السنين .

﴿ **ثُمَّ يأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ** ﴾ أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن فأسند إليهن على المجاز تطبيقاً بين المعبر والمعبر به . ﴿ **إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ** ﴾ تحرزون لبذور الزراعة .

﴿ **ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ** ﴾ يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث . ﴿ **وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾ ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار ، وقيل يحلبون الضروع .. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي، وقريء على بناء المفعول من عصره إذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضاً ، أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه معني المطر ، وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ، وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ، ولعله علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجدب بالخصب ، أو بأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده ما ضيق عليهم .

الملك يطلب يوسف

﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ** ﴾ بعد ما جاءه الرسول بالتعبير ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ** ﴾ ليخرجه . ﴿ **قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾ إنما تأني في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلماً فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقبيح أمره . وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها . وعن النبي ﷺ «**لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة** (٢٥) » . وإنما قال

---

(٢٥) رواه السيوطي في الجامع الصغير ٢ / ٢٤ ولفظه «رحم الله أخي يوسف لو أنا أتاني الرسول بعد طول الحبس لأسرعت الإجابة حين قال ارجع إلي ربك فاسأله مابال النسوة» وقال أخرجه أحمد في الزهد وابن المنذر عن الحسن مرسلاً .

فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجاً له على البحث وتحقيق الحال، وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرماً ومراعاة للأدب ، وقرئ النسوة بضم النون . ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ حين قلن لي أطع مولاتك ، وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن .

الآيات من ٥١ : ٥٥

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ قال الملك لهن ما شأنكن ؟ والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه . ﴿ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله . ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾ من ذنب . ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ ثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مباركه ليناخ قال :

فَحَصْحَصَ في صُمِّ الصفَا ثَفِنَاته وَنَاءَ بِسَلْمَي نَوأَة ثُمَّ صَمَّمَا (٢٦)

أو ظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه . وقريء على البناء للمفعول . ﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في قوله ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ (٢٧) .

(٢٦) لحميد بن ثور يصف بعيرا.

قال : أنه ألقي في الحجارة الصلبة أعضاءه التي يبرك عليها عند الإناخة وهي الثفنات وقام متثاقلا بالمحبوبة سلمي ثم نهض ولم يتردد .

(٢٧) يوسف ٢٦

﴿ **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ** ﴾ قاله يوسف لما عاد إليه الرسول وأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت ليعلم العزيز . ﴿ **أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ** ﴾ بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه ، أو وهو غائب عني أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة . ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** ﴾ لا ينفذه ولا يسدده، أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة .
وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لأمانته ولذلك عقبه بقوله :

﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي** ﴾ أي لا أنزهها تنبيهاً على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله ، بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق . وعن ابن عباس أنه لما قال : ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت (٢٨) فقال : ذلك . ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ من حيث إنها بالطبع مائلة إلي الشهوات فتهم بها ، وتستعمل القوي والجوارح في أثرها كل الأوقات . ﴿ **إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي** ﴾ إلا وقت رحمة ربي ، أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك . وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة .

وقيل : الآية حكاية قول راعيل والمستثني نفس يوسف وأضرابه (٢٩) .

وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واواً ثم الإدغام . ﴿ **إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه .

الملك يستوزره

﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي** ﴾ أجعله خالصاً لنفسي . ﴿ **فَلَمَّا كَلَّمَهُ** ﴾ أي فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء . ﴿ **قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ**

---

(٢٨) قال الزمخشري في تفسيره : هذه رواية مصنوعة باطلة

(٢٩) ذهب ابن كثير في تفسيره إلي أن هذا القول من كلام زوجة العزيز وهو متلائم مع سياق النص قال : وقد حكاه الماوردي في تفسيره ، وأورد الإمام ابن تيمية مصنفا خاصا به .

ومن قال بأن هذا من كلام يوسف عليه السلام استند بأن الكلام يشير إلي إيمان قائله بالله ولم تكن امرأة العزيز مؤمنة اللهم إلا أن تكون قد بلغتها دعوة يوسف فصدقت بها وآمننت بالله .

لَدَيْنَا مَكِينٌ ﴾ ذو مكانة ومنزلة . ﴿ **أَمِينٌ** ﴾ مؤتمن على كل شيء . روي أنه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثياباً جدداً ، فلما دخل على الملك قال : اللهم إني أسألك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ، ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال الملك : ما هذا اللسان قال : لسان آبائي ، وكان الملك يعرف سبعين لساناً فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه فقال : أحب أن أسمع رؤياي منك ، فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على مارآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي قطفير (٣٠) في تلك الليالي فنصَّبه منصبه ، وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها أفرائيم وميشا (٣١) .

﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ** ﴾ ولني أمرها والأرض أرض مصر . ﴿ **إِنِّي حَفِيظٌ** ﴾ لها ممن لا يستحقها . ﴿ **عَلِيمٌ** ﴾ بوجوه التصرف فيه ، ولعله عليه السلام لما رأي أنه يستعمله في أمره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده ، وفيه دليل عى جواز طلب التولية وإظهار أنه مستعد لها والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به . وعن مجاهد أن الملك أسلم علي يده .

---

(٣٠) قطفير : هوالعزيز زوج راعيل أوزليخا التي راودت يوسف .

(٣١) قال الزمخشري في تفسيره حين جاءه الرسول يدعوه للقاء الملك :خرج من السجن ودعا لأهله قائلا اللهم أعطف عليهم قلوب الأخيار ولاتُعَمِّ عليهم الأخبار ، فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات

نقول وهذا من المفارقات العجيبة كأن الله استجاب لدعوة يوسف عليه السلام فما من حدث يحدث في خارج السجن إلا ويطير خبره إلي أهل السجن فيعلمون به في حينه مع أنهم في معزل عن المجتمع

قال الزمخشري : وكتب يوسف علي باب السجن : هذه منازل البلوي وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء.

الآيات من ٥٦ : ٦١

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) ﴾

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ ﴾ في أرض مصر .﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ ينزل من بلادها حيث يهوي وقرأ ابن كثير نشاء بالنون . ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ بل نوفي أجورهم عاجلاً وآجلاً .

﴿ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ الشرك والفواحش لعظمه ودوامه .

إخوة يوسف في حضرته

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ روي : أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات (٣٢) ، حتي دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشأم ونواحيهما ، وتوجه إليه الناس فباعها أولاً بالدراهم والدنانير حتي لم يبق معهم شيء منها ،ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ، ثم برقابهم حتي استرقهم جميعاً ثم عرض الأمر على الملك فقال : الرأي رأيك فأعتقهم ورد عليهم أموالهم ، وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه ـ غير بنيامين ـ إليه للميرة .

(٣٢) يقال إن يوسف عليه السلام هوالذي أنشأ مدينة الفيوم بمصر وسميت بذلك لأنه أنشأها في ألف يوم ، وجعلها مزرعة تمد مصر بالغلات

﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ أي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه ، وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه ، وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام.

يطلب منهم أخاهم بنيامين

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ أصلحهم بعدتهم وأوقر ركائبهم بما جاءوا لأجله، والجهاز ما يعد من الأمتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة إلي أخري وما تزف به المرأة إلي زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر . ﴿ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ روي أنهم لما دخلوا عليه قال : من أنتم وما أمركم لعلكم عيون؟ قالوا : معاذ الله إنما نحن بنو أب واحد وهو شيخ كبير صدّيق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب، قال كم أنتم؟ قالوا كنا اثني عشر فذهب أحدنا إلي البرية فهلك ، قال : فكم أنتم ها هنا ؟ قالوا عشرة ، قال : فأين الحادي عشر؟ قالوا : عند أبينا يتسلي به عن الهالك ، قال :فمن يشهد لكم؟ قالوا : لا يعرفنا أحد ها هنا فيشهد لنا قال : فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم حتي أصدقكم ، فاقترعوا فأصابت شمعون . وقيل : كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوه حملاً زائداً لأخ لهم من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم . ﴿ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ ﴾ أتمه . ﴿ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم .

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ ﴾ أي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري ، وهو إما نهي أو نفي معطوف على الجزاء .

﴿ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ سنجتهد في طلبه من أبيه . ﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ذلك لا نتواني فيه .

الآيات من ٦٢ : ٦٥

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ

عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) ﴾

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ ﴾ لغلمانه الكيالين جمع فتي . وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على أنه جمع الكثرة ليوافق قوله : ﴿ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ فإنه وكل بكل رحل واحداً يعني فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام ، وكانت نعالاً وأدماً وإنما فعل ذلك توسيعاً وتفضلاً عليهم وترفعاً من أن يأخذ ثمن الطعام منهم ، وخوفاً من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ﴾ لعلهم يعرفون حق ردها ، أو لكي يعرفوها . ﴿ إِذَا انقَلَبُوا ﴾ انصرفوا ورجعوا . ﴿ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ ﴾ وفتحوا أو عيتهم . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلي الرجوع .

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ﴾ حكم بمنعه بعد هذا إن لم نذهب ببنيامين . ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ ﴾ نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه . وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلي الأخ أي يكتل لنفسه فينضم اكتياله إلي اكتيالنا . ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ من أن يناله مكروه .

الأب يمانع في ذهاب بنيامين أولاً ثم يوافق

﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ وقد قلتم في يوسف : وإنا لحافظون . ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾ فأتوكل عليه وأفوض أمري إليه ، وانتصاب حفظاً علي التمييز وحافظاً علي قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله : لله دره فارساً ، وقريء خير حافظ وخير الحافظين . ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين .

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ﴾ وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة إلى الراء نقلها في بيع وقيل . ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾ ماذا نطلب هل من مزيد علي ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا ، أو لا نطلب وراء ذلك إحساناً أو لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من

إحسانه . وقرئ ما تبغي علي الخطاب أي : أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان، أو من الدليل على صدقنا؟ ﴿ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ استئناف موضح لقوله ما نبغي . ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ معطوف علي محذوف أي ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا بالرجوع إلي الملك . ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا ﴾ عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ وسق بعير باستصحاب أخينا ، هذا إذا كانت ما استفهامية فأما إذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل أن تكون الجمل معطوفة على ما نبغي ، أي لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونحفظ أخانا . ﴿ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ أي مكيل قليل لا يكفينا ، استقلوا ما كيل لهم فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلي الملك ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم ويجوز أن تكون الإشارة إلى كيل بعير أي ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه، وقيل إنه من كلام يعقوب ومعناه، إن حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد .

الآيات من ٦٦ : ٦٩

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) ﴾

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ ﴾ إذ رأيت منكم ما رأيت ﴿ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ ﴾ حتي تعطوني ما أتوثق به من عند الله أي عهداً مؤكداً بذكرالله ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ ﴾ جواب القسم إذ المعني حتي تحلفوا بالله لتأتنني به . ﴿ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك ، أو إلا أن تهلكوا جميعاً وهو استثناء مفرغ من أعم

الأحوال والتقدير : لتأتنني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم ، أو من أعم العلل علي أن قوله لتأتنني به ، في تأويل النفي أي لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم كقولهم : . أقسمت بالله إلا فعلت ، أي ما أطلب إلا فعلك .
﴿ **فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ** ﴾ عهدهم . ﴿ **قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ** ﴾ من طلب الموثق وإتيانه . ﴿ **وَكِيلٌ** ﴾ رقيب مطلع .

﴿ **وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ** ﴾ لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك ، فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ، ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الأولي لأنهم كانوا مجهولين حينئذ ، أو كان الداعي إليها خوفه على بنيامين . وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته « **اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**(٣٣) » . ﴿ **وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ** ﴾ مما قضي عليكم بما أشرت به إليكم فإن الحذر لا يمنع القدر . ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** ﴾ يصيبكم لا محالة إن قضي عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك . ﴿ **عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ جمع بين الحرفين في عطف الجملة علي الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لإفادة التسبب ، فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدي بهم .

﴿ **وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم** ﴾ أي من أبواب متفرقة في البلد . ﴿ **مَّا**

---

(٣٣) أخرجه البخاري وأصحاب السنن من حديث ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة » .

والآية تشير إلي ظاهرة الحسد ، وهي ظاهرة قديمة قدم الإنسان وأول إنسان محسود هو آدم عليه السلام حسده إبليس اللعين . ثم دب الحسد إلي ولديه فحسد قابيل هابيل وهناك قصص كثيرة تدل علي وجود الحسد الذي أمرنا الله بالاستعاذة من شره في قوله تعالي في سورة الفلق ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾

وفي حديث رواه ابن عبد البر في التمهيد ٦ / ١٢٥ عن عبد الرحمن بن معاوية أن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لاينجو منهن أحد : الظن والحسد والطيرة » قيل : يارسول الله وما ينجي منهن ؟ قال : ﴿ إذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلاتحقق ، وإذا تطيرت فامض » أوقال : « لاترجع .

﴿ كَانَ يُغْنِي عَنْهُم ﴾ رأي يعقوب واتباعهم له . ﴿ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام ، فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب . ﴿ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ ﴾ استثناء منقطع أي ولكن حاجة في نفسه ، يعني شفقته عليهم وخرازته من أن يعانوا . ﴿ قَضَاهَا ﴾ أظهرها ووصي بها . ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ بالوحي ونصب الحجج ، ولذلك قال وما أغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره . ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر .

يوسف يحتال لإبقاء بنيامين عنده

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ ضم إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل روي : « أنه أضافهم فأجلسهم مثني مثني فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال : لو كان أخي يوسف حياً لجلس معي ، فأجلسه معه على مائدته ثم قال : لينزل كل اثنين منكم بيتاً وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له : أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك ، قال : من يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل ، فبكي يوسف وقام إليه وعانقه و ﴿ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ ﴾ فلا تحزن افتعال من البؤس . ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ في حقنا فيما مضي .

الآيات من ٧٠ : ٧٦

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾

﴿ **فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ** ﴾ المشربة . ﴿ **فِي رَحْلِ أَخِيهِ** ﴾ قيل كانت مشربة جعلت صاعاً يكال به . وقيل كانت تسقي الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة . وقيل من ذهب، وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره أمهلهم حتي انطلقوا . ﴿ **ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ** ﴾ نادي مناد ﴿ **أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ** ﴾ لعله لم يقله بأمر يوسف عليه الصلاة والسلام ، أو كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين . وقيل : معناه إنكم لسارقون يوسف من أبيه أو أئنكم لسارقون؟ ، والعير القافلة وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تتردد ، فقيل لأصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام «**يا خيل الله اركبي** (٣٤) » . وقيل :جمع عَيْر وأصله فَعْل كَسَقْف (٣٥) فُعل به ما فعل ببيض تَجَوُّز به لقافلة الحمير ، ثم استعير لكل قافلة .

﴿ **قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ** ﴾ أي شئ ضاع منكم؟ والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث لا يعرف مكانه ، وقرئ تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيداً .

﴿ **قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ** ﴾ وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة . ﴿ **وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ** ﴾ من الطعام جعلاً له . ﴿ **وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ** ﴾ كفيل أؤديه إلي من رده . وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل .

﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ** ﴾ قسم فيه معني التعجب ، التاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالي : ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ** ﴾ استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد .

---

(٣٤) أي أصدر الأمر للخيل والمراد فرسانها، وكذلك الآية خطاب العير والمراد أصحابها وفي ذلك إيجاز بالحذف له أثر قوي في المعني .

(٣٥) والعَيْر هوالحمار – بفتح العين وسكون الياء – ويجمع علي عُيُر – مثل سَقْف يجمع علي سُقُف ثم سكنت الياء تخفيفا ، وكسر ما قبلها لمناسبتها فأصبحت عير .

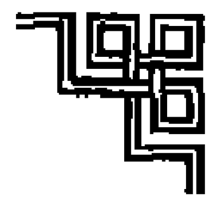
﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ ﴾ فما جزاء السارق أو السرق أو الصواع على حذف المضاف . ﴿ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴾ في ادعاء البراءة .

﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه ، هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام . وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم وإلزام له ، أو خبر مَنْ والفاء لتضمنها معني الشرط أو جواب لها علي أنها شرطية . والجملة كما هي خبر جزاؤه علي إقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل : جزاؤه من وجد في رحله فهو هو . ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ بالسرقة (٣٦) .

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ﴾ فبدأ المؤذن . وقيل يوسف لأنهم ردوا إلي مصر . ﴿ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ بنيامين نفياً للتهمة ﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا ﴾ أي السقاية أو الصواع لأنه يذكر ويؤنث . ﴿ مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة . ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك الكيد ﴿ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ بأن علمناه إياه وأوحينا به إليه . ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ ملك مصر لأن دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد . ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك ، فالاستثناء من أعم الأحوال ويجوز أن يكون منقطعاً أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالي وإذنه .

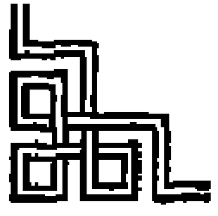
﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ بالعلم كما رفعنا درجته . ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ أرفع درجة منه ، واحتج به من زعم أنه تعالي عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو أعلم منه . والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق لأن الكلام فيهم ولأن العليم هو الله سبحانه وتعالي ، ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليهم وهو مخصوص .

(٣٦) هذا الجزاء في شريعة آل يعقوب . أما جزاء السارق في شريعة المصريين فلم تكن الاسترقاق .



الآيات من ٧٧ : ٨٠

﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ (٧٩) فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ﴾



الأخوة يتهمون يوسف بالسرقة

﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ ﴾ بنيامين . ﴿ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ يعنون يوسف . قيل ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه ، فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ، ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم . وقيل : كان لأبي أمه صنم فسرقه وكسره وألقاه في الجيف . وقيل : كان في البيت عناق أو دجاجة فأعطاها السائل . وقيل : دخل كنيسة وأخذ تمثالاً صغيراً من الذهب . ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ أكنها ولم يظهرها لهم ، والضمير للإجابة أو المقالة أو نسبة السرقة إليه وقيل : إنها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله: ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ فانه بدل من أسرها . والمعني قال في نفسه أنتم شر مكاناً أي منزلة في السرقة لسرقتكم أخاكم ، أو في سوء الصنيع مما كنتم عليه ، وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة ، وفيه نظر إذ المفسر بالجملة لا يكون إلا ضمير الشأن ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون .

﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ أي في السن أو القدر ، ذكروا له حاله استعطافاً له عليه . ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾ بدله فان أباه ثكلان علي أخيه الهالك مستأنس به . ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ إلينا فأتمم إحسانك ، أو من

المتعودين بالإحسان فلا تغير عادتك .

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ﴾ فإنَّ أخذ غيره ظلم على فتواكم فلو أخذنا أحدكم مكانه . ﴿ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾ في مذهبكم هذا ، وإن مراده أن الله أذن في أخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو أخذت غيره كنت ظالماً .

عودة الأخوة بدون الأخوين الأصغر والأكبر

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ ﴾ يئسوا من يوسف وإجابته إياهم ، وزيادة السين والتاء للمبالغة . ﴿ خَلَصُوا ﴾ انفردوا واعتزلوا . ﴿ نَجِيًّا ﴾ متناجين ، ، وإنما وحده لأنه مصدر أو بزنته كما قيل : هم صديق ، وجمعه أنجية كندي وأندية .

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ في السن وهو روبيل ، أو في الرأي وهو شمعون وقيل : يهوذا ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ ﴾ عهداً وثيقاً ، وإنما جعل حلفهم بالله موثقاً منه لأنه بإذن منه وتأكيد من جهته . ﴿ وَمِن قَبْلُ ﴾ ومن قبل هذا . ﴿ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ قصرتم في شأنه ، وما مزيدة ويجوز أن تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ، ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف ، أو علي اسم أن وخبره في يوسف أو من قبل أو الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر ، لأن قبل إذا كان خبراً أو صلة لا يقطع عن الإضافة حتي لا ينقص وأن تكون موصولة أي : ما فرطتموه بمعني ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحله ما تقدم . ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ ﴾ فلن أفارق أرض مصر . ﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ في الرجوع . ﴿ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾ أو يقضي لي بالخروج منها ، أو بخلاص أخي منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه . روي : أنهم كلموا العزيز في إطلاقه فقال روبيل : أيها الملك والله لتتركنا أو لأصيحن صيحة تضع منها الحوامل ، ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه : قم إلي جنبه فمسه ، وكان بنو يعقوب عليه السلام إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه . فقال روبيل من هذا إن في هذا البلد لبزراً من بزر يعقوب . ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ لأن حكمه لا يكون إلا بالحق .

الآيات من ٨١ : ٨٤

﴿ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) ﴾

﴿ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ﴾ علي ما شاهدناه من ظاهر الأمر . وقرئ سُرِّق أي نسب إلي السرقة . ﴿ وَمَا شَهِدْنَا ﴾ عليه . ﴿ إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا ﴾ بأن رأينا أن الصواع استخرج من وعائه ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ ﴾ لباطن الحال . ﴿ حَافِظِينَ ﴾ فلا ندري أنه سرق أو سرق الصواع في رحله ، أو وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين أعطيناك الموثق أنه سيسرق ، أو أنك تصاب به كما أصبت بيوسف .

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ يعنون مصر أو قرية بقربها لحقهم المنادي فيها، والمعني أرسل إلي أهلها واسألهم عن القصة . ﴿ وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ وأصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم(٣٧) . ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ تأكيد في محل القسم.

الأب لا يصدق ما قالة أولاده

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ أي فلما رجعوا إلي أبيهم وقالوا له ما قال : بل سولت أي سولت وسهلت . ﴿ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ أردتموه فقدرتموه وإلا فما أدري الملك أن السارق يؤخذ بسرقته . ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أي فأمري صبر جميل ، أو فصبر جميل أجمل. ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ بيوسف وبنيامين وأخيهما الذي توقف بمصر. ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ﴾ بحالي وحالهم . ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في تدبيرهما .

---

(٣٧) يوجد في هذا التعبير إيجاز بالحذف وهو من ألوان البلاغة ، أو فيه مجاز مرسل علي اعتبار أنه ذكر القرية وأراد أهلها وذكر العير وأراد أصحابها وهو لون بلاغي جميل .

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ وأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم . ﴿ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ أي يا أسفا تعالي فهذا أوانك ، والأسف أشد الحزن والحسرة ، والألف بدل من ياء المتكلم ، وإنما تأسف علي يوسف دون أخويه والحادث رزؤهما لأن رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضاً آخذاً بمجامع قلبه ، ولأنه كان واثقاً بحياتهما دون حياته ، وفي الحديث : «**لم تعط أمة من الأمم ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾**(٣٨) **عند المصيبة إلا أمة محمد** ﷺ » (٣٩) ألا تري إلي يعقوب عليه الصلاة والسلام حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفا . ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ﴾ لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادهما . وقيل: ضعف بصره . وقيل : عمي ، وقريء من الحزَن، وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ، ولعل أمثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد ، ولقد بكي رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وقال : «**القلب يحزن والعين تدمع ، ولا نقول ما يسخط الرب ، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون**»(٤٠) . ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره ، فعيل بمعني مفعول كقوله تعالي ﴿ وهو مكظوم ﴾ (٤١) من كظم السقاء إذا شده على ملئه، أو بمعني فاعل كقوله ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ (٤٢) من كظم الغيظ إذا اجترعه ، وأصله كظم البعير جرته إذا ردها في جوفه .

الآيات من ٨٥ :٨٨

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِيَّ

(٣٨) البقرة : ١٥٦

(٣٩) أخرجه الثعلبي من حديث محمد بن سعيد الهادي في سند إلي سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا .

(٤٠) متفق عليه من حديث أنس

(٤١) القلم ٤٨

(٤٢) آل عمران ١٣٤

اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) ﴾

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ أي لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعاً عليه ، فحذف لا كما في قوله :

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً (٤٣)

لأنه لا يلتبس بالإثبات ، فإن القسم إذا لم يكن معه علامات الاثبات كان علي النفي . ﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ مريضاً مشفياً على الهلاك . وقيل : الحرض الذي أذابه هم أو مرض ، وهو في الأصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنِف ودنَف . وقد قرئ به، وبضمتين كجُنُب . ﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ من الميتين .

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي ﴾ همي الذي لا أقدر الصبر عليه من البث بمعني النشر . ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ لا إلى أحد منكم ومن غيركم ، فخلوني وشكايتي . ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ﴾ من صنعه ورحمته فإنه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ إليه ، أو من الله بنوع من الإلهام . ﴿ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ من حياة يوسف . قيل : رأي ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي . وقيل : علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتي يخر له إخوته سجداً .

﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الإحساس . ﴿ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾ ولا تقنطوا

---

(٤٣) شطر بيت لامرئ القيس الشاعر الجاهلي وهو بتمامه

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

وأصل التعبير لاأبرح

واشترط النحاة لحذف أداة النفي قبل هذه الأفعال « مازال ، ما فتئ ، ما برح ما انفك » أن يتقدمها قسم ، وأن يكون الفعل مضارعا وأن يكون حرف النفي المحذوف لا .

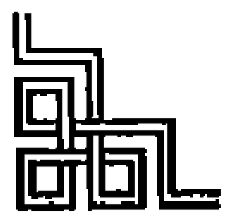
من فرجه وتنفيسه . وقرئ من روح الله أي من رحمته الذي يحيا بها العباد . ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ بالله وصفاته فإن العارف المؤمن لا يقنط من رحمته في شئ من الأحوال .

عودة الإخوة إلى يوسف ومعرفتهم إياه

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ ﴾ بعد ما رجعوا إلى مصر رجعة ثانية . ﴿ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴾ شدة الجوع . ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ ﴾ رديئة أو قليلة تُرَدُّ وتُدْفَعُ رغبة عنها ، من أزجيته إذا دفعته ومنه تزجية الزمان . قيل كانت دراهم زيوفاً، وقيل : صوفاً وسمناً . وقيل : الصنوبر والحبة الخضراء . وقيل الأقط وسويق المقل (٤٤) . ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ﴾ فأتمم لنا الكيل . ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ برد أخينا أو بالمسامحة وقبول المزجاة ، أو بالزيادة على ما يساويها . واختلف في أن حرمة الصدقة تعم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو تختص بنبينا ﷺ . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ أحسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقاً ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر «هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» . لكنه اختص عرفاً بما يبتغي به ثواب من الله تعالي .

الآيات من ٨٩ : ٩٥

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) ﴾



(٤٤) المقل : حمل الدوم وهو يشبه النخل – المعجم الوسيط

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ أي هل علمتم قبحه فتبتم عنه ، وفعلهم بأخيه : إفراده عن يوسف وإذلاله حتي لا يستطيع أن يكلمهم إلا بعجز وذلة . ﴿ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ قبحه فلذلك أقدمتم عليه أو عاقبته ، وإنما قال ذلك تنصيحاً لهم وتحريضاً علي التوبة ، وشفقة عليهم لما رأي من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريباً . وقيل : أعطوه كتاب يعقوب (٤٥) في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن علي فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك ، وإنما جَهَّلَهُمْ لأن فعلهم كان فعل الجهال ، أو لأنهم كانوا حينئذ صبياناً شياطين .

﴿ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ استفهام تقرير ولذلك حقق بإنَّ ودخول اللام عليه . وقرأ ابن كثير على الإيجاب . قيل : عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به ، وقيل : تبسم فعرفوه بثناياه . وقيل : رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها . ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾ من أبي وأمي ذكره تعريفاً لنفسه به ، وتفخيماً لشأنه وإدخالاً له في قوله : ﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ أي بالسلامة والكرامة . ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ ﴾ أي يتق الله . ﴿ وَيَصْبِرْ ﴾ علي البليات أو علي الطاعات عن المعاصي . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوي والصبر.

---

(٤٥) قيل :إن يعقوب كتب كتابا إليه يقول فيه

من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلي عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله، وجعلت عليه بردا وسلاما ، وأما أبي فوضع السكين علي قفاه ليقتل ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلي البرية ،ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا : قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلي به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا :إنه سرق وأنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لانسرق ولانلد سارقا ، فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام .الزمخشري في تفسير الكشاف .

والكتاب من الإسرائيليات التي هي موضع الشك في روايتها وهو يشير إلي أن الذبيح إسحاق وقد سبق أن رددنا علي ذلك ، وفيه تهديد لملك يتنافي مع لغة الاستعطاف الواجبة في مثل هذه المكاتبات .

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة . ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ والحال أن شأننا أنا كنا مذنبين بما فعلنا معك .

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ لا تأنيب عليكم تفعيل من الثَّرْب وهو الشحم الذي يغشي الكرش للإزالة كالتجليد ، فاستعير للتقريع الذي يمزق العِرْض ويذهب ماء الوجه . ﴿ الْيَوْمَ ﴾ متعلق بالتثريب أو بالمقدر للجار الواقع خبراً للتثريب والمعني لا أثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الأيام أو بقوله : ﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ لأنه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها (٤٦) . ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فإنه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ، ومن كرم يوسف عليه الصلاة والسلام أنهم لما عرفوه أرسلوا إليه وقالوا : إنك تدعونا بالبكرة والعشي إلي الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك . فقال : إن أهل مصر كانوا ينظرون إلي بالعين الأولي ويقولون : سبحان من بَلَّغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ ، ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

يعقوب في مصر

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا ﴾ القميص الذي كان عليه . وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ . ﴿ فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ أي يرجع بصيراً أي ذا بصر . ﴿ وَأْتُونِي ﴾ أنتم وأبي . ﴿ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ بنسائكم وذراريكم ومواليكم .

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ من مصر وخرجت من عمرانها . ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ ﴾ لمن حضره . ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ أوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين أقبل به إليه يهوذا من ثمانين فرسخاً . ﴿ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ تنسبوني إلي الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ، ولذلك لا يقال عجوز

(٤٦) روي أن رسول الله ﷺ حين فتح مكة أخذ بعضادتي باب الكعبة فقال لقريش ماترونني فاعلا بكم ؟ قالوا : نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت ، فقال أقول ماقال أخي يوسف : لاتثريب عليكم اليوم .
أخرجه النسائي والبيهقي من حديث أبي هريرة

مفندة لأن نقصان عقلها ذاتي . وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني أو لقلت إنه قريب .

﴿ قَالُوا ﴾ أي الحاضرون . ﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ لفي ذهابك عن الصواب قدماً بالإفراط في محبة يوسف وإكثار ذكره والتوقع للقائه .

الآيات من ٩٦ : ١٠٠

﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾

﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾ يهوذا . روي : أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم إليه فأفرحه بحمل هذا إليه . ﴿ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه الصلاة والسلام أو يعقوب نفسه . ﴿ فَارْتَدَّ بَصِيراً ﴾ عاد بصيراً لما أنتعش فيه من القوة . ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ من حياة يوسف عليه الصلاة والسلام ، وإنزال الفرح . وقيل إني أعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله ، أو أني لأجد ريح يوسف (٤٧) .

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأله المغفرة .

---

(٤٧) روي أنه سأل البشير عن يوسف قال له : كيف يوسف ؟ فقال البشير هو ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك .علي أي دين تركته ؟ قال : علي دين الإسلام قال : الآن تمت النعمة – تفسير الكشاف .

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ أخَّره إلى السحر(٤٨)، أو إلي صلاة الليل ، أو إلي ليلة الجمعة تحرياً لوقت الإجابة ، أو إلي أن يستحل لهم من يوسف ، أو يعلم أنه عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة . ويؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائماً يدعو ، وقام يوسف خلفهُ يُؤمِّنُ وقاموا خلفهما أذلة خاشعين، حتي نزل جبريل عليه السلام وقال : إن الله أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة ، وهو إن صح فدليل على نبوتهم وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم .

تحقق رؤيا يوسف

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ روي أنه وجه إليه رواحل وأموالاً ليتجهز إليه بمن معه واستقبله يوسف والملك بأهل مصر وكان أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلاً وامرأة ، وكانوا حين خرجوا مع موسي عليه الصلاة والسلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً سوي الذرية والهَرمَي . ﴿ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ ضم إليه أباه وخالته واعتنقهما نَزَّلَها منزلة الأم تنزيلُ العم منزلة الأب في قوله تعالي ﴿ وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ (٤٩) أو لأن يعقوب عليه الصلاة والسلام تزوجها بعد أمه والرَّابَّة تدعي أماً ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ من القحط وأصناف المكاره ، والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالأمن والدخول الأول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم (٥٠) .

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ تحية وتكرمة له فإن السجود

---

(٤٨) مما يشير إلي أن وقت السحر وقت إجابة مارواه ابن جرير الطبري في تفسيره عن محارب ابن دثار قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأتي المسجد فيسمع إنسانا يقول : اللهم دعوتني فاجبت وأمرتني فاطعت وهذا السحر فاغفر لي قال: فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال : إن يعقوب أخر بنيه إلي السحر بقوله : ﴿ سوف استغفر لكم ربي ﴾.

(٤٩) البقرة ١٣٣

(٥٠) قيل : خرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ علي يهوذا .

كان عندهم يجري مجراها . وقيل معناه خروا لأجله سجداً لله شكراً . وقيل : الضمير لله تعالي والواو لأبيه وإخوته والرفع مؤخر عن المجرور وإن قدم لفظاً للاهتمام بتعظيمه لهما . ﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾ التي رأيتها أيام الصبا . ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ صدقاً . ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريباً عليهم . ﴿ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ من البادية لأنهم كانوا أصحاب المواشي وأهل البدو . ﴿ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ أفسد بيننا وحرش ، من نزغ الرائض الدابة إذا نخسها وحملها على الجري . ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ﴾ لطيف التدبير له إذ ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها . ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ﴾ بوجوه المصالح والتدابير . ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ الذي يفعل كل شئ في وقته وعلي وجه يقتضي الحكمة . روي : أن يوسف طاف بأبيه عليهما الصلاة والسلام في خزائنه فلما أدخله خزانة القراطيس قال : يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي علي ثمان مراحل؟ قال : أمرني جبريل عليه السلام قال : أو ما تسأله؟ قال : أنت أبسط مني إليه فاسأله فقال جبريل : الله أمرني بذلك . لقولك ﴿ وأخاف أن يأكله الذئب ﴾ (٥١) قال فهلا خفتني .

الآيات من ١٠١ : ١٠٥

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) ﴾

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ﴾ بعض الملك وهو ملك مصر. ﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِن

(٥١) يوسف ١٣

تَأْوِيلِ الأَحَادِيث ﴾ الكتب أو الرؤيا ، ومن أيضاً للتبعيض لأنه لم يؤت كل التأويل . ﴿ **فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ مبدعهما وانتصابه علي أنه صفة المنادي أو منادي برأسه . ﴿ **أَنتَ وَلِيِّي** ﴾ ناصري ومتولي أمري . ﴿ **فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾ أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما . ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِماً** ﴾ اقبضني(٥٢) . ﴿ **وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة .

روي أن يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم توفي وأوصي أن يدفن بالشام إلي جنب أبيه ، فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم تاقت نفسه إلي الملك المخلد فتمني الموت فتوفاه الله طيباً طاهراً ، فتخاصم أهل مصر في مدفنه حتي هموا بالقتال ، فرأوا أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ، ثم يصل إلي مصر ليكونوا شرعاً(٥٣) فيه ، ثم نقله موسي عليه الصلاة والسلام إلي مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة ، وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ، ورحمة امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام .

قصة من أنباء الغيب للعبرة

﴿ **ذَلِكَ** ﴾ إشارة إلي ما ذكر من نبأ يوسف عليه الصلاة والسلام ، والخطاب فيه للرسول ﷺ وهو مبتدأ . ﴿ **مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ** ﴾ خبران له . ﴿ **وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ** ﴾ كالدليل عليهما والمعني : أن هذا النبأ غيب لم تعرفه إلا بالوحي لأنك لم تحضر إخوة يوسف حين عزموا علي ما هموا

---

(٥٢) تمني الموت كان سائغا في شريعة بني إسرائيل ولذلك قال الله تعالي لهم ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما فيما يرويه ابن كثير « ما تمني نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام »

وجاء في الصحيحين :« لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به إما محسنا فيزداد ، وإما مسيئا فلعله يستعتب ولكن ليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي » ورواه أيضا أحمد والنسائي من حديث أبي هريرة ، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة والحسن .

(٥٣) شرعا : سواء

به من أن يجعلوه في غيابة الجب ، وهم يمكرون به وبأبيه ليرسله معهم ، ومن المعلوم الذي لا يخفي على مكذبيك أنك ما لقيت أحداً سمع ذلك فتعلمته منه ، وإنما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ﴿ ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ (٥٤) .

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ ﴾ على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات عليهم. ﴿ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ لعنادهم وتصميمهم علبي الكفر .

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ ﴾ على الإنباء أو القرآن . ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ من جعل كما يفعله حملة الأخبار . ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ عظة من الله تعالي . ﴿ للعالمين ﴾ عامة .

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ ﴾ وكم من آية ، والمعني وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة علي وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده . ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ﴾ على الآيات ويشاهدونها . ﴿ وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها . وقرئ والأرض بالرفع علي أنه مبتدأ خبره يمرون ، فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطئون الأرض . . وقرئ والأرض يمشون عليها أي يترددون فيها فيرون آثار الأمم الهالكة .

الآيات من ١٠٦ : ١٠٩

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٠٩) ﴾

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ ﴾ في إقرارهم بوجوده وخالقيته . ﴿ إِلاَّ وَهُم

(٥٤) هود ٤٩

مُّشْرِكُونَ ﴾ بعبادة غيره أو باتخاذ الأحبار أرباباً . ونسبة التبني إليه تعالي ، أو القول بالنور والظلمة أو النظر إلي الأسباب ونحو ذلك . وقيل الآية في مشركي مكة (٥٥) . وقيل في المنافقين . وقيل في أهل الكتاب .

﴿ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم . ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فجأة من غير سابقة علامة . ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بإتيانها غير مستعدين لها .

الا لله الدين الخالص

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ يعني الدعوة إلي التوحيد والإعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله : ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ وقيل هو حال من الياء . ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ بيان وحجة واضحة غير عمياء .﴿ أَنَا ﴾ تأكيد للمستتر في أدعو أو علي بصيرة لأنه حال منه أو مبتدأ خبره علي بصيرة . ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ عطف عليه ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وأنزهه تنزيهاً من الشركاء .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ رد لقولهم ﴿ لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾(٥٦) وقيل : معناه نفي استنباء النساء ﴿ نُّوحِي إِلَيْهِم ﴾ كما يوحي إليك ويميزون بذلك عن غيرهم . وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الأنبياء . ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾ لأن أهلها أعلم وأحلم من أهل البدو . ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك ، أو من من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها . ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ ﴾ ولدار الحال أو الساعة أو

---

(٥٥) كان المشركون كما ورد في الصحيحين في تلبيتهم : لبيك لاشريك لك إلا شريك هو لك تملكه وماملك ».

أما المنافقون فكانوا إذا قاموا إلي الصلاة قاموا كسالي يراءون الناس ولايذكرون الله إلا قليلا

وأهل الكتاب جعلوا لله ندا واتخذوا له ولدا

(٥٦) فصلت ١٤

الحياة الآخرة . ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ الشرك والمعاصي . ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ يستعملون عقولهم ليعرفوا أنها خير . وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملاً على قوله ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي ﴾ أي قل لهم أفلا تعقلون .

الآيتان من ١١٠ : ١١١

﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾

الله ينصر رسله

﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ﴾ غاية محذوف دل عليه الكلام أي لا يغررهم تمادي أيامهم فإن من قبلهم أمهلوا حتي أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا ، أو عن إيمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع . ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ أي كذبتم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون ، أو كذبهم القوم بوعد الإيمان . وقيل : الضمير للمرسل إليه أي وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد . وقيل : الأول للمرسل إليهم والثاني للرسل أي وظنوا أن الرسل قد كذبوا ، وأُخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الأمر عليهم . وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما : «**أن الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر ، إن صح فقد أراد بالظن ما يهجس في القلب عن طريق الوسوسة. هذا وأن المراد به المبالغة في التراخي والإمهال علي سبيل التمثيل**» . وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أي وظن الرسل أن القوم قد كذبوهم فيما أوعدوهم . وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل أى وظنوا أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخي عنهم ولم يروا له أثراً . ﴿ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ﴾ النبي والمؤمنين وإنما لم يعينهم للدلالة علي أنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم ، وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبنى

للمفعول . وقرئ فنجا . ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ إذ نزل بهم، وفيه بيان للمشيئين .

قصص الأنبياء فيها عبرة وعظة

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ في قصص الأنبياء وأممهم أو في قصة يوسف وإخوته . ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لذوي العقول ـ المبرأة من شوائب الإلف والركون إلي الحس . ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ ما كان القرآن حديثاً يفتري . ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب الإلهية . ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين إذ ما من أمر ديني إلا وله سند من القرآن بوسط أو بغير وسط . ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال . ﴿وَرَحْمَةً﴾ ينال بها خير الدارين . ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقونه .

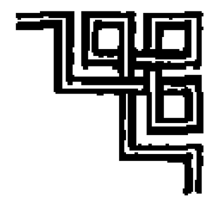
فضل سورة يوسف

وعن النبي ﷺ «**علموا أرقاءكم سورة يوسف ، فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً**» (٥٧) .

---

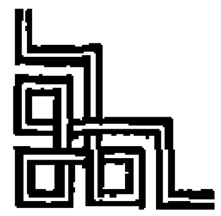
(٥٧) رواه الزمخشري في تفسيره من غير إسناد .

(١٣) سورة الرعد مدنية
وقيل مكية إلا قوله ﴿ ويقول الذين كفروا .. الآية ﴾
وآياتها ثلاث وأربعون
بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٢

﴿ الٓمٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) ﴾



القرآن حق نزل من عند الله

﴿ الٓمٓر ﴾ قيل معناه أنا الله أعلم وأري . ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾ يعني بالكتاب السورة وتلك إشارة إلي آياتها أي : تلك الآيات آيات السورة الكاملة أو القرآن. ﴿ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام علي الخاص أو إحدي الصفتين على الأخري ، أو الرفع بالابتداء وخبره ﴿ الْحَقُّ ﴾ والجملة كالحجة على الجملة الأولى ، وتعريف الخبر وإن دل علي اختصاص المنزل بكونه حقاً فهو أعم من المنزل صريحاً أو ضمناً ، كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه . ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ لإخلالهم بالنظر والتأمل فيه .

من مظاهر قدرة الله تعالى

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ ﴾ مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر يدبر الأمر . ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ أساطين جمع عماد كإهاب وأهب ، أو عمود

كأديم وأدم وقرئ عُمُد كرسل (١) . ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ صفة لعمد أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك ، وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فإن ارتفاعها على سائر الأجسام المساوية لها في حقيقة الحرمية ، واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وأن يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات علي بعض بإرادته وعلي هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات . ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ بالحفظ والتدبير . ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ ذللهما لما أراد منهما كالحركة المستمرة علي حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها . ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ لمدة معينة يتم فيها أدواره ، أو لغاية

---

(١) جاء في كتاب معجزة القرآن حول هذه الآية مايلي ملخصا

السموات هي مجموع الأجرام التي حولنا من نجوم أي شموس وكواكب وأقمار ، ورفعها بغير عمد ترونها ، العمد أي العماد أوالأعمدة ، والعمود دعامة تحمل فوقهاثقلا وبغير عمد ترونها أي بعماد من القوي لاتراها أعينكم ، لاتراها بالرغم من أنها أضخم وأقوي ما في الوجود ، فما أصدق قوله تعالي ﴿ فلا أقسم بما تبصرون ومالاتبصرون ﴾ فإن ما نبصره لايعد شيئا بجانب مالانبصره ، إننا لانبصر الكهرباء ولا الجاذبية ولا الهواء وهي فينا وحولنا ، تأمل أيها الإنسان هذه الأعمدة التي تدعم وتحمل كل هذه الشموس والكواكب التي لاحصر لها، والتي يزيد حجمها عن أرضنا ملايين المرات . .

تأمل أيها الإنسان القوة التي تمسك هذه النجوم الهائلة والكواكب العديدة التي لاحصر لها ولايتصور العقل وزنها، وتربطها بعضها ببعض ، ثم تأمل هذه المسافات الشاسعة التي تمتد إليها هذه القوة فلاتضعف ولاتعجز عن حمل هذه الأثقال تعرف قوة الله وقدرته .

إن الأعمدة المصنوعة من الحديد أو من الأسمنت المسلح لتعجز عن الامتداد إلا لمسافة محدودة ولاتحمل فوقها إلا ثقلا معينا محدودا تافها إن كل قوة مهما عظمت تافهة بالنسبة إلي هذه القوة، إنها قوة الله الذي يسمك السماء أن تقع علي الأرض إلا بإذنه فإنه تعالي يقول ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع علي الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ الحج ٦٥

معجزة القرآن – نعمت صدقي ص ٣٧ .

مضروبة ينقطع دونها سيره وهي ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ② ﴾(١) .

﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ أمر ملكوته من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وغير ذلك . ﴿ يُفَصِّلُ الآيَاتِ ﴾ ينزلها ويبينها مفصلة أو يحدث الدلائل واحداً بعد واحد . ﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته ، فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الأشياء وتدبيرها قدر على الإعادة والجزاء .

الآية رقم ٣

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ

---

(١) التكوير ١ ، ٢ .

* الإعجاز العلمي

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾

من الإعجاز العلمي في زمن التنزيل للقرآن الكريم هو أن القرآن أثبت نظرية كروية الأرض بأسلوب بلاغي معجز بعيدا عن علوم الفلك والحساب الحديثة المعقدة بأن هناك أكثر من آية يمكن أن يستدل منها علي كروية الأرض ومنها هذه الآية وإن كان المعني الظاهري للآية يوحي بنعمة الله علي الإنسان أن أسكنه بالأرض الممدودة ذات السهول الصالحة للزراعة والسكن ولكن هي نفسها الآية التي تثبت كروية الأرض لأن الشكل الدائري هو الوحيد الممتد إلي مالانهاية ولكي نبسط لك الأمر نقول لو أن الأرض مكعبة الشكل (١ ٢ ٣ ٤) فإذا كنت واقفا عند النقطة رقم -١- ونظرت إلي المنطقة رقم -٢- فلن تجد امتدادا للأرض ولكن سوف تجد لها حافة ونهاية وهذا الأمر غير مطابق للواقع فإنك إذا وقفت في أي مكان علي وجه الأرض تجد الأرض ممتدة امامك لأنها دائرية انظر إلي الشكل التالي : (١ ٢ ٣ ٤) وهو شكل الأرض فعلا فعندما تقف عند أي نقطة علي وجه الأرض -١- أو -٢- أو -٣- تجد الأرض ممدودة أمامك باستدارة بسيطة غير ملحوظة دليلا علي كروية الأرض لذلك قال تعالى في الآية رقم -٤١- في سورة =

فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ ﴾ بسطها طولاً وعرضاً لتثبت عليها الأقدام ويتقلب عليها الحيوان (٣) . ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ جبالاً ثوابت من رسا الشئ إذا ثبت، جمع راسية والتاء للتأنيث علي أنها صفة أجبل أو للمبالغة . ﴿ وَأَنْهَاراً ﴾ ضمها إلي الجبال وعلق بهما فعلاً واحداً من حيث إن الجبال أسباب لتولدها . ﴿ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ أي وجعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والأسود والأبيض والصغير والكبير . ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ يلبسه مكانه فيصير الجو مظلماً بعد ما كان مضيئاً ، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يغشي بالتشديد . ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيها فإن تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل علي وجود صانع حكيم دبر أمرها وهيأ أسبابها .

---

(٣) يشير هذا الجزء من الآية إلي كروية الأرض ، فلو أن الأرض مسطحة لانتهت إلي الحافة ولما تم الامتداد ،أما الدائرة والكرة فأينما وقفت علي محيطها وجدت امتدادا أمامك لاينتهي إلي حافة وبهذا الامتداد مهد الأرض للزراعة والعمل عليها والحياة فوقها بيسر والسفر في أرجائها بسهولة وسرعة

من كتاب : ألوان من الإعجاز القرآني – محمد وفاء الأميري ص ٥٣

*** الإعجاز العلمى**

الرعد ﴿ أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من اطرافها .... ﴾ فهذا دليل آخر علي كروية الأرض .

والآية نفسها معجزة حيث يخبرنا فيها المولي عز وجل عن أمور شتي من أمور الكون بأسلوب بلاغي مع اتساق معاني الكلمات بصورة توهم الشخص أنها تتناول موضوعا واحدا فإذا تأملتها وجدتها تشتمل علي أكثر من علم من علوم الحياة .

الآيات من ٤ : ٧

﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ④ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑤ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ⑥ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ⑦ ﴾

﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ ﴾ بعضها طيبة وبعضها سبخة ، وبعضها رخوة وبعضها صلبة ، وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس . ولولا

* الإعجاز العلمي

﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ .... ﴾

الله وحده .. لا غيره .. ولا شريك له هو الذي خلق السماوات ..وانزل منها الماء.. وخلق الأرض وأنبت فيها بالماء الزروع والنبات التي لا يمكن لغير الله أن ينبتها وهو أمر لاشك فيه .. ولاخلاف عليه .. ولا جدال عنه .. لانه مشاهد من كل إنسان .. في أي مكان وكل زمان .. وفي ذلك يقول الحق سبحانه أصدق القائلين : ﴿ أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾ (٦٠ سورة النمل)

كما أنها تشير إلي بعض قدرته في الخلق .. وحكمته في التقدير .. وعظمته في التدبير .. إذ يقول النص الكريم : ﴿ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾ (١٣ سورة النحل)

إذ يخرج من الأرض النباتات مختلفة الالوان ..في مذاقها .. وفي شكلها .. وفي رائحتها .. وفي لونها ..ألا يقول الشاهد المتأمل سبحان الله .. لا إله إلا هو القادر .. =

تخصيص قادر موقع لأفعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك ، لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الأرضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الأسباب السماوية ، من حيث إنها متضامة متشاركة في النسب والأوضاع . ﴿ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾ وبساتين فيها أنواع الأشجار والزروع ، وتوحيد الزرع لأنه مصدر في أصله . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفاً على وجنات . ﴿ صِنْوَانٌ ﴾ نخلات أصلها واحد . ﴿ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ متفرقات مختلفات الأصول . وقرأ حفص بالضم وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو . ﴿ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾ في التمر شكلاً وقدراً ورائحةوطعماً ، وذلك أيضاً مما يدل على الصانع الحكيم ، فإن اختلافها مع اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار .

وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقي بالتذكير على تأويل ما ذكر ، وحمزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله ﴿ يدبر الأمر ﴾ .

* الإعجاز العلمى

العظيم .. الخالق الحكيم .. المدبر العليم .. ومن عظيم قدرته .. وبالغ عظمته .. أن الأرض الواحدة .. تسقي بماء واحد .. فتخرج من القطع المتجاورة النباتات المختلفة .. متفاضلة في الأكل .. متباينة في الشكل سبحانه وتعالي .. وفي ذلك يقول النص الكريم: ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد ونفضل بعضها علي بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (٤ سورة الرعد)

والزراعة عملية يشاهدها الإنسان بنفسه كيف يحيي الله سبحانه وتعالي الأرض بالماء بعد موتها إذ كانت جرداء ..فأصبحت تفيض بالحياة والأحياء فيقول الحق تبارك وتعالي: ﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾ (٦٥ سورة النحل)

وهكذا يري الإنسان بعينه .. بعض مظاهر قدرة الله في خلق الحياة في الأرض الميتة .. والإنسان نفسه ..إنما خلق من تراب .]

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يستعملون عقولهم بالتفكر .

﴿ وَإِن تَعْجَبْ ﴾ يا محمد من إنكارهم البعث . ﴿ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ حقيق بأن يتعجب منه فإن من قدر على إنشاء ما قص عليك كانت الإعادة أيسر شئ عليه، والآيات المعدودة كما هي دالة علي وجود المبدأ فهي دالة علي إمكان الإعادة من حيث إنها تدل علي كمال علمه وقدرته وقبول المواد لأنواع تصرفاته . ﴿ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ بدل من قولهم أو مفعول له ، والعامل في إذا محذوف دل عليه : أئنا لفي خلق جديد . ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ لأنهم كفروا بقدرته علي البعث . ﴿ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾ مقيدون بالضلال لا يرجي خلاصهم أو يغلون يوم القيامة . ﴿ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ لا ينفكون عنها ، وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار .

استعجالهم العذاب

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ بالعقوبة قبل العافية ، وذلك لأنهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء . ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ﴾ عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم، والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لأنها مثل المعاقب عليه، ومنه المثال للقصاص وأمثلت الرجل من صاحبه إذا اقتصصته منه . وقرئ المُثُلات بإتباع الفاء العين والمَثْلات بالتخفيف بعد الاتباع ، والمَثَلات بفتح الثاء علي أنها جمع مثلة كركبة وركبات (٤) . ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ مع ظلمهم أنفسهم ، ومحله النصب علي الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل علي جواز العفو قبل التوبة ، فإن التائب ليس علي ظلمه ، ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر ، أو أول المغفرة بالستر والإمهال . ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ للكفار أو لمن شاء ، وعن النبي ﷺ : «**لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحد العيش ، ولولا وعيده وعقابه لا تكل كل أحد**» (٥) .

---

(٤) كركبة وركبات : في الصحاح الركبة معروفة وجمع القلة ركبات ، وركبات وركُبات بسكون الكاف وفتحها وضمها والراء مضمومة فيهن.

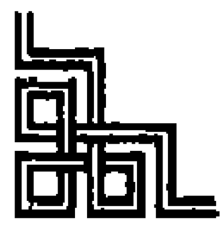
(٥) أخرجه الثعلبي وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب.

الكفار يطلبون الآيات

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه ، واقتراحاً لنحو ما أوتي موسي وعيسي عليهما السلام . ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ مرسل للإنذار كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يُقْتَرَحُ عليك . ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم إلي الحق ويدعوهم إلي الصواب ، أو قادر علي هدايتهم وهو الله تعالي لكن لا يهدي إلا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات . ثم أردف ذلك بما يدل علي كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره ، تنبيهاً علي أنه تعالي قادر علي إنزال ما اقترحوه وإنما لم ينزل لعلمه بأن اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد ، وأنه قادر علي هدايتهم وإنما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال :

الآيات من ٨ : ١٢

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) ﴾



* الإعجاز العلمي

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾

الرحم : إن الرحم هو القرار المكين الذي تنمو فيه النطفة الأمشاج وتعلق فيه حتي تصير علقة فمضغة فعظاما .. فلحما يكسو العظام .. ثم ينشئه الله خلقا آخر حتي يخرجه الله طفلا كامل الخلقة سوي التكوين ..

وسنفرد لهذا القرار المكين فصلا خاصا به فيما بعد إن شاء الله نتحدث فيه عن الاربطة =

تمام علم الله وإحاطته

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ أي حملها أو ما تحمله علي أى حال هو من

* الإعجاز العلمى

والعظام التي تحرسه وتمسك به وتجعله كما وصفه الله تعالي بالقرار المكين حيث قال : ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . إلي قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون ﴾ « المرسلات » . وفي قوله سبحانه وتعالي ﴿ لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ - « المؤمنون » . . .

وسنتحدث هنا عن أهمية الرحم البالغة التي أولاها الإسلام أهمية لا تدانيها أهمية أي عضو آخر سوي المخ حيث ينتهي إليه الفكر والروية والقلب حيث تنبعث منه الدورة الدموية .

فقد ورد ذكر الرحم في القرآن الكريم في مواقع متعددة .

والآيات الكريمة تتحدث عن الرحم بمعنيين :

المعني الأول : العضو التناسلي للمرأة وهو المهد والفراش والحضن للنطفة الانسانية يحوطها ويغذيها ويرعاها حتي تبلغ اوج نموها وكماله فيخرجها الله بشرا سويا . .

وبهذا المعني نزلت الآيات الكريمة التالية :

١ - ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ آل عمران .

٢ -﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثي وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾ الرعد .

٣ - ﴿ ونقر في الأرحام ما نشاء إلي أجل مسمي ﴾ الحج .

٤ - ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ﴾ لقمان .

٥ -﴿ ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ﴾ البقرة .

المعني الثاني : وهو صلة القربي الناتجة عن الرحم وما يحمله . . وهو الوشائج والصلات الناتجة عن التزاوج . . فالآباء والأبناء والأخوال والأعمام ومجموعة الأقارب التي تتصل بهم وإن بعدوا يطلق عليهم لفظ الرحم .

وقد ورد ذكره بهذا المعني في قوله تعالي :

١ - ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ النساء.

الأحوال الحاضرة والمترقبة (٦) . ﴿ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ وما تنقصه وما تزداده في الجنة والمدة والعدد .

(٦) لايردُ هنا ما يزعمه من أن العلم الحديث استطاع أن يحدد نوع الجنين في بطن أمه ، فإن ذلك مردود عليه ، لأن «ما» في الآية لايقصد بها حقيقة الذكر والأنثي ، ولكن المقصود بها مختلف الحقائق الأخري كالذكاء والغباء والسعادة والشقاء والعلم والجهل والطول والقصر والبياض والسمرة ومقدار العمر المحدود ، وغير ذلك مما لايمكن أن يتناوله العلم لأن ذلك من مكنونات علم الله .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول فيما رواه الشيخان عن ابن مسعود «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا فيؤمر بأربع كلما ت :يكتب رزقه وعمره وعمله وشقي أو سعيد »

* الإعجاز العلمي

٢- ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله ﴾ الأنفال

٣- ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ محمد.

٤- ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ﴾ الكهف .

أما الاحاديث النبوية الشريفة التي تحدث عن الرحم وصلة الرحم فكثيرة جدا ولكننا نختار منها شيئا ليوضح مدي أهمية الرحم .

١- عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله » أخرجه مسلم .

٢- عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

قال الله عز وجل : « أنا الرحمن وأنا خلقت الرحم واشتققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته » البخاري في الأدب المفرد .

٣- عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « الرحم شجنة من الله . من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله » البخاري في صحيحه . والشجنة : عروق الشجر المتشابكة .. والمعني أن الرحم أثر من آثار رحمته مشتبكة بها والقاطع لها مقطوع من رحمته تعالي .

٤- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله خلق الخلق حتي إذا فرغ منهم =

وأقصي مدة الحمل أربع سنين عندنا ، وخمس عند مالك، وسنتان عند أبي حنيفة .

* الإعجاز العلمي

قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ من القطيعة قال : نعم . . أما ترضين أن أصل وأقطع من قطعك قالت : بلي قال : فذاك لك . ثم قال رسول الله ﷺ : اقرءوا إن شئتم فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمي أبصارهم » . أخرجه البخاري ومسلم

٥- عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ قال : «لا يدخل الجنة قاطع رحم » . أخرجه البخاري ومسلم .

٦- « من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه » أي يكثر رزقه ويطول عمره من وصل رحمه . أخرجه البخاري ومسلم

٧- « إن الرحمة لا تنزل علي قوم فيهم قاطع رحم » الأدب المفرد للبخاري .

٨- « ما من ذنب أحري أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم والبغي » البخاري في الأدب المفرد .

٩- ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل إذا قطعت رحمه وصلها ». صحيح البخاري

مما سبق تتبين أهمية الرحم القصوي في الإسلام . . وكيف اشتق المولي تبارك وتعالي اسمها من اسمه . . وكيف جعلها معلقة بعرش الرحمن . .وكيف وصلها سبحانه وتعالي بنفسه ووصل من وصلها وقطع من قطعها .

لاشك أنه تشريف لم يحظ به كثير من أعضاء جسم الإنسان . . (علي أهمية تلك الأجزاء مثل القلب والدماغ والكبد) وذلك راجع إلي أن الرحم منبت للبذرة الإنسانية . . فيها تنمو وتترعرع . . ويغذوها بدمه ويحفظها من كل سوء حتي إذا آن موعد خروجها إلي الدنيا انقبض الرحم انقباضات متتالية حتي يخرجها إلي الدنيا سليمة معافاة . . دون أن يمسها بأذي مع أن مثل تلك الانقباضات الشديدة يمكن أن تودي بحياة الجنين . . ولكن الله يجعل له سبيلا ليخرج ويجعل تلك الانقباضات متقطعة ولا تؤثر علي حياة الجنين لأنها تتجه إلي أسفل لتوسيع عنق الرحم بدلا من الضغط المباشر علي الجنين . .

والرحم موضوع في وسط حوض المرأة يكون محميا ومصونا من كل أذي . . ولا يقابله في الرجل سوى أثر مندثر في شكوة البروستاتا .

=

روي أن الضحاك ولد لسنتين ، وهرم بن حيان لأربع سنين، و أعلي عدده لا حد له . وقيل : نهاية ما عرف به أربعة وإليه ذهب أبو حنيفة رضي الله عنه .

* الإعجاز العلمي

والرحم عضو عضلي أجوف ذو جدار ثخين ومتين . . وهو كمثري الشكل ويبلغ طوله ٣بوصات وعرضه بوصتين وسمكه بوصة واحدة في الأنثي البالغة . .فإذا حملت المرأة فإن الرحم ينمو ويكبر حتي يملأ البطن من القص إلي العانة . . أما حجم تجويف الرحم في الأنثي البالغة فلا يزيد عن ميليلترين أما في نهاية الحمل فإن حجم الرحم يتسع لسبعة آلاف ميلليلتر أي أن حجمه يتضاعف أكثر من ثلاثة آلاف مرة . ووزن الرحم في غير أوقات الحمل لا يزيد عن خمسين جراما فإذا كان في نهاية الحمل فإن وزن الرحم ذاته يبلغ ألف جرام أو تزيد . . أما محتوياته فتزن خمسة آلاف جرام . . أي وزنه بمحتوياته يزيد أكثر من مائة مرة .

والرحم هو العضو الوحيد في جسم الإنسان الذي له هذه القابلية للتغير السريع من حال إلي حال . . وهو بذلك أسرع نموا يعرفه جسم الإنسان . . حتي إن أخطر السرطانات لا تنمو بمثل سرعة نمو الرحم وما يحمله في طياته . . ومع ذلك فشتان ما بين النمو السرطاني الخبيث ونمو الرحم الحميد العاقبة المأمون الغائلة . . فذاك يؤدي إلي الموت والهلاك وهذا يؤدى إلى النماء والبقاء . .

تركيب الرحم : يتكون الرحم من جسم وعنق وكلاهما مكون من طبقات ثلاث :

أولها من الخارج : طبقة البريتون التي تغطي جسم الرحم وشيئا من عنقه من الخلف .

وثانيها الطبقة العضلية : وهي عضلات سميكة غير إرادية وتشمل في ذاتها ثلاث طبقات من الألياف وهي :

أ – الطبقة السطحية : وأكثر أليافها طولية .

ب–الطبقة المتوسطة : واليافها مختلفة الاتجاهات وبعضها علي شكل (ثمانية بالإنجليزي) .

ج– الطبقة الداخلية :ومعظم اليافها دائرية وتتركز حول عنق الرحم لتكون عاصرة للعنق .

وللعضلات وظائف عديدة أهمها حماية غشاء الرحم الذي تنغرز فيه البويضة الملقحة لتصبح جنينا كما أن وظيفة العضلات قفل الأوعية الدموية العديدة عند الطمث وعقب الولادة . . ولولا ذلك لنزفت الوالدة حتي الموت .

وقال الشافعي رحمه الله : أخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطوناً في كل بطن خمسة (٧) .

(٧) تفاجئنا الأخبار بين حين وحين عن نساء يلدن توائم متعددة ، فهناك من تلد أربعة توائم ومن تلد خمسة ، ومن تلد ستة ، ومن تلد توأمين ملتصقين وهذه من الأحوال النادرة الشاذة التي تدخل في نطاق قدرة الله وحكمته وتدل علي أن الله تعالي هو القادر المختار.

* الإعجاز العلمي

وثالث طبقات الرحم : هي الطبقة المخاطية .. وهي الغشاء المبطن للرحم .. وغشاء الرحم هو الفراش الوثير للنطفة الأمشاج التي تعلق به .. وعن طريقه تتغذي وتنمو .. وهذا الغشاء مكون من طبقات تتخللها الاوعية الدموية الكثيرة .. والغدد الرحمية العديدة .. وتقع هذه الطبقة بالذات تحت تأثير الهرمونات ولها دورة شهرية كاملة تبدأ من سن البلوغ وتنتهي في سن اليأس .

دورة الرحم في الحمل :

يستمر الرحم في دورته الشهرية يزيد ويغيض حتي إذا حصل الحمل كانت تلك هي الزيادة العظمي التي لا مزيد عليها ..

ويستعد الرحم لتقبل النطفة الأمشاج .. وتسمي تلك المرحلة مرحلة الإفراز بالنسبة للرحم .. وينمو غشاؤه نموا عظيما .. من نصف ميليمتر عند نهاية الحيض إلي سبعة أو ثمانية مليمترات في هذه المرحلة .. فإذا أراد الله وتلقحت تلك البويضة ثم علقت بجدار الرحم .. فإن العلقة العالقة بجدار الرحم ذاتها ترسل إلي المبيض رسولا يخبره بما تم منها وما أنجزته وتطلب منه العون والمدد .. فيلبي المبيض (الجسم الأصفر فيه) مرحبا .. ويمد الرحم والجسم بأكمله بكميات لا عهد له بها من قبل من هرمون الحمل البروجسترون .

وينمو الرحم نموا هائلا .. وينمو حجمه من شق صغير لا يتسع لأكثر من ميليمترين ونصف إلي عضو ضخم هائل تبلغ سعته سبعة آلاف ميليلتر ..

ويزيد في وزنه من خمسين جراما إلي ألف جرام .

كما أن ما يحمله في طياته يبلغ خمسة آلاف جرام منها ٣٥٠٠ جرام وزن الجنين عند نهاية الحمل و ١٠٠٠ جرام وزن السائل الأمنيوسي المحيط بالجنين و ٥٠٠ جرام وزن المشيمة

يتغير الرحم تغيرا هائلا أثناء الحمل .. كل طبقاته تساهم في ذلك التغيير .. .. الغشاء

وقيل : المراد نقصان دم الحيض وازدياده ، وغاض جاء متعدياً ولازماً ، وكذا ازداد قال تعالي ﴿ وازدادوا تسعاً ﴾ (٨) .

(٨) الكهف ٢٥

* الإعجاز العلمي

المبطن للرحم ينمو نموا هائلا حتي ليكون طبقة ثخينة تسمي الساقط .. لأنها تسقط مع الأغشية عقب الولادة .. كما تساهم مساهمة فعالة في تكوين المشيمة التي تغذي الجنين وتمده بالغذاء والأوكسجين .. وتحمل عنه المواد الضارة الناتجة عن عمليات الهدم والبناء .. مثل ثاني أوكسيد الكربون والبولينا .. ولا تكتفي بذلك بل تمنع عنه وصول الميكروبات والمواد الضارة إلا ما ندر .. ومع ذلك تمده بوسائل الدفاع من المضادات للأجسام الغريبة .

كذلك تتغير الطبقة العضلية وتنمو نموا كبيرا .. وتزداد تروية الرحم بالدماء يوما بعد يوم لتواكب حاجات الجنين أثناء نموه .. فلا تعطيه إلا ما يحتاج إليه .. ولا تمنع عنه إلا ما يضره ..

باختصار إن نمو الرحم أثناء الحمل هو أعظم وأسرع نمو في جسم الإنسان ، حتي أخطر السرطانات وأسرعها نموا لا تنمو مثل نموه ..

إن الرحم الذي يبلغ طوله ٣ بوصات وعرضه بوصتين وسمكه بوصة قبيل الحمل ينقلب كيانه انقلابا تاما أثناء الحمل .. ويتضاعف حجمه أكثر من ثلاثة آلاف مرة .. بينما يتضاعف وزنه بما يحمله في أحشائه مئات المرات .

فإذا ما بلغ الحمل نهايته أو قدر الله له أن لا يتم وأخرج الجنين بالولادة أو السقط .. فإن الرحم يعود ادراجه خلال فترة النفاس إلي ما كان عليه .. يعود صغير الحجم لا يتسع لأكثر من ميليلترين خفيف الوزن لا يزيد عن خمسين جراما .. لا يبلغ طوله أكثر من ثلاث بوصات ولا يخرج من وسط الحوض .. بعد أن ملأ تجويف البطن من القص إلي العانة .. وبعد أن هز كيان المرأة بأكله ..

يعود الرحم ويعود جسم المرأة إلي سابق عهده .. ويعود إلي الدورة الشهرية لا يكل منها ولا يني .. إلا ليخرج إلي دورة جديدة من دورات الحمل والولادة ..

حتي إذا بلغ الكتاب أجله وآن للرحم وللمرأة أن تستريح من هذا العناء قيل للرحم أضمر فيضمر .. وقيل للمبيض توقف عن إفراز بويضاتك فيتوقف .. ولا ترسل هرموناتك المهيجة للأنوثة ولا تلك المختصة بالحمل والأمومة .. فقد آن لهذه المسكينة أن

فإن جعلتهما لازمين تعين إما أن تكون مصدرية . وإسنادهما إلي الأرحام علي المجاز فإنهما لله تعالي أو لما فيها .

* الإعجاز العلمي

تأخذ حظها من الراحة بعد فترة طويلة شاقة من العمل والكد بلغت أربعين عاماً أوتكاد ..فيسمع المبيض ويطيع .ويضمر الرحم ويعود أدراجه أشبه ما يكون برحم الطفلة .. كذلك يضمر المهبل شيئا فشيئا .. ويتوقف المحيض .. ويعرف ذلك بسن اليأس ..

ولا شك أن الانتقال من مرحلة إلي مرحلة أمر ليس باليسير فالتحول من فترة العمل والإنتاج إلي الإحالة علي المعاش أمر ليس بالهين علي جسم المرأة وكيانها .. فيصحب ذلك تغييرات نفسية وجسدية ولكنها سرعان ما تزول بعد أن تستقر في مرحلتها الجديدة ..

ألا تري معي إلي هذه التغييرات العجيبة في الرحم وفي كيان المرأة بأكمله من يوم إلي يوم ومن فترة إلي فترة .. ومن مرحلة في العمر إلي مرحلة ..

إن رحم الطفلة يختلف كل الاختلاف عن رحم الأنثي البالغة .. ورحم الانثي البالغة يتغير شكله وقوامه وتركيبه يوما بعد يوم أثناء الدورة الشهرية .. فإذا حملت المرأة وقع التغيير الأعظم حتي يبلغ غايته التي لا غاية بعدها .. ثم يعود أدراجه بعد الولادة إلي ما كان عليه ..

فإذا ما مضت السنون والأعوام وتصرمت الليالي والأيام وانتهت حياة المرأة التناسلية أخذت جميع هذه الأعضاء في الضمور .. عودا علي بدء .. ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ .

وهكذا تري الرحم يزيد ويغيض يوما بعد يوم ومرحلة بعد مرحلة .. وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثي .. وما تغيض الأرحام وما تزداد . وكل شيء عنده بمقدار ﴾ .

وقد اقتصرنا في القول علي انثي الإنسان . والآية بعد ذاك أوسع وأشمل ليدخل في مدلولها كل أنثي من نبات أو حيوان كبير أو صغير .. وكل رحم من الأرحام سواء كان رحم المرأة أو رحم الحيوانات .. وختام الآية لا يمكن شرحه في مجلدات .. فكل شيء عنده بمقدار من الذرة إلي المجرة .. من النطفة إلي الإنسان ومن الجماد الساكن إلي النبات اليانع إلي الإنسان الناطق .. كل شيء بمقدار .. وكل شيء فيه في مكانه المقدر له وفي وظيفته المنوطة بها ... ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ﴾ وجميع المخلوقات في قبضته وتحت إرادته ﴿ الشمس والقمر بحسبان .. والنجم والشجر يسجدان ﴾ وكل الكون ساجد له مسبح بحمده .. ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ..

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالي ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٩) فإنه تعالي خص كل حادث بوقت وحال معينين ، وهيأ له أسباباً مسوقة إليه تقتضي ذلك .

وقرأ ابن كثير ﴿ هاد ﴾ (١٠) ﴿ ووال ﴾ (١١) ﴿ وواق ﴾ (١٢) ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ (١٣) بالتنوين في الوصل فإذا وقف وقف بالياء في هذه الأحرف الأربعة حيث وقعت لا غير ، والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء .

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ الغائب عن الحس . ﴿ وَالشَّهَادَةِ ﴾ الحاضر له . ﴿ الْكَبِيرُ ﴾ العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شئ . ﴿ الْمُتَعَالِ ﴾ المستعلي علي كل شئ بقدرته ، أو الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالي عنه .

---

(٩) القمر ٤٩ — (١٠) الرعد ٧ — (١١) الرعد ١١

(١٢) الرعد ٣٤ — (١٣) النحل ٩٦

* الإعجاز العلمى

ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ ﴿ أو لم يروا إلي ما خلق الله من شيء يتفيؤوا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون . ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم . ويفعلون ما يؤمرون ﴾ النحل ..

وما يشذ عن هذه القاعدة في هذا الكون العريض إلا جانب واحد من جوانب الإنسان .. المنوط به إيمانه وكفره .. وهو في ذلك يضاد طبيعته ذاتها .. ويضاد فطرته نفسها ففطرة الله الإسلام والإيمان .. ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ ولكن أكثر الناس لا يعلمون .. فيكفرون بأنعم الله وهي عليهم سابغة ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون ﴾

وكان الأجدر بالإنسان أن يستمع إلي صوت فطرته وينسجم معها .. ومع هذا الكون الهائل العريض .. فيسجد لله كما سجدوا ويعترف به كما اعترفوا ويستمد من فضله كما استمدوا فهو الكاسب بذلك والمستفيد والله هو الغني عن شكرنا وعبادتنا . ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي . ويحيي الأرض بعد موتها . وكذلك تخرجون ﴾ .

﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ ﴾ في نفسه . ﴿ وَمَن جَهَرَ بِهِ ﴾ لغيره . ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ﴾ طالب للخفاء في مختبأ بالليل . ﴿ وَسَارِبٌ ﴾ بارز . ﴿ بِالنَّهَارِ ﴾ يراه كل أحد من سَرَب سروباً إذا برز ، وهو عطف علي من أو مستخف علي أن من في معني الاثنين كقوله :

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان (١٤)

كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار ، والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله .

﴿ لَهُ ﴾ لمن أسر أو جهر أو استخفي أو سرب . ﴿ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ ملائكة تعتقب في حفظه ، جمع مُعَقِّبَة من عَقَّبَه مبالغة عَقَبَه إذا جاء علي عقبه كأن بعضهم يعقب بعضاً ، أو لأنهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونها ، أو اعتقب فأدغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة ، أو لأن المراد بالمعقبات جماعات . وقرئ معاقيب جمع معقب أو معقبة علي تعويض الياء من حذف إحدي القافين .

﴿ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ من جوانبه أو من الأعمال ما قدم وأخر . ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ من بأسه متي أذنب بالاستمهال أو الاستغفار له ، أو يحفظونه من المضار ، أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالي . وقد قرئ به ، وقيل من بمعني الباء .

وقيل : من أمر الله صفة ثانية لمعقبات . وقيل : المعقبات الحرس والجلاوزة (١٥) حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالي (١٦) .

---

(١٤) هذا شطر بيت للفرزذق من قصيدة يصف فيها ذئبا اعترضه في مفازة فشاطره الفرزدق زاده وقال في ذلك

فبت أقد الزاد بيني وبينه	علي ضوء نار مرة ودخان
فقلت له لما تكشر ضاحكا	وقائم سيفي من يدي بمكان
تعال فإن عاهدتني لاتخونني	نكن مثل من ياذئب يصطحبان
أأنت امرؤ ياذئب والغدر كنتما	أخيين كانا أرضعا بلبان

والشاهد فيه أن « من » في البيت بمعني اثنين

(١٥) الجلاوزه جمع جلواز وهو الشرطي

(١٦) جاء في الصحيح « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنار ويجتمعون في صلاة

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ﴾ من العافية والنعمة . ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة .

﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ ﴾ فلا راد له فالعامل في إذا ما دل عليه الجواب . ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ ممن يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء ، وفيه دليل على أن خلاف مراد اللهتعالى محال (١٧) .

من الظواهر الكونية

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا ﴾ من أذاه . ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في الغيث وانتصابهما

الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسالهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون »

أخرجه البخاري في كتاب الصلاة – باب فضل صلاة العصر ،وفي كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة من حديث أبي هريرة. وأخرجه النسائي في باب فضل صلاة الجماعة .

وروي ابن كثير في تفسيره حديث : «إن معكم من لايفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم »

(١٧) روي ابن كثير عن ابن أبي حاتم عن إبراهيم قال : أوحي الله إلي نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ولاأهل بيت يكونون علي طاعة الله فيتحولون منها إلي معصية الله إلا حول الله عنهم ما يحبون إلي ما يكرهون ، ثم قال : إن تصديق ذلك في كتاب الله تعالي » ﴿ إن الله لايغير مابقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم ﴾

* الإعجاز العلمي

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا . ﴾

البرد وعواصف البرق والرعد :

قال تعالي :﴿ ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فتري الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾سورة النور ٤٢

والقرآن الكريم قرر في بساطة علمية معجزة أن البرد هو المسئول عن تلك الشحنات الكهربائية التي تسبب عواصف البرق والرعد ، التي كانت من أهم ميادين البحث والتنقيب خلال عشرات السنين ، وظهر في هذا السبيل العديد من النظريات ، حتي انتهي العلماء إلي تلك الحقيقة التي قررها الحكيم الخبير في كتابه منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، ولا يقف الإعجاز العلمي للآية السابقة عند هذا الحد ، بل نجده يربط بين البرد والبرق .

علي العلة بتقدير تلك المضاف . أي إرادة خوف وطمع أو التأويل بالإخافة

* الإعجاز العلمي

والبرق هو انفصال الشحنات الكهربائية داخل السحب .

وعندما يقوي الهواء علي عزل الشحنة السالبة العليا عن الشحنة الموجبة في أسفل يحدث التفريغ الكهربائي علي هيئة برق وينجم عن التسخين الشديد المفاجئ الذي يحدثه البرق في منطقة انبعاثه أن يتمدد الهواء فجأة ويتمزق محدثا الرعد .. وما جلجلة الرعد إلا عملية طبيعية بسبب سلسلة الانعكاسات التي تحدث من قواعد السحب لصوت الرعد الأصلي .. وقد يحدث في بعض العواصف أن يتكرر حدوث البرق داخل السحابة أربعين مرة في الدقيقة الواحدة .. أما إذا حدث التفريغ الكهربائي بين السحابة وأي جسم مرتفع عن سطح الأرض فإنه يسمي صاعقة .

وعندما صورت بالرادار وجد أن السحابة تبدأ بنتف صغيرة تظهر في السماء ثم تتحد كل خليتين أو أكثر مع بعضها البعض لتكون الخلية الكبيرة التي سرعان ما تصبح كالجبل الشامخ وينزل منها المطر .. ومن روائع إعجاز القرآن في هذا الشأن تلك الآية التي نحن بصددها .

وقد دلت التجارب العلمية الحديثة علي أن المكونات الثلجية عندما تنمو أو تنصهر ، تكتسب شحنات كهربائية ، كما تشير الآية السابقة في إيجاز رائع إلي أن أهم أخطار البرق ، الذهاب بالبصر .. والعجيب أن هذا هو ما يعانيه الطيار من أخطار في حالات عواصف الرعد ، لاسيما في المناطق الحارة الرطبة ، حيث تبلغ ومضات البرق في الدقيقة الواحدة أربعين ومضة أو شرارة هائلة ، فيصيبه بفقد البصر . ولا يقوي علي الاستمرار في قيادة طائرته .

أما الصواعق التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في عدة آيات ، مثل قوله تعالي :

﴿ يجعلون أصابعهم في ءاذانهم من الصواعق حذر الموت ﴾ البقرة ١٩

وقوله : ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ الرعد١٣

وقوله : ﴿ مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فصلت ١٣

فقد قرر العلم الحديث أنه إذا ما أصيب شخص بمس من صاعقة ، وجبت المبادرة إلي إجراء التنفس الصناعي له مدة لا تقل عن ساعة ، فقد تعود إليه الحياة من جديد ، إلا أنها مدمرة في عمومها ، يرسلها الله نقمة ينتقم بها ممن يشاء .

والصواعق هي نتيجة التفريغ الكهربائي بين السحب والأرض تصاحب البرق والرعد والسحاب في بعض الأحيان ، وهي بذاتها ذات أثر قاتل في النفس ؛ ولذا كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق يقول : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولاتهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك » . رواه الترمذي والنسائي

والإطماع ، أو الحال من البرق أو المخاطبين علي إضمار ذو ، أو إطلاق المصدر بمعني المفعول أو الفاعل للمالغة . وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه . ﴿ وَيُنشِئُ السَّحَابَ ﴾ الغيم المنسحب في الهواء . ﴿ الثِّقَالَ ﴾ وهو جمع ثقيلة وإنما وصف به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع .

الآيات من ١٣ : ١٥

﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (١٥) ﴾

﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ ﴾ يسبح سامعوه ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله ، أو يدل الرعد بنفسه علي وحدانية الله وكمال قدرته ملتبساً

---

* **الإعجاز العلمى**

أما الرعد الذي ورد ذكره ذكره في القرآن حيث يقول تعالي : ﴿ ويسبح الرعد بحمده ﴾ الرعد ١٣

ويقول : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ البقرة ١٩

والرعد هو ذلك الصوت المفرقع المدوي ، وهو أثر من آثار الناموس الكوني الذي صنعه الله وأيا كانت طبيعته وأسبابه ، فهو دليل صنع الله في هذا الكون .

(يعزو العلماء هدير الرعد المعروف إلى ما يعتري سلسلة الأمواج الصوتية من الانعكاسات من قواعد السحب ومن المرتفعات ونحوها .) وهو يشهد بقدرة الخالق وعظمته ، مما جعل صوت الرعد تسبيحا للحمد ، وقد انضم إلي تسبيح الرعد بحمد الله تسبيح الملائكة من خوفه ومن تعظيمه .

ويقرر العلم الحديث أن صوت الرعد يدفع إلي الخوف والرجاء والتعظيم لقدرة الخالق .. وهذا من الإعجاز في التصوير النفسي الذي أوضحه القرآن من خلال آياته الكونية العظيمة !

بالدلالة علي فضله ونزول رحمته (١٨) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما سئل النبي ﷺ عن الرعد فقال : «**ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب**» (١٩) . ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ** ﴾ من خوف الله تعالي وإجلاله وقيل الضمير للرعد .

﴿ **وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ** ﴾ فيهلكه . ﴿ **وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ** ﴾ حيث يكذبون رسول الله ﷺ فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالألوهية وإعادة الناس ومجازاتهم .

والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل ، والواو إما لعطف الجملة على الجملة أو للحال ، فقد روي أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد (٢٠)

---

(١٨) عن النبي ﷺ أنه كان يقول : «سبحان من يسبح الرعد بحمده» أخرجه الطبري من حديث أبي هريرة ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد موقوفا علي كعب بن مالك وكان النبي ﷺ إذا اشتد الرعد يقول : « اللهم لاتقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك » أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد .

وفي تسبيح الرعد روي الإمام أحمد قال : حدثنا يزيد ، حدثنا إبراهيم بن سعد أخبرني أبي قال : كنت جالسا إلي جنب حميد بن عبد الرحمن في المسجد فمرشيخ من بني غفار فأرسل إليه حميد ، فلما أقبل قال : يا ابن أخي وسع فيما بيني وبينك فإنه قد صحب رسول الله ﷺ ، فجاء حتي جلس فيما بيني وبينه ، فقال له حميد : ماالحديث الذي حدثتني عن رسول الله ﷺ ؟ فقال له الشيخ : سمعت عن شيخ من بني غفار أنه سمع النبي ﷺ يقول «إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك» .

قال ابن كثير في تفسيره والمراد والله أعلم أن نطقها الرعد وضحكها البرق وقال موسي بن عبيدة عن سعد بن إبراهيم قال : يبعث الله الغيث فلا أحسن منه مضحكا ولا آنس منه منطقا ، فضحكه البرق ومنطقه الرعد .

مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٥١٣

(١٩) أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد من رواية بكر بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢٠) لبيد بن ربيعة العامرى ، أسلم وحسن إسلامه وهو صاحب البيت المشهور

ألا كل شئ ماخلا الله باطل ... وكل نعيم لامحالة زائل

وفدا علي رسول الله ﷺ قاصدين لقتله ، فأخذه عامر بالمجادلة ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف ، فتنبه له رسول الله ﷺ وقال : «**اللهم اكفنيهما بما شئت**» . فارسل الله على أربد صاعقة فقتلته ، ورمي عامراً بغدة فمات في بيت سلولية ، وكان يقول : غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ، فنزلت (٢١) .

﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ المماحلة المكايدة لأعدائه ، من محل فلان بفلان إذا كايده وعرضه للهلاك ، ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيلة ، ولعل أصله المحل بمعني القحط . وقيل فعال من المحل بمعني القوة . وقيل : مَفْعَل من الحول أو الحيلة أُعلَّ على غير قياس ، ويعضده أنه قرئ بفتح الميم علي أنه مفعل من حال يحول إذا احتال ، ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلاً في القوة والقدرة كقولهم : فساعدُ الله أشد وموساه أحد .

الدعاء لله حق ودعاء غيره باطل

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد ويدعي إلي عبادته دون غيره ، أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجابه ، ويؤيده ما بعده والحق علي الوجهين ما يناقض الباطل وإضافة الدعوة إليه لما بينهما من الملابسة ، أو علي تأويل دعوة المدعو الحق .

وقيل : الحق هو الله تعالي وكل دعاء إليه دعوة الحق ، والمراد بالجملتين إن كانت الآية في أربد وعامر أن إهلاكهما من حيث لم يشعرا به مَحَال من الله إجابةً لدعوة رسوله ﷺ ، أو دلالة علي أنه علي الحق ، وإن كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة علي مجادلة رسوله الله ﷺ بحلول مَحاله بهم وتهديدهم بإجابة دعاء الرسول ﷺ عليهم ، أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم .

---

(٢١) ذكره السيوطي في لباب النقول فى أسباب النزول وعزاه إلى الطبراني وغيره عن ابن عباس . . .

وروي البزار عن عبد الرحمن بن صحار العيدي بلغه أن النبي ﷺ بعثه إلي جبار يدعوه فقال : أرأيتكم ربكم أذهب هو ؟ أم فضة هو؟ أم لؤلؤ؟ قال : فبينما هويجادلهم إذ بعث الله سحابة فرعدت فأرسل عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه . ونزلت هذه الآية . نقول وقد يتعدد سبب النزول . . .

﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ أي والأصنام الذين يدعوهم المشركون ، فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الأصنام فحذف المفعول لدلالة . ﴿ مِن دُونِه ﴾ عليه . ﴿ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ من الطلبات . ﴿ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ ﴾ إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه . ﴿ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ﴾ يطلب منه أن يبلغه . ﴿ وَمَا هُوَ بِبَالِغِه ﴾ لأنه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر علي إجابته والإتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم . وقيل : شبهوا في قلة جدوي دعائهم لها بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه .

وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين .

﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ في ضياع وخسار وباطل .

كل شئ يسجد لله

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ يحتمل أن يكون السجود علي حقيقته فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين ، طوعاً حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرهاً حال الشدة والضرورة (٢٢) . ﴿ وَظِلالُهُم ﴾ بالعرض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أراده منهم شاءوا أو كرهوا ، وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعاً وكرهاً بالحال أو العلة وقوله : ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أو الحال من الظلال ، وتخصيص الوقتين لأن الظلال إنما تعظم وتكثر فيهما ، والغدو جمع غداة كقنيٍّ جمع قناة ، والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب . وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قد قرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل .

---

(٢٢) مما يدل علي سجود كل شئ لله علي الحقيقة قوله تعالي ﴿ أولم يروا إلي ماخلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ، ولله يسجد ما في السموات والأرض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون ﴾ النحل ٤٨ – ٥٠ .

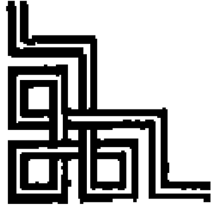
وقوله تعالي ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴾ الإسراء ٤٤ .

إلي آيات أخري تدل علي ذلك

وفي الصحاح أن النبي ﷺ سبح الحصى في يده ، ووضعه في يد أبي بكر فسبح ، ووضعه في يد عمر فسبح ، وسمعه من كان حاضرا »

الآية رقم ١٦

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) ﴾



الله رب كل شئ

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ خالقهما ومتولي أمرهما . ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ أجب عنهم بذلك إذ لا جواب لهم سواه ، ولأنه البين الذي لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به .

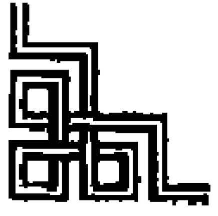
﴿ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ ثم ألزمهم بذلك لأن اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضي العقل . ﴿ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا ﴾ لا يقدرون على أن يجلبوا إليها نفعاً أو يدفعوا عنها ضراً فكيف يستطيعون إنفاع الغير ودفع الضر عنه ، وهو دليل ثان علي ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك . وقيل : المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع علي أحوالكم. ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ الشرك والتوحيد . وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالياء .

﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ بل أجعلوا والهمزة للإنكار وقوله : ﴿ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ﴾ صفة لشركاء داخلة في حكم الإنكار . ﴿ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ خلق الله وخلقهم ، والمعني أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتي يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ، ولكنهم اتخذو شركاء عاجزين لا يقدرون علي ما يقدر عليه الخلق فضلاً عما يقدر عليه الخالق . ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي لا خالق غيره فيشاركه في العبادة ، جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله : ﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ ﴾ المتوحد بالألوهية . ﴿ الْقَهَّارُ ﴾ الغالب علي كل شئ .

الآيات من ١٧ : ٢١

﴿ أنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨) أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) ﴾



من أمثلة القرآن

﴿أنـزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ من السحاب أو من جنب السماء أو من السماء

* الإعجاز العلمى

﴿ أنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا .... ﴾

من كتاب « دنيا الزراعة » للدكتور عبد الرازق نوفل يقول :

علوم الري والصرف

يقرر العلم أن كل ما يروي به الزرع .. أيا كان مصدره المباشر .. إنما هو من ماء المطر .. أو مما يتجمع منه في الأنهار .. حيث يوزع عن طريق الترع والقنوات .. أو حتي ما يخزن في الينابيع وجوف الأرض والآبار .. وهذه الحقيقة الأساسية في علوم الري .. وإنما أوردها القرآن الكريم وكررها في مثل قوله العظيم :

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء﴾ « ٩٩ سورة الأنعام»

فهذا الإطلاق في النص الشريف علي أن ري كل نبات .. إنما هو من ماء المطر .. إنما يقرر هذه الحقيقة العلمية الأولي في علم الري ..

نفسها فإن المبادئ منها . ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ ﴾ أنهار جمع واد وهو الموضع الذي

*** الإعجاز العلمي**

وأما عن أسباب وكيفية نزول المطر من السماء .. فإن ما وصل إليه العلم أخيرا هو ما سبق القرآن الكريم به وإليه منذ عشرات المئات من السنين وذلك في قوله الحكيم بنصه الكريم : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ « ٣٣ سورة الحجر »

فلقد فسرت هذه الآية الشريفة علي أن الرياح لواقح للنبات .. وهذا حق .. وواقع .. وصل إليه العلم في دراسته عن النبات .. إذ ثبت أن هناك نباتات كثيرة الأنواع والاصناف لا يتم تلقيحها إلا بالهواء .. وكثيرا ما يشاهد الجو في غابات الصنوبر أثناء نضج أزهارها بما يشبه الغيوم أو الضباب .. وما هذا إلا من حبوب اللقاح التي يحملها الهواء .. حيث يقوم بتلقيح النباتات .. ولكن المتدبر للآية الشريفة لا يجد فيها أي ذكر للنبات أو الزرع أو الرزق .. أو الأرض .. ولكن فيها ذكر للرياح والسماء والماء الذي يشربه الناس .. مما يشير قطعا إلي اتصال النص الشريف بعملية إنزال الماء بسبب الرياح .. وأن الرياح إنما بسببها يتم إنزال الماء من السماء ..

وهذا ما وصل إليه العلم الحديث .. إذ عندما تتبخر المياه من المسطحات المائية .. وترفع إلي السماء .. بخارا تحمله الرياح .. وتنقله إلي أعلي كل الاتجاهات .. فإن هذا البخار يتكاثف بالتبريد .. وبعد أن تصل حالته إلي ما فوق التشبع تتكون السحب .. وعندما تنموه قطرات الماء بالتكثف والبرودة إلي حد معلوم تتناثر إلي نقط صغيرة لا تلبث أن تكبر بدورها .. وتعود لتتجزأ مرة أخري ..

وهكذا .. وأثناء هذا الانقسام والتفتت فإنها تشحن بالكهرباء السالبة التي تحملها الرياح .. وبعد مدة تصير السحب مشحونة شحنا وافرا بالكهرباء .. وعندما تقترب الشحنتان بعضهما من بعض بواسطة الرياح .. يتم التفريغ الكهربائى .. ويشاهد البرق .. ثم يسمع الرعد .. وهو عبارة عن الموجات الصوتية التي يحدثها الهواء باندفاعه إلي حيث تم التفريغ بالبرق ..

ثم تنزل قطرات الماء في شكل أمطار .. بالقدر الذي أراده الله .. وقد حملها الريح إلي المكان الذي حدده الله سبحانه و تعالي .. وهكذا تقرر الآية الشريفة .. ما وصل إليه العلم .. من توليد الرياح للكهرباء بنوعيها في السحب .. وكيف سببت هي تلقيحها بعضها

يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه ، واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لأن المطر يأتي

* الإعجاز العلمي

ببعض فأنزلت المطر وقد وردت الآيات في أكثر من سورة تشير وتؤكد تلازم السحب والمطر والرياح في مثل النص الشريف .

﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتي إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتي لعلكم تذكرون ﴾ « ٥٧ سورة الأعراف »

فالآية الكريمة إنما تحمل أكثر من حقيقة علمية .. تلقيح النباتات .. وتلقيح السحب .. وما يتبع كل ذلك من حقائق وأصول ونتائج علمية .

والمتدبر لآيات خلق الأرض بنصها الكريم : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ « ٣٠ - ٣١ سورة النازعات »

يري أنها تقرر أن ماء الأرض .. قد حدد أمره .. وتقرر حجمه .. فما أخرج منها هو ماخصص لها .. وإلي تلك الحقيقة تشير آيات كريمة .. في القرآن الكريم . فنجد النص الحكيم : ﴿ وأنزلنا من السماء الماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا علي ذهاب به لقادرون ﴾ « ١٨ سورة المؤمنون »

أي أن ماء الأرض ومصدره مطر السماء .. إنما ينزل بقدر محكوم .. ويسكنه الله في الأرض . بما نشاهده من مياه جوفيه .. قد تخرج بالينابيع والآبار .. وقد تستقر ساكنة إلي الوقت المعلوم .. لا تضيع منه قطرة .. ولا تتبدد منه ذرة .. والله وحده هو القادر علي أن يذهب هذا الماء إلي حيث لا يعلم الإنسان .

ونجد النص العظيم : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾ « ١٧ سورة الرعد »

فكل الأنهار .. وما تجري فيه المياه .. إنما نزل ماؤه من السماء .. بقدر .. هو ما سبق أن قدره وقرره الله .. لكميات المياه في كل مجري .. وكل واد .. سبحانه وتعالي لا إله إلا هو ..

ويأتي العلم بعد أن اتسعت آفاقه واستحدث كل جديد في قياساته .. ويقرر أن دورة المياه الأرضية .. ثابتة .. مادامت وجدت الحياة .. وأنه لا سبيل إلي زيادة كمياتها فإنها =

علي تناوب بين البقاع . ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ بمقدارها الذي علم الله تعالي أنه نافع غير

* الإعجاز العلمي

تحصل علي حاجاتها .. دون أن يتخلف من الماء ما تحتاج إلي التخلص منه . وبذلك يزداد إنتاج هذه الأرض .. إنتاجا وفيرا وغزيرا .. يصل إلي الضعفين ..

وهذه الحقيقة العلمية التي أخذت بها كل دول العالم .. واهتمت بها .. بما يبدو من إنشائها للمصارف بأنواعها .. رغم ارتفاع نفقات إنشاء المصارف عن قنوات الري .. وما تحتاجه المصارف من استمرار التطهير والخدمة .. لقد وضعت أمور الصرف موضع الاهتمام الرئيسي في عمليات الزراعة .. كما اتجهت إلي العمل علي تخفيض مستوي الماء الأرضي بشتي ومختلف الوسائل .. هذه الحقيقة الحديثة في علوم الري والصرف قد سبق بها القرآن الكريم في نصه الحكيم : ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ﴾ « ٢٦٥ سورة البقرة »

ولقد أشارت التجارب الزراعية إلي أن انخفاض مستوي الماء الأرضي يشجع النبات علي زيادة نموات شعيراته الجذرية وتشبعها وتعمقها .. وهذه تزيد من إنتاج النبات فتعدد الأسباب التي يتضاعف بها إنتاج النبات علي الأرض العالية .. أي المرتفعة .

ومن الحقائق العلمية التي تتضمنها الآية الكريمة . أنها قطرة .. ولا أن ينقص منها حبة .. فالماء يتبخر من المسطحات المائية .. ليعود في شكل أمطار .. يشرب منها الإنسان والحيوان .. ويسقي بها الزرع والنبات .. وما تستهلكه الأحياء .. كل الأحياء من ماء .. إنما يعود إلي الأرض ثانية .. كاملا غير منقوص .. في مخلفاتها .. أو في بقايا أجسامها .. وأن جبال الجليد والثلوج عندما تسيل فإنها لا تضيف جديدا علي الماء .. لأنها أصلا من ماء الأرض .. وأخذ صورة الجبال المتجمدة .. هذه الدورة المائية الثابتة والمقدرة قد سبقت بها وإليها آيات القرآن الكريم .

وأهم ما تحرص علوم الري والصرف الحديثة علي التوجه به والتنمية إليه الاهتمام بالصرف .. أكثر من الاهتمام بالري .. وذلك لما لارتفاع مستوي الماء الأرضي من أثر سيء علي قدرة الأرض وطاقتها علي الإنتاج .. وعلي سلامة ونوعية هذا الإنتاج بل وعلي درجة جودته .. وقدر مقاومته للآفات والأمراض أثناء نموه .. ومدي تحمله للحفظ والتخزين بعد نضجه .. لذلك يقرر العلم الحديث أن الأرض كلما كانت مرتفعة أي منخفضة مستوي الماء =

ضار أو بمقدارها في الصغر والكبر . ﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا ﴾ رفعه والزبد وضر الغليان . ﴿ رَّابِيًا ﴾ عالياً . ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ﴾ يعم الفلزات(٢٣) كالذهب والفضة والحديد والنحاس علي وجه التهاون بها إظهاراً لكبريائه . ﴿ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ ﴾ أي طلب حلي . ﴿ أَوْ مَتَاعٍ ﴾ كالأواني وآلات الحرب والحرث، والمقصود من ذلك بيان منافعها . ﴿ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ﴾ أي ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد

(٢٣) الفلزات : جمع فلز بتشديد الزاي وقبلها مكسوران – هو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهرالأرض

* الإعجاز العلمي

الأرضي . .كانت أفضل في الزراعة . .

ولذلك فإن ارتفاع الأرض وبالتالي انخفاض مستوي الماء الأرضي . . هو الذي يحدد قدر وقيمة الأرض . . فالأرض المرتفعة لو رويت ريا غزيرا فإنها تأخذ منه كفايتها ثم ينصرف الباقي . . كله تماما . . ولو رويت ريا خفيفا . . قد اوردت وسيلة الري من الأمطار مباشرة . . أما بالمطر الغزير أو بالخفيف بالوابل أو الطل . ويصل العلم الزراعي الحديث في الآونة الأخيرة إلي أنه يوجد بالجو ما يسمي بالعناصر النادرة . . والتي لم يعرف العلم عنها شيئا . . إلا أنه يقاس اثرها . . وتعرف نتائجها . .

فهذه العناصر إما إنها تذوب في مياه الأمطار . . أو تحملها معها . . أيا كانت درجة وكثافة وقوة الأمطار . . وهذه العناصر النادرة بسقوطها علي النبات . . إنما يستفيد منها مباشرة . . عن طريق مسامه . . وثغوره . . فيتضاعف نموه أكثر مما يسروي من الانهار والقنوات . . التي قد تهوي هذه العناصر النادرة إلي قاعها . . أو تتخلف علي شواطئها .

وهذا ما تتجه إليه الزراعة الحديثة بتسميد النبات عن طريق الرش عليه . . بعد أن ثبت بالتحليل أن أكبر نسبة من عناصر التسميد مع مياه الري . . إلي مياه الصرف دون أن يستفيد منها النبات .

الماء وهو خبثه ، ومن للابتداء أو للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على أن الضمير للناس وإضماره للعلم به .

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾ مثل الحق والباطل ، فإنه مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية علي قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ، ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلي العيون والقني والآبار ، وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الأمتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة ، والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ يجفأ به أي يرمي به السبيل والفلز المذاب وانتصابه علي الحال وقرئ جفالاً والمعني واحد .
﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾ كالماء وخلاصة الفلز . ﴿ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ينتفع به أهلها . ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ لإيضاح المشتبهات .

عاقبة المستجيب وغير المستجيب

﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا ﴾ للمؤمنين الذين استجابوا . ﴿ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الاستجابة الحسني . ﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ ﴾ وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب علي أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما . وقيل للذين استجابوا خبر الحسني وهي المثوبة أو الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره . ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ﴾ وهو على الأول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين . ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ ﴾ وهو المناقشة فيه بأن يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شئ . ﴿ وَمَأْوَاهُمْ ﴾ مرجعهم .﴿ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ المستقر والمخصوص بالذم محذوف .

أولو الألباب يعلمون أن القرآن حق

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ ﴾ فيستجيب . ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ﴾ عمي القلب لا يستبصر فيستجيب ، والهمزة لإنكار أن تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل . ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الإلف ومعارضة الوهم.

أوصاف أولي الألباب

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلي ، أو ما عهد الله تعالي عليهم في كتبه . ﴿ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالي وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص .

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس . ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ وعيده عموماً . ﴿ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ خصوصاً فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا .

الآيات من ٢٢ : ٢٧

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ (٢٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧) ﴾

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ علي ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى . ﴿ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ طلباً لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما . ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ﴾ المفروضة . ﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه . ﴿ سِرًّا ﴾ لمن لم يعرف بالمال . ﴿ وَعَلانِيَةً ﴾ لمن عرف به . ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ ويدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان ، أو يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها . ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي

الجنة، والجملة خبر الموصولات إن رفعت بالابتداء وإن جعلت صفات لأولي الألباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات .

مكافاة طيبة لهؤلاء

﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ** ﴾ بدل من عقبي الدار أو مبتدأ خبره . ﴿ **يَدْخُلُونَهَا** ﴾ والعدن الإقامة أي جنات يقيمون فيها ، وقيل هو بطنان الجنة . ﴿ **وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ** ﴾ عطف على المرفوع في يدخلون ، وإنما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه ، والمعني أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لهم وتعظيماً لشأنهم ، وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة ، أو أن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهن ، وفي التقييد بالصلاح دلالة علي أن مجرد الأنساب لا تنفع . ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ** ﴾ من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين .

﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُم** ﴾ بشارة بدوام السلامة . ﴿ **بِمَا صَبَرْتُمْ** ﴾ متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بسلام ، فإن الخبر فاصل والباء للسببية أو للبدلية . ﴿ **فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ (٢٤) .

وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها إلي الفاء وبغيره .

حال الأشقياء وصفاتهم

﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ** ﴾ يعني مقابلي الأولين . ﴿ **مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ** ﴾ من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول . ﴿ **وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ** ﴾ بالظلم وتهييج الفتن (٢٥) ﴿ **أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ**

---

(٢٤) ذكر ابن كثير في تفسيره أن النبي ﷺ كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول فيقول لهم : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار.

(٢٥) من الآثام التي حذر الإسلام منها قطيعة الرحم وقد وردت آثار كثيرة في ذلك ومن ذلك ماروه الراغب الأصبهاني في الترغيب والترهيب ، وعزاه إلي عبد الله بن أوفي قال : كنا جلوسا عشية عرفة عند رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : « لايجالسني من أمسي

الدّار﴾ عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبي الدار .

الرزق بيد الله يبسطه لمن يشاء ويقدره لمن يشاء

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الـرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ يوسعه ويضيقه . ﴿ وَفَرِحُوا ﴾ أي أهل مكة . ﴿ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ بما بسط لهم في الدنيا . ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الـدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ ﴾ أي في جنب الآخرة . ﴿ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾ إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي (٢٦) .

والمعني أنهم أشروا (٢٧) بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال .

الكفار لا يكفون عن طلب الآيات

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات . ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ أقبل إلي الحق

قاطع رحم ، فليقم عنا » فلم يقم أحد إلا رجل كان من أقصي الحلقة ، فمكث غير بعيد ثم جاء ، فقال له رسول الله ﷺ : « مالك لم يقم أحد من الحلقة غيرك ؟ » قال : يانبي الله سمعت الذي قلت ، فأتيت خالة لي كانت تصارمني ، أي تقاطعني – فقالت ماجاء بك ؟ ما هذا دأبك ؟فأخبرتها بالذي قلت فاستغفرت لي واستغفرت لها ، فقال النبي ﷺ –« أحسنت ، اجلس ، ألا إن الرحمة لاتنزل علي قوم فيهم قاطع رحم » .

(٢٦) كان النبي ﷺ المثل الأعلي في الزهد والانصراف عن طلب الدنيا إلي الآخرة ، ومما يؤثر في ذلك وأورده الشيخان في صحيحيهما من حديث الاسود بن قيس قال : سمعت جندبا قال : دخل عمر رضي الله عنه علي النبي ﷺ وهو علي حصير وقد أثر بجنبيه الشريط ، فبكي عمر رضي الله تعالي عنه : فقال النبي ﷺ : « ما يبكيك ياعمر ؟ قال : ذكرت كسري وقيصر وماكانا فيه من الدنيا ، وأنت رسول الله قد أثر بجنبيك الشريط فقال النبي ﷺ : « أولئك عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا ، ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا في الآخرة » .

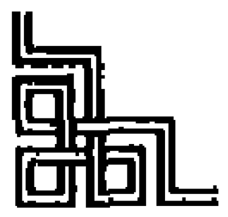
وروي الإمام أحمد عن المستورد أخي بني فهر قال : قال رسول الله ﷺ « مالدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم ، فلينظر بما ترجع » وأشار إلي السبابة، ذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه إلي مسلم في صحيحه .

(٢٧) أشروا : بطروا واستكبروا .

ورجع عن العناد ، وهو جواب يجري مجري التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء ممن كان علي صفتكم ، فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية ، ويهدي إليه من أناب بما جئتم به بل بأدني منه من الآيات (٢٨) .

الآيات من ٢٨ : ٣١

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩) كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) ﴾



الذكر يطمئن القلب

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بدل من أو خبر مبتدأ محذوف . ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أنساً به واعتماداً عليه ورجاء منه ، أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته ، أو بذكر دلائله الدالة علي وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوي المعجزات . ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ تسكن إليه (٢٩) .

---

(٢٨) قيل في سبب نزول هذه الآية : أن الله أوحي إلي رسوله ﷺ أن يحول لهم الصفا ذهبا، وأن يجري لهم ينبوعا ، وأن يزيح الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروج وبساتين : إن شئت يامحمد أعطيتهم ذلك فإن كفروا أعذبهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة، فقال ﷺ : « بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة » ولهذا قال لرسول ﷺ :﴿ قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب ﴾ تفسير ابن كثير.

(٢٩) مما يدل علي أن ذكر الله تطمئن به القلوب قوله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك عنه « ذكر

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ مبتدأ خبره . ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ وهو فعلي من الطيب قلبت ياؤه واواً لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفي ، ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ . ﴿ وَحُسْنُ مَئَابٍ ﴾ بالنصب .

بعثة الرسل في أممهم

﴿ كَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك يعني إرسال الرسل قبلك ﴿ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا ﴾ تقدمتها . ﴿ أُمَمٌ ﴾ أرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إليهم . ﴿ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحيناه إليك . ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته ، فلم يشكروا نعمه وخصوصاً ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم . وقيل نزلت في مشركي أهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن . ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي ﴾ أي الرحمن خالقي ومتولي أمري ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا مستحق للعبادة سواه . ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ في نصرتي عليكم . ﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ مرجعي ومرجعكم .

عظمة القرآن

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن ، أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أي : ولو أن كتاباً زعزعت به الجبال عن مقارها . ﴿ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ﴾ تصدعت من خشية الله عند قراءته أو شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً . ﴿ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ﴾ فتسمع فتقرؤه ، أو فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير

الله علم الإيمان ، وبراءة من النفاق ، وحصن من الشيطان ، وحرز من النار »

تنبيه الغلفلين ص ٣٠٩ .

وروي البيهقي في الشعب برقم ٥٢٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لكل شئ صقال وصقال القلب ذكر الله تعالي »

والإنذار ، أو لما آمنوه به كقوله ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ﴾ (٣٠) الآية .

وقيل : إن قريشاً قالوا يا محمد إن سرك أن نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتي تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع ، أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلي الشام، أو ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك (٣١) ، فنزلت وعلي هذا فتقطيع الأرض قطعها بالسير .

وقيل : الجواب مقدم وهو قوله ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لا شتمال الموتي علي المذكر الحقيقي . ﴿ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ بل لله القدرة علي كل شئ وهو إضراب عما تضمنته لو من معني النفي أي : بل الله قادر علي الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك ، لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم ، وذهب أكثرهم إلي أن معناه أفلم يعلم ، لما روي أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين قرءوا أفلم يتبين ، وهو تفسيره،وإنما استعمل اليأس بمعني العلم لأنه مسبب عن العلم ، فان الميئوس عنه لا يكون إلا معلوما ولذلك علقه بقوله : ﴿ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ فان معناه نفي هدي بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم ، وهو علي الأول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم علماً منهم أن لو يشاء الله لهدي الناس جميعاً أو بآمنوا .

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا ﴾ من الكفر وسوء الأعمال . ﴿ قَارِعَةٌ ﴾ داهية تقرعم وتقلقهم . ﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ فيفزعون منها ويتطاير إليهم شررها .

وقيل : الآية في كفار مكة فإنهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله ﷺ ، فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا يزال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم ، وعلي هذا يجوز أن يكون (تحل) خطاباً للرسول عليه الصلاة والسلام

(٣٠) الأنعام ١١١

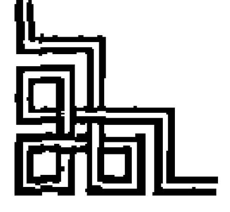
(٣١) ذكره السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول بلفظ مقارب وعزاه إلي الطبراني وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وذكر رواية أخري عن ابن أبي حاتم وابن مردويه عن عطية العوفي بمثلها .

فإنه حلَّ بجيشه قريباً من دارهم عام الحديبية . ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ﴾ الموت أو القيامة أو فتح مكة . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ لا متناع الكذب في كلامه .

الآيات من ٣٢ : ٣٤

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤) ﴾



عاقبة المستهزئين بالرسل

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ . ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه ، والإملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن . ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ أي عقابي إياهم .

لا نجاة من عذاب الآخرة إلا بالإيمان

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ ﴾ رقيب عليها ﴿ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ من خير أو شر لا يخفي عليه شئ من أعمالهم ولا يفوت عنده شئ من جزائهم ، والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك .

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ استئناف أو عطف على كسبت إن جعلت ما مصدرية، أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه علي أنه المستحق للعبادة وقوله : ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ تنبيه علي أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها ، والمعني صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة . ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ ﴾ بل أتنبئونه . وقرئ تنبئونه بالتخفيف . ﴿ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ ﴾ بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم، أو بصفات لهم يستحقونها لأجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء . ﴿ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ﴾ أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معني كتسمية الزنجي

كافوراً وهذا احتجاج بليغ علي أسلوب عجيب ينادي علي نفسه بالإعجاز . ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ ﴾ تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها حقاً ، أو كيدهم للإسلام بشركهم . ﴿ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴾ سبيل الحق ، وقرأ ابن كثير . ونافع وأبو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أي وصدوا الناس عن الإيمان ، وقرئ بالكسر وصد بالتنوين . ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ ﴾ يخذله . ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ يوفقه للهدي .

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب. ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ ﴾ لشدته ودوامه . ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ ﴾ من عذابه أو من رحمته . ﴿ مِن وَاقٍ ﴾ حافظ .

الآيات من ٣٥ : ٣٧

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥) وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ (٣٦) وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ (٣٧) ﴾

التشويق إلي الجنة

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ صفتها التي هي مثل في الغرابة ، وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره . ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ علي طريقة قولك صفة زيد أسمر ، أو علي حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار ، أو علي زيادة المثل وهو علي قول سيبويه حال من العائد أو المحذوف أو من الصلة . ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾ لا ينقطع ثمرها (٣٢) . ﴿ وَظِلُّهَا ﴾ أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا

(٣٢) جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في صلاة الكسوف « .. قالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك هذا ، ثم رأيناك تكعكعت ، فقال : «إني رأيت الجنة – أو أريت الجنة – فتناولت منها عنقودا ، ولو أخذته لأكلتم منه

بالشمس . ﴿ تلْكَ ﴾ أي الجنة الموصوفة . ﴿ عقْبى الَّذينَ اتَّقَوْا ﴾ مآلهم ومنتهي أمرهم . ﴿ وَّعُقْبى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ لا غير ، وفي ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط الكافرين .

موقف أهل الكتاب من القرآن

﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكتَابَ يَفْرَحُونَ بمَا أُنزلَ إلَيْكَ ﴾ يعني المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ، ومن آمن من النصاري وهم ثمانون رجلاً : أربعون بنجران ، وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة ، أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم . ﴿ وَمنَ الأَحْزَابِ ﴾ يعني كفرتهم الذين تحزبوا علي رسول الله ﷺ بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه ، والسيد والعاقب (٣٣) وأشياعهما . ﴿ مَن يُنكرُ بَعْضَهُ ﴾ وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها .

﴿ قُلْ إنَّمَا أُمرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْركَ به ﴾ جواب المنكرين ، أي قل لهم : إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وأوحده ، وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره ، وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام . وقرئ ولا أشرك بالرفع على الاستئناف . ﴿ إلَيْه أَدْعُو ﴾ لا إلي غيره ﴿ وَإلَيْه مَئَاب ﴾ وإليه مرجعي للجزاء لا إلي غيره ، وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء ، وأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معني لانكاركم المخالفة فيه .

مابقيت الدنيا » .

وروي أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها ، اقرءوا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾ وفي الجنة مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر علي قلب بشر ، اقرءوا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ ولموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومافيها ، اقرءوا إن شئتم ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾

– وهذا حديث متفق عليه رواه الشيخان ، وانظره في تنبيه الغافلين ص ٥١

(٣٣) السيد والعاقب من نصاري نجران

نزول القرآن باللسان العربي

﴿ وكَذَلَكَ ﴾ ومثل ذلك الإنزال المشتمل علي أصول الديانات المجمع عليها . ﴿ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا ﴾ يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة . ﴿ عَرَبِيًّا ﴾ مترجماً بلسان العرب ، ليسهل لهم فهمه وحفظه ، وانتصابه علي الحال .

﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم ﴾ التي يدعونك إليها ، كتقرير دينهم والصلاة إلي قبلتهم بعد ما حولت عنها . ﴿ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ بنسخ ذلك . ﴿ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ ﴾ ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لأطماعهم وتهييج للمؤمنين علي الثبات في دينهم .

الآيات من ٣٨ : ٤٣

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣) ﴾

الرسل بشر من الناس ميزهم الله على غيرهم

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ ﴾ بشراً مثلك . ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ نساء وأولاداً كما هي لك . ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ ﴾ وما يصح له ولم يكن في وسعه . ﴿ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ ﴾ تقترح عليه وحكم يلتمس منه . ﴿ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فإنه الملئ بذلك . ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ لكل وقت وأمد حكم يكتب علي العباد علي ما يقتضيه استصلاحهم .

﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ ينسخ ما يستصوب نسخة . ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ ما تقتضيه

حكمته . وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها . وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتاً أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه . وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين(٣٤) وقيل يمحو الفاسدات الكائنات . وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد . ﴿ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه (٣٥) .

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ وكيفما دارت الحال أريناك بعض ما أوعدناهم أو توفيناك قبله ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾ لا غير . ﴿ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ للمجازاة لا عليك فلا تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فإنا فاعلون له وهذا طلائعه .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ ﴾ أرض الكفرة . ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ بما نفتحه علي المسلمين منها . ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشئ بالإبطال ، ومنه قيل لصاحب الحق : معقب ، لأنه يقفو غريمة بالاقتضاء ، والمعني أنه حكم للإسلام بالإقبال وعلي الكفار بالإدبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ، ومحل لا مع المنفي النصب علي الحال أي يحكم نافذاً حكمه . ﴿ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والإجلاء في الدنيا .

﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ بأنبيائهم والمؤمنين بهم منهم . ﴿ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً ﴾ إذ لا يؤبه بمكر دون مكره فإنه القادر علي ما هو المقصود منه دون غيره . ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ فيعد جزاءها . ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ من الحزبين، حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه ، وهذا كالتفسير لمكر الله تعالي بهم ، واللام تدل على أن المراد بالعقبي العاقبة المحمودة .

---

(٣٤) مما يشير إلي المحو والإثبات قوله ﷺ فيما رواه أصحاب الصحاح : « إن صلة الرحم تزيد في العمر » وقوله ﷺ :« إن الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض ولا يرد القضاء إلا الدعاء»

وروي الإمام أحمد عن ثوبان : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » تفسير ابن كثير.

(٣٥) أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : قالت قريش حين نزل قوله تعالي ﴿ وما كان

مع ما في الإضافة إلى الدار كما عرفت . وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكافر على إرادة الجنس ، وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله وسيعلم من أعلمه إذا أخبره .

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً ﴾ قيل : المراد بهم رؤساء اليهود . ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ فإنه أظهر من الأدلة علي رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها . ﴿ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز ، أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه ، أو علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالي ، أي كفي بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ إلا هو شهيداً بيننا فيخزي الكاذب منا ، ويؤيده قراءة من قرأ ومِنْ عنده بالكسر ، وعلْمُ الكتابُ . وعلي الأول مرتفع بالظرف فإنه معتمد علي الموصول ، ويجوز أن يكون مبتدأو الظرف خبره ، وهو متعين علي الثاني (٣٦) . وقرئ ومن عنده عُلِمَ الكتابُ علي الحرف والبناء للمفعول .

فضل سورة الرعد

عن رسول الله ﷺ «**من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضي وكل سحاب يكون إلي يوم القيامة من الموفين بعهد الله**»(٣٧) .

لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾ مانراك يامحمد تملك من شئ ، لقد فرغ من الأمر فأنزل الله تعالي ﴿ يمحو الله مايشاء ويثبت . . ﴾ لباب النقول للسيوطي – سورة الرعد .

(٣٦) عبارة الكشاف حول ماقاله المؤلف هي . نذكرها لوضوحها : فإن قلت : بم ارتفع علمُ الكتاب ؟

قلت : في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلْمُ بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا ، لأن الظرف إذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده علي الموصول ، فعمل عمل الفعل، كقولك ، مررت بالذي في الدار أخوه ، فأخوه فاعل ،كما تقول : الذي استقر في الدار أخوه .

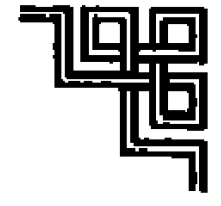
وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء .

(٣٧) أورده الزمخشري في الكشاف بدون إسناد .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة إبراهيم عليه السلام مكية (١) وهي اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٣

﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾

الهدف من نزول القرآن

﴿ الَر كِتَابٌ ﴾أي هو كتاب ﴿ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ ﴾ بدعائك إياهم إلي ما تضمنه . ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ ﴾ من أنواع الضلال . ﴿ إِلَى النُّورِ ﴾ إلي الهدي . ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب ، وهو صلة لتخرج أو حال من فاعله أو مفعوله . ﴿ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ بدل من قوله ﴿ إِلَى النُّورِ ﴾ بتكرير العامل ، أو استئناف علي أنه جواب لمن يسأل عنه ، وإضافة الصراط إلي الله تعالي إما لأنه مقصدهُ أو المظهرُ له ، وتخصيص الوصفين للتنبيه علي أنه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله .

﴿ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ علي قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر ، أو الله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته وعلي قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لأنه كالعلم لاختصاصه بالمعبود علي الحق .

---

(١) في تفسير ابن كثير والكشاف : هي مكية ما عدا آيتي ٢٨ ، ٢٩ فمدنيتان وهما قوله تعالي ﴿ ألم تر إلي الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار، جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ قال السيوطي في لباب النقول :نزلت الآية ٢٨ في الذين قتلوا يوم بدر من الكفار وعزاه إلي ابن جرير عن عطاء بن يسار والآية الثانية متعلقة بها .

وعيد الكافرين به

﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلي النور ، والويل نقيض الوأل وهو النجاة ، وأصله النصب لأنه مصدر إلا أنه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لإفادة الثبات .

﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾ يختارونها عليها فإن المختار للشئ يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها من غيره . ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بتعويق الناس عن الإيمان وقرئ ويصدون من أصده وهو منقول من صد صدودا إذا تنكب وليس فصيحا ، لأن في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة . ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه ، فحذف الجار وأوصل الفعل إلي الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب علي الذم والرفع عليه أو علي أنه مبتدأ خبره . ﴿ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ ﴾ أي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل ، والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة ، أو للأمر الذي به الضلال فوصف به لملابسته .

الآيات من ٤ : ٧

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) ﴾

كل رسول أرسل بلسان قومه

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ إلا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث

فيهم . ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ما أمروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ، ثم ينقلوه ويترجموه إلي غيرهم فإنهم أولي الناس إليه بأن يدعوهم وأحق بأن ينذرهم ، ولذلك أمر النبي ﷺ بإنذار عشيرته أولا ، ولو نزل علي من بعث إلي أمم مختلفة كتب علي ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الإعجاز ، لكن أدي إلي اختلاف الكلمة وإضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها ، وما في أتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب . وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ، ولسن بضمتين وضمة وسكون علي الجمع كعمد وعمد .

وقيل : الضمير في قومه لمحمد ﷺ وأن الله تعالي أنزل الكتب كلها بالعربية ، ثم ترجمها جبريل عليه السلام أو كل نبي بلغة المنزل عليهم ، وذلك ليس بصحيح يرده قوله ﴿ ليبين لهم ﴾ فإنه ضمير القوم ، والتوراة والإنجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب . ﴿ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ ﴾ فيخذله عن الإيمان . ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ بالتوفيق له . ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ فلا يغلب علي مشيئته . ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ الذي لا يضل ولا يهدي إلا لحكمة .

إشارة إلي رسالة موسي إلي قومه

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ يعني اليد والعصا وسائر معجزاته . ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ بمعني أى أخرج ، لأن في الإرسال معني القول ، أو بأن أخرج فإن صيغ الأفعال سواء في الدلالة علي المصدر ، فيصح أن توصل بها أن الناصبة . ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ بوقائعه التي وقعت علي الأمم الدارجة ، وأيام العرب : حروبها . وقيل بنعمائه وبلائه .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ يصبر علي بلائه ويشكر علي نعمائه، فإنه إذا سمع بما أنزل علي من قبل من البلاء وأفيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر . وقيل : المراد لكل مؤمن وإنما عبر عنه بذلك تنبيها علي أن الصبر والشكر عنوان المؤمن .(٢)

---

(٢) روي في الصحيح : « إن أمر المؤمن كله عجب ،لايقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له ، إن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له » .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي اذكروا نعمته عليكم وقت إنجائه إياكم ، ويجوز أن ينتصب بعليكم إن جعلت مستقرة غير صلة للنعمة ، وذلك إذا أريد به العطية دون الأنعام ، ويجوز أن يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال . ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ أحوال من آل فرعون ، أو من ضمير المخاطبين ، والمراد بالعذاب ها هنا غير المراد به في سورة البقرة والأعراف (٣) لأنه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ، ومعطوف عليه التذبيح ها هنا ، وهو إما جنس العذاب أو استعبادهم أو استعمالهم بالأعمال الشاقة . ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم ﴾ من حيث إنه بإقدار الله إياهم وإمهالهم فيه . ﴿ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ابتلاء منه ، ويجوز أن تكون الإشارة . إلي الإنجاء والمراد بالبلاء النعمة .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ أيضا من كلام موسي عليه الصلاة والسلام ، وتأذن بمعني آذن كتوعد وأوعد غير أنه أبلغ لما في التفعل من معني التكلف والمبالغة . ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾ يا بني إسرائيل ما أنعمت عليكم من الإنجاء وغيره بالإيمان والعمل الصالح . ﴿ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ نعمة إلي نعمة . ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ ما أنعمت عليكم . ﴿ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ فلعلي أعذبكم علي الكفران عذابا شديدا ومن عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد ، والجملة مقول قول مقدر أو مفعول تأذن علي أنه جار مجري قال لأنه ضرب منه .

الآيات من ٨ : ٩

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) ﴾

---

(٣) في سورة البقرة آية رقم ٤٩ وفي سورة الأعراف آية رقم ١٤١ .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ من الثقلين . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ ﴾ عن شكركم .

﴿ حَمِيدٌ ﴾ مستحق للحمد في ذاته ، محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات ، فما ضررتم بالكفر إلا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد الأنعام وعرضتموها للعذاب الشديد .

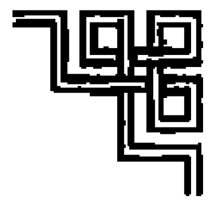
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ من كلام موسي عليه الصلاة والسلام أو كلام مبتدأ من الله ﴿ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ جملة وقعت اعتراضا ، أو الذين من بعدهم عطف علي ما قبله ولا يعلمهم اعتراض ، والمعني أنهم لكثرتهم لا يعلم عددهم إلا الله ، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله تعالي عنه كذب النسابون . ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل عليها الصلاة والسلام كقوله تعالي ﴿ عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ﴾ (٤) . أو وضعوها علهيا تعجبا منه أو استهزاء عليه ، كمن غلبه الضحك ، أو إسكاتا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرا لهم بإطباق الأفواه ، أو أشاروا بها إلي ألسنتهم وما نطقت به من قولهم ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا ﴾ تنبيها علي أن لا جواب لهم ، أو ردوها في أفواه الأنبياء يمنعونهم من التكلم وعلي هذا يحتمل أن يكون تمثيلا .

وقيل : الأيدي بمعني الأيادي أي ردوا أيادي الأنبياء التي هي مواعظهم وما أوحي إليهم من الحكم والشرائع في أفواههم ، لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها إلي حيث جاءت منه .

﴿ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ ﴾ علي زعمكم ﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ ﴾ من الإيمان وقرئ تدعونا بالإدغام . ﴿ مُرِيبٍ ﴾ موقع في الريبة أو ذي ريبة وهي قلق النفس وأن لا تطمئن إلي الشئ .

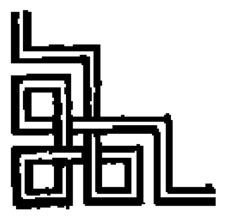
---

(٤) آل عمران ١١٩



الآيات من ١٠ : ١١

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ⑩ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ⑪ ﴾



حوار بين الرسل والمشركين

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾ أدخلت همزة الإنكار علي الظرف لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك ، اى إنما ندعوكم إلي الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه ، وأشاروا في ذلك بقولهم : ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾وهو صفة أو بدل ، وشك مرتفع بالظرف . ﴿ يَدْعُوكُمْ ﴾ إلي الإيمان ببعثه إيانا . ﴿ لِيَغْفِرَ لَكُم ﴾ أو يدعوكم إلي المغفرة كقولك : دعوته لينصرني ، علي إقامة المفعول له مقام المفعول به . ﴿ مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالي ، فإن الإسلام يجبه [٥] دون المظالم ، وقيل : جئ بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ، ولعل المعني فيه أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة علي الإيمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم . ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلي وقت سماه الله تعالي وجعله آخر أعماركم .

﴿ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا؟ ولو شاء الله أن يبعث إلي البشر رسلا لبعث من جنس أفضل .

﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ بهذه الدعوي . ﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ يدل علي فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية ، أو علي صحة

(٥) يَجُبُّه : يدفعه

ادعائكم النبوة ، فكأنهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية أخري تعنتا ولجاجا .

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم ، وفيه دليل علي أن النبوة عطائية وأن ترجيح بعض الجائزات علي بعض بمشيئة الله تعالي . ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي ليس إلينا الإتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتي نأتي بما اقترحتموه ، وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالي فيخص كل نبي بنوع من الآيات . ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فلنتوكل عليه في الصبر علي معاندتكم ومعاداتكم، عمموا الأمر للإشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا ألا تري قوله تعالي :

الآيات من ١٢ : ١٥

﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) ﴾

﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾ أى : أي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه . ﴿ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ التي بها نعرفه ونعلم أن الأمور كلها بيده . وقرأ أبو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت . ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ﴾ جواب قسم محذوف أكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم . ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ فليثبت المتوكلون علي ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن إيمانهم .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ حلفوا علي أن يكون أحد الأمرين ، إما إخراجهم للرسل أو عودهم إلي ملتهم ،

وهو بمعني الصيرورة لأنهم لم يكونوا علي ملتهم قط ، ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ومن آمن معه فغلبوا الجماعة علي الواحد .

دفاع الله عن رسله

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي إلي رسلهم . ﴿ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ علي إضمار القول ، أو إجراء الإيحاء مجراه لأنه نوع منه .

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ أي أرضهم وديارهم كقوله تعالي ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ (٦) .

وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحي كقولك : أقسم زيد ليخرجن . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلي الموحي به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين . ﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴾ موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة ، أو قيامي عليه وحفظي لاعمله وقيل المقام مقحم . ﴿ وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ أي وعيدي بالعذاب أو عذابي الموعود للكفار .

﴿ وَاسْتَفْتَحُوا ﴾ سألوا من الله الفتح علي أعدائهم ، أو القضاءبينهم وبين أعدائهم من الفتاحة كقوله ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ (٧) وهو معطوف علي فأوحي والضمير للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقيل : للكفرة وقيل للفريقين. فإن كلهم سألوه أن ينصر المحق ويهلك المبطل . وقرئ بلفظ الأمر عطفا علي ليهلكن .

عاقبة الجبابرة

﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ أي ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر علي الله معاند للحق فلم يفلح ، ومعني الخيبة إذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القبيلين كان أوقع .

الآيات من ١٦ : ٢١

﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ

(٦) الأعراف ١٣٧ . (٧) الأعراف ٨٩ .

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الـرِّيـحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (١٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١) ﴾

﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾ أي من بين يديه فإنه مرصد بها واقف علي شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة . وقيل من وراء حياته وحقيقته ما تواري عنك . ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ ﴾ عطف علي محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقي فيها ما يلقي ويسقي من ماء . ﴿ صَدِيدٍ ﴾ عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود أهل النار .

﴿ يَتَجَرَّعُهُ ﴾ يتكلف جرعه وهو صفة لماء ، أو حال من الضمير في يسقي ﴿ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ ولا يقارب أن يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه ، والسوغ جواز الشراب علي الحلق بسهولة وقبول نفس . ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ أى أسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات . وقيل : من كل مكان من جسده حتي من أصول شعره وإبهام رجله . ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ فيستريح . ﴿ وَمِن وَرَائِهِ ﴾ ومن بين يديه . ﴿ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ أي يستقبل في كل وقت عذابا أشد مما هو عليه . وقيل : هو الخلود في النار . وقيل : حبس الأنفاس .

وقيل : الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في أهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي أرسل الله تعالي عليهم بدعوة رسوله ، فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم أن يسقيهم في جهنم بدلَ سقياهم صديدَ أهل النار .

عدم جدوي أعمال الكفار الصالحة

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ مبتدأ خبره محذوف أي فيما يتلي عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة ، أو قوله ﴿ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ وهو علي الأول

جملة مستأنفة لبيان مثلهم . وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد . ﴿ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾ حملته وأسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح . ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم : نهاره صائم وليله قائم ، شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم وإغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها وذهابها هباء منثورا ، لبنائها علي غير أساس من معرفة الله تعالي والتوجه بها إليه ، أو أعمالهم للأصنام برماد طيرته الريح العاصف . ﴿ لاَّ يَقْدِرُونَ ﴾ يوم القيامة . ﴿مِمَّا كَسَبُوا ﴾ من أعمالهم ﴿ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ لحبوطه فلا يرون له أثرا من الثواب ، وهو فذلكة (٨) التمثيل . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلي ضلالهم مع حسبانهم أنهم محسنون . ﴿ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴾ فإنه الغاية في البعد عن طريق الحق .

﴿أَلَمْ تَرَ ﴾ خطاب للنبي ﷺ ، والمراد به أمته . وقيل لكل واحد من الكفرة علي التلوين . ﴿ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ والحكمة والوجه الذي يحق أن تخلق عليه ، وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات . ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم ، رتب ذلك علي كونه خالقا للسموات والأرض استدلالا به عليه ، فإن من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال :

﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ بمتعذر أو متعسر فإنه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ، ومن كان هذا شأنه كان حقيقيا بأن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء .

محاورة بين والضعفاء والمستكبرين يوم القيامة

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لأمر الله تعالي ومحاسبته ، أو لله على ظنهم فإنهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون أنها تخفي علي الله تعالي ، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالي عند أنفسهم ، وإنما

(٨) الفذلكة : مجمل ما فصل وخلاصته ، وهي كلمة محدثة ــ المعجم الوسيط .

ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه . ﴿ **فَقَالَ الضُّعَفَاءُ** ﴾ الأتباع ، جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي ، وإنما كتبت بالواو علي لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلي الواو . ﴿ **لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا** ﴾ لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم . ﴿ **إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا** ﴾ في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم ، وهو جمع تابع كغائب وغَيَب (٩)

أو مصدر نعت به للمبالغة أو علي إضمار مضاف .

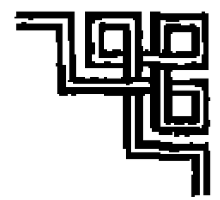
﴿ **فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا** ﴾ دافعون عنا . ﴿ **مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ** ﴾ من الأولي للبيان واقعة موقع الحال ، والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول أي بعض الشئ الذي هو عذاب الله ، ويجوز أن تكونا للتبعيض أي بعض شئ هو بعض عذاب الله ، والإعراب ما سبق ، ويحتمل أن تكون الأولي مفعولا والثانية مصدرا ، أي فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الإغناء .

﴿ **قَالُوا** ﴾ أي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الأتباع واعتذارا عما فعلوا بهم. ﴿ **لَوْ هَدَانَا اللَّهُ** ﴾ للإيمان ووفقنا له . ﴿ **لَهَدَيْنَاكُمْ** ﴾ ولكن ضللنا فأضللناكم أي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا ، أولو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم كما عرضناكم له ، لكن سد دوننا طريق الخلاص. ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا** ﴾ مستويان علينا الجزع والصبر . ﴿ **مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ** ﴾ منجي ومهرب من العذاب ، من الحيص وهو العدل علي جهة الفرار ، وهو يحتمل أن يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ، ويجوز أن يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي أنهم يقولون : تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم ، فيقولون تعالوا نصبر كذلك ثم يقولون سواء علينا .

---

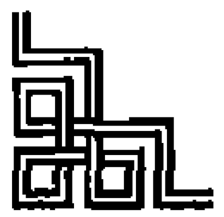
(٩) ومثلها خادم وخَدَم ، وهو أوضح في المماثلة.

وغيب بفتح الياء جمع غائب ، وثبتت الياء في التحريك ولم تعل ،لأنها شبه صَيَد وهي مصدر ، يقال : بعير أصْيَد.



الآيات من ٢٢ : ٢٣

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ (٢٣) ﴾



تبرؤ الشيطان من أتباعه

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار خطيبا في الأشقياء من الثقلين . ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ﴾ وعدا من حقه أن ينجزه أووعدا أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء . ﴿ وَوَعَدتُّكُمْ ﴾ وعد الباطل وهو ألا بعث ولا حساب وإن كانا فالأصنام تشفع لكم . ﴿ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ جعل تبين خلف وعده كالإخلاف منه . ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ﴾ تسلط فالجئكم إلي الكفر والمعاصي . ﴿ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ ﴾ إلا دعائي إياكم إليها بتسويلي ، وهو ليس من جنس السلطان ولكنه علي طريقة قولهم: تحية بينهم ضرب وجيع . ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعا . ﴿ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ أسرعتم إجابتي . ﴿ فَلا تَلُومُونِي ﴾ بوسوستي فإن من صرح العداوة لا يلام بأمثال ذلك . ﴿ وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾ حيث أطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم ، واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك علي استقلال العبد بأفعاله وليس فيها ما يدل عليه ، إذ يكفي لصحتها أن يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله أصحابنا .

﴿ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ بمغيثكم من العذاب . ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ بمغيثي ، وقرأ حمزة بكسر الياء علي الأصل في التقاه الساكنين ، وهو أصل مرفوض في مثله لما فيه . من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع أن حركة ياء الإضافة الفتح،

فإذا لم تكسر وقبلها ألف فبالحري أن لا تكسر وقبلها ياء ، أو علي لغة من يزيد ياء علي ياء الإضافة إجراء لها مجري الهاء والكاف في : ضربته ، وأعطيتكه ، وحذف الياء اكتفاء بالكسرة .

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ ما إما مصدرية ومن متعلقة بأشركتموني أي كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا بمعني تبرأت منه واستنكرته كقوله ﴿ ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ (١٠) . أو موصولة بمعني مَنْ نحو ما في قولهم : سبحان ما سخركن لنا ، ومن متعلقة بكفرت أي كفرت بالذي أشركتمونيه وهو الله تعالي بطاعتكم إياي فيما دعوتكم إليه من عبادة الأصنام وغيرها من قبل إشراككم ، حين رددت أمره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام ، وأشرك منقول من شركت زيدا للتعدية إلي مفعول ثان .

﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تتمة كلامه ، أو ابتداء كلام من الله تعالي، وفي حكاية أمثال ذلك لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتي يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم .

تحية الملائكة للمؤمنين في الجنة

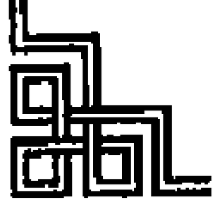
﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ بإذن الله تعالي وأمره ، والمدخلون هم الملائكة . وقرئ وأدخل علي التكلم فيكون قوله ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ متعلقا بقوله : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾ أي تحييهم الملائكةفيها بالسلام بإذن ربهم .

الآيات من ٢٤ : ٣٠

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ

(١٠) فاطر ١٤

وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠) ﴾



مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً ﴾ كيف أعتمده ووضعه . ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً

* الإعجاز العلمى

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾

ويشرف القرآن الكريم الزراعة تشريفا كريما .. عندما تقرر آياته أن الله سبحانه وتعالي قد ضرب المثل لنوره جل شأنه بمصباح في زجاجة يوقد من شجرة مباركة زيتونة .. زيتها علي درجة عالية من النقاء والتركيز بحيث يجعله وكأنه يكاد يضيء .. وتقول الآيات الشريفة : ﴿ الله نور السماوات والأرض مثل نورة كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور علي نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ﴾ (٣٥ سورة النور)

فضرب القرآن الكريم المثل لنور الله بالشجرة .. إنما هو تشريف .. وأي تشريف .. لكل ما يتصل بالشجر من عمل .. ويتكرر ذكر الشجر في القرآن ستا وعشرين مرة .. وعندما أراد القرآن أن يضرب المثل للكلمة الطيبة أورد الشجرة الطيبة فقال : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ (٢٤ - ٢٥ سورة إبراهيم)

وعندما دعا الله سبحانه وتعالي سيدنا موسي عليه السلام لإعلان رسالته إلي قومه ناداه جل شأنه حينما كان موسي علي مقربة من شجرة وبجوارها وذلك بالنص الكريم : ﴿ فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسي إني أنا الله رب العالمين ﴾ (٣٠ سورة القصص)

وكذلك يقرر القرآن الكريم أنه تحت شجرة تمت البيعة لسيدنا محمد ﷺ وقد رضي الله سبحانه وتعالي عن المؤمنين إذ يبايعونه تحتها وذلك بالنص الشريف : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ أي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة ، وهو تفسير لقوله ضرب الله

* الإعجاز العلمي

فتحا قريبا ﴾ (١٨ سورة الفتح)

وتأكيدا لتشريف الشجرة فعندما أراد الله جل شأنه أن يضرب المثل للكلمة الخبيثة أورد الشجرة الخبيثة والتي أوجب علي الإنسان أن يقطعها وينزعها ويبعدها من الأرض حتي لا يكون لها أي قرار وذلك بنص قول الله سبحانه وتعالي : ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ﴾ (٢٦ سورة إبراهيم)

وشرف القرآن الكريم الزراعة .. بأن جعل ناتجها الثمار .. هو رزق المؤمنين في الجنة كما كان رزقهم في الحياة الدنيا وذلك بالنص الكريم : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ (٢٥ سورة البقرة)

وكل ما يخرج من الأرض من زروع .. إنما يسجد لله سبحانه وتعالي سجود الولاء والطاعة .. والعبودية والاستجابة .. سواء أكان ما يخرج منها هو النجم وهي النباتات التي لا ساق لها .. أو الشجر .. وهي النباتات ذات الساق .. وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ (٦ سورة الرحمن)

ويعود القرآن الكريم ليكرر مؤكدا أن الشجر جميعه بأنواعه وأصنافه وفي كافة مراحله يسجد لله سبحانه وتعالي بينما كثير من الناس هم الذين يسجدون وكثير منهم حق عليهم العذاب لا يسجدون له .

كما يسجد الشجر كله ومن في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال وذلك بالنص الكريم : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ﴾ (١٨ سورة الحج)

والمتدبر لكل الآيات الكريمة التي ورد فيها الشجر وقد تكرر ستا وعشرين مرة .. والزرع وقد تكرر أربع عشرة مرة .. والنبات الذي تكرر اثنين وعشرين مرة .. والثمر وتكرر أربع عشر مرة .. والمرعي وتكرر أربع مرات .. والفاكهة وقد تكررت أربع عشرة مرة والنخيل عشرين مرة والعنب إحدي عشرة مرة .. والزيتون ست مرات والرمان ثلاثا وكذلك لفظ الأرض الذي ذكر واحدا وستين واربعمائة مرة . فهذا كله تشريف للزراعة .

مثلا ، ويجوز أن تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة ، وأن تكون أول مفعولي ضرب إجراء له مجري جعل وقد قرئت بالرفع علي الابتداء . ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ في الأرض ضارب بعروقه فيها. ﴿ وَفَرْعُهَا ﴾ وأعلاها ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾ ويجوز أن يريد وفروعها أي أفنانها علي الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الإضافة . وقرئ ثابت أصلها والأول علي أصله ، ولذلك قيل إنه أقوي ولعل الثاني أبلغ .

﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا ﴾ تعطي ثمرها . ﴿ كُلَّ حِينٍ ﴾ وقته الله تعالي لإثمارها . ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ بإرادة خالقها وتكوينه . ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ لأن في ضربه زيادة إفهام وتذكير ، فإنه تصوير للمعاني وإدناء لها من الحس .

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ كمثل شجرة خبيثة ﴿ اجْتُثَّتْ ﴾ استؤصلت وأخذت جثتها بالكلية ﴿ مِن فَوْقِ الأَرْضِ ﴾ لأن عروقها قريبة منه . ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ استقرار .

واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة : بكلمة التوحيد ودعوة الإسلام والقرآن ، والكلمة الخبيثة بالشرك بالله تعالي والدعاء إلي الكفر وتكذيب الحق، ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما أعرب عن حق أو دعا إلي صلاح ، والكلمة الخبيثة ما كان علي خلاف ذلك ، وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة . وروي ذلك مرفوعا (١١) ، وبشجرة في الجنة ، والخبيثة بالحنظلة والكشوث (١٢) ولعل المراد بهما أيضا ما يعم ذلك .

---

(١١) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم « إن الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ماهي ؟ » فوقع الناس في شجر البوادي ، وكنت صبيا فوقع في قلبي أنها النخلة ، فهبت رسول الله ﷺ أن أقولها وأنا أصغر القوم وروي : فمنعني مكان عمر واستحييت ، فقال لي عمر : يابني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم ، ثم قال رسول الله ﷺ : ألا إنها النخلة- متفق عليه ، ورواه أحمد عن مجاهد عن ابن عمر .

(١٢) الكشوث نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر في تشبيه رجل به

هو الكشوث فلا أصل ولاورق ... ولانسيم ولاظل ولاثمر

تثبيت الله للمؤمنين

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فلا يزالون إذا فتنوا في دينهم كزكريا ويحيي عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم أصحاب الأخدود . ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾ فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ، ولا تدهشهم أهوال يوم القيامة . وروي (**أنه ﷺ ذكر قبض روح المؤمن فقال : ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : ربي الله وديني الإسلام ، ونبيي محمد ﷺ ، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي**) فذلك قوله : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾(١٣) ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار علي التقليد فلا يهتدون إلي الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن . ﴿ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ من تثبيت بعض وإضلال آخرين من غير اعتراض عليه .

جحود الكفار لنعمة الله

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً ﴾ أي شكر نعمته كفرا أن وضعوه مكانه ، أو بدلوا نفس النعمة كفراً ، فإنهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين للكفر بدلها كأهل مكة ، خلقهم الله تعالي ، وأسكنهم حرمه ، وجعلهم قوام بيته ، ووسع عليهم أبواب رزقه ، وشرفهم بمحمد ﷺ ، فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا أذلاء ، فبقوا مسلوبي النعمة وموصوفين بالكفر ، وعن عمر وعلي رضي الله تعالي عنهما : **هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فمتعوا إلي حين .**

---

(١٣) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام أحمد عن البراء بن عازب ، ورواه أبو داود من حديث الأعمش والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال بن عمروبه وهناك أحاديث أخري بهذا المعني في الصحاح منها حديث مسلم عن عيد بن حميد وأخرجه النسائى من حديث يونس بن محمد المؤدب . . .

ـ راجع تفسير ابن كثير في ذلك . . .

﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ ﴾ الذين شايعوهم في الكفر . ﴿ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ دار الهلاك بحملهم علي الكفر .

﴿ جَهَنَّمَ ﴾ عطف بيان لها . ﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ حال منها أو من القوم ، أي داخلين فيها مقاسين لحرها ، أو مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم . ﴿ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ أي وبئس المقر جهنم .

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ﴾ الذي هو التوحيد . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء ، وليس الضلال ولا الإضلال غرضهم في اتخاذ الأنداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض . ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا ﴾ بشهواتكم أو بعبادة الأوثان فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها ، وفي التهديد بصيغة الأمر إيذان بأن المهدد عليه كالمطلوب لإفضائه إلي المهدد به ، وأن الأمرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله : ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ وأن المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع .

الآية رقم ٣١

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١) ﴾

وصايا طيبة للمؤمنين

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ خصهم بالإضافة تنويها لهم وتنبيها علي أنهم المقيمون لحقوق العبودية ، ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه : أي قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا . ﴿ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ فيكون إيذانا بأنهم لفرط مطاوعتهم للرسول ﷺ بحيث لا ينفك فعلهم عن أمره ، وأنه كالسبب الموجب له ، ويجوز أن يقدرا بلام الأمر ليصح تعلق القول بهما وإنما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن في قوله :

مُحَمَّدٌ تفد نَفْسَكَ كُلُّ نَفسٍ　　　إِذَا مَا خفت مِنْ أَمرٍ تَبَالاً (١٤)

---

(١٤) حذفت الياء من الفعل « تفدي » هنا علي تقدير لام أمر محذوفة والتقدير لتفد نفسك كل نفس ، والتبال العداوة والثأر والهلاك .

لدلالة قل عليه .

وقيل : هما جوابا أقيموا وأنفقوا مقامين مقامهما ، وهو ضعيف لأنه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولأن أمر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة إذا كان الفاعل واحدا . ﴿ سِرًّا وَعَلانِيَةً ﴾ منتصبان علي المصدر أي إنفاق سر وعلانية ، أو علي الحال أي ذوي سر وعلانية ، أو علي الظرف أي وقتي سر وعلانية ، والأحب إعلان الواجب وإخفاء المتطوع به . ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ ﴾ فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدي به نفسه . ﴿ وَلا خِلالٌ ﴾ ولا مخالة فيشفع لك خليل ، أو من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله تعالي . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما علي النفي العام .

الآية رقم ٣٢

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) ﴾

التذكير بنعم الله

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

* **الإعجاز العلمي**

﴿ االلَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ..... ﴾

الإعجاز في الترابط بين المعجزات الكونية والأمور العقائدية والنسق البلاغي للقرآن الكريم .

فها هي تلك الآية تبدأ بلفظ الجلالة « الله » أي أنه لا إله غيره

« خلق السموات والأرض » - توحيد لله -

« وخلق السموات والأرض » - إظهار لقدرة الخالق وعظمته -

« أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم »

﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لأخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ، ويحتمل عكس ذلك ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلة ، أو المصدر لأن أخرج في معني رزق . ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴾ بمشيئته إلي حيث توجهتم . ﴿ وسخر لكم الأنهار ﴾ فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الأشياء تعليم كيفية اتخاذها .

الآيات من ٣٣ : ٣٧

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) ﴾

﴿ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ يدأبان في سيرهما وإنارتهما

*** الإعجاز العلمي**

الزراعة عملية يشاهد فيها الإنسان بنفسه كيف يحيي الله سبحانه وتعالي الأرض بالماء بعد موتها فأصبحت تفيض بالحياة والثمرات

وهكذا يري الإنسان قدرة الله في خلق الحياة في الأرض الميتة وهكذا يحيي الله الموتي يوم القيامة وهذا دليل مادي علي البعث في اليوم الآخر « الإيمان بالبعث من العقيدة »

ويذكر الله الإنسان بنعم الله عليه من بحار مالحة يحمل عليها الإنسان في الفلك التي تطفو عليها وأخري عذبة جارية يرتوي منها الإنسان ويسقي منها النبات والطير والحيوان ، وشمس تضئ له نهاره وتبث فيه الدفء والحرارة وقمر ونجوم يهتدي بها في الليل ويعلم بها عدد السنين والحساب كل هذه المظاهر الكونية الرائعة عرضها الله لنا في آيتين في كتابه العظيم فسبحان الله العظيم .

وإصلاح ما يصلحانه من المكونات .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ يتعاقبان لسباتكم [١٥] ومعاشكم . ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ أي بعض جميع ما سألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيئاً، فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ، ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقاً بأن يسأل لاحتياج الناس إليه سئل أو لم يسأل ، وما يحتمل أن تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول . وقرئ من كل بالتنوين أي وآتاكم من كل شئ ما احتجتم إليه وسألتموه بلسان الحال ، ويجوز أن تكون ما نافية في موقع الحال أي وآتاكم من كل شئ غير سائليه .

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ لا تحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلاً عن أفرادها ، فإنها غير متناهية . وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة . ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ ﴾ يظلم النعمة بإغفال شكرها ، أو يظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان . ﴿ كَفَّارٌ ﴾ شديد الكفران . وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع ، كفار في النعمة يجمع ويمنع .

دعاء إبراهيم حول الكعبة

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ﴾ بلدة مكة . ﴿ آمِنًا ﴾ ذا أمن لمن فيها ، والفرق بينه وبين قوله ﴿ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ [١٦] أن المسئول في الأول إزالة الخوف عنه وتصييره آمناً ، وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة[١٧] . ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ ﴾ بعدني وإياهم ، ﴿ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ واجعلنا منها في

---

(١٥) لسباتكم : لنومكم   (١٦) البقرة : ١٢٦

(١٧) الفرق بين الآيتين كما جاء في تفسير ابن كثير أن آية البقرة كانت قبل بناء البيت، ولذلك جاء بعدها ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾
أما آية إبراهيم فكانت بعد بناء البيت ولذلك جاء بعدها ﴿ الحمد لله الذي وهب لي علي الكبر إسماعيل وإسحاق ﴾ ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة، فأما حين ذهب إبراهيم بإسماعيل إلي مكان مكة فإنه عليه السلام دعا ﴿ رب اجعل هذا بلد آمنا ﴾ أي في حالة لم يكن هناك بلد بعد ، فقال بلدا بدون تعريف .

مجانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد وأما أهل الحجاز فيقولون جنبني شره . وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله وحفظه إياهم وهو بظاهره ، ألا يتناول أحفاده وجميع ذريته . وزعم ابن عيينة (١٨) أن أولاد إسماعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجاً به وإنما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون : البيت حجر فحيثما نصبنا حجراً فهو بمنزلته .

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ ﴾ فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من إضلالهن ، وإسناد الإضلال إليهن باعتبار السببية كقوله تعالى ﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ (١٩) .

﴿ فَمَن تَبِعَنِي ﴾ على ديني . ﴿ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ أي بعضي لا ينفك في أمر الدين . ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء ، أو بعد التوفيق للتوبة . وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك إلا أن الوعيد فرق بينه وبين غيره .

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾ أي بعض ذريتي أو ذرية من ذريتي فحذف

---

(١٨) هو سفيان بن عيينة المحدث الذي كان يطلق عليه أمير المؤمنين في الحديث

(١٩) الأنعام ٧٠

*** الإعجاز العلمي**

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ...... ﴾

حول ما قيل بأن مكة المكرمة هي مركز الكرة الأرضية كان هذا المقال تحت عنوان :

علماء بحوث الشمس والفضاء بمصر بعد دراسات مكثفة شملت كل مساحات الأرض يقررون :

الكعبة المعظمة مركز أطراف يابسة الأرض

ثمة معلومة سبق نشرها في الدوريات الإسلامية ، ولاقت ذيوعا وصدي واسعا ، وهي

المفعول وهم إسماعيل ومن ولد منه فإن إسكانه متضمّن لإسكانهم . ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ

* الإعجاز العلمي

تفيد بأن مكة المكرمة هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات بمعني أن الأرض اليابسة علي سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة المكرمة توزيعا منتظما ، وأن مدينة مكة المكرمة في هذه الحالة تعتبر مركزا للأرض اليابسة

... وللتحقق علميا من هذه المعلومة قام المعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية بحلوان بالقاهرة بإجراء حسابات علي الحاسب الآلي بقسم بحوث الشمس والفضاء بالمعهد ، تحت إشراف د. مسلم شلتوت رئيس القسم .. فماذا كانت النتيجة ؟ النتيجة تؤكد أنه من المحتمل فعلا أن تكون مكة المكرمة مركزا لأطراف جميع القارات القديمة والجديدة وكانت مركز اليابسة قبل تزحزح القارات وانفصالها بعضها عن بعض في العصور الجيولوجية السحيقة ، أي أن الكعبة كانت في الأرجح هي مركز اليابسة يوم خلقها الله تعالي بحالتها الأولي : وفيما يلي نص كامل لهذا البحث العلمي المهم .

أولا :

مدينة جاوه بأندونيسيا تقع علي مسافة ٨٢٧٣ كيلو مترا وكذلك مدينة بورنيو بأندونسيا وتقع علي مسافة ٨٤٣٣ كيلو مترا ومدينة كيب تاون بجنوب أفريفيا تقع علي مسافة ٦٥٥٩ كيلو مترا وجزيرة ايسلندا علي مسافة ٦٤١٠ كيلو ومدينة نيوسيبيريا بشمال روسيا تقع علي مسافة ٨٠٥٠ كيلو مترا ومدينة سخالين شرق روسيا تقع علي مسافة ٩٠٤٤ كيلو مترا ومدينة كيتاكو باليابان تقع علي مسافة ٨٧٩٠ كيلو مترا ، ومدينة تايوان بتايوان تقع علي مسافة ٨٢١٨ كيلو مترا ومدينة مانيلا بالفلبين تقع علي مسافة ٨٥٧٥ كيلو مترا . من هذا يتضح أنه إذا رسمنا دائرة نصف قطرها ٨٠٣٩ كيلو مترا تكون مكة المكرمة هي مركزها ، فإن هذه المدن التسع من العالم القديم تقع تقريبا علي محيط هذه الدائرة ، ماعدا بعض الفروق البسيطة، وقد تم حساب المسافة التي علي هيئة قوس نتيجة لكروية الأرض بالكيلو مترات بين مكة المكرمة ، وكل من هذه المدن والجزر التسع وذلك بحل المثلثات الكروية بعد معرفة فروق خطوط الطول والعرض بين مكة المكرمة وكل منها، وكانت المسافة المتوسطة لهذه المواقع التسع هي ٨٠٣٩ كيلو مترا .

ومنها نجد أن فروق مسافة كل موقع عن المسافة المتوسطة لا تتجاوز ٥٪ ماعدا مدينة كيب تاون وجزيرة ايسلندا فإن الفروق تصل إلي حوالي ٢٠ ٪ بالسالب والفرق لمدينة سخالين مقداره١٢٪ بالموجب و ٩٪ لمدينة كيتاكوشو بالموجب أيضا . وهذا يعني أن مكة المكرمة

﴿ذِي زَرْعٍ﴾ يعنى وادى مكة فإنها حجرية لا تنبت .﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذى

* الإعجاز العلمي

تكاد تكون مركز دائرة تمر بأطراف جميع القارات القديمة نصف قطرها حوال ٨٠٠٠ كم.

ثانيا : العالم الجديد :

تم حساب المسافة ما بين مكة المكرمة وكل من :

مدينة ولنجتون بنيوزيلندا شرق استراليا والمسافة بينها وبين مكة هي ١٣٠٤٠ كيلو مترا .

– والكورن هورن وهو أقصي مكان بأمريكا الجنوبية والمسافة بينها وبين مكة هي ١٣١٢٠ كيلو مترا .

– وشمال ألاسكا وهو أقصي مكان بأمريكا الشمالية والمسافة بينها وبين مكة هي ١٣٦٠٠ كيلو متر .

وكانت المسافة المتوسطة ١٣٢٥٣ كم والفروق لا تتجاوز ٢,٥ ٪ للثلاث . وهذه المواقع تمثل أطراف قارات العالم الجديد واتضح أن المسافة بينها وبين مكة المكرمة تكاد تكون متساوية . وهذا يعني أن مكة المكرمة هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات الجديدة كما هو الحال في القارات القديمة . وهذه الدائرة الجديدة تمر أيضا بأطراف القارة المتجمدة الجنوبية شرقا وغربا .

ثالثا : مركز مساحات العالم القديم :

تم تعيين مساحات القارات الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا ومركز مساحة كل منها ومعرفة خط الطول وخط العرض لهذا المركز ، ثم استعملت طريقة لتحديد مركز القارات الثلاث علي أساس ما يعرف بعزم المساحات فاتضح أن مركز العالم القديم هو المكان الذي خط طوله ٤٨,٠٨٢٩° شرقا وخط عرضه ٣٣,٠٣٩° شمالا وهو يختلف كثيرا عن موقع مكة المكرمة التي خط طولها ٣٩,٠٨١٧° شرقا وخط عرضها ٢١,٠٤٣٧° شمالا.

رابعا : مركز مساحات العالم :

تم تعيين مساحة القارات الجديدة وهي استرليا وأمريكا الجنوبية والشمالية ومركز مساحة كل منها ومعرفة خط الطول وخط العرض لهذا المركز ثم استعملت طريقة تسمي علميا بعزم المساحات لتحديد مركز القارات الست سويا فاتضح أن مركز العالم هو مكان خط طوله ١٣,٣٤٣° شرقا وخط عرضه ٢٤,٩٧٧° شمالا وهو يختلف كثيرا عن موقع مكة المكرمة .

حرمت التعرض له والتهاون به ، أو لم يزل معظماً ممنعاً يهابه الجبابرة ، أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقاً أي أعتق منه . ولو دعا بهذا الدعاء أو ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ما سيؤول إليه . روى أن هاجر كانت لسارة رضي الله عنها فوهبتها لإبراهيم عليه السلام فولدت منه إسماعيل عليه السلام، فغارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله عين زمزم ، ثم إن جرهم رأوا ثَمَّ طيوراً فقالوا لا طير إلا على الماء، فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا أشركينا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت .

﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾ اللام لام كي وهي متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم . وتكرير النداء وتوسيطه للإشعار بأنها المقصودة بالذات من إسكانهم ثمة ، والمقصود من الدعاء توفيقهم لها . وقيل : لام االأمر والمراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلاة كأنه طلب منهم الإقامة وسأل من الله تعالى أن يوفقهم لها .

* الإعجاز العلمي

خامسا : مركز مساحات العالم قبل تزحزح القارات :

لوحظ أنه لو تم تحريك خط طول مراكز قارات العالم الجديد بحيث يلغي تأثير المحيط الأطلسي والمحيط الهندي والمحيط القطبي الجنوبي مع أخذ مساحة القاراة المتجمدة الجنوبية في الاعتبار فإن مركز اليابسة من حيث التوزيع المساحي المنتظم يكاد يكون مكة وهو ما تشير إليه خرائط العالم منذ العصور الجيولوجية السحيقة عندما كانت اليابسة جزءا واحدا وقبل تزحزح القارات وانفصالها بعضها عن بعض .

والنتيجة المستخلصة من هذا البحث العلمي المهم هي كما يلي : مكة المكرمة وكعبتها المعظمة تكاد تكون مركزا لدائرة نصف قطرها ثمانية آلاف كيلو متر بأطراف القارات القديمة (آسيا ، أفريقيا ، أوروبا) ، وهي أيضا مركز لدائرة نصف قطرها حوالي ثلاثة عشر ألف كيلو متر تمر بأطراف القارات الجديدة (أمريكا الشمالية ، أمريكا الجنوبية ، استراليا ، المتجمدة الجنوبية) ولكنها ليست مركز العالم القديم أو الجديد أو الاثنين معا من حيث التوزيع المساحي المنتظم لليابسة ومن المحتمل أنها كانت مركز اليابسة كلها قبل تزحزح القارات وانفصالها بعضها عن بعض في العصور الجيولوجية السحيقة .

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ ﴾ أي أفئدة من أفئدة الناس ، ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصاري ، أو للابتداء كقولك : القلب مني سقيم أي أفئدة ناس . وقرأ هشام أفئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة . وقرئ آفدة وهو يحتمل أن يكون مقلوب أفئدة كآدر في أدؤر وأن يكون اسم فاعل من أُفدت الرحلة إذا عجلت أى جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة للتخفيف ، وإن كان الوجه فيه إخراجها بين بين ويجوز أن يكون من أفد .

﴿ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ تسرع إليهم شوقا ووداداً . وقرئ تهوي علي البناء للمفعول من أهوي إليه غيره وتهوي من هوي يهوي إذا أحب ، وتعديته بإلي لتضمنه معني النزوع .

﴿ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ مع سكناهم واديا لا نبات فيه .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ تلك النعمة ، فأجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا يجبي إليه ثمرات كل شئ حتي توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد .

الآيات من ٣٨ : ٤٢

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) ﴾

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾ تعلم سرنا كما تعلم علننا ، والمعني إنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا وأرحم بنا منا بأنفسنا ، فلا حاجة لنا إلي الطلب لكنا ندعوك إظهارا لعبوديتك وافتقارا إلي رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك . وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع إليك والتوكل عليك ، وتكرير النداء

للمبالغة في التضرع واللجأ إلي الله تعالي. ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ لأنه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته إلي كل معلوم ، ومن للاستغراق .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ ﴾ أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد ، قَيّدَ الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة وإظهارا لما فيها من آلائه . ﴿ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ روي أنه ولد له إسماعيل لتسع وتسعين سنة وإسحاق لمائة واثنتي عشرة سنة . ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ أي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي إذا اعتد به ، وهو من أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف إلي مفعوله أو فاعله علي إسناد السماع إلي دعاء الله تعالي علي المجاز ، وفيه إشعار بأنه دعا ربه وسأل منه الولد فأجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلاها .

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ ﴾ معدالا لها مواظبا عليها . ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ عطف علي المنصوب في اجعلني ، والتبعيض لعلمه بإعلام الله أو استقراء عادته في الأمم الماضية أنه يكون في ذريته كفار . ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ واستجب دعائي أو وتقبل عبادتي .

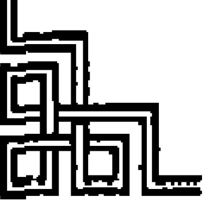
﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ وقرئ ولأبوي ، وقد تقدم عذر استغفاره لهما . وقيل :أراد بهما آدم وحواء . ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ يثبت مستعار من القيام علي الرجل كقولهم : قامت الحرب علي ساق ، أو يقوم إليه أهله فحذف المضاف أو أسند إليه قيامهم مجازا .

وعيد للظالمين وتسلية للمظلومين

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ ، والمراد به تثبيته علي ما هو عليه من أنه تعالي مطلع علي أحوالهم وأفعالهم لا يخفي عليه خافيه ، والوعيد بأنه معاقبهم علي قليله وكثيره لا محالة ، أو لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بإمهاله . وقيل: إنه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم . ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ يؤخر عذابهم وعن أبي عمرو بالنون .﴿ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ أي تشخص فيه أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ما تري .

الآيات من ٤٣ : ٤٧

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) ﴾



﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ أي مسرعين إلي الداعي ، أو مقبلين بأبصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا ، وأصل الكلمة هو الإقبال علي الشئ . ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ رافعيها . ﴿ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ بل تثبت عيونهم شاخصة لا تطرف ، أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلي أنفسهم . ﴿ أَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ خلاء أي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ، ومنه يقال للأحمق وللجبان قلبه هواء أي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير :

من الظُّلمَان جؤجؤه هواء (٢٠)

وقيل خالية عن الخير ، خاوية عن الحق .

---

(٢٠) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمي يصف ناقة ، والبيت بتمامه هو :

كأنَّ الرحلَ منها فوق صعل ... من الظلمان جؤجؤه هواء

والصعل : المنجرد من الشعر ، والظلمان : جمع ظليم ، وهو ولد النعامة، والجؤجؤ : الصدر والهواء : الخالي.

شبه ظهر ناقته التي يوضع فوقها الرحل برأس ظليم – وهو ولد النعامة– وهذا الرأس منجرد من الشعر وصدر الظليم فارغ خال فهو مسرع في طلب حاجته من الطعام.

﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ ﴾ يا محمد . ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴾ يعني يوم القيامة ، أو يوم الموت فإنه أول أيام عذابهم ، وهو مفعول ثان لأنذر . ﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بالشرك والتكذيب . ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ أخر العذاب عنا أو ردنا إلي الدنيا وأمهلنا إلي حد من الزمان قريب ، أو أخر أجلنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك . ﴿ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ جواب للأمر ونظيره ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾(٢١) ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ علي إرادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب علي المطابقة دون الحكاية ، والمعني أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ، ولعلهم أقسموا بطرا وغرورا أو دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا . وقيل : أقسموا أنهم لا ينتقلون إلي دار أخري وأنهم إذا ماتوا لا يزالون علي تلك الحالة إلي حالة أخري كقوله ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾(٢٢) .

﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ بالكفر والمعاصي كعاد وثمود، وأصل سكن أن يعدي بفي كقرَّ وغني وأقام ، وقد يستعمل بمعني التبوّء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار . ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ بما تشاهدونه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم . ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾ من أحوالهم أي بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب ، أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة .

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ المستفرغ فيه جهدهم إبطال الحق وتقرير الباطل . ﴿ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه ، أو عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وإبطالا له . ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ ﴾ في العظم والشدة . ﴿ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ مسوي لإزالة الجبال . وقيل إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ ﴾(٢٣) علي أن الجبال مثل لأمر النبي ﷺ

---

(٢١) المنافقون : ١٠ (٢٢) النحل ٣٨ (٢٣) الأنفال ٣٣

ونحوه. وقيل مخففة من الثقيلة والمعني أنهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالي وشرائعه (٢٤) .

وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع علي أنها المخففة واللام هي الفاصلة ، ومعناه تعظيم مكرهم . وقرئ بالفتح والنصب علي لغة من يفتح لام كي وقرئ وإن كاد مكرهم .

﴿ فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ مثل قوله ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾(٢٥) ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾(٢٦) وأصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني إيذانا بأنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾(٢٧) وإذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلف رسله . ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب لا يماكر قادر لا يدافع . ﴿ ذُو انتِقَامٍ ﴾ لأوليائه من أعدائه .

الآيات من ٤٨ : ٥٢

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ (٥٢) ﴾

حالة الكائنات يوم القيامة

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ﴾ بدل من يوم يأتيهم أو ظرف للانتقام ، أو

---

(٢٤) روي العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره : ماكان مكرهم لتزول منه الجبال .

وكذلك فسرها الحسن البصري – ووجهه ابن جرير بأن هذا الذي فعلوه بأنفسهم من شركهم بالله وكفرهم به ماضر ذلك شيئا من الجبال ولاغيرها وإنما عاد وبال ذلك عليهم .

(٢٥) غافر ٥١   (٢٦) المجادلة ٢١

(٢٧) آل عمران ٩

مقدر باذكر أو لا يخلف وعده . ولا يجوز أن ينتصب بمخلف لأن ما قبل أن لا يعمل فيما بعده . ﴿ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ عطف علي الأرض وتقديره والسموات غير السموات ، والتبديل يكون في الذات كقولك : بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ (٢٨) وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وغيرت شكلها ، وعليه قوله ﴿ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (٢٩) والآية تحتملها، فعن علي رضي الله تعالي عنه : **تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب ، وعن ابن مسعود وأنس رضي الله تعالي عنهما : يحشر الناس علي أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة ، وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما : هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها . ويدل عليه ما روي أبو هريرة رضي الله تعالي عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي »**(٣٠)

﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ (٣١) اعلم أنه لا يلزم علي الوجه الأول أن يكون الحاصل بالتبديل أرضا وسماء علي الحقيقة ، ولا يبعد علي الثاني أن يجعل الله الأرض جهنم والسموات الجنة علي ما أشعر به قوله تعالي ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ (٣٢) وقوله ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ (٣٣) ﴿ وَبَرَزُوا ﴾ من أجداثهم ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ لمحاسبته ومجازاته ، وتوصيفه بالوصفين للدلالة علي أن الأمر في غاية الصعوبة كقوله ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ (٣٤) فإن الأمر إذا كانت لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لأحد إلي غيره ولا مستجار .

﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ ﴾ قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم

---

(٢٨) النساء ٥٦ (٢٩) الفرقان ٧٠

(٣٠) رواه ابن كثير في تفسيره من حديث أبي هريرة ولفظه « يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظي لاتري فيها عوجا ولاأمتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة »

والأديم : الجلد ،والعكاظي المنسوب إلي عكاظ .

(٣١) طه ١٠٧ (٣٢) ويل للمطففين ١٨

(٣٣) ويل للمطففين ٨ (٣٤) غافر ١٦

في العقائد والأعمال كقوله ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ (٣٥) أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة ، أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلي رقابهم بالأغلال ، وهو يحتمل أن يكون تمثيلا لمؤاخذتهم علي ما اقترفته أيدينهم وأرجلهم . ﴿ فِي الأَصْفَادِ ﴾ متعلق بمقرنين أو حال من ضميره ، والصفد القيد . وقيل : الغل قال سلامة بن جندل :

وَزَيْدُ الخَيْلِ قَدْ لاقَي صِفَاداً يَعضُ بِسَاعِدٍ وَبِعَظْمٍ سَاقَ (٣٦)

وأصله الشد .

﴿ سَرَابِيلُهُم ﴾ قمصانهم . ﴿ مِّن قَطِرَانٍ ﴾ وجاء قطران لغتين فيه ، وهو ما يتحلب من الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربي فيحرق الجرب بحدته ، وهو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلي به جلود أهل النار حتي يكون طلاؤه لهم كالقمص ، ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع إسراع النار في جلودهم ، علي أن التفاوت بين القرطانين كالتفاوت بين النارين ، ويحتمل أن يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب إليها أنواعا من الغموم والآلام ، وعن يعقوب قطرآن ، والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني المتناهي حره ، والجملة حال ثانية أو حال من الضمير في مقرنين . ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ وتتغشاها لأنهم لم يتوجهوا بها إلي الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لأجله ، كما تطلع علي أفئدتهم لأنها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله تعالي ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣٧) وقوله تعالي ﴿ يوم يسحبون في النار علي وجوههم ﴾ (٣٨) .

﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ ﴾ أى يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة . ﴿ مَّا كَسَبَتْ ﴾ أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لأنه إذا بين أن المجرمين يعاقبون لإجرامهم علم أن المطيعين يثابون لطاعتهم ، ويتعين ذلك أن علق اللام ببرزوا .

---

(٣٥) التكوير ٧

(٣٦) الصفاد : القيد والغل . وزيد الخيل صحابي سماه النبي ﷺ زيد الخير

(٣٧) الزمر : ٢٤ (٣٨) القمر ٤٨

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ لأنه لا يشغله حساب عن حساب .

﴿ هَذَا ﴾ إشارة إلي القرآن أو السورة أو ما فيه العظة والتذكير أو ما وصفه من قوله ﴿ ولا تحسبن الله ﴾ (٣٩) ﴿ بَلاغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ كفاية لهم في الموعظة . ﴿ ولِيُنذَرُوا بِهِ ﴾ عطف علي محذوف أي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ ، فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ، ويجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره : ولينذروا به أنزل أو تلي . وقرئ بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعد له .

﴿ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه أو المبهمة علي ما يدل عليه . ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم ، واعلم أنه سبحانه وتعالي ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في إنزال الكتب ، وتكميل الرسل للناس ، واستكمال القوة النظرية التي منتهي كمالها التوحيد ، واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوي ، جعلنا الله تعالي من الفائزين بهما .

فضل سورة إبراهيم

وعن النبي ﷺ « **من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وعدد من لم يعبدها** (٤٠) » .

---

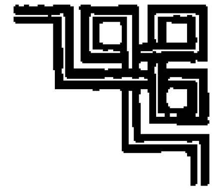
(٣٩) إبراهيم ٤٢

(٤٠) ذكره الزمخشري في تفسيره دون إسناد .

(١٥) سورة الحجر مكية (١)

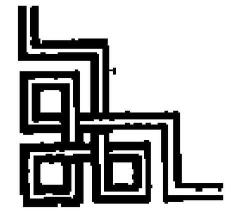
وآياتها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٦

﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ (١) رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) ﴾



﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴾ الإشارة إلي آيات السورة والكتاب هو السورة ، وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم أي آيات الجامع لكونه كتاباً كاملاً وقرآناً يبين الرشد من الغي بياناً غريباً .

ندم الكفار يوم القيامة علي كفرهم

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة . وقرأ نافع وعاصم ربَمَا بالتخفيف ، وقرئ ربما بالفتح والتخفيف ، وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها ، وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله في الفعل، وحقه أن يدخل علي الماضي لكن لما كان المترقَّب في إخبار الله تعالي كالماضي في تحققه أجرى مجراه . وقيل : ما نكرة موصوفة كقوله :

رُبَّمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْرِ ... لَهُ فُرْجَةٌ كَحلِ العِقَالِ (٢)

---

(١) في تفسيري الكشاف وابن كثير : الآية رقم ٨٧ مدنية وهي قوله تعالي ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾
وهذه السورة نزلت بعد سورة يوسف .

(٢) أي وربَّ أمر تكرهه النفوس يأتي وراءه فرج قريب سهل كحل عقال الدابة فتنطلق ، والعقال :القيد .

ومعني التقليل فيه الإيذان بأنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة فبالحري أن يسارعوا إليه ، فكيف وهم يودونه كل ساعة . وقيل : تدهشهم أهوال القيامة فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات تمنوا ذلك ، والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك : حلف بالله ليفعلن .

تهديد لهم

﴿ ذَرْهُمْ ﴾ دعهم . ﴿ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ بدنياهم . ﴿ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ ﴾ ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال عن الاستعداد للمعاد . ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءه ، والغرض إقناط الرسول ﷺ من ارعوائهم(٣) وإيذانه بأنهم من أهل الخذلان ، وإن نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته ، وفيه إلزام للحجة ، وتحذير عن إيثار التنعم وما يؤدي إليه طول الأمل .

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ أجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ ، والمستثني جملة واقعة صفة لقرية ، والأصل أن لا تدخلها الواو كقوله ﴿ إلا لها منذرون ﴾ (٤) ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال أدخلت تأكيداً للصوقها بالموصوف .

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ أي وما يستأخرون عنه ، وتذكير ضمير أمة فيه للحمل علي المعني .

طلب الكفار الآيات من الرسول

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ نادوا به النبي ﷺ علي التهكم، ألا تري إلي ما نادوه له وهو قولهم . ﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾؟ ونظير ذلك قول فرعون : إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ، والمعني إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله تعالي نزل عليك الذكر ، أي القرآن .

الآيات من ٧ : ١٤

﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ (٨) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)

---

(٣) ارعوائهم : اتعاظهم (٤) الشعراء ٢٠٨

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ (١٣) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) ﴾

﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا ﴾ ركب لو مع ما كما ركبت مع لا لمعنيين : امتناع الشئ لوجود غيره ، والتحضيض (٥) . ﴿ بِالْمَلائِكَةِ ﴾ ليصدقوك ويعضدوك علي الدعوة كقوله تعالي ﴿ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ﴾ (٦) . أو للعقاب علي تكذيبنا لك كما أتت الأمم المكذبة قبل . ﴿ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في دعواك .

﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ ﴾ بالياء ونصب الملائكة علي أن الضمير لله تعالي . وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وأبو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة . وقرئ تَنَزَّلُ بمعني تتنزل . ﴿ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ لا تنزيلاً ملتبساً بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ، ولا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبساً ، ولا في معاجلتكم بالعقوبة ، فإن منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان ، وقيل : الحق الوحي أو العذاب . ﴿ وَمَا كَانُوا إِذاً مُّنظَرِينَ ﴾ إذاً جواب لهم وجزاء لشرط مقدر أي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين .

تعهد الله بحفظ القرآن

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ رد لإنكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجوه وقرره بقوله ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أي من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزاً مبايناً لكلام البشر ، بحيث لا يخفي تغيير نظمه علي أهل اللسان أو نفي تطرق الخلل إليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفي أن يطعن فيه بأنه المنزل له . وقيل : الضمير في له للنبى ﷺ (٧) .

---

(٥) التخضيض : الحث علي الشئ (٦) الفرقان : ٧

(٧) قال العلماء : وكل الله الكتب السابقة علي القرآن إلي الأحبار والرهبان فلم يحفظوها وحرفوها وزادوا فيها ونقصوا ، يشير إلي ذلك قوله تعالي في سورة المائدة : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدي ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء . . ﴾ المائدة ٤٤
وذلك بعد أن قال ﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ المائدة ٤١

استهزاء الناس بالرسل السابقين

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴾ في فرقهم ، جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه إذا تبعه ، وأصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار ، والمعني نبأنا رجالاً فيهم وجعلناهم رسلاً فيما بينهم .

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام وما للحال لا يدخل إلا مضارعاً بمعني الحال ، أو ماضياً قريباً منه وهذا علي حكاية الحال الماضية .

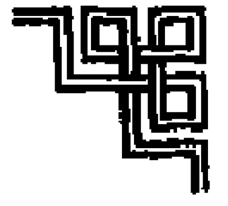
﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ ﴾ ندخله . ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ والسلك إدخال الشئ في الشئ كالخيط في المخيط ، والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء . وفيه دليل على أن الله تعالي يوجد الباطل في قلوبهم . وقيل : للذكر فإن الضمير الآخر في قوله .

﴿ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ له وهو خال من هذا الضمير ، والمعني مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذباً غير مؤمن به ، أو بيان للجملة المتضمنة له ، وهذا الاحتجاج ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليه ولا يتعين أن تكون الجملة حالاً من المجرمين ، ولا ينافي كونها مفسرة للمعني الأول بل يقويه . ﴿ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾أي سنة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم ، أو بإهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيداً لأهل مكة .

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾ أي على هؤلاء المقترحين. ﴿ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ يصعدون إليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون ،أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم .

ولذلك وكل حفظ القرآن إلي نفسه فهو علي مانزل عليه لايعتريه ولن يعتريه تغيير أوتبديل . .

والله تعالي يحفظ كتابه بما شاء وكيف شاء وقد يقيض له من يحرص علي سلامته ويتعهد بإذاعته وطبعه ونشره والمحافظة عليه ولو من غير المسلمين . .



الآيات من ١٥ : ٢٠

﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) ﴾

﴿ لَقَالُوا ﴾ من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق . ﴿ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾ سدت عن الأبصار بالسحر من السكر ، ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف ، أو حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت . ﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات ، وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة علي البت بأن ما يرونه لا حقيقه له بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر .

من مظاهر قدرة الله تعالي

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص علي ما دل عليه الرصد والتجربة من بساطة السماء . ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ بالأشكال والهيئات البهية . ﴿ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ المعتبرين المستدلين بها علي قدرة مبدعها وتوحيد صانعها(٨) .

---

(٨) ذكر العلماء أسماء هذه البروج وهي الحمل ، الثور ، التوأمان « الجوزاء »السرطان الأسد ، العذراء ، الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدى ، الدلو ، الحوت ونظمها بعضهم شعرا فقال :

حمل الثور جوزة السرطان ... ورعي الليث سنبل الميزان
ورمي عقرب بقوس لجدي ... نزح الدلو بركة الحيتان

قالوا : وهذه البروج تبدأ بظهور برج الحمل في ٢١ مارس من كل عام وبعد شهر برج الثور ، وهكذا كل شهر برج

– إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان ص ١٧٦

﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس إلى أهلها ويتصرف في أمرها ويطلع على أحوالها .

﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ﴾ بدل من كل شيطان ، واستراق السمع اختلاسه سراً ، شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان (٩) السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها . وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما : أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات ، فلما ولد عيسي عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات ، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من كلها بالشهب . ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون لها أسباب أخر، وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن من استرق السمع . ﴿ فَأَتْبَعَهُ ﴾ فتبعه ولحقه . ﴿ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر للمبصرين ، والشهاب شعلة نار ساطعة ، وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق (١٠) .

---

(٩) قطان : سكان جمع قاطن

(١٠) جاء في كتاب إعجاز القرآن الكريم في آفاق الزمان والمكان حول هذه الآية :

هذه الآية تخص رجم الجواسيس من شياطين الجن بالشهب الواضحة للأنظار ، والتي تطاردهم عند عودتهم من السماء إلي الأرض ، حيث يصبح الشهاب مبينا «أي ظاهرا فقط » في الطبقات السفلي من جو الأرض ، لأنه يحترق بالاحتكاك كلية في المنطقة التي يظهر فيها علي هيئة خط ناري متوهج علي ارتفاع منخفض.

ووصف الشهاب بالمبين عند تعقبه لشياطين الجن في رحلة العودة إلي الأرض وصف علمي دقيق ، لم يستخدم عند الملأ الأعلي حيث وصف الله سبحانه الشهاب عند هذه الارتفاعات العليا بالراصد « شهابا رصدا » في الآية رقم ٩ من سورة الجن بينما وصفه عند الاقتراب من الأرض مقتفيا أثر الجن عند العودة بالشهاب المبين أو الثاقب كما في قوله تعالي ﴿إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب﴾ وثاقب أي متقد ومتوهج ومستعر كشعلة من النار ويؤكد القرآن بأسلوب علمي أن الشهاب أصله جسم عادي مظلم بنفسه، ولا يتوهج إلا إذا تم احتراقه في الطبقات الكثيفة من جو الأرض .

ومن المعروف علميا أن الشهاب لايحترق كله إذا كان كبير الحجم ، وبهذا يصل مايتبقي منه إلي سطح الأرض ، ويسمي في هذه الحالة بالنيزك أو الحاصب أو حجارة من سجيل كحجارة قوم لوط وأصحاب الفيل .

إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان ص ٢٠٤ د/ منصور حسب النبي

﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾ بسطناها . ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ جبالاً ثوابت . ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ في الأرض أو فيها وفي الجبال . ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته أو مستحسن ، مناسب من قولهم كلام موزون ، أو ما يوزن ويقدر أو له وزن في أبواب النعمة والمنفعة .

* الإعجاز العلمي

﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ....... ﴾

توازن الأرض :

قال تعالي : ﴿ ألم نجعل الأرض مهدا * والجبال أوتادا ﴾ النبأ ٧-٨

لقد أثبت العلم الحديث أن وجود الجبال علي سطح الكرة الأرضية موزعة بدقة وحكمة يساعد علي التوازن بين المرتفعات والمنخفضات ، بحيث لا تميد الأرض ولا تضطرب ، فكأن هذه الجبال تعمل عمل الأوتاد التي تحفظ توازن الخيمة واستقرارها .

ودور الجبال في حفظ توازن القشرة الأرضية واضح جدا ، خاصة تلك الجبال التي يسميها الجيولوجيون بالسلاسل الجبلية الالتوائية .. وهي منتشرة في قارات العالم ويفسر العلماء دور الجبال في حفظ التوازن فيقولون : إن الجبال لها امتدادات عظيمة الشأن تحت القشرة الأرضية .. ووجد أن القشرة الأرضية ذات سمك ما بين ٣٠ : ٦٠ كيلو مترا ، وقد عرف ذلك بواسطة الأجهزة الحديثة مثل جهاز « السقموجراف » الذي أثبت أن كل جبل له جذر مغروس يثبت طبقة القشرة الأرضية العلوية الصلبة في الطبقة اللزجة التي تحتها كالوتد كما صورها الحكيم الخبير في كتابه : ﴿ والجبال أوتادا ﴾ النبأ -٧

إن العلم أكد أن الجبال تعمل كمساكات للقارات من الصخور السائلة التي توجد تحت القشرة الأرضية الصلبة ، ولولا جذور هذه الجبال المنغرسة لطفت القشرة إلي الخارج وانعدم توازن الأرض وثباتها .. وقد عرفت هذه الحقائق العلمية مؤخرا عام ١٩٥٦ فقط !! .

وإذا تأملنا قوله تعالي : ﴿ وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم ﴾ النحل -١٥

نجد أن العلماء يرون أن الجبال الالتوائية ألقيت فعلا من عل .. من قمم الجبال القديمة بعد أن نحتتها عوامل التعرية ونقلتها ورسبتها في البحار التي نقلتها بدورها بواسطة الرياح لتستقر مرتفعة عن سطح البحر وقد التوت ونشأت منها السلاسل الالتوائية .. أي أن الجبال الالتوائية الموجودة وجدت من الرواسب التي ألقيت من هذه البحار القديمة .

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس . وقرئ معائش بالهمزة علي التشبيه بشمائل . ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ عطف علي معايش أو علي محل لكم ، ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون أنهم يرزقونهم ظنا كاذبا ، فإن الله يرزقهم وإياهم ، وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع ، محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة ، مع جواز أن لا تكون كذلك ل علي كمال قدرته وتناهي حكمته ، والتفرد في الألوهية والامتنان علي العباد بما أنعم الله عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ، ثم بالغ في ذلك وقال :

الآيات من ٢١ : ٢٦

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) ﴾

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ أي وما من شئ إلا ونحن قادرون علي إيجاده وتكوينه أضعاف ما وجد منه ، فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره أو شبه مقدوراته بالأشياء المخزونة التي لا يحوج إخراجها إلي كلفة واجتهاد . ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ ﴾ من بقاع القدرة . ﴿ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ حده الحكمة وتعلقت به المشيئة ،

---

* **الإعجاز العلمي**

وهناك حقيقة علمية أخري وصل إليها البحث العلمي في توزيع الجبال واليابس والماء علي سطح الأرض بنسب أحجامها الحالية . . وهي أنه لو كانت الأرض بحجمها الحالي مكونة من الماء بنسبة أكبر ، لبلغ وزنها أقل مما هي عليه الآن ، ولما تمكنت من حفظ نسبة بعدها عن الشمس ، بل لا نجذبت إليها واحترقت .

. . . . ولو كان أكثرها مكونا من اليابس لزاد وزنها عما هي عليه الآن . ولبعدت عن الشمس البعد الذي لا يتحقق معة الحياة .

فإن تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات مشتملاً علي بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم .

﴿ وَأَرْسَلْنَا الـرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ حوامل ، شبه الريح التي جاءت بخير من إنشاء

* الإعجاز العلمي

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ..... ﴾

التلقيح والتزاوج :

قال تعالي : ﴿ وأرسلنا الريح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ الحجر -٢٢-

وقال : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ الذاريات -٤٩-

وقال : ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ -يس - ٣٦-

وقوله : ﴿ وتري الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ الحج -٥-

وقال : ﴿ أولم يروا إلي الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ الشعراء -٧-

وقال :﴿ وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ - لقمان - ١٠-

وقال : ﴿ فيها من كل فاكهة زوجان ﴾ - الرحمن -٥٢-

وقال : ﴿ ومن كل الثمرت جعل فيها زوجين اثنين ﴾ - الرعد -٣-

وقال : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتي ﴾ -طه- ٥٣-

من إعجاز القرآن أيضا الإعلان عن نظرية التلقيح والتزاوج بين الذكورة والأنوثة في الغرائس والنباتات ، كما هي سنة الحياة في البشر والحيوان والطيور ..

وإذا كانت الحياة في الإنسان تبدأ كجنين صغير تحتضنه الأم ، فالحياة في النبات تبدأ هي الأخري كجنين صغير تحتضنه الحبة أو النواة ، وتختزن له من الغذاء ما يكفيه أثناء الإنبات والنمو .

وتبقي الأجنة ساكنة هادئة حتي تضمها الأرض ، وتتهيأ لها الظروف المناسبة من حرارة وماء ، فينفلق الحب والنوي وينمو الجنين .

وإذا اكتمل نمو النبات ووصل به السن إلي البلوغ تفتحت أزهاره وأينعت ثماره (هذا ماقاله عبد الحميد المشهدي من كتاب التبليغ والإقناع بالمعجزات) . ويقرر العلم الحديث أن أزهار النباتات علي اختلاف أنواعها تنقسم ثلاثة أقسام : أزهار مذكرة ، وأزهار مؤنثة ، وأزهار خنثي تجمع الناحيتين من عضو التذكير وعضو التأنيث معا ، ومن الأمثلة الموضحة =

سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم ، أو ملقحات للشجر ونظيره الطوائح بمعني المطيحات في قوله :

* الإعجاز العلمي

لذلك النخيل ، فمنه نوع مذكر وآخر مؤنث ، ونبات الذرة يحمل في وقت واحد أزهارا مذكرة وأخري مؤنثة .

وهنالك صور غريبة ومثيرة للكيفية التي يتم بها اللقاح بين الذكر والأنثي .. ومن هذه الصور كما ورد في كتاب :« الله يتجلي في عصر العلم » ترجمه د/ الدمرداش سرحان .

« أن هناك كثيرا من الأزهار تسجن الحشرات داخلها ، ومن أمثلتها : الزهرة المسماة « جاك في المقصورة » .. ولهذا النبات نوعان من المجموعات الزهرية ، ذكور وإناث .. وهي تتكون داخل مقصورات تضيق عند منتصفها ، ويتم التلقيح بواسطة ذبابة دقيقة ، تدخل إلي المقصورة ، ولا تكاد تجتاز المنطقة الضيقة الوسطي حتي تجد نفسها سجينة ، ليس بسبب الضيق فحسب ، بل بسبب تغطية الجدران الداخلية بمادة شمعية منزلقة يتعذر معها علي الحشرة أن تثبت أقدامها ، وعندئذ تدور الحشرة بصورة جنونية داخل المكان ، فتعلق هبوات اللقاح بجسمها ... وبعد قليل تتصلب جوانب المقصورة بعض الشئ ، فتستطيع الحشرة الخروج بعد أن يكون جسمها قد تغطي بهبوات اللقاح.

فإذا زارت مقصورة مذكرة أخري تكررت نفس العملية السابقة ، أما إذا دخلت مقصورة أنثي ، فإنها تسجن في داخلها سجنا دائما حتي تموت هي .. وعند محاولتها اليائسة للخروج ، تقوم بتلقيح الأزهار الأنثي .

إن النبات في هذه الحالة لا يهتم بخروج الحشرة ؛ لأنها تكون قد أدت رسالتها .. أما عند زيارتها للمقصورات المذكرة فإنه يسمح لها بالخروج ؛ لأنها لا تكون قد أدت رسالتها » .

والزهرة هي عضو النبات المنوط بالتكاثر ، ففيها أعضاء التذكير أو أعضاء التأنيث .. وتحاط هذه الأعضاء بطبقتين من الأوراق تمتاز الخارجية منها بأوراقها الخضراء وتتميز الداخلية بأوراقها التي كثيرا ما تكون ملونة أو ذات رائحة جذابة ورحيق حلو المذاق .. وربما احتوت الزهرة الواحدة علي كل من أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث .. وإما أن تكون مذكرة فقط ، وفي كل من الحالتين لا بد أن تتحد حبة اللقاح بنواة البيضة ؛ ليتم تكوين الحبة أو البذرة التي تجمع من صفات الأب وصفات الأم .. وللتلقيح طرق كثيرة منها ما يقوم به الإنسان كما في النخيل ، ومنها ما تقوم به الحشرات ، ومنها ما يقوم به الهواء ، =

وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَوَائِحُ (١١)

وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس. ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

(١١) شطر بيت لضرار بن نهشل يرثي أخاه يزيد بن نهشل ، والبيت بتمامه هو :

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

ليبك : فعل مبني للمجهول ،ويزيد نائب فاعل ، وضارع فاعل لفعل محذوف تقديره يبكيه ، والمختبط : السائل ، والطوائح هي النوازل والكوارث.

* الإعجاز العلمي

ومنها ما يتم بواسطة تيارات الماء .

وتمتاز الأزهار التي تلقح بالهواء أن أعضاءها التناسلية معرضة للهواء ، فتطول خيوط الأسدية وتستدق وتكبر المتك ، وتتدلي خارج الزهرة حتي تهزها الرياح ، وتتساقط منها حبات اللقاح خفيفة ملساء ، حتي يسهل حملها بالهواء إلي المياسم التي أعدتها هي الأخري لهذا اللقاح » .

فإذا ما قام الهواء بنصيبه وسقطت حبة اللقاح علي الميسم ، التصقت به وبرزت منها أنبوبة تعرف بأنبوبة اللقاح التي لا تلبث أن تنمو وتخترق أنسجة الميسم والقلم، حتي تصل إلي المبيض حيث توجد البويضات ، ويتم تلقيح البويضة تلك هي التي أشار إليها القرآن في قوله : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾

مما يعد إعجازا علميا يشهد لهذا الكتاب الحكيم .

وحول قوله تعالي : ﴿وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ﴾

فإن يد الله المبدعة التي بسطت الأرض وحفظت توازنها بالجبال الراسيات وأرسلت الماء إلي الأرض ، وفتحت حياة الأرض بالنبات الموزون بلا زيادة ولا نقصان ، ويقرر العلم الحديث أن كل نبات قد وزنت عناصره وقدرت تقديرا ، فتري العنصر الواحد يختلف من نبات إلي آخر .. بواسطة امتصاص الغذاء من الجذور الضاربة في الأرض ، ومنها يرفع إلي الساق والأغصان والأوراق والأزاهير ...

فعلي سبيل المثال : هناك عنصر البوتاس يدخل في حب الذرة بمقدار ٣٢ ٪ ، وفي القصب ٣٤,٣ ٪ وفي البرسيم بمقدار ٣٤,٦ ٪ ، وفي البطاطس بمقدار ٦١,٥ ٪ .. وبهذا التفاوت صلح القصب لأن يكون سكرا ، والبرسيم لأن يكون قوتا للبهائم والذرة والبطاطس لأن تكونا غذاء للإنسان .

فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ فجعلناه لكم سقيا ﴿ **وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ** ﴾ قادرين متمكنين من إخراجه ، نفي عنهم ما أثبته لنفسه ، أو حافظين في الغدران والعيون والآبار ، وذلك أيضاً يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في بعض الأوقات من بعض الجهات علي وجه ينتفع به الناس فإن طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص (١٢) .

﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي** ﴾ بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها . ﴿ **وَنُمِيتُ** ﴾ بإزالتها وقد أول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة علي الحصر . ﴿ **وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ** ﴾ الباقون إذا ماتت الخلائق كلها .

﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ** ﴾ من استقدم ولادة وموتاً ومن استأخر ، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بغد ، أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلي الطاعة أو تأخر لا يخفي علينا شئ من

---

(١٢) جاء في كتاب معجزة القرآن تعليقا علي هذه الآية .

الناس يحملون وصف الرياح باللواقح علي أنها لواقح للزرع والشجر، وهذا منهم إغفال للنصف الثاني من الآية، إذ لو كان ماذهبوا إليه هو المراد لترتب عليه إزكاء الزرع وإخراج الثمر للناس يأكلونه لاإنزال الماء من السماء يشربونه ، فالمراد إذن من وصف الرياح بأنها لواقح ليس هو الإشارة إلي أثرها في الجمع بين أعضاء التذكير وبويضات التأنيث في النبات ولكن هو الإشارة إلي أثرها في الجمع بين الكهربية الموجبة والكهربية السالبة في السحاب ، فالملاقحة هنا بين قطيرات وقطيرات ، أو بين سحاب وسحاب لابين زهرة وزهرة ، أو نبات ونبات .

إن هذه الدقة في النظام ، وهذا الإبداع والتناسق والترتيب في الصنع الذي لم يعتوره أي تغيير أوخلل مدي ملايين السنين ، لايمكن أن يحصل بطريق المصادفة بل لابد أن يكون هناك تصميم وإرادة ، ومتي ثبت التصميم والإرادة ثبت وجود المصمم والمريد ، وإذا لم تره العين فقد رآه العقل ، إن درسا في الطبيعة والكيمياء هو صلاة خاشعة وإن سياحة في علم الفلك هي تسبيح وتحميد ، وإن جولة في الحقول الناضرة والحدائق الزاهرة عبادة .

فللرياح وظيفة غير رفع السحب من البحر إلي السماء ، وهي تلقيح السحابة السالبة بالسحابة الموجبة فتكون كهرباء ولذا قال تعالي ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ فهي تولد الكهربايين قطرة وقطرة ، كما تنقل حبوب اللقاح من زهرة إلي زهرة فتكون سبب تلقيح السحاب أوتلقيح النبات .

معجزة القرآن – نعمت صدقي ص ٤٨

أحوالكم، وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج علي كمال قدرته ، فإن ما يدل علي قدرته دليل علي علمه . وقيل : رغب رسول الله ﷺ في الصف الأول فازدحموا عليه فنزلت . وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله ﷺ فتقدم بعض القوم لئلا ينظر إليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت (١٣) ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ لا محالة للجزاء ، وتوسيط الضمير للدلالة علي أنه القادر والمتولي لحشرهم لا غيره ، وتصدير الجملة بإن لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة علي كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل علي صحة الحكم كما صرح به بقوله : ﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ ﴾ باهر الحكمة متقن في أفعاله . ﴿ عَلِيمٌ ﴾ وسع علمه كل شئ .

قصة خلق الإنسان والجان

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ ﴾ من طين يابس يصلصل يُصَوِتُ إذا نقر. وقيل: هو من صلصل إذا أنتن ، تضعيف صَلَّ . ﴿ مِّنْ حَمَإٍ ﴾ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء ، وهو صفة صلصال أي كائن من حمأ . ﴿ مَّسْنُونٍ ﴾ مصور من سنه الوجه(١٤) ، أو مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب ، من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف ، فيبس حتي إذا نُقِر صَلْصَلَ، ثم غُيِّرَ ذلك طوراً بعد طور حتي سَوَّاه ونفخ فيه من روحه ، أو منتن من سننت الحجر علي الحجر إذا حككته به ، فإن ما يسيل بينهما يكون منتناً ويسمى السنين .

---

(١٣) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وأبو يعلي وأحمد والبزار والطبري وابن أبي حاتم ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت أمرأة حسناءمن أحسن الناس تصلي خلف رسول اللهﷺ وكان بعض القوم يتقدم حتي يكون في الصف الأول لأن لايراها ، أو يستأخر بعضهم حتي يكون في الصف الآخر ، فإذا ركع نظر من تحت إبطه فانزل الله هذه الآية

قال البزار : لانعلم رواه ابن عباس ولا له طريق إلا هذه ،وقال الترمذي : روي عن أبي الجوزاء مرسلا وهو أشبه – من تعليق الكشاف

ورواه كذلك السيوطي في لباب النقول قال : وأخرج ابن مردويه عن داود بن صالح أنه سأل سهل بن حنيفة الأنصاري عن هذه الآية : أنزلت في سبيل الله؟ قال : لا ولكنها نزلت في صفوف الصلاة.

(١٤) سنه الوجه : صورته.

الآيات من ٢٧ :٣٢

﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) ﴾

﴿ وَالْجَانَّ ﴾ أبا الجن وقيل : ابليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان ، لأن تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقاً منها وانتصابه بفعل يفسره . ﴿ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل خلق الإنسان . ﴿ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ من نار الحر الشديد النافذ في المسام ، ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة ، فضلاً عن الأجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري ، فإنها أقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الأرضي ، وقوله ﴿ مِن نَّارٍ ﴾ باعتبار الغالب كقوله ﴿ خلقكم من تراب ﴾ ومساق الآية كما هو للدلالة علي كمال قدرة الله تعالي وبيان بدء خلق الثقلين ، فهو للتنبيه علي المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر ، وهو قبول المواد للجمع والإحياء .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ واذكر وقت قوله . ﴿ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ .

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾ عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه . ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ حتي جري آثاره في تجاويف أعضائه فحيي ، وأصل النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر ، ولما كان الروح يتعلق أولاً بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين إلي أعماق البدن ، جعل تعلقه بالبدن نفخاً وإضافة الروح إلي نفسه لما مر في النساء . ﴿ فَقَعُوا لَهُ ﴾ فاسقطوا له . ﴿ سَاجِدِينَ ﴾ أمر من وقع يقع .

﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص ، وقيل : أكد بالكل للإحاطة وبأجمعين للدلالة على أنهم سجدوا

مجتمعين دفعة ، وفيه نظر ؛ إذ لو كان الأمر كذلك كان الثاني حالاً لا تأكيداً .

﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ إن جعل منقطعاً اتصل به قوله : ﴿ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ أي ولكن إبليس أبي ، وإن جعل متصلاً كان استئنافاً علي أنه جواب سائل ، قال : هلا سجد .

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ ﴾ أي غرض لك في أن لا تكون . ﴿ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ لآدم .

﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ ﴾ اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني وينافي حالي أن أسجد . ﴿ لِبَشَرٍ ﴾ جسماني كثيف وأنا ملك روحاني . ﴿ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ وهو أخس العناصر وخلقتني من نار وهي أشرفها ، استنقص آدمَ عليه السلام باعتبار النوع والأصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الأعراف .

الآيات من ٣٤ : ٤٢

﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) ﴾

﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا ﴾ من السماء أو الجنة أو زُمرة الملائكة . ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ مطرود من الخير والكرامة ، فإن من يطرد يرجم بالحجر أو شيطان يرجم بالشهب ، وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ ﴾ هذا الطرد والإبعاد . ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فإنه منتهى أمد اللعن ، فإنه يناسب أيام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٥) بمعنى آخر ينسي عنده هذه . وقيل إنما حد

(١٥) الأعراف ٤٤

اللعن به لأنه أبعد غاية يضر بها الناس ، أو لأنه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل .

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي ﴾ فأخرجني ،والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه ﴿ فاخرج منها فإنك رجيم ﴾ (١٦) ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أراد أن يجد فسحة في الإغواء أو نجاة من الموت ، إذ لا موت بعد وقت البعث فأجابه إلى الأول دون الثاني .

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ .

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ المسمي فيه أجلك عند الله ، أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الأولي عند الجمهور، ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة يوم القيامة ، واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أولاً بيوم الجزاء لما عرفته وثانياً بيوم البعث ، إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل ، وثالثًا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ، ولا يلزم من ذلك أن لا يموت فلعله يموت أول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه ، وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لم تدل علي منصب إبليس لأن خطاب الله له علي سبيل الإهانة والإذلال .

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ الباء للقسم وما مصدرية وجوابه . ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ والمعني أقسم بأغوائك إياى لأزينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله ﴿ أخلد إلي الأرض ﴾ (١٧) وفي انعقاد القسم بأفعال الله تعالي خلاف .

وقيل : للسببية والمعتزلة أوَّلوا الإغواء بالنسبة إلى الغي ، أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه السلام ، أو بالإضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن إمهال الله له، وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له علي إغواء بني آدم بأن الله تعالي علم منه وممن تبعه أنهم يموتون علي الكفر ويصيرون إلى النار أُمْهِلَ أو لم يُمْهَلْ ، وأن في إمهاله تعريضاً لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ، وضعف ذلك لا يخفى علي ذوى الألباب . ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ولأحملنهم أجمعين علي الغواية .

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي . وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بالكسر في

---

(١٦) الحجر ٣٤ (١٧) الأعراف ١٧٦

كل القرآن أي الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالي .

﴿ **قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ** ﴾ حق علي أن أراعيه . ﴿ **مُسْتَقِيمٌ** ﴾ لا انحراف عنه، والإشارة إلي ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من إغوائه ، أو الإخلاص علي معنى أنه طريق علي يؤدي إلي الوصول إلي من غير اعوجاج وضلال . وقرئ علي من علو الشرف .

﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ تصديق لإبليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ، ولأن المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم ، أو تكذيب له فيما أوهم أن له سلطاناً علي من ليس بمخلص من عباده ، فإن منتهي تزيينه التحريض والتدليس كما قال ﴿ **وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي** ﴾ (١٨) وعلي هذا يكون الاستثناء منقطعاً وعلى الأول يدفع قول من شرط أن يكون المستثني أقل من الباقي لإفضائه إلي تناقض الاستثناءين (١٩) .

---

(١٨) إبراهيم : ٢٢

(١٩) من الآثار التي أوردها الطبري في تفسيره عن كيفية إغواء إبليس لأتباعه من الإنس ما يرويه عن عبد الله بن المبارك وخلاصته : أن نبيا من الأنبياء السابقين كان إذا أراد أن يستنبئ ربه عن شئ خرج إلي مسجده خارج قريته فصلي ماكتب الله له ثم سأله مابدا له فبينا هو في مسجده إذ جاء عدو الله – يعني إبليس – حتي جلس بينه وبين القبلة ، فقال النبي : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

فقال عدو الله : أخبرني بأي شئ تنجو مني ؟

فقال هذا النبي : بل أخبرني بأي شئ تغلب ابن آدم – مرتين – فأخذ كل علي صاحبه إلي أن قال النبي : قوله تعالي﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ وإني والله ما أحسست بك قط إلا استعذت بالله منك

قال عدو الله : صدقت بهذا تنجو مني .

فقال النبي :أخبرني بأي شئ تغلب ابن آدم ؟

قال : آخذه عند الغضب والهوي . . . – مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٥٦٠

الآيات من ٤٣ : ٥١

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) ﴾

وصف النار

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ ﴾ لموعد الغاوين أو المتبعين ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد إن جعلته مصدراً علي تقدير مضاف ، ومعني الإضافة إن جعلته اسم مكان فإنه لا يعمل .

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ يدخلون منها لكثرتهم ، و طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي : جهنم ، ثم لظي ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون إلي المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية ، أو لأن أهلها سبع فرق . ﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ ﴾ من الأتباع . ﴿ جزء مقسوم ﴾ أفرز له ، ، فأعلاها للموحدين العصاة، والثاني لليهود ، والثالث للنصاري ، والرابع للصابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين ، والسابع للمنافقين (٢٠) ، وقرأ أبو بكر جزؤ بالتثقيل . وقرئ جز علي حذف الهمزة وإلقاء حركتها علي الزاى ، ثم الوقف عليه بالتشديد ثم إجراء الوصف مجرى الوقف ، ومنهم حال منه أو من المستكن في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها .

---

(٢٠) جاء في منزل المنافقين في النار قوله تعالي ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾ النساء ١٤٥ وذلك هم المصرون علي نفاقهم لأنهم أشد من المشركين عدوانا علي المؤمنين.

وصف الجنة

﴿ إنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ من أتباعه في الكفر والفواحش فإن غيرها مُكَفَّرة (٢١) . ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ لكل واحد جنة وعين أو لكل عدة منهما كقوله تعالي ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ (٢٢) ثم قوله ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ (٢٣) وقوله ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ (٢٤) الآية ، وقرأ نافع وحفص وأبو عمرو وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع الباقون بكسر العين . ﴿ ادْخُلُوهَا ﴾ على إرادة القول ، وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على أنه ماض (٢٥) فلا يكسر التنوين . ﴿ بِسَلامٍ ﴾ سالمين أو مسلماً عليكم . ﴿ آمِنِينَ ﴾ من الآفة والزوال .

﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ في الدنيا بما ألف بين قلوبهم ، أو في الجنة بتطييب نفوسهم . ﴿ مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ من حقد كان في الدنيا ، وعن علي رضي الله تعالي عنه : أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم ، أو من التحاسد علي درجات الجنة ومراتب القرب . ﴿ إِخْوَانًا ﴾ حال من الضمير في جنات ، أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير المضاف إليه ، والعامل فيها معنى الإضافة

---

(٢١) معني هذه العبارة : إن المتقين أي الذين يتقون الكفر والفواحش يستحقون الجنة ، فإن غير الكفر والفواحش من الذنوب تكفرها الصلوات ونحوها من أنواع الطاعات .

(٢٢) الرحمن ٤٦

(٢٣) الرحمن ٦٢

(٢٤) محمد ١٥

(٢٥) ماض مبني للمجهول وواو الجماعة نائب فاعل ، وفي هذه الحالة لاتكسر الهمزة بسبب تنوين كلمة عيون في الآية السابقة ، وإنما يأتي الكسر لو كانت الهمزة للوصل تجنبا لالتقاء الساكنين .

وفي سبب نزول هذه الآية قال السيوطي في لباب النقول : أخرجه الثعلبي عن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالي ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ فر ثلاثة أيام هاربا من الخوف لايعقل ، فجئ به النبي ﷺ فسأله : فقال : يارسول الله ، أنزلت هذه الآية فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي ، فأنزل الله تعالي : ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ﴾ .

وكذا قوله: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ ويجوز أن يكونا صفتين لإخوانا أو حال من ضميره لأنه بمعنى متصافين، وأن يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر(٢٦) .

﴿ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ استئناف أو حال بعد حال ، أو حال من الضمير في متقابلين. ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ فإن تمام النعمة بالخلود .

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له، وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها ، وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف (٢٧) .

قصة إبراهيم وضيوفه من الملائكة

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به .

الآيات من ٥٢ : ٦٠

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤)

---

(٢٦) جاء في لباب النقول : عن علي بن الحسين رضي الله عنهما :أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر : قيل وأي غل ؟ قال : غل الجاهلية إن بني تيم وبني عدي وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية عداوة فلما أسلم هؤلاء تحابوا فاخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر فنزلت هذه الآية.

(٢٧) جاء في أسباب نزول هذه الآية ما رواه الطبراني عن عبد الله بن الزبير قال : مر رسول اللهﷺ بنفر من أصحابه يضحكون فقال : تضحكون وذكر الجنة والنار بين أيديكم؟ فنزل قوله تعالي : نبئ عبادي .. الآيتان.
وأخرج ابن مردويه عن رجل من أصحاب رسول اللهﷺ قال : اطلع علينا رسول اللهﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة فقال : لأراكم تضحكون ، ثم أدبر ثم رجع القهقري فقال : إني خرجت حتي إذا كنت عند الحجر جاء جبريل فقال : يامحمد إن الله يقول لك مالك تقنط عبادي ؟ ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ لباب النقول .

قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا ﴾ أي نسلم عليك سلاماً أو سلمنا سلاماً . ﴿ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ خائفون وذلك لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت ، ولأنهم امتنعوا من الأكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره .

﴿ قَالُوا لا تَوْجَلْ ﴾ وقرئ لا تأجل من أوجله ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله . ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل ، فإن المبشر لا يخاف منه . وقرأ حمزة نبشرك بفتح النون والتخفيف من البشر ، ﴿ بِغُلامٍ ﴾ هو إسحاق عليه السلام لقوله ﴿ وبشرنها بإسحاق ﴾ (٢٨) . ﴿ عَلِيمٍ ﴾ إذا بلغ .

﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ ﴾ تعجب من أن يولد له مع مس الكبر إياه ، وإنكار لأن يبشر به في مثل هذه الحالة وكذا قوله . ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ أي فبأي أعجوبة تبشرون ، أو فبأي شئ تبشرون فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء ، وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن علي إدغام نون الجمع في نون الوقاية وكسرها ، وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالاً لاجتماع المثلين ودلالة بإبقاء نون الوقاية وكسرها على الياء .

﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ بما يكون لا محالة ، أو باليقين الذي لا لبس فيه أو بطريقة هى حق وهو قول الله تعالى وأمره . ﴿ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴾ من الآيسين من ذلك فإنه تعالي قادر على أن يخلق بشراً من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر؟ وكان استعجاب إبراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك :

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ المخطئون طريق المعرفة ، فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى ﴿ لا ييأس من

(٢٨) الصافات ١١٢

روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ (٢٩) وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بالكسر ، وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ أي فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة ، ولعله علم أن كمال المقصود ليس البشارة لأنهم كانوا عدداً والبشارة لا تحتاج إلى العدد ، ولذلك اكتفي بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهما السلام ، أو لأنهم بشروه في تضاعيف الحال لإزالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لا بتدءوا بها .

﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ يعني قوم لوط .

﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ ﴾ إن كان استثناء من قوم كان منقطعاً إذ القوم مقيد بالإجرام ، وإن كان استنثاء من الضمير في مجرمين كان متصلاً ، والقوم والإرسال شاملين للمجرمين ، وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى : إنا أرسلنا إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط منهم ، ويدل عليه قوله : ﴿ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي مما يعذب به القوم ، وهو استئناف إذا اتصل لاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجري خبر لكن إذا انقطع وعلى هذا جاز أن يكون قوله :

﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ ﴾ استثناء من آل لوط ، أو من ضميرهم ، وعلى الأول لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل إنا لمنجوهم اعتراضاً ، وقرأ حمزة والكسائي لَمُنْجُوهم مخففاً .

﴿ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ الباقين مع الكفرة لتهلك معهم . وقرأ ابو بكر عن عاصم قَدَرْنا هنا وفي النمل بالتخفيف (٣٠) ، وإنما علق والتعليق من خواص أفعال القلوب لتضمنه معنى العلم . ويجوز أن يكون قدرنا أجرى مجرى قلنا لأن التقدير بمعنى القضاء قول ، وأصله جعل الشئ على مقدار غيره وإسنادهم إياه إلي أنفسهم . وهو فعل الله سبحانه وتعالي لما لهم من القرب والاختصاص به .

---

(٢٩) يوسف ٨٧

(٣٠) في آية رقم ٥٧ من سورة النمل

الآيات من ٦١ : ٧١

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) ﴾

قصة لوط وقومه

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾ .

﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشر.

﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله ، بل جئناك بما يسرك ويشفي غلك من عدوك ، وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه .

﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ باليقين من عذابهم . ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ فيما أخبرناك به .
﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ فاذهب بهم في الليل ، وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السري وهما بمعنى ، وقرئ فسر من السير . ﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ في طائفة من الليل وقيل في آخره قال :

افتَحي البَابَ وَانْظُري فِي النُّجُومِ ... كَمْ عَلَيْنَا مِنْ قِطْعِ لَيْلٍ بهَيمِ (٣١)

﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾ وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم . ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه ، أو فيصيبه ما أصابهم ، أو ولا ينصرف أحدكم ولا يتخلف أمرؤ لغرض فيصيبه العذاب .

(٣١) هذا البيت لم ينسب لقائل واستشهد به الزمخشري في الكشاف علي ماستشهد به المؤلف هنا

وقيل: نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة . ﴿ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ أي حيث أمركم الله بالمضي إليه ، وهو الشام أو مصر، فعدى وامضوا إلى حيث ، وتؤمرون إلى ضميره المحذوف على الاتساع .

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ﴾ أي وأوحينا إليه مقضياً ، ولذلك عدى بإلي . ﴿ ذَلِكَ الأَمْرَ ﴾ مبهم يفسره . ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ ﴾ ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للآمر وتعظيم له . وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى : أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقي منهم أحد . ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء ، أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى ، فإن دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء.

﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ﴾ سدوم . ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ بأضياف لوط طمعاً فيهم .

﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ ﴾ بفضيحة ضيفي فإن من أسيء إلي ضيفه فقد أسيء إليه .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في ركوب الفاحشة . ﴿ وَلا تُخْزُونِ ﴾ ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان ، أو لا تخجلوني فيهم من الخزاية وهو الحياء .

﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ على أن تجير منهم أحداً أو تمنع بيننا وبينهم، فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه ، أو عن ضيافة الناس وإنزالهم .

﴿ قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي ﴾ يعني نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم ، وفيه وجوه ذكرت في سورة هود . ﴿ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ قضاء الوطر أو ما أقول لكم .

الآيات من ٧٢ : ٨٣

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩) وَلَقَدْ كَذَّبَ

أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ قسم بحياة المخاطب والمخاطب في هذا القسم هو النبي عليه الصلاة والسلام (٣٢) ، وقيل : لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك ، والتقدير لعمرك قسمي ، وهو لغة في العُمر يختص به القسم لإيثار الأخف فيه لأنه كثير الدور على ألسنتهم . ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ ﴾ لفي غوايتهم أو شدة غُلْمَتهم (٣٣) التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به إليهم . ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ يتحيرون فكيف يسمعون نصحك؟ وقيل : الضمير لقريش والجملة اعتراض .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ يعنى صيحة هائلة مهلكة . وقيل : صيحة جبريل عليه السلام . ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس .

﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا ﴾ عالي المدينة أو عالى قراهم . ﴿ سَافِلَهَا ﴾ وصارت منقلبة بهم . ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السِّجلِّ ، وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ للمتفكرين المتفرسين الذين يتشبثون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته .

﴿ وَإِنَّهَا ﴾ وإن المدينة أو القرى . ﴿ لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ ثابت يسلكه الناس ويرون آثارهم .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالله ورسله .

قصة شعيب وقومه

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ هم قوم شعيب كانوا يسكنون

(٣٢) جاء في تفسير ابن كثير : أقسم تعالي بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض ، قال ابن عباس – رضي الله عنهما : ما خلق الله وماذرأ ومابرأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ وماسمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال الله تعالي ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾
مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٥٦٣

(٣٣) الغُلمة – بضم الغين – شدة الشهوة للجماع

الغيضة[٣٤] فبعثه الله إليهم فكذبوه فأهلكوا بالظلة ، والأيكة الشجرة المتكاثفة .

﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ بالإهلاك . ﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾ يعني سدوم والأيكة . وقيل الأيكة ومدين فإنه كان مبعوثاً إليهما فكان ذكر إحداهما منبهاً على الأخرى . ﴿ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ لبطريق واضح ، والإمام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح لأنها مما يؤتم به .

قوم ثمود واهلالهم

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني ثمود كذبوا صالحا ، ومن كذب واحداً من الرسل فكأنما كذب الجميع ، ويجوز أن يكون المراد بالمرسلين صالحًا ومن معه من المؤمنين، والحجْر واد بين المدينة والشأم يسكنونه .

﴿ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم ، أو معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرِّها ، أو ما نصب لهم من الأدلة .

﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها ، أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه [٣٥] .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ .

---

(٣٤) الغيضة : الشجر الكثير الملتف

(٣٥) لعل في تسمية السورة باسم هؤلاء للإشارة إلي أن التغالي في التحصين والمبالغة في التمكين لاينجي من عذاب الله، فإذا كان هؤلاء الذين مكنوا لأنفسهم واتخذوا من الجبال بيوتا وحصونا أهلكهم الله في غمضة عين ولم تغنهم حصونهم ولابيوتهم ولاقوتهم من الله شيئا فكيف بغيرهم الذين لايسكنون حصونا ولابيوتا عالية؟ وصدق الله تعالي ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ فليعتبر المعتبرون بأهل الحجر الذين أهلكتهم صيحة هائلة مدمرة لم تبق منهم أحدا . .

وقد حذر النبي ﷺ أصحابه حين مربهم علي الحجر في غزوة تبوك ، فعن جابر رضي الله عنه قال : مررنا علي النبي ﷺ علي الحجر فقال لنا : لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ، واحذروا أن يصيبكم مثلما أصاب هؤلاء ثم زجر النبي

الآيات من ٨٤ : ٩٠

﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨٦) وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) ﴾

﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد .

وصايا للنبي ﷺ

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ إلا خلقاً ملتبساً بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ، فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء وإزاحة فسادهم من الأرض . ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ ﴾ فينتقم الله لك فيها ممن كذبك . ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ ولا تعجل بانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم . وقيل : هو منسوخ بآية السيف .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ ﴾ الذي خلقك وخلقهم وبيده أمرك وأمرهم . ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تكل ذلك إليه ليحكم بينكم، أوهو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم ، وقد علم أن الصفح اليوم أصلح ، وفي مصحف عثمان وأبي رضي الله عنهما هو الخالق ، وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير .

معنى السبع المثاني

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا ﴾ سبع آيات وهي الفاتحة . وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الأنفال والتوبة فإنهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية .

ﷺ راحلته فأسرع حتي خلفها ـ رواه الزمخشري من حديث جابر وروي هذا الحديث في الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وقيل التوبة وقيل يونس أو الحواميم السبع (٣٦) . وقيل سبع صحائف وهي الأسباع . ﴿ مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ بيان للسبع والمثاني من التثنية ، أو الثناء فإن كل ذلك مثني تكرر قراءته ، أو ألفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة والإعجاز ، أو مثن على الله بما هو أهله من صفاته العظمي وأسمائه الحسني ، ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن أو كتب الله كلها فتكون من للتبعيض . ﴿ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ إن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل علي البعض أو العام علي الخاص ، وإن أريد به الإسباعُ فمن عطف أحد الوصفين علي الآخر .

﴿ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ لا تطمح ببصرك طموح راغب . ﴿ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ ﴾ أصنافاً من الكفار ، فإنه مستحقَر بالإضافة إلى ما أوتيتَه فإنه كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذات . وفي حديث أبي بكر رضي الله تعالي عنه «**من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً** (٣٧) » وروي «**أنه عليه الصلاة والسلام وافي بأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة ، فقال المسلمون : لو كان هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فقال لهم : لقد أعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع**(٣٨)» . ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أنهم لم يؤمنوا . وقيل إنهم المتمتعون به . ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ

---

(٣٦) الحواميم السبع هي : غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف .

وفى فضلها يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : إذا وقعت فى الحواميم وقعت فى روضات دمثات .

(٣٧) أخرجه البخارى من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣٨) ذكره الزمخشرى فى كتابه الكشاف بلفظ « وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة ... فقال الله عز وعلا : لقد أعطيتكم .... » ويعد هذا من أسباب النزول لهذه الآية .

وهذا الخبر يشير إلى أن المقصود بالسبع المثانى هى الفاتحة ..

وزكى ابن كثير فى تفسيره أن السبع المثانى هى الفاتحة وروى فى ذلك حديثين أحدهما عن أبى سعيد بن المعلى قال : مر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وفيه « الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته .

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وتواضع لهم وارفق بهم .

﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم إن لم تؤمنوا .

تهديد لمن ناصبوا الرسول ﷺ العداء

﴿ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ مثل العذاب الذي أنزلناه عليهم فهو وصف لمفعول النذير أقيم مقامه ، والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول ﷺ ، فأهلكهم الله تعالي يوم بدر ، أو الرهط الذين اقتسموا أي تقاسموا علي أن يبيتوا صالحاً عليه الصلاة والسلام ، وقيل : هو صفة مصدر محذوف يدل عليه : ولقد آتيناك ، فإنه بمعني أنزلنا إليك ، والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عناداً : بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل ، وبعضه باطل مخالف لهما ، أو قسموه إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين ، أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرءون من كتبهم ، فيكون ذلك تسلية لرسول الله ﷺ ، وقوله لا تمدن عينيك ... الخ اعتراضاً مُمداً لها .

الآيات من ٩١ : ٩٩

﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾

﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ أجزاء جمع عضة ، وأصلها عضوة من عَضَّي

والثانى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أم القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم » .

الشاة إذا جعلها أعضاء . وقيل فعلة من عضهته إذا بهته ، وفي الحديث «**لعن رسول الله ﷺ العاضهة والمستعضهة** (٣٩) » وقيل أسحاراً وعن عكرمة العضة السحر ، وإنما جمع جمع السلامة جبراً لما حذف منه ، والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره .

﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ .

﴿ **عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ من التقسيم أو النسب إلي السحر فنجازيهم عليه . وقيل : هو عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي (٤٠) .

أمر بالجهر بالدعوة

﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ** ﴾ فاجهر به ، من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً ، أو فافرق به بين الحق والباطل ، وأصله الإبانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة ، والراجع محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع . ﴿ **وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ ولا تلتفت إلى ما يقولون .

معجزة هلاك المستهزئين

﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾ بقمعهم وإهلاكهم . قيل كانوا خمسة من أشراف قريش : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعدي بن قيس ، والأسود بن عبد

---

(٣٩) أخرجه أبو يعلى وابن عدى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما وفى إسناده مقال . ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف .
قال : وله شاهد من حديث عبد الرزاق من رواية عن ابن جريج عن عطاء .
والعاضهة يقصد بها الساحر .

(٤٠) مما ورد فى الآثار حول هذا السؤال : روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : والذى لا إله غيره مامنكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، فيقول : ابن آدم ، ماغرك منى بى ؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟ وروى ابن أبى حاتم عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعاذ إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه ، وعن فتات الطينة بإصبعه ، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك » . تفسير ابن كثير .

يغوث ، والأسود بن المطلب (٤١) ، يبالغون في إيذاء النبي ﷺ والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ : أمرت أن أكفيكهم ، فأومأ إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظماً لأخذه ، فأصاب عرقاً في عقبه فقطعه فمات ، وأومأ إلى أخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحي ومات ، وأشار إلى أنف عدي بن قيس فامتخط قيحاً فمات ، وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتي مات ، وإلى عيني الأسود بن المطلب فعمي .

﴿ **الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ عاقبة أمرهم في الدارين .

آيات للعلاج النفسي

﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ** ﴾ من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك .

﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ** ﴾ فافزع إلى الله تعالي فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك ، أو فنزهه عما يقولون حامداً له على أن هداك للحق .

﴿ **وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ** ﴾ من المصلين ، وعنه عليه الصلاة والسلام «**أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة**» .

﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾ أي الموت فإنه متيقن لحاقه كل حي مخلوق، والمعني فاعبده ما دمت حياً ولا تخل بالعبادة لحظة .

فضل سورة الحجر

عن رسول الله ﷺ «**من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد ﷺ** (٤٢) » والله اعلم .

---

(٤١) روى عروة بن الزبير أنهم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف : الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ، والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحارث بن الطلاطلة . هذا فى تفسير الكشاف .

وفى تفسير الجلالين للسيوطى والمحلى هم كما ذكرهم البيضاوى فى تفسيره .

(٤٢) رواه الزمخشرى فى الكشاف ، وقال ابن حجر فى تخريج أحاديثه : رواه الثعلبى من طريق أبى الخليل عن على بن زيد عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب رضى الله عنه .

سورة النحل مكية
وآياتها ثمان وعشرون ومائة
سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها
بسم الله الرحمن الرحيم
الآيات من ١ : ٤

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤)﴾

استعجال الكفار اليوم الآخر

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ كانوا يستعجلون ما أوعدهم الرسول ﷺ من قيام الساعة ، أو إهلاك الله تعالي إياهم كما فعل يوم بدر استهزاءً وتكذيبا ، ويقولون : إن صح ما تقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت ، والمعني أن الأمر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث إنه واجب الوقوع ، فلا تستعجلوا وقوعه فإنه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه . ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ تبرأ وجل عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم .

وقرأ حمزة والكسائي بالتاء علي وفق قوله ﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ والباقون بالياء علي تلوين الخطاب ، أو علي أن الخطاب للمؤمنين أو لهم ولغيرهم ، لما روي أنه لما نزلت أتي أمر الله فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رءوسهم فنزلت فلا تستعجلوه (١).

---

(١) وروى السيوطى فى لباب النقول : أخرج أبن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت " أتى أمر الله " ذعر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت " فلا تستعجلوه" فسكتوا .

القرآن إنذار وتذكير

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ ﴾ بالوحي أو القرآن ، فإنه يحيي به القلوب الميتة بالجهل ، أويقوم في الدين مقام الروح في الجسد ، وذكره عقيبَ ذلك إشارةٌ إلي الطريق الذي به علم الرسول ﷺ ما تحقق موعدهم به ودنوه وإزاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يُنْزِل من أنزل ، وعن يعقوب مثله وعنه تَنَزَّلُ بمعني تتنزل . وقرأ أبو بكر تُنَزَّل علي المضارع المبني للمفعول من التنزيل . ﴿ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ بأمره أو من أجله . ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾أن يتخذه رسولا . ﴿ أَنْ أَنذِرُوا ﴾ بأن أنذروا أى اعلموا من نذرت بكذا إذا علمته . ﴿ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ أن الشأن لا إله إلا أنا فاتقون ، أو خوفوا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا . وقوله فاتقون رجوع إلي مخاطبتهم بما هو المقصود ، وأن مفسرة لأن الروح بمعني الوحي الدال علي القول ، أو مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح أو النصب بنزع الخافض ، أو مخففة من الثقيلة .

والآية تدل علي أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وأن حاصله التنبيه علي التوحيد الذي هو منتهي كمال القوة العلمية ، والأمر بالتقوي الذي هو أقصي كمال القوة العملية . وأن النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل علي وحدانيته من حيث إنها تدل علي أنه تعالي هو الموجد لأصول العالم وفروعه علي وفق الحكمة والمصلحة ، ولو كان له شريك لقدر علي ذلك فيلزم التمانع .

وأخرج عبدالله بن الإمام أحمد فى زوائد الزهد ، وابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى بكر ابن أبى حفص قال : " لمانزلت " أتى أمر الله " قاموا ، فنزلت " فلاتستعجلوه " .

وعلى أى ففى هذه الأية تذكير بيوم القيامة الذى هو آت لامحالة منه . .

روى ابن أبى حاتم عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب مثل الترس فما تزال ترتفع فى السماء ثم ينادى مناد فيها : يأيها الناس فيقبل الناس بعضهم على بعض : هل سمعتم ؟ فمنهم من يقول : نعم ، ومنهم من يشك ، ثم ينادى الثانية يأيها الناس فيقول الناس بعضهم لبعض : هل سمعتم ؟ فيقولون نعم ، ثم ينادى الثالثة : يأيها الناس : أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فو الذى نفسى بيده إن الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه أبدا ، وإن الرجل ليمدن حوضه فمايسقى فيه شيئا أبدا وأن الرجل ليحلب ناقته فمايشربه أبدا قال : ويشتغل الناس " . تفسير بن كثير .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أوجدهما علي مقدار وشكل وأوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته . ﴿ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ منهما أو مما يفتقر في وجوده أو بقائه إليهما ومما لا يقدر علي خلقهما . وفيه دليل علي أنه تعالي ليس من قبيل الأجرام .

﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ جماد لا حس بها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل . ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ ﴾ منطيق مجادل . ﴿ مُّبِينٌ ﴾ للحجة أو خصيم مكافح لخالقه قائل : من يحيي العظام وهي رميم . روي أن أبي بن خلف أتي النبي ﷺ بعظم رميم وقال : يا محمد أتري الله يحيي هذا بعد ما قد رمَّ . فنزلت .

الآيات من ٥ : ٨

﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨) ﴾

من نعم الله علي الإنسان

﴿ وَالأَنْعَامَ ﴾ الإبل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره . ﴿ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾

---

* الإعجاز العلمي

﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ .

حول هذه الآية الكريمة يحدثنا الدكتور / علي العبيدي مدير معهد بحوث صحة الحيوان بمركز البحوث الزراعية تحت عنوان « من نعم الله ـ الانعام »

قال الله تعالي : ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لهم مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب ، أفلا يشكرون ﴾ . صدق الله العظيم

يبين المولي عز وجل في هذه الآية من سورة ﴿ يس ﴾ أنه سبحانه وتعالي خلق الأنعام

أو بالعطف علي الإنسان ، وخلقها لكم بيان ما خلقت لأجله وما بعده تفصيل له .
﴿ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ ما يدفأ به فيقي البرد . ﴿ وَمَنَافِعُ ﴾ نسلها ودرها وظهورها ،

* الإعجاز العلمي

والإبل ، والبقر ، والأغنام ، والماعز وذللها للإنسان فمنها ما يستعملها في الركوب ومنها ما يأكل لحمها أو يشرب لبنها ، أو يستخدم جلودها في صناعات كثيرة

قال تعالي : ﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشا ، كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين ﴾ .

لقد دخلت مخلفات الحيوان حديثا في صناعات كثيرة مثل الجلد والصوف والشعر والوبر والقرون وفي صناعة اكسسوارات الملابس والعظام في صناعة الغراء ومسحوق العظم أو الدم لتغذية حيوانات أخري .

وهكذا نجد أن متوسط استهلاك الفرد في مصر من الطاقة ٣٣٢١ سعراً حرارياً ، في حين أن استهلاك الفرد من البروتين يتراوح ما بين ٧٠ و ٩٠ جراماً يومياً ، ولكن المشكلة هنا تكمن في انخفاض البروتين الحيواني بما مقداره ١٦ جراماً يومياً (حوالي نصف الاحتياجات الأساسية من البروتين الحيواني) وتشاركنا في هذه المشكلة دول عديدة نامية خاصة في الشرق الأوسط حيث يستهلك الفرد حوالي ٦٥ جراماً بروتينياً في اليوم .

ويواصل الدكتور العبيدي حديثه قائلاً : إذا نظرنا إلى ناتج المذبوحات في عام٨٦ / ٨٧ في المجازر المصرية من لحوم وعظم وجلود ودماء ومحتويات (كرش) نجد أننا نحصل على آلاف الأطنان التي تقدر بنحو مليارى جنيه وتستخدم مساحيق العظام واللحوم والدماء كمكونات لعلائف الدواجن لإثرائها بالبروتين وبعض الأملاح المعدينة ، مع العلم بأن المذبوحات خارج المجازر الحكومية تقدر بحوالي ٤٠٪ من مذبوحات المجازر .

ومما سبق يجب علينا المحافظة علي الثروة الحيوانية وهي من نعم الله علينا ورعايتها بوضع الحلول المناسبة لأهم المشكلات التي تواجهها وتتلخص في توفير الأعلاف الصحية والآمنة ، إضافة إلى ضرورة توفير الرعاية الصحية ومقاومة أمراض الحيوان ، بالتشخيص السريع والمبكر للأمراض وحمايتها من الأمراض الوبائية والوافدة وإجراء البحوث العلمية ، وإنتاج اللقاحات البيطرية وتطويرها وإحكام الرقابة البيطرية عن طريق الحجر الصحي .

ويتطرق الدكتور العبيدي إلى موضوع التوازن البيئي ، والعبث بالطبيعة فيقول : لا بد أن يحذر الإنسان من العبث بالطبيعة وأن يراعي التوازن البيئي ، فهناك من الناس ضعاف

وإنما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها . ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والألبان ، وتقديم الظرف للمحافظة علي رءوس الآي ، أو لأن الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش ، وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلي سبيل التداوي أو التفكه .

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾ زينة . ﴿ حِينَ تُرِيحُونَ ﴾ تردونها من مراعيه إلي مراحلها بالعشي . ﴿ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ تخرجونها بالغداة إلي المراعي فإن الأفنية تتزين بها في الوقتين ويجل أهلها في أعين الناظرين إليها ، وتقديم الإراحة لأن الجمال فيها أظهر فإنها تقبل ملأي البطون حافلة الضروع ، ثم تأوي إلي الحظائر حاضرة لأهلها . وقرئ حينا علي أن تريحون وتسرحون وصفان له بمعني تريحون فيه وتسرحون فيه .

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾ أحمالكم . ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ ﴾ أي إن لم تكن الأنعام ولم تخلق فضلا أن تحملوها علي ظهوركم إليه . ﴿ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ﴾ إلا بكلفة ومشقة . وقرئ بالفتح وهو لغة فيه . وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه وأصله الصدع والمكسور بمعني النصف ، كأنه ذهب نصف قوته بالتعب . ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم .

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ ﴾ عطف علي الأنعام . ﴿ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ أي لتركبوها وتتزينوا بها زينة . وقيل هي معطوفة علي محل لتركبوها وتغيير النظم لأن

* **الإعجاز العلمي**

النفوس الذين يبتغون مالاً سهلاً حراماً حيث يتوجهون إلى صحراء مصر لاصطياد الغزلان والحيوانات البرية الأخرى مثل الأرانب والثعالب مما أحدث خللاً في التوازن البيئي ، حيث ظهرت الكلاب الشرسة المسعورة (السلعوه) التي لا تجد ما تفترسه من حيوانات صغيره في صعيد مصر فتهاجم الإنسان .

ويذكر أن قانون الزراعة المصري يبيح فقط ذبح الأبقار والجاموس والأغنام والماعز والإبل ، ولا يبيح ذبح الظباء مثلا أو الحيوانات الأخرى .

الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ، ولأن المقصود من خلقها الركوب وأما التزين بها فحاصل بالعرض . وقرئ بغير واو وعلي هذا يحتمل أن يكون علة لتركبوها أو مصدرا في موضع الحال من أحد الضميرين أى : متزينين أو متزينا بها، واستدل به علي حرمة لحومها ولا دليل فيه إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا أن لا يقصد منه غيره أصلا ، ويدل عليه أن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين علي أن الحمر الأهلية حرمت عام خيبر . ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ لما فصل الحيوانات التي يحتاج إليها غالبا احتياجا ضروريا أو غير ضروري أجمل غيرها، ويجوز أن يكون إخبارا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به ، وأن يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر علي قلب بشر (٢) .

---

(٢) ذكر تعالى أنواع ماخلق للناس من خيل وبغال وحمير ليركبوها وزينة ، ثم قال : وخلق ما لاتعلمون ، وهنا الإعجاز ، أى أنه تعالى يخلق غير هذه الأنعام أشياء أخرى لتحمل أثقالهم إلى أبعد البلاد وتقلهم الى حيث يريدون ، وهذه الأشياء التى يخلقها تعالى أى يوجدها ، تشير إلى عظيم ما أوجده – سبحانه – للإنسان من أسباب المواصلات والانتقال السريع إلى بلاد ثانية ، فقد خلق تعالى للناس القطارات والسيارات التى تنقل فى سرعه وتحمل فى سهولة أثقالهم إلى أقصى البلاد ، كما خلق الطائرات والنفاثات التى تجتاز المسافات الشاسعة فى سرعة هائلة وتحلق فوق أعلى الجبال وفوق البحار والمحيطات، وتوصل من فيها فى ساعة أو ساعتين إلى مالايستطيع الجمل أو الحصان قطعه فى عدة أشهر بل فى سنين ، ثم لايستطيع كذلك اجتياز البحار والجبال كما تجتازها الطائرة ، فسبحان أحسن الخالقين .

إنه تعالى ينبه الناس لاستقبال كل رائع مدهش من المخترعات فالجديد فى علم الله لانهاية له ولاحصر ، وكل ما يوفق إليه العلماء من علم قليل نزر بالقياس إلى المجهول الذى قد يكشف تعالى عن بعضه للمختارين من خلقه كما أخير فى قوله " ولايخيطون بشئ من علمه إلا بماشاء " البقرة ٢٥٥ .

وأشار إلى مايحدث من تقدم فى العلم فى قوله " سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " فصلت ٥٣ " . – من كتاب معجزة القرآن ص ٧٧ ، ٧٨ .

الآيات من ٩ : ١١

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) ﴾

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ بيان مستقيم الطريق الموصل إلي الحق ، أو إقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا ، أو عليه قصد السبيل يصل إليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم ، كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه ، والمراد من السبيل الجنس ولذلك أضاف إليه القصد وقال : ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ حائد عن القصد أو عن الله ، وتغيير الأسلوب لأنه ليس بحق علي الله تعالي أن يبين طرق الضلالة ، أو لأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل إلي القصد والجائر إنما جاء بالعرض . وقرئ ومنكم جائر أي عن القصد . ﴿ وَلَوْ شَاءَ ﴾ الله ﴿ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم إلي قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ من السحاب أو من جانب السماء . ﴿ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ﴾ ما تشربونه ، ولكم صلة أنزل أو خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به ، وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لأن مياه العيون والآبار منه لقوله ﴿ فسلكه ينابيع ﴾ (٣) وقوله ﴿ فأسكناه في الأرض ﴾ (٤) ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي . وقيل كل ما نبت علي الأرض شجر قال :

يَعْلِفُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَر ... وَالخَيْل في إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرَر

﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ ترعون . من سامت الماشية وأسامها صاحبها ، وأصله السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات .

---

(٣) الزمر ٢١ (٤) المؤمنون ١٨ .

﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ ﴾ وقرأ أبو بكر بالنون علي التفخيم . ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ وبعض كلها إذ لم ينبت في الأرض كل ما يمكن من الثمار ، ولعل تقديم ما يسام فيه علي ما يؤكل منه لأنه سيصير غذاء حيوانيا هو أشرف الأغذية ، ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالأجناس الثلاثة وترتيبها . ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

علي وجود الصانع وحكمته ، فإن من تأمل أن الحبة تقع في الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها ، فينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة ، وينشق أسفلها فيخرج منه عروقها . ثم ينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والأكمام والثمار ، ويشتمل كل منها علي أجسام مختلفة الأشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية إلي الكل ، علم أن ذلك ليس إلا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الأضداد والأنداد ، ولعل فصل الآية به لذلك .

الآيات من ١٢ : ١٦

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) ﴾

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ ﴾ بأن هيأها لمنافعكم. ﴿ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾ حال من الجميع أي نفعكم بها حال كونها متسخرات لله تعالي خلقها ودبرها كيف شاء ، أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره أو لحكمه ، وفيه إيذان بالجواب عما عسي أن يقال إن المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها ، فإن ذلك إن سُلِّم فلا ريب في أنها أيضا ممكنة الذات والصفات واقعة علي بعض الوجود المحتملة ، فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود

دفعا للدور والتسلسل ، أو مصدر ميمي جمع لاختلاف الأنواع . وقرأ حفص والنجوم مسخرات علي الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر أيضا . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ جمع الآية، وذكر العقل لأنها تدل أنواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة إلي استيفاء فكر كأحوال النبات .

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ عطف علي الليل ، أى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات . ﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ أصنافه فإنها تتخالف باللون غالبا . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أن اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم .

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ ﴾ جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص . ﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ هو السمك ، ووصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم يسرع إليه الفساد فيسارع إلي أكله ، ولإظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ، وتمسك به مالك والثوري علي أن من حلف أن لا يأكل لحما حنث بأكل السمك .

وأجيب عنه بأن مبني الإيمان علي العرف وهو لا يفهم منه عند الإطلاق ألا تري أن الله تعالي سمي الكافر دابة ولا يحنث الحالف علي أن لا يركب دابة بركوبه . ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ كاللؤلؤ والمرجان أي تلبسها نساؤكم ، فأسند إليهم لأنهن من جملتهم ولأنهن يتزين بها لأجلهم ، ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ ﴾ السفن . ﴿ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ جواري فيه تشقه بحيزومها ، من المخر وهو شق الماء . وقيل : صوت جري الفلك .﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ من سعة رزقه بركوبها للتجارة . ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي تعرفون نعم الله تعالي فتقومون بحقها ، ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لأنه أقوي في باب الأنعام من حيث إنه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش .

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ جبالا رواسي . ﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب ، وذلك لأن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع ،وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك ، أو أن

تتحرك بأدني سبب للتحريك فلما خلقت الجبال علي وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة . وقيل : لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة : ما هي بمقر أحد علي ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال . ﴿ وَأَنْهَاراً ﴾ وجعل فيها أنهارا لأن ألقي فيه معناه . ﴿ وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ لمقاصدكم ، أو إلي معرفة الله سبحانه وتعالي .

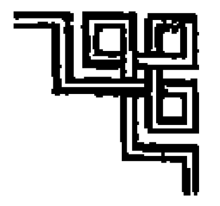
﴿ وَعَلامَاتٍ ﴾ معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك . ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ بالليل في البراري والبحار ، والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون علي الجمع . وقيل : الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ، ولعل الضمير لقريش لأنهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم ، وإخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصص كأنه قيل : وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون ، فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم .

الآية رقم ١٧

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) ﴾

خالق الخلق وواهب النعم هو المستحق للعبادة وحده

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ ﴾ إنكار بعد إقامة الدلائل المتكاثرة علي كمال قدرته وتناهي حكمته ، والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لأن يساويه ويستحق مشاركته مالا يقدر علي خلق شئ من ذلك بل علي إيجاد شئ ما ، وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق ، لكنه عكس تنبيها علي أنهم بالإشراك بالله سبحانه وتعالي جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عُبِد من دون الله سبحانه وتعالي مغلبا فيه أولو العلم منهم أو الأصنام ، وأجروها مجري أولي العلم لأنهم سموها آلهة ومن حق الإله أن يعلم ، أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو للمبالغة وكأنه قيل : إن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده . ﴿ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ فتعرفوا فساد ذلك فإنه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بأدني تذكر والتفات .



الآيات من ١٨ : ٢٤

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٤) ﴾

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ لا تضبطوا عددها فضلا أن تطيقوا القيام بشكرها ، أتبع ذلك تعداد النعم وإلزام الحجة علي تفرده باستحقاق العبادة تنبيها علي أن وراء ما عدد نعما لا تنحصر ، وأن حق عبادته تعالي غير مقدور . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ ﴾ حيث يتجاوز عن تقصير في أداء شكرها . ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة علي كفرانها .

عجز المعبودات التي يعبدها الكفار من دون الله

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ من عقائدكم وأعمالكم ، وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم بعد تزييفه باعتبار القدرة .

﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه . وقرأ أبو بكر يدعون بالياء . وقرأ حفص ثلاثتها بالياء . ﴿ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا ﴾ لما نفي المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين أنهم لا يخلقون شيئا لينتج أنهم لا يشاركونه ، ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنافي الألوهية فقال : ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ لأنهم ذوات ممكنة مفتقرة الوجود إلي التخليق ، والإله ينبغي أن يكون واجب الوجود .

﴿ أَمْوَاتٌ ﴾ هم أموات لا تعتريهم الحياة ، أو أموات حالا أو مآلا . ﴿ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ بالذات ليتناول كل معبود ، والإله ينبغي أن يكون حيا لا يعتريه الممات .

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ ولا يعلمون وقت بعثهم ، أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء علي عبادتهم ، والإله ينبغي أن يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب العقاب ، وفيه تنبيه علي أن البعث من توابع التكليف .

﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ تكرير للمدعي بعد إقامة الحجج . ﴿ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ . بيان لما اقتضي إصرارهم بعد وضوح الحق ، وذلك عدم إيمانهم بالآخرة ، فإن المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به ، والكافر بها يكون حاله بالعكس ، وإنكار قلوبهم ما لا يعرف إلا بالبرهان اتباعا للأسلاف وركونا إلي المألوف ، فإنه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات إلي قوله ، والأول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين .

﴿ لا جَرَمَ ﴾ حقا ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ فيجازيهم ، وهو في موضع الرفع بجرم لأنه مصدر أو فعل . ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده أو اتباع الرسول .

الكفار وما لهم في الآخرة

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ القائل بعضهم علي التهكم أو الوافدون عليهم أو المسلمون . ﴿ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾أي ما تدعون نزوله ، أو المنزل أساطير الأولين ، وإنما سموه منزلا علي التهكم أو علي الفرض أي علي تقدير أنه منزل فهوأساطير الأولين لا تحقيق فيه ، والقائلون قيل هم المقتسمون .

الآيات من ٢٥ : ٢٩

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي

أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) ﴾

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي قالوا ذلك إضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة فإن إضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال . ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ﴾ وبعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب .

﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال ، وفائدتها الدلالة علي أن جهلهم لا يعذرهم ، إذ كان عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل . ﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾بئس شيئا يزرونه فعلهم .

﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام . ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ فأتاها أمره من جهة العمد التي بنوا عليها بأن ضعضعت . ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ وصار سبب هلاكهم . ﴿ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ لا يحتسبون ولا يتوقعون ، وهو علي سبيل التمثيل .

وقيل : المراد به نمروذ بن كنعان (٥) بني الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر السماء ، فأهب الله الريح فخر عليه وعلي قومه فهلكوا .

﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾ يذلهم أو يعذبهم بالنار كقوله تعالي ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ (٦) ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴾ أضاف إلي

---

(٥) نمروذ بن كنعان هو الذى أرسل اليه إبراهيم عليه السلام ، وحاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبرهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الكافرين " البقرة ٢٥٨ .

قال زيد بن أسلم : أول جبار كان فى الأرض النمروذ فبعث الله عليه بعوضه فدخلت فى منخره ، فمكث أربعمائة سنة ، يضرب رأسه بالمطارق ، وكان جبارا أربعمائه سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه ، ثم أماته ، وهو الذى بنى الصرح إلى السماء الذى قال الله تعالى فيه : فأتى الله بنيانهم من القواعد ، أى اجتثه من أصله .

ـ تفسير أبن كثير .

(٦) آل عمران ١٩٢ .

نفسه استهزاء ، أو حكاية لإضافتهم زيادة في توبيخهم . ﴿ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾ تعادون المؤمنين في شأنهم . وقرأ نافع بكسر النون بمعني تشاقوني فإن مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عز وجل .

﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾أي الأنبياء أو العلماء الذين كانوا يدعونهم إلي التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم ، أو الملائكة ﴿ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ ﴾ الذلة والعذاب . ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ وفائدة قولهم إظهار الشماتة بهم وزيادة الإهانة ، وحكايته لأن يكون لطفا ووعظا لمن سمعه .

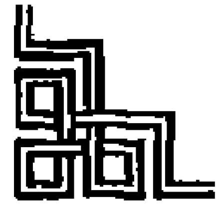
حال المشركين عند احتضارهم

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾ وقرأ حمزة بالياء . وقرئ بإدغام في التاء وموضع الموصول يحتمل الأوجه الثلاثة ﴿ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ بأن عرضوها للعذاب المخلد . ﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ﴾ فسالموا وأخبتوا حين عاينوا الموت . ﴿مَا كُنَّا ﴾ قائلين ما كنا . ﴿ نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ﴾ كفر وعدوان ، ويجوز أن يكون تفسيرا للسلم علي أن المراد به القول الدال علي الاستسلام . ﴿ بَلَىٰ ﴾ أي فتجيبهم الملائكة بلي . ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فهو يجازيكم عليه ، وقيل قوله ﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ﴾ إلي آخر الآية استئناف ورجوع إلي شرح حالهم يوم القيامة ، وعلي هذا أول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بأنا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا ، ويحتمل أن يكون الرادُّ عليهم هو الله تعالي ، أو أولو العلم .. ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾ كل صنف بابها المعد له . وقيل أبواب جهنم أصناف عذابها . ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ جهنم .

الآيات من ٣٠ : ٣٤

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ

يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٤) ﴾



أوصاف السعداء

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ يعني المؤمنين . ﴿ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً ﴾ أي أنزل خيرا ، وفي نصبه دليل علي أنهم لم يتلعثموا في الجواب ، وأطبقوه علي السؤال معترفين بالإنزال علي خلاف الكفرة . روي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ ، فإذا جاء الوافد المقتسمين (٧) قالوا له ما قالوا وإذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك .

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ مكافأة في الدنيا ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ أي ولثوابهم في الآخرة خير منها ، وهو عِدَةٌ (٨) للذين اتقوا علي قولهم ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا علي أنه منتصب بقالوا . ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله .

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح . ﴿ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾ من أنواع المشتهيات، وفي تقديم الظرف تنبيه علي أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة . ﴿ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الأول .

---

(٧) المقتسمين : هم الذين أخبر عنهم القرآن فى سورة الحجر " كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين " الحجر ٩٠ ، ٩١ .
وهم الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم ، فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول بعضهم عنه هذا ساحر ، ويقول الآخر كذاب ، ويقول الآخر : شاعر .. وهكذا .
راجع آخر سورة الحجر .

(٨) عدة : مصدر وَعَد مثل : وعْـد

وحال السعداء عند الاحتضار

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة ، أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلي حضرة القدس

﴿ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ﴾ لا يحيقكم (٩) بعد مكروه . ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ حين تبعثون فإنها معدة لكم علي أعمالكم . وقيل : هذا التوفي وفاة الحشر لأن الأمر بالدخول حينئذ .

تهديد للمشركين

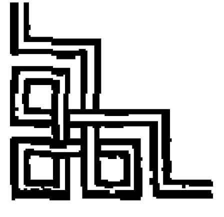
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ ما ينتظر الكفار المار ذكرهم . ﴿ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾ لقبض أرواحهم . . وقرأ حمزة والكسائي بالياء . ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ القيامة أو العذاب المستأصل . ﴿ كَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب . ﴿ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ فأصابهم ما أصابوا . ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾ بتدميرهم . ﴿ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بكفرهم ومعاصيهم المؤدية إليه . ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ أي جزاء سيئات أعمالهم علي حذف المضاف ، أو تسمية الجزاء باسمها . ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وأحاط بهم جزاؤه ، والحيق لا يستعمل إلا في الشر.

الآيات من ٣٥ : ٤٠

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٣٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن

(٩) لايحيقكم : لايلحق بكم .

يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٧) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٠) ﴾



حجة داحضة

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾ إنما قالوا ذلك استهزاء أو منعا للبعثة والتكليف متمسكين بأن ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيها ، أو إنكارا لقبح ما أنكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر (١٠) ونحوها محتجين بأنها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ، ملجئا إليه لا اعتذارا إذ لم يعتقدوا قبح أعمالهم ، وفيما بعده تنبيه علي الجواب عن الشبهتين . ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله . ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ إلا الإبلاغ الموضح للحق ، وهو لا يؤثر في هدي من شاء الله هداه لكنه يؤدي إليه علي سبيل التوسط ، وما شاء الله وقوعه إنما يجب وقوعه لا مطلقا بل بأسباب قدرها له ، ثم بين أن البعثة أمر جرت به السنة الإلهية في الأمم كلها سببا لهدي من أراد اهتداءه وزيادة لضلال من أراد ضلاله ، كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السوي ويقويه ، ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالي :

مهمة الرسل

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ يأمر بعبادة الله تعالي واجتناب الطاغوت ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ﴾ وفقهم للإيمان بإرشادهم . ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾ إذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم ، وفيه تنبيه علي فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة علي أن تحقق الضلال وثباته

---

(١٠) البحائر : جمع بحيرة . وهى ماورد ذكرها فى قوله تعالى " ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولاحام .. " راجع تفسير سورة المائدة الآية رقم ١٠٣ .

بفعل الله تعالي وإرادته من حيث إنه [قسم من هدي الله (١١)]. وقد صرح به في الآية الأخري . ﴿ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾ يا معشر قريش . ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون .

الهداية بيد الله وحده

﴿ إِن تَحْرِصْ ﴾ يا محمد . ﴿ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾ من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة . وقرأ غير الكوفيين لا يهدي علي البناء للمفعول وهو أبلغ . ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ من ينصرهم بدفع العذاب عنهم

إصرارهم على التكذيب بالبعث

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ عطف علي ﴿وقال الذين أشركوا ﴾ إيذانا بأنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه زيادة في المبيت علي فساده ، ولقد رد الله عليهم أبلغ رد فقال : ﴿ بَلَىٰ ﴾ يبعثهم . ﴿ وَعْدًا ﴾ مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلي فإن يبعث موعد من الله . ﴿ عَلَيْهِ ﴾ إنجازه لامتناع الخلف في وعده ، أو لأن البعث مقتضي حكمته . ﴿ حَقًّا ﴾ صفة أخري للوعد . ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم يبعثون وإما لعدم علمهم بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها ، وإما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ، (١٢) ثم إنه تعالي بين الأمرين فقال :

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ أي يبعثهم ليبين لهم . ﴿ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ وهو الحق . ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ فيما يزعمون ، وهو إشارة إلي

---

(١١) لعل تركيب العبارة التى بين القوسين هكذا : (من حيث إنه أشارت الآية إلى قسمين: قسم من هدى الله ، وقسم من حقت عليه الضلالة) .

(١٢) ذكر السيوطى فى لباب النقول سبب نزول هذه الآية فقال :أخرج بن جرير وابن أبى حاتم عن أبى العالية قال : كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين وأتاه يتقاضاه فكان فيمايتكلم به : والذى أرجوه بعد الموت أنه كذا وكذا ، فقال له المشرك : إنك لتزعم أنك تبعث من بعد الموت ، فاقسم بالله جهد يمينه ، لايبعث الله من يموت — فنزلت الآية .

السبب الداعي إلي البعث المقتضي له من حيث الحكمة ، وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ وهو بيان إمكانه وتقريره أن تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له علي سبق المواد والمدد ، وإلا لزم التسلسل فكما أمكن له تكوين الأشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال أمكن له تكوينها إعادة بعده ، ونصب ابن عامر والكسائي ها هنا وفي يس (١٣) فيكون عطفا علي نقول أو جوابا للأمر .

الآيات من ٤١ : ٤٦

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) ﴾

ثواب المهاجرين

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ هم رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرون ، ظلمتهم قريش فهاجر بعضهم إلي الحبشة ثم إلي المدينة وبعضهم إلي المدينة ، أو المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله ﷺ ، وهم بلال وصهيب وخبَّاب وعمار وأبو جندل وسهيل رضي الله تعالي عنهم ،

(١٣) آية رقم ٨٢ من سورة يس وهي قوله تعالى " إنما أمره أذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " .

والمقصود بالنصب نصب يكون .

وقوله ﴿ في الله ﴾ أي في حقه ولوجهه . ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ مباءة حسنة وهي المدينة أو تبوئة حسنة .﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ مما يعجل لهم في الدنيا (١٤) . وعن عمر رضي الله تعالي عنه : أنه كان إذا أعطي رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا ، وما ادخر لك في الآخرة أفضل . ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع بهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم ، أو للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم .

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ علي الشدائد كأذي الكفار ومفارقة الوطن ، ومحله النصب أو الرفع علي المدح . ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ منقطعين إلي الله مفوضين إليه الأمر كله .

الرسل بشر من الناس

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ رد لقول قريش : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا ، أي جرت السنة الإلهية بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشرا يوحي إليه علي ألسنة الملائكة ، والحكمة في ذلك وقد ذكرت في سورة الأنعام (١٥) فإن شككتم فيه . ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ أهل الكتاب أو علماء الأخبار ليعلموكم . . ﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وفي الآية دليل علي أنه تعالي لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة ، وقوله ﴿ جاعل الملائكة رسلا ﴾ (١٦) معناه رسلا إلي الملائكة أو إلي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقيل: لم يبعثوا إلي الأنبياء إلا متمثلين بصورة الرجال ، ورد بما روي أنه ﷺ رأي جبريل صلوات الله عليه علي

---

(١٤) من أسباب نزول هذه الآية : ماذكره ابن جرير عن داود بن أبى هند قال : نزلت فى أبى جندل بن سهيل ، وذكر ذلك السيوطى فى لباب النقول : وكان أبو جندل قد جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية فرده النبى صلى الله عليه وسلم إلى قريش وفاء للشرط المعقود فى الصلح وقال له النبى صلى الله عليه وسلم " اصبر يا أبا جندل وسيجعل الله من أمره فرجا ومخرجا ،

راجع قصة ذلك فى سيرة ابن هشام — صلح الحديبية —

(١٥) راجع تفسير الآيات من ٨ : ١٠ من سورة الأنعام .

(١٦) فاطر ١

صورته التي هو عليها مرتين وعلي وجوب المراجعة إلي العلماء فيما لايعلم .

﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ أي أرسلناهم بالبينات والزبر أي المعجزات والكتب ، كأنه جواب : قائل قال : بم أرسلوا ؟ ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا داخلاً في الاستثناء مع رجالا أي: وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك : ما ضربت إلا زيدا بالسوط، أوصفة لهم أي رجالا ملتبسين بالبينات ، أو بيوحي علي المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله علي أن قوله فاسألوا اعتراض ، أوبلا تعلمون علي أن الشرط للتبكيت والإلزام .

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ أي القرآن وإنما سمي ذكرا لأنه موعظة وتنبيه ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ في الذكر بتوسط إنزاله إليك مما أمروا به ونهوا عنه ، أو مما تشابه عليهم والتبيين أعم من أن ينص بالمقصود ، أويرشد إلي ما يدل عليه كالقياس، ودليل العقل ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وإرادة أن يتأملوا فيه فينتبهوا للحقائق.

التحذير من عاقبة المكر السيىء

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الأنبياء ، أو الذين مكروا برسول الله ﷺ وراموا صدَّ أصحابه عن الإيمان ، ﴿ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴾ كما خسف بقارون ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴾ بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط .

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴾ أي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم . ﴿ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾

الآيات من ٤٧ : ٥٠

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤٧) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠) ﴾

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ علي مخافة بأن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون ،أو علي أن ينقصهم شيئا بعد شئ في أنفسهم وأموالهم حتي يهلكوا من تخوفته إذا انتقصته .

روي أن عمر رضي الله تعالي عنه قال علي المنبر : ما تقولون فيها ؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا التخوف التنقص ،فقال : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته :

تخوف الرحْل منه تامكًا قردًا ... كما تخوف عُودَ النبعة السَّفَنُ(١٧)

فقال عمر : عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم .

﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ حيث لايعاجلكم بالعقوبة .

كل شئ يسجد لله

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ وما موصولة مبهمة بيانها : ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ ﴾ أي أولم ينظروا إلي المخلوقات التي لها ظلال متفيئة ، وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وأبو عمرو تتفيؤ بالتاء .

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ عن أيمانها وعن شمائلها أي عن جانبي كل واحد منها ، استعارة من يمين الإنسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعني كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله .﴿ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ وهما حالان من الضمير ظلاله .

---

(١٧) معنى البيت :

تخوف : تنقص شيئا فشيئا .– التامك : السنام المرتفع – القرد : الذى أكله القراد من كثرة الأسفار ، أو لعله يقصد أنه تنقب وفسد من كثرة السفر – النبعة : شجرة تتخذ منها القسى لصلابتها – السفن – بفتح الفاء : المبرد يقول الشاعر: تنقص الرحل سنام الناقة بسبب كثرة السفر ، كما تنقص المبرد أعواد النبعة .

والمقصود بديوانكم في كلام عمر : شعركم لأن الشعر هو ديوان العرب ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما يلجأ إلى هذا الشعر كثيرا ليفسر به ألفاظ القرآن .

والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع أو الاختيار ، يقال : سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب ،وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعني ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها ، أوباختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالي من جانب إلي جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة علي الأرض ملتصقة بها علي هيئة الساجد والأجرام في أنفسها أيضا داخرة أي صاغرة منقادة لأفعال الله تعالي فيها ، وجمع داخرون بالواو لأن من جملتها من يعقل ، أو لأن الدخور من أوصاف العقلاء.

وقيل: المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله هو الجانب الغربي المقابل له من الأرض فإن الظلال في أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة علي الربع الغربي من الأرض ، وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة علي الربع الشرقي من الأرض.

﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ أي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لإرادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وأمره طوعا ، ليصح إسناده إلي عامة أهل السموات والأرض وقوله : ﴿ **مِن دَابَّةٍ** ﴾ بيان لهما لأن الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كانت في أرض أو سماء . ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ** ﴾ عطف علي المبين به عطف جبريل علي الملائكة للتعظيم ، أو عطف المجردات علي الجسمانيات ، وبه احتج من قال إن الملائكة أرواح مجردة أو بيان لما في الأرض ، والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له إجلالا وتعظيما ، أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم، وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أولي من إطلاق من تغليبا للعقلاء . ﴿ **وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ عن عبادته .

﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ** ﴾ يخافونه أن يرسل غدا من فوقهم ، أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالي ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ (١٨) والجملة حال من الضمير في لايستكبرون ، أو بيان له وتقرير لأن من خاف الله تعالي لم يستكبر عن

(١٨) الأنعام ٦١

عبادته . ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ من الطاعة والتدبير ، وفيه دليل علي أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء .

الآيات من ٥١ : ٥٧

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧) ﴾

التحذير من الإشراك بالله

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة علي أن مساق النهي إليه ، أو إيماء بأن الاثنينية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد في قوله : ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ للدلالة علي أن المقصود إثبات الوحدانية دون الإلهية ، أو للتنبيه علي أن الوحدة من لوازم الإلهية . ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ نقل من الغيبة إلي التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال : فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير

﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ خلقا وملكا . ﴿ وَلَهُ الدِّينُ ﴾ أي الطاعة . ﴿ وَاصِبًا ﴾ لازما لما تقرر من أنه الإله وحده والحقيق بأن يُرْهَبَ منه . وقيل واصبا من الوصب أى وله الدين ذا كلفة . وقيل الدين الجزاء أي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر . ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال تعالي .

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ أي وأي شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله ، وما شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول ، فإن استقرار النعمة بهم يكون سببا للإخبار بأنها من الله لا لحصولها منه . ﴿ ثُمَّ إِذَا

مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ فما تتضرعون إلا إليه ، والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة .

﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم ﴾ وهم كفاركم ﴿ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ بعبادة غيره ، هذا إذا كان الخطاب عاما ، فإن كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كأنه قال : إذا فريق وهم أنتم ، ويجوز أن تكون من للتبعيض علي أن يعتبر بعضهم كقوله تعالي ﴿ فلما نجاهم إلي البر فمنهم مقتصد ﴾ (١٩) ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة ، أو إنكار كونها من الله تعالي . ﴿ فَتَمَتَّعُوا ﴾ أمر تهديد . ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ أغلظ وعيده ، وقرئ ﴿ فيمتعوا ﴾ مبنيا للمفعول عطفا علي ليكفروا ، وعلي هذا جاز أن تكون اللام لام الأمر الوارد للتهديد والفاء للجواب .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ ﴾أي لآلهتهم التي لا علم لها لأنها جماد فيكون الضمير لما ، أو التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل أنها تنفعهم وتشفع لهم ، علي أن العائد إلي ما محذوف ، أو لجهلهم علي أن ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به ﴿ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ من الزروع والأنعام . ﴿ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ من أنها آلهة حقيقية بالتقرب إليها وهو وعيد لهم عليه .

ادعاؤهم جهلا أن الملائكة بنات الله مع نفورهم من الأنثي

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله . ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيه له من قولهم ، أو تعجب منه ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ يعني البنين ، ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف علي البنات علي أن الجعل بمعني الاختيار ، وهو وإن أفضي إلي أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطرف .

---

(١٩) لقمان ٣٢

الآيات من ٥٨ : ٦٤

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (٦٢) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) ﴾

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ﴾ أخبر بولادتها . ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ ﴾ صار أو دام النهار كله . ﴿ مُسْوَدًّا ﴾ من الكآبة والحياء من الناس . واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير (٢٠) ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ مملوء غيظا من المرأة .

﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ ﴾ يستخفي منهم ﴿ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ . من سوء المبشر به عرفا . ﴿ أَيُمْسِكُهُ ﴾ محدثا نفسه متفكرا في أن يتركه . ﴿ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ ذل ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ أي يخفيه فيه ويئده ، وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما . ﴿ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ حيث يجعلون لمن تعالي عن الولد ما هذا محله عندهم .

﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ صفة السوء وهي الحاجة إلي الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق . ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ ﴾ وهو الوجوب الذاتي والغني المطلق والجود

---

(٢٠) التشوير مصدر شوّر إليه بيده ونحوها ، ويقال " شور به وشور فلانا إذا أخجله أو فعل به ما يخجله — المعجم الوسيط — .

الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين . ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ المنفرد بكمال القدرة والحكمة .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم ﴾ بكفرهم ومعاصيهم . ﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا ﴾ علي الأرض ، وإنما أضمرها من غير ذكر للدلالة الناس والدابة عليها . ﴿ مِن دَابَّةٍ ﴾ قط بشؤم ظلمهم . وعن ابن مسعود رضي الله تعالي عنه : كاد الجُعَل (٢١) يهلك في جحره بذنب ابن آدم (٢٢) أو من دابة ظالمة . وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء . ﴿ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ سماه لأعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا . ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ بل هلكوا أو عذبوا حينئذ لا محالة ، ولا يلزم من عموم الناس وإضافة الظلم إليهم أن يكونوا كلهم ظالمين حتي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لجواز أن يضاف إليهم ما شاع فيهم وصدر عن أكثرهم .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ أي ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء في الرياسة ، والاستخفاف بالرسل وأراذل الأموال . ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ ﴾ مع ذلك وهو . ﴿ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ أي عند الله كقوله ﴿ ولئن رجعت إلي ربي إن لي عنده للحسني ﴾ (٢٣) وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للألسنة . ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ رد لكلامهم وإثبات لضده .

﴿ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ مقدمون إلي النار من أفرطته في طلب الماء إذا قدمته . وقرأ نافع بكسر الراء علي أنه من الإفراط في المعاصي . وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات .

---

(٢١) الجعل : الجعران : هو حيوان كالخنفساء يكثر فى المواضع الندية ، ويجمع على جعلان – المعجم الوجيز –

(٢٢) أخرجه الطبرى والبيهقى فى شعب الإيمان الشعبة التاسعة والأربعين وفى الإسناد مقال – تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر – ونسبه ابن كثير فى تفسيره إلى أبى الأحوص – وذكر له بقية هى " ولكن الله لايؤخر شيئا إذا جاء أجله "

(٢٣) فصلت ٥٠

تسلية للنبي ﷺ

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ فأصروا علي قبائحها وكفروا بالمرسلين . ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ ﴾ أي في الدنيا ، وعبر باليوم عن زمانها أو فهو وليهم حين كان يزين لهم ، أو يوم القيامة علي أنه حكاية حال ماضية أو آتية ، ويجوز أن يكون الضمير لقريش أي زين الشيطان للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم ، وإن يقدر مضاف أي فهو ولي أمثالهم ، والولي القرين أو الناصر ، فيكون نفيا للناصر لهم علي أبلغ الوجوه .

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في القيامة .

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ للناس ﴿ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ من التوحيد والقدر وأحوال المعاد وأحكام الأفعال . ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ معطوفان علي محل لتبين فإنهما فعلا المنزل بخلاف التبيين .

الآيات من ٦٥ : ٦٧

﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) ﴾

عود إلي ذكر النعم التي أنعم الله بها علي عباده

﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أنبت فيها أنواع النبات بعد يسبها . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تدبر وإنصاف .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾ دلالة يعبر بها من الجهل إلي العلم .

* الإعجاز العلمي

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾

من مقال للدكتور/ محمد علي البنبي أستاذ وقاية النبات بزراعة عين شمس يقول تحت عنوان «ألفاظ قرآنية تبدو خطأ لغويا ولكن يكمن فيها الإعجاز»

﴿ نُسْقِيكُم مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ استئناف لبيان العبرة ، وإنما ذكَّر الضمير ووحَّده ها

* الإعجاز العلمي

فرح أعداء الإسلام بتنفيذ مخططهم بإبعاد المسلمين عن لغة قرآنهم ، حتي لم يعد لأسلوب القرآن وبلاغته عند الكثير من المسلمين الإحساس المعجز الذي كان يبهت له سامعيه من أهل اللغة العربية الأصيلة فيورثهم اليقين بأنه لا يمكن أن يكون قول بشر كما كان علي عهد الرسول ﷺ . .باعتراف كفارهم أنفسهم . . ولكن ﴿ يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ . . فقد برزت لغة معجزة أخرى من لغات ومعجزات القرآن العديدة . . وهي لغة العلوم المادية من علوم طبيعية وكيميائية وكونية بأدلتها اليقينية التي لا مجال لإنكارها . . والتي لم يكن لدي أحد عنها أي معلومات يقينية قبل العصر الحديث بأجهزته ووسائله العلمية المعقدة . وعندما يقرأ أي منصف هذه المعلومات ثابتة في القرآن الكريم منذ مئات السنين . . لا بد وأن يبهت وأن يقول مثل السابقين . . ﴿ ما هو بقول بشر ﴾ !

وبالقرآن الكريم ألفاظ تبدو وكأن بها خطأ لغوياً أو إملائياً لا ينطبق وقواعد اللغة العربية . . ولكنها في الحقيقة تنطبق تماماً وأصول اللغة بل إن بها إعجازاً بلاغياً إلي جانب إعجازها العلمي الذي ينطبق أيضاً والأكتشافات العلمية الحديثة . . بل إنه لا يصح سواها .

● في قوله تعالي في سورة النحل : ﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، إن في ذلك لآية لقوم يسمعون وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في (بطونه) من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغا للشاربين ﴾ ويلاحظ في الآية استعمال لفظ ﴿ بطونه ﴾ وهو مذكر على الأنعام التى تخرج الألبان ونحن جميعاً نعلم أن الأنعام التي تخرج الألبان لا بد أن تكون إناثاً فيكون اللفظ الطبيعي ﴿ بطونها ﴾ وليس ﴿ بطونه ﴾ . .

● الضمير في الآية جاء مذكراً ومفرداً لحكمة بالغة . .فالمقصود من المعنى هو : نسقيكم مما يوجد في بطون ذكور الأنعام لذلك استعمل اللفظ المفرد لأنه إذا استعمل لفظ الجمع بأن يقال ﴿ نسقيكم من بطونها ﴾ لعاد المعنى على بطون الأنعام بصفة عامة وإناثها بصفة خاصة لأنه بديهي أن الإناث هي التى تفرز اللبن .

● لكن كيف تفرز الذكور اللبن؟

يقول الدكتور البنبي هنا إشارة علمية دقيقة إلى أن اللبن يتكون من هرمونات الذكورة . . والأنثي لا تخرج اللبن إلا إذا تسببت النطفة الذكرية في إخصاب البويضة وتكوين الجنين مما يعمل في نفس الوقت على تنشيط ونمو العدد اللبنية حتى يكتمل إفرازها بالولادة

هنا للفظ وأنثه في سورة المؤمنين (٢٤) للمعني ، فإن الأنعام اسم جمع ولذلك عده

(٢٤) فى الآية رقم ٢١ من سورة " المؤمنــون " .

* الإعجاز العلمي

.. ولم يكن معروفاً إلا في العصر الحديث أن اللبن يتكون من هرمونات الذكورة ..

ويعكس هذا الإعجاز العلمي القرآني في هذا العصر البعيد من مئات السنين ـ حيث لا أحد يعلم شيئا عن هرمونات الذكورة أو الأنوثة ـ إعجازاً علمياً تشريعياً حين أذن رسول الله ﷺ للسيدة عائشة أم المؤمنين أن تلتقي بأخي زوج السيدة التى أرضعتها بعد نزول آية الحجاب لأمهات المؤمنين وقال لها ﷺ «ائذني له فإنه عمك» وقد سئل ابن عباس عن رجل له جاريتان (امرأتان) أرضعت إحداهما جارية (بنتاً) والأخرى غلاماً .. أيحل للغلام أن يتزوج الجارية ؟ قال : لا .. اللقاح واحد لذلك ذهب جمهور الفقهاء إلي أن اللبن للرجل وهو الذي يتعلق به التحريم ولا ينقطع النسب بالأرضاع عن زوج مات أو طلق فإنه يصبح المتوفي أو المطلق أبا للرضيع وإخوته أعماماً له .

ولقد ربط الله تعالي في الآية ٦٥ من سورة النحل بين إنبات الأرض وإفراز اللبن لما في كليهما من آية ونموذج يعتبر به في قدرة الله تعالى علي إحياء الأرض الجرداء الميتة بواسطة الماء الذي يتسبب في إنبات البذور من بين حبيبات التربة وما تحتويه من مواد عضوية متحللة فيخرج منه نبات أخضر بهيج وثمار طيبة اللون والطعم .. وهذا يماثل مفعول ماء النطفة الذكرية في بطون إناث الأنعام حيث ينبت جنيناً وتخرج لبناً أبيض لذيذ الطعم من بين عصارة المأكولات الداكنة اللون التي تعافها النفس والدم الأحمر اللون غير المستساغ الطعم والمحرم أكله لضرره على الجسم .

أما استعمال لفظ ﴿ بطونها ﴾ في سورة المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ فيلاحظ أن الآية لم تخص ذكر اللبن كما هو الحال في الآية الأولي و﴿ بطونها ﴾ هنا تعود على المذكر والمؤنث لأنه يعود عليهما ، وبقية المنافع أيضاً غير شرب ألبانها .. من ركوبها وأكل لحومها ..

●● ومن الآيات التي تبدو بها أيضاً ألفاظ مغايرة لقواعد اللغة الآيتان ٦٨ / ٦٩ من سورة النحل .. فيقول تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلي النحل أن (اتخذي) من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم (كلى) من كل الثمرات (فاسلكي) سبل ربك ذللا يخرج من =

سيبويه في المفردات المبنية علي أفعال كأخلاق وأكياس ، ومن قال إنه جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن اللبن لبعضها دون جميعها أو لواحده أو له علي المعني ، فإن المراد به الجنس . وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين . ﴿ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾ فإنه يخلق من بعض أجزاء الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث ، وهو الأشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش . وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما : أن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما ، ولعله إن صح فالمراد أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن ، لأنهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفارة الطعام المنهضم في الكرش ، ويبقي ثفله وهو

*** الإعجاز العلمي**

(بطونها) شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ .

● يقول الدكتور البنبي .. فبينما كلمة النحل جمع مذكر إلا أن الضمائر التالية مؤنثة ومفردة ﴿ اتخذي ﴾ ﴿ كلي ﴾ ..﴿ فاسلكي ﴾ .. ﴿ بطونها ﴾ .. لأن الموكول لها هذه الأعمال هي الشغالة المؤنثة وليس الذكور فكل شغالة على حدة عليها القيام بهذه الأعمال .. ولم يستدل بالطبع على الأعمال الموكلة لشغالات النحل من دون الذكور أو الملكات إلا في العصر الحديث بعد دراسة حياة النحل دراسة علمية دقيقة .

●● وهذه الألفاظ التي تبدو كأنها مخالفة للسياق .. لهي أكبر دليل على صدق الرسالة المحمدية وأنه من عند الله الخالق العليم بمن خلق .. فكأن الله تعالى أراد أن يلفت أنظارنا إلى هذه الآيات .. ولو كان ـ كما يدعون من تأليف سيدنا محمد ﷺ ـ استغفر الله ـ فما كان أيسر عليه في عصر البلاغة والفصاحة من أن يستعمل الألفاظ المتمشية مع السياق أو ينبهه الصحابة العالمون بفنون الكتابة لذلك .. بدلا من أن يعرض القرآن لهذا التشكيك والهجوم في عصر الفصاحة اللغوية .. وليسأل هؤلاء المشككون أنفسهم .. كيف يتأتي لرجل أمي في صحراء الجزيرة العربية منذ أكثر من ١٤ قرناً من الزمان أن يطلع علي علوم ومعان لم تكشف أسرارها إلى بعد قرون عديدة .. لذلك ارتبطت هذه الآيات بالدعوة إلى التفكير والاعتبار ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ .

وحقاً ﴿ لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ .

الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث أخلاطا أربعة معها مائية ، فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد علي قدر الحاجة من المرتين وتدفعها إلي الكلية والمرارة والطحال ، ثم يوزع الباقي علي الأعضاء بحسبها فيجري إلي كلٍّ حقُّه علي ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ، ثم إن كان الحيوان أنثي زاد أخلاطها علي قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة علي مزاجها ، فيندفع الزائد أولا إلي الرحم لأجل الجنين ، فإذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلي الضروع ، فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ، ومن تدبر صنع الله تعالي في إحداث الأخلاط والألبان وإعداد مقارها ومجاريها والأسباب المولدة لها والقوي المتصرفة فيها كل وقت علي ما يليق به ، اضطر إلي الإقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ، ومِنْ الأولي تبعيضية لأن اللبن بعض ما في بطونها ، والثانية ابتدائية كقولك : سقيت من الحوض ، لأن بين الفرث والدم المحل الذي يُبْتَدَأُ منه الإسقاء وهي متعلقة بنسقيكم أو حال من ﴿ لَّبَنًا ﴾ قدم عليه لتنكيره وللتنبيه علي أنه موضع العبرة . ﴿ خَالِصًا ﴾ صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث ، أو مُصفًّى عما يصحبه من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه . ﴿ سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ سهل المرور في حلقهم ، وقرئ سَيِّغاً بالتشديد والتخفيف .(٢٥)

---

(٢٥) جاء فى كتاب معجزة القرآن : نقلا عن كتاب القرآن الكريم والعلوم الحديثة للأستاذ أحمد كامل ضو مايلى تعليقا على هذه الآية الكريمة :

إن الجهاز الهضمى يقوم بهضم الغذاء وامتصاص الصالح منه ، وهذا الجزء الصالح يذهب إلى الدم فيختلط به ، وباستمرار دخوله فى القلب وخروجه منه ثم مروره فى أجزاء الجسم المختلفة يغذى مايحتاج منها إلى غذاء ، فالغذاء إذن تحول جزء منه الى دم ، وجزء منه إلى فرث – أى براز –

فالدم يسير فى أوعيته وهى الشرايين والأوردة المنتشرة فى جميع أجزاء الجسم صغيرها وكبيرها حاملا المواد الغذائية الذاهبة اليه من القناة الهضمية ليوزعها في أنحاء الجسم لبناء المنسوجات وتعويض المستهلك أثناء تأدية الوظائف الحيوية ، وهو يغذى الغدد التى منها الغدد اللبنية (ضرع الحيوان) المنوط بها إفراز اللبن .

فالغذاء إذن يتحول جزء منه إلى دم ، وهذا الدم إلى ضرع الحيوان حيث يغذى الغدد

﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأَعْنَابِ ﴾ متعلق بمحذوف أي ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرهما ، وقوله ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً ﴾ استئناف لبيان الإسقاء أو بتتخذون ، ومنه تكرير للظرف تأكيداً ، أو خبر لمحذوف صفته تتخذون أي ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه ، وتذكير الضمير علي الوجهين الأولين لأنه للمضاف المحذوف الذي هو العصير ، أو لأن الثمرات بمعني الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر . ﴿ وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ كالتمر والزبيب والدبس والخل .

والآية إن كانت سابقة علي تحريم الخمر فدالة علي كراهتها وإلا فجامعة بين العتاب والمنة . وقيل السَّكَر النبيذ وقيل : الطعم قال :

جَعَلْتُ أَعْرَاضَ الكِرَامِ سَكَراً

أي تنقلت (٢٦) بأعراضهم . وقيل : ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من أثمانه (٢٧) . ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات (٢٨) .

اللبنية بمايحمله من مواد مهضومة ، فتتمكن من القيام بوظيفتها وهى أفراز اللبن أو بعبارة أوضح تحول هذا الجزء إلى لبن .

أما الجزء الآخر من الغذاء فإنه يتحول الى فرث ، فإنه تعالى سيطر بقدرته على الطعام فشطره شطرين هما الدم والفرث وأخرج من بينهما اللبن خالصا من كل شائبة تشوبه من أثر الطعام المهضوم ورائحته ، صافيا من كل المواد الملوثة التى كانت فى الدم ، ناصع البياض طاهرا وذلك بعملية الغدد اللبنية التى خلقها سبحانه كمعمل كيميائى يتحول فيه الدم الى لبن ثم يصفى بأدق مصفاة وأنظف أداة حتى يخرجه تعالى لبنا خالصا سائغا للشاربين لاتشوبه شائبة من لون الدم ولامن قذارة الفرث ورائحته .

فما أعظم هذا الإعجاز فى هذه الآية الكريمة التى تصف للناس سرا يتم فى الظلام من المحال أن تراه عين إنسان .

– معجزة القرآن – نعمت صدقى ص ٧٢ .

(٢٦) تنقلت بأعراضهم : النقل بضم النون مايتنقل به على الشراب .

(٢٧) وقد يكون المراد كما أشار به بعض شيوخنا رحمهم الله – إلى أن الله خلق لنا الثمر حلالاً صافيا ، ولكن بعض الناس أساءوا التصرف فاتخذوا منه الخمر ، وبعضهم أحسن التصرف فجعلوه مصدرا للرزق .

(٢٨) يجدر هنا الإشارة إلى فوائد التمر والعنب . .

الآيات من ٦٨ : ٧٠

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ ألهمها وقذف في قلوبها ، وقرئ إلي النحل

ففى كل منهما شفاء ودواء . وقد ثبت صحيا أن التمر يشفى من أمراض عدة يطول الحديث عنها ، ويكفى فى ذلك أن نشير إلى كتاب « العلاج بالتمر والرطب ـ صحة نفسية ـ حيوية جنسيه ـ قوة جسمانيه ـ للمهندس نبيل على عبد السلام ، وتقديم ومراجعة د . احمد عبد المنعم عسكر ـ دار الطلائع بالقاهرة .

كما أن العنب علاج فعال لأمراض الكلى والبلهارسيا وبعض أنواع السرطان ويمكن الرجوع فى ذلك إلى كتاب : التداوى بالعنب لمؤلفه باسيل شاكلتون وترجمة الدكتور محمد الشيخ عمر . وفيه يقول : إن العنب استطاع أن يقتلع خراجا صديديا بكامل جذوره من الكلية فى خلال ثلاثة أسابيع . والكتاب مطبوع بمطبعة المدنى بالعباسية بالقاهرة . فسبحان الخلاق العظيم الرءوف الرحيم .

*** الإعجاز العلمي**

قال تعالى :﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ النحل ٦٨ .

تدل الدراسات المستفيضة لمملكة النحل ، أن إلهام الله لها يجعلها تطير لأرتشاف رحيق الأزهار ، فتبتعد عن خليتها آلاف الأمتار ، ثم ترجع إليها ثانية دون أن تخطئها وتدخل خلية أخرى غير خليتها ، علماً بأن الخلايا في المناحل تكون مرصوصة بعضها إلى جوار بعض .. وذلك لأن الله تعالى قد زودها بنوع من الأحساس الكهربي المغناطيسي في جسمها مصداقاً لقوله تعالي :

﴿ثم كلي من كل الثمرت فاسلكي سبل ربك ذللا ﴾ النحل٦٩

بفتحين . ﴿ أَنِ اتَّخِذِي ﴾ بأن اتخذي ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن في

* الإعجاز العلمي

وبعدأن يجمع النحل رحيق الأزهار في جوفه يتحول هذا الجوف إلى مصنع يجعل من هذا الرحيق شراباً فيه شفاء للناس مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ النحل ٦٩

ثم إن وصف القرآن لعسل النحل بأن فيه شفاء للناس هو حقيقة علمية أثبتتها التحاليل المعملية لهذه المادة .

وقد اتفقت آراء كل العلماء ، على أن في عسل النحل شفاء للناس .. ولم يحدث أن اهتمت الأوساط الطبية بشئ قدر اهتمامها بالعسل الذي صدرت عنه عشرات الآلاف من الكتب والنشرات .

وآخر ما اكتشفه العلم في العسل أنه يحتوى على مادة أسماها «أنهيبين» لها خاصية فريدة إذ توقف نمو الميكروبات فوراً وبعد دلك تميتها ، وما زال العلم يكتشف الجديد في تركيب العسل مما يجعله متميزاً على كل غذاء الإنسان .

أحوال النحل:

تتبع العلـماء أحوال النحل وكتبوا عنها مؤلفات ، وقد وصلوا من ذلك إلى الأمور التالية :

١ـ يعيش النحل في جماعات كبيرة ، قد يصل عدد بعضها نحو خمسين ألف نحلة ، وتسكن كل جماعة منها في بيت خاص يسمى خلية ، لا تخطئها كما سبق أن أشرنا .

٢ـ إن كل خلية يكون فيها نحلة واحدة كبيرة تسمى الملكة ، وهي أكبرهم حجماً ، وأمرها نافذ فيهم .. وعددها يتراوح بين أربعمائة نحلة وخمسمائة تسمى الذكور ، وعدد آخر من خمسة عشر ألفاً إلى خمسين ألف نحلة ، وتسمى الشغالات أو العاملات .

٣ـ تعيش هذه الفصائل الثلاث في كل خلية عيشة تعاونية ، كل له مهامه ، فعلى الملكة وحدها وضع البيض الذي يخرج منه نحل الخلية كلها ، فهي أم النحل .. وعلى الذكور تلقيح الملكة ، وليس لها عمل آخر ، وعلى الشغالة خدمة الخلية ، وخدمة الملكة ، وخدمة الذكور، فتنـطلق في المزارع طول النهار لجمع رحيق الأزهار ، ثم تعود إلى الخلية فتفرز عسلاً .

والمعروف أن النحل يملك وسيلة للتخاطب ، وذلك عن طريق الرقص .. إن النحل قادر

الإيحاء معني القول ، وتأنيث الضمير علي المعني فإن النحل مذكر . ﴿ مِنَ الْجِبَالِ

* الإعجاز العلمي

علي أن يعرف بهذا الشكل ـ الأتجاه الذي يجب أن يتخذه ، والمسافة التى توجد عليها الزهور التى سيمتص رحيقها .

والنحل يطير حول جدران الخلية في حلقات متكررة ، كأن يداً خفية تحركه وتهيجه ، وترتفع درجة الحرارة داخل الخلية بسرعة حتى ينصهر الشمع ويذوب ، ولقد ثبت بالدليل القاطع أن جماعة النحل تعمل على أن تكون عيون خلاياها سداسية الشكل بإرشاد من خالقها الذى أوحى لها ببناء مسكنها على أساس متين ، تتجلى فيه روعة الفن وجمال الذوق وإبداع الهندسة .. ومن هنا يتجلى لنا روعة الإعجاز العلمى في البيان القرآنى لمملكة النحل .

وإذا عدنا إلى التأمل العلمى في الآية القرآنية :

﴿ وأوحي ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ .

نجد أن بعض العلماء الذين كرسوا جهودهم لدراسة حياة الحشرات ، وقفوا على حقائق عجيبة أثبتت صحة ما جاء في القرآن ، من أن هناك فصائل برية من النحل تسكن الجبال ، وتتخذ من مغاراتها مأوى لها ، وأن منه سلالات تتخذ من الأشجار سكناً بأن تلجأ إلي الثقوب الموجودة في جذوع الأشجار ، وتتخذ منها بيوتاً تأوى إليها ، ولما أراد الإنسان أن ينتفع بعسل النحل ، استأنسها وصنع لها خلايا من الطين أو الخشب تعيش فيها .

وهكذا تبين الآية الكريمة كيف كانت هذه الحشرات بإلهام من الله تعالى تأوى إلى مساكنها المختلفة منذ القدم إلي يومنا هذا .

هذا ، وقد أثبت التاريخ أن النحل اتخذ بيوته في الجبال أولاً ، ثم في الأشجار، ثم في الأعراش والخلايا .

ويقول أحد العلماء :

«إنه سواء أذهب النحل إلي حيث شاء ، أم وضعه النحال في مكان جديد ، فإن العدد الأكبر منه ، يؤلف من نفسه وهو متلاصق متماسك ستاراً مثلثاً كثيفاً ، أشبه بمخروط مقلوب رأسه ، ويظل مدة من الزمن تتراوح بين ١٨ : ٢٤ ساعة على هذا الحال، تظهر بعدها طبقات بيضاء شفافة تحت معدة كل نحلة ، وتكون غيرها قد تولت كنس الأرض ومسحها وسد الشقوق .. وفجأة نرى نحلة من المخروط المقلوب انفصلت عن البقية ، وصعدت إلي أعلي موضع من البيت تنزع بفمها إحدى طبقات الشمع المتدلية من بطنها ،

بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ذكر بحرف التبعيض لأنها لا تبني في كل جبل

* الإعجاز العلمي

وبهذا تضع حجر الزاوية في مملكة النحل، ثم تغادر المكان حيث تحل غيرها مكانها ..

وينشئ النحل أربعة أنواع من الغرف .. هي الغرف الملكية ، وغرف الذكور وخزن الطعام ، والغرف الصغيره التى هي مهد العمال ، والمخازن العادية ، وهذه تشغل أخماس الخلية ، وغرف الانتقال للوصل بين بعض الغرف وبعضها الآخر ، وكل غرفة عبارة عن أنبوبة مسدسة الأضلاع علي قاعدة هرمية » .

ويضيف قائلاً : « نحن إذ نتأمل أسرار الخلية ، لا يسعنا إلا أن نظل على ذكر آية من آياتها ، هي الحجرة المسدسة ، التي تكاد تبلغ درجة الكمال المطلق ، فلا تستطيع أن تزيد عليه كل عبقريات البشر مجتمعين أية تحسينات » .

ويقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالى :

أنظر إلى النحل كيف أوحى الله إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتاً ، وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل ، وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء ، ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار ، واحتراسها من النجاسات والأقذار، وطاعتها لواحد من جماعتها وهو أكبرها شخصاً وهو أميرها .. فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل ، على صغر جرمه ، ذلك لطفاً به ، وعناية بوجوده ، فيما هو محتاج إليه ليهنأ عيشه ، فسبحانه ما أعظم شأنه ، وأوسع لطفه وامتنانه » من هنا نرى كيف اتفق العلم الحديث بعلمائه مع الدين بفقهائه في النظرة إلى قدرة الخالق ، وعجيب صنعه في حشرة من أعجب الحشرات ، مما يدلل على الإعجاز العلمي فيما تحدث عنه القرآن لدرجة أن سميت سورة باسم النحل .

ومن مقال للأخصائي أول شحاته أحمد عبد الفتاح خبير الصناعات الغذائية بمعهد البحوث وتكنولوجيا الأغذية تحت عنوان :

عسل النحل : شفاء للأمراض ووقاية للجسم

العسل هو المادة السكرية التى تجمعها شغالات النحل من رحيق الأزهار لتحوله داخل الخلايا إلى عسل ناضج تخزنه في أقراصها ثم تخرجه بقدرة الخالق مادة طبيعية حلوة شافية مغذية تعطي النشاط وتهب القوة والحيوية . ولا تختلف مكونات العسل كثيراً من نوع إلي آخر بل ومن بلد إلى آخر ولكن الإعجاز أن العلم والعلماء لم يتوصلوا إلى التعرف على كل مكونات العسل وقد أكدت كل التحاليل الكيميائية التى أجريت على المستوى =

وكل شجر وكل ما يعرش من كرم أو سقف ، ولا في كل مكان منها وإنما سمي ما

* الإعجاز العلمي

العالمي أن هناك مواد غير معروفه بالعسل تراوحت نسبتها بين ٢,٣ ، ٥,٣٪ وهنا يكمن السر الأعظم الذي لا يعلمه إلا الله في كون العسل غذاء ودواء وفيه شفاء للناس .

وعسل النحل هو الغذاء الوحيد الذى لا يفسد مع مرور الزمن ، ويمكن أن يحتفظ بقيمته الغذائية مدى الحياة إذا حفظ بطريقة آمنه وصحيحة وهو يحتل المرتبة الأولى في محتواه من السعرات الحرارية بسبب ارتفاع نسبة السكريات به وأهمها سكر الفركتورز الذي يمكن أن يمتص ويخزن في الخلايا دون الحاجة إلي وجود الأنسولين ولذا يعتبر عسل النحل (بكميات معقولة) مفيداً لمرضى السكر لأنه يمنع التسمم الذى ينتج عن مخلفات عملية التمثيل الغذائي للسكر العادى وأفضل صورة لتناول مريض السكر للعسل أن يخلط مع الزبادى منزوع القشدة .

وعسل النحل غنى بالفيتامينات وأيضاً بالعناصر المعدنية التى تعتبر من المكونات الأساسية للجسم البشرى وبرغم أنه فقير في محتواه من الدهون والبروتينات إلا أنه يتميز باحتوائه على مقادير محسوسة من الأنزيمات التي تقوم بدور مهم في إتمام التفاعل الكيميائي داخل الجسم ومضـادات حيوية (هي غالباً نتيجة نشاط إفرازى فى النحلة الشغالة) لها خاصية قتل الميكروبات والفطريات كما يحتوى العسل علي مواد مضادة للفيروسات ومواد تمنع انقسام الخلايات وبذلك يمكن استخذام عسل النحل كمادة مضادة للسرطان .

ولا شك أن القيمة العلاجية لعسل النحل آية من آيات المولى عز وجل بعد أن فاق في محتواه كل ما تحتويه أرقى العقاقير الطبية في صيدليات العالم ، وقد أسفرت الجهود المكثفة لمشاهير العلماء وعمالقة الاطباء على مر الأجيال عن الكثير من الاكتشافات الرائعة التى تؤكد فاعلية عسل النحل لعلاج قائمة طويلة من الأمراض والإصابات حتي أصبح عسل النحل ضمن أحدث الأساليب العلاجية المعتمدة في كثير من مستشفيات الدول المتحضرة لعديد من الأمراض الخطيرة التى حيرت البشرية فترة طويلة من الزمن . وقد وعد الله المتقين من عباده بجنه مليئة بالعديد من النعم منها ﴿ أنهار من عسل مصفى ﴾ (بنص الآية ١٥ من سورة محمد) وما جاء من أحاديث نبوية شريفة أكدت فاعلية الشفاء بعسل النحل فقد روى عن أبى هريرة ، وابن مسعود رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «عليكم بالشفاءين القرآن والعسل» كما روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ « الشفاء في ثلاث : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية بنار وأنهى أمتي =

تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الإنسان ، لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة

* الإعجاز العلمى

عن الكي» .

ولقد كان النبي ﷺ يشرب العسل مخففاً بالماء على الريق كما جاء في كتاب زاد المعاد ، وتلك أبسط وأخف صورة لتناول العسل وفى ذلك ضمان لسرعة امتصاصه كاملاً من القناة الهضمية .

وعسل النحل الطبيعى يمتاز بأن محتواه من الرطوبة تكون في صورة مرتبطة وهو بذلك مادة شرهة جداً للرطوبة وله القدرة علي امتصاص الماء إلي أن يزداد وزنه بنسبة ٣٣٪ وقد أمكن توظيف هذه الخاصية لعلاج ظاهرة التبول اللا إرادى عند الأطفال في فراشهم إذ يعتبر العسل في هذه الحالة وكأنه دواء يمتص الماء من جسم الطفل ويحول دون تبوله أثناء النوم هذا بالإضافة إلى التأثير المسكن لعسل النحل بالنسبة للجهاز العصبي للطفل .

وعسل النحل يقوى عضلة القلب ويمنع النزيف الدموى وهو ضرورى بعد العلميات الجراحية وفي فترات النقاهة والعسل يمنع تسمم الحمل وهو يحفظ قلوية الدم وإذا أضيف إليه ماء مقطر دافىء فإنه يمكن استخدامه كقطرة للعين أو نقط للأنف فتتلاشي آلام العين وتزول أعراض الانفلونزا ، ولعل أبرز ما يقال عن عسل النحل أنه اعتمد أخيراً كأحد المضادات الحيوية .

وتعتمد عملية إفراز شمع العسل على ظاهرة من أعجب وأغرب الظواهر التى تدل على قدرة خارقة تدعو إلي الدهشة حيث تختص شغالات النحل بإنتاجه بواسطة غدد شمعية خاصة توجد بمؤخرة أجسامها . ويحتوى شمع العسل علي مادة عطرية متميزة يمكن استخدامها في صناعة العطور عالية الجودة كما يتميز بخواص حافظة للأنسجة ، وهو يرطب كل الأماكن المصابة بالألم ويساعد على شفاء آلام الصدر والوقاية من الرشح وعلاج التهابات الجيوب الأنفية وطفح الجلد ، لذا فهو يدخل في تركيب المراهم الخاصة بعلاج بعض الأمراض الجلدية .

وشمع العسل يستخدم حديثاً في صناعة مستحضرات التجميل والبلاستر الطبي والكريمات المغذية والمنظفة ، ومضغ شمع العسل كاللبان من العوامل الفاتحة الشهية والتى تنبه إفراز اللعاب والعصير المعدى بالإضافة إلى أنه ينظف اللثة والأسنان ، ويزيد من قوة الفكين .

أما الغذاء الملكي فهو عبارة عن سائل لبنى تفرزه شغالات النحل بواسطة غدد تسمى =

التي لا يقوي علهيا أحذق المهندسين إلا بآلات وأنظار دقيقة ، ولعل ذكره للتنبيه علي ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء ، وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بضم الراء .

﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها . ﴿فَاسْلُكِي ﴾ ما أكلت . ﴿ سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النَّوْرَ المر عسلا من أجوافك ، أو فاسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل ، أو فاسلكي راجعة إلي بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك . ولا تلتبس . ﴿ ذُلُلاً ﴾ جمع ذلول وهي حال من السبل ، أي مذللة ذللها الله تعالي وسهلها لك، أو من الضمير في أسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به . ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا ﴾ كأنه عدل به عن خطاب النحل إلي خطاب الناس ، لأنه محل الإنعام عليهم والمقصود من خلق النحل وإلهامه لأجلهم .

﴿ شَرَابٌ ﴾ يعني العسل لأنه مما يشرب ، واحتج به من زعم أن النحل تأكل

*** الإعجاز العلمي**

الغدد البلعومية وهو غني بالفيتامينات والهرمونات المنشطة للأجهزة التناسلية .

وعلى الرغم من التركيب الكيميائي المعقد للغذاء الملكي وعدم القدرة على التوصل لكل مكوناته فإنه ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن له قدرة عالية على قتل الميكروبات تفوق حمض الفنيك ، وأن له خواص مضادة للفيروسات مثل فيروسات نزلات البرد كما ثبت أنه منشط لحركة الأمعاء وله تأثير منبه لحركة الرحم وتأثير في سرعة النمو وعلاج حالات الضعف الجنسي .

ولعل أهم ما يميز الغذاء الملكي أنه يحتوي على فيتامين (هـ) الذى يطلق عليه إكسير الحياة وهو فاتح للشهية وله أثر بالغ في علاج أمراض الشيخوخة والتهاب البروستاتا وإعادة الدورة الشهرية للسيدات اللاتي بلغن سن اليأس مبكراً وعلاج قرحة الاثني عشر ، وذلك لاحتوائه على حمض البانتوثينيك .

وقد استخدم الغذاء الملكي بنجاح في علاج تصلب الشرايين وحالات ارتعاش اليدين عند المسنين ونجح الأطباء في علاج بعض الأمراض الجلدية كالاكزيما باستخدام الغذاء الملكي لذلك فهو يدخل في تركيب الكريمات التى تعيد النضارة والحيوية إلى خلايا البشرة وتزيل التجاعيد .

الأزهار والأوراق المعطرة فتستحيل في بطنها عسلا ، ثم تقئ ادخارا للشتاء ، ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاءَ طلِّيَّة حلوة صغيرة متفرقة علي الأوراق والأزهار ، وتضعها في بيوتها ادخارا فإذا اجتمع في بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالأفواه . ﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ أبيض وأصفر وأحمر وأسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل . ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية ، أو مع غيره كما في سائر الأمراض ، إذ قلما يكون معجون إلا والعسل جزء منه ، مع أن التنكير فيه مشعر بالتبعيض ، ويجوز أن يكون للتعظيم . وعن قتادة أن رجلا جاء إلي رسول الله ﷺ فقال : **إن أخي يشتكي بطنه فقال : «اسقه العسل ، فذهب ثم رجع فقال : قد سقيته فما نفع فقال « اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله تعالي فبرأ فكأنما أنشط من عقال »** (٢٩)

وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله من أحوال النحل (٣٠) ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً

---

(٢٩) رواه الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أبى سعيد الخدرى . البخارى صـ ١٠ صـ ١١٩ ، ومسلم برقم ٢٢١٧ .

(٣٠) وفى الشفاء بعسل النحل آثار كثيرة ، وتجارب وفيرة تفوق الحد ، ويكفى أن نحيل فى ذلك إلى كتاب « عسل النحل فى القرآن والسنة » للدكتور السيد الجميلى ط دار ومكتبة الهلال بيروت لبنان .

وفى هذا الكتاب يشير المؤلف إلى أن عسل النحل لايمنع من تناوله مرضى السكر وقال تحت عنوان « فرية ظالمة داحضة عن العسل والسكر » :

خدعوك فقالوا : حذار من عسل النحل فإنه يرفع السكر فى الدم ، فإذا كنت مريضا بالسكر فاحذره لئلا تدخل فى غيبوبة سكرية .

هذه فرية ظالمة وأكذوبة داحضة ومعلومة مغلوطة لا أساس لها من الصحة وقد كتب المؤلف مقالا نشر بمجلة الأزهر بالقاهرة يدحض فيه هذا الافتراء المكذوب .

.. والحقيقة الثابته الصحيحة أن عسل النحل يحتوى على سكر الفركتوز ، أو سكر الفواكه ، وهو لايتحول إلى جلوكوز البتة ، بل إن محتوى عسل النحل على الفيتامينات المتعددة والأنزيمات والهرمونات والمعادن والأملاح ، كلها منشطات ومقويات ترفع مقاومة الجسم المعتلة الواهية الواهنة التى يأتى عليها مرض السكر غالبا ... راجع صـ ٩٩ من الكتاب المذكور .

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فإن من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة حق التدبر علم قطعا أنه لا بد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه .

تصرف الله في عباده

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بآجال مختلفة . ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ ﴾ يعاد . ﴿ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ أخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل . وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون . ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ليصير إلي حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم(٣١) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بمقادير أعماركم . ﴿ قَدِيرٌ ﴾ يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني ، وفيه تنبيه علي أن تفاوت آجال الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم ، ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم علي قدر معلوم ، ولو كان ذلك مقتضي الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ .

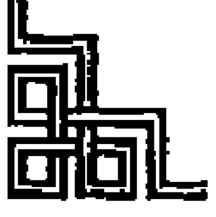
الآيات من ٧١ : ٧٦

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ

---

(٣١) كان النبى صلى الله عليه وسلم يستعيذ من هذه المرحلة ، فقد روى البخارى فى كتاب التفسير عند تفسير هذه الآية من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو قائلا « أعوذ بك من البخل والكسل والهرم وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الرجال وفتنة المحيا والممات » .

عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٦) ﴾



رد على المشركين في جهلهم وسوء فهمهم

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ فمنكم غني ومنكم فقير ، ومنكم مَوَال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم علي خلاف ذلك . ﴿ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ ﴾ بمعطي رزقهم . ﴿ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ علي مماليكهم فإنما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في أيديهم . ﴿ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ فالموالي والمماليك سواء في أن الله رزقهم ، فالجملة لازمة للجملة المنفية أو مقررة لها، ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل : فما الذين فضلوا برادي رزقهم علي ما ملكت أيمانهم فيستووا في الرزق ، علي أنه رد وإنكار علي المشركين فإنهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الألوهية ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم . فيما أنعم الله عليهم فيساووهم فيه . ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ حيث يتخذون له شركاء ، فإنه يقتضى أن يضاف إليهم بعض ما أنعم الله عليهم ويجحدوا أنه من عند الله ، أو حيث يتخذون له شركاء ، فإنه يقتضي أن يضاف إليهم بعض ما أنعم الله عليهم ويجحدوا أنه من عند الله ، أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعد ما أنعم الله عليهم بإيضاحهم ، والباء لتضمن الجحود معني الكفر . وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء لقوله : خلقكم وفضل بعضكم(٣٢) .

نعمة التزاوج والتناسل

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم مثلكم . وقيل هو خلق حواء من آدم . ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ

---

(٣٢) قال قتادة تعليقا على هذه الآية : هذا مثل ضربه الله تعالى : فهل منكم من أحد يشاركه مملوكه فى زوجته وفى فراشه ، فتعدلون بالله خلقه وعباده ؟ فإن لم ترض لنفسك هذا فالله أحق أن ينزه منك . ـ تفسير ابن كثير ـ

وَحَفَدَةً ﴾ وأولاد أولاد أو بنات ، فإن الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت أتم خدمة . وقيل : هم الأختان على البنات . وقيل : الربائب ، ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين . ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ من اللذائذ أو الحلالات ، ومن للتبعيض فإن المرزوق في الدنيا أنموذج منها . ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾ وهو أن الأصنام تنفعهم ، أو أن من الطيبات ما يحرم كالبحائر والسوائب . ﴿ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ حيث أضافوا نعمه إلي الأصنام، أو حرموا ما أحل الله لهم ، وتقديم الصلة علي الفعل إما للاهتمام ، أو لإيهام التخصيص مبالغة ، أو للمحافظة على الفواصل .

من الحمق عبادة من لا يرزق

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا ﴾ من مطر ونبات ، ورزقاً إن جعلته مصدراً فشيئاً منصوب به وإلا فبدل منه . ﴿ وَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أن يتملكوه أو لا استطاعة لهم أصلاً ، وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لأن ما فرد في معنى الآلهة ، ويجوز أن يعود إلي الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون شيئاً من ذلك فكيف بالجماد ؟؟

﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ فلا تجعلوا له مثلاً تشركونه به ، أو تقيسونه عليه فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ فساد ما تعولون عليه من القياس ، علي أن عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون . ﴿ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو عليم للنهي ، أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ، ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون . ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلاً لنفسه ولمن عبد دونه فقال .

مثل للكافر والمؤمن

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ ﴾ مَثَّل ما يُشْرَك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأساً ، ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالاً كثيراً فهو يتصرف فيه

وينفق منه كيف يشاء ، واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر علي الإطلاق .

وقيل : هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق ، وتقييد العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر فإنه أيضاً عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيماً للمالك المتصرف يدل علي أن المملوك لا يملك ، والأظهر أن مَنْ نكرة موصوفة ليطابق عبداً ، وجمع الضمير في يستوون لأنه للجنسين فإن المعني هل يستوي الأحرار والعبيد؟ ، ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ كل الحمد له ، لا يستحقه غيره فضلاً عن العبادة لأنه مولي النعم كلها . ﴿ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ فيضيفون نعمه إلى غيره ويعبدونه لأجلها .

﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ** ﴾ ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم . ﴿ **لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ** ﴾ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله . ﴿ **وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ** ﴾ عيال وثقل على من يلي أمره . ﴿ **أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ** ﴾ حيثما يرسله مولا ه في أمر ، وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعداً وتوجه بلفظ الماضي . ﴿ **لا يَأْتِ بِخَيْرٍ** ﴾ بنجح وكفاية مهم .﴿ **هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ** ﴾ ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم علي العدل الشامل لجامع الفضائل . ﴿ **وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ وهو في نفسه علي طريق مستقيم لا يتوجه إلي مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي ، وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهم كمال ما يقابلهما ، وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالي لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينهم أو للمؤمن والكافر (٣٣) .

---

(٣٣) ذكر السيوطى فى لباب النقول : أن هذه الآية نزلت فى عثمان ـ رضى الله عنه ـ ومولى له كان يكره الإسلام ويأباه وكان ينهى عثمان عن الصدقة والمعروف .

قال : وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أن آية « ضرب الله مثلا .. » قال : نزلت فى رجل من قريش وعبده .

الآيات من ٧٧ : ٨٠

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧) وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) ﴾

كمال قدرة إلله وعلمه بالغيب

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ يختص به علمه لا يعلمه غيره ، وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوساً ولم يدل عليه محسوس . وقيل : يوم القيامة فإن علمه غائب عن أهل السموات والأرض .﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ ﴾ وما أمر قيام الساعة فى سرعته وسهولته . ﴿ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾ إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدئ فيه ، فإنه تعالي يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن ، وأو للتخيير أو بمعني بل . وقيل : معناه أن قيام الساعة وإن تراخي ، فهو عند الله كالشئ الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة في استقرابه . ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر أن أحياهم متدرجاً ، ثم دل علي قدرته فقال :

الحواس وأهميتها

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ وقرأ الكسائي بكسر الهمزة علي أنه لغة أو إتباع لما قبلها ، وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في أهراق . ﴿ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ جهالاً مستصحبين جهل الجمادية . ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ﴾ أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء

فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الإحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية ، وتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها (٣٤) .

(٣٤) يقول العلماء قدم الله السمع على الأبصار ، لأن حاسة السمع تتنبه لدى الطفل قبل حاسة البصر ، وحاسة السمع هى التى تعلمه النطق حينما يبدأ الكلام ، فإنه ينطق بما يسمعه . .

وأداة السمع هي الأذن . فانظر إلى قدرة الله تعالى فى خلق هذه الأداة

وضع الله تعالى فى جانبى الرأس أذنين لتسمعا جيدا ما بالناحيتين من أصوات ، وما يصل إليهما من الخلف ، ولتساعد كل منهما الأخرى فى دقة السمع ، وجهز كل أذن بآلة موسيقية مكونة من مغارتين وأقواس عظيمة وطبلتين مشدودتين ، والأذن الخارجية هى هذا البوق الذى يجمع الصوت إلى القناة السمعية ، وهى قناة عظمية تنتهى بطبلة جلدية مشدودة على إطار عظمى مستدير تهتز مع ذبذبة الصوت .

وخلف هذه الطبلة فجوة مستديرة تنتهى بطبلة أخرى كالأولى ولكنها بيضاوية الشكل ويوجد بين الطبلتين عظيمات رفيعة ملتصقة بهما تنقل باهتزازها الذبذبة من الطبلة الخارجية إلى الطبلة الداخلية ، وخلف الطبلة الداخلية مغارة عظيمة أخرى ولكنها حلزونية تشبه القوقعة إذ تبدأ واسعة وتنتهى فى ضيق ، ويوجد بجدرانها أوتار مشدودة كأوتار الآلة الموسيقية تهتز وتتذبذب مع ذبذبة الطبلة الداخلية .

فتأمل هذه الآلة الموسيقية المتقنة العجيبة التى تهتز مع كل صوت ولحن ، وترن مع كل رنين فتوصل إلى المخ هذه الأصوات فيسمعها عن طريق الأعصاب التى تمتد بينه وبين الأذنين كما تمتد أسلاك الكهرباء .

إن كل أذن محطة استقبال تلتقط كل صوت عاليا كان أو خافتا ، حاداً أو هادئا فتنقله إلى المخ الذى يفهمه ويستوعب معانيه ويستمتع بجماله كما يستقبح القبيح من كل صوت . . تأمل أيها المؤمن بعقلك صنع الله الذى أتقن كل شيء . .

حاسة البصر . . وأداة البصر العين ، وقد جعل الله فى أعلى الوجه عينين لتبصرا جيدا ما بالناحيتين، ولتحتملا معا استمرار الرؤية مدة طويلة ، كالقراءة والحياكة أو أى عمل آخر . فالعين الواحدة لايمكنها أن ترى العمق والشكل ، وأن الشيء أمام الشيء الآخر لا يتضح إلا بمساعدة العين الأخرى . فكل منهما تساعد الأخرى فى دقة الإبصار .

وخلق الله تعالى العينين تدوران معا إلى أعلى وإلى أسفل وإلى اليمين وإلى اليسار لتريا ماحولهما ، كما خلق لكل عين محجرا وهو فجوة عظيمة تحيط بالعين كالإطار من كل الجهات لتقيها الصدمات ، وجعل فوق كل عين حاجبا من الشعر ليمنع نزول العرق عليها

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ كي تعرفوا ما أنعم عليكم طوراً بعد طور فتشكروه .

من الجبين ، كما صنع لكل عين جفنين يتحركان حركة إرادية ولا إرادية فينطبقان عليها ليغطياها عند النوم ويقياها كل مايؤذيها أو مايفاجئها من ضوء شديد وغيره .

ثم أحاط كل جفن بأهداب لتمنع دخول الغبار فيها كما تكسر من حدة ضوء الشمس بما تلقى على العين من ظلال .

وكما يقى الجفنان العين كل ما يضر بها ويزعجها فإنهما يمنعان بحركتهما اللا إرادية المتتالية جفافها ، ويدفعان بالدموع مادخل فيها من أتربة أو أى جسم غريب إلى الموق ، فهذه الدموع التى تملأ العين ويسيل منها أقوى مطهر لها ، ووظيفتها غسل العين وتنظيفها وطرد مادخل فيها ومايؤذيها إلى الموق مصب العين . فهو قناة بين الجفنين فى آخرهما من ناحية الأنف ، تصب ما بالعين إلى خارجها بدفع حركة الجفنين .

ومن العجب أن الجفنين لايدفعان بشيء عند حركتهما إلا إلى جهة الأنف ، أى إلى المصب أو الموق ليخرج هذا الشيء منه ، فإن الموق كالميزاب الذى يصب مايتجمع من ماء فوق الأسطح وفى الشرفات إلى الطرقات .

هذا التصميم المتقن العجيب نبصره . أما ما لا نبصره وهو كيف ترى العين فإنه أعظم وأروع . فإن جدار مقلة العين يتكون من الصلبة والمشيمية والشبكية ، ومن عدد كبير جدا من الأعصاب والأوعية ، وللعين حدقة وهى الفتحة المستديرة التى يدخل منها الضوء ، ويتغير حجم هذه الحدقة حسب كمية الضوء التى تتعرض لها العين ، فإذا مازاد الضوء ضاقت الحدقة ، وإذا ماقل الضوء اتسعت .

وللعين عدسة تضبط الصورة على الشبكية ، ويتغير سمك هذه العدسة حسب تركيز النظر على شيء قريب أو شيء بعيد ، فإذا ما ركز النظر على بعيد قل سمك العدسة ، وإذا ماركز على شيء قريب زاد سمكها ، وكل صورة تراها العين تطبع على الشبكية فيراها المخ ، إذ هو الناظر المبصر الذى يفهم ماتراه العين من أشكال وألوان عن طريق ما يمتد بينه وبين العينين من أعصاب . فما العين إلا جهاز يرى به المخ كل شيء .

والعين مرآة النفس ، إذ ينعكس عليها كل مايشعر به المرء من خوف وجزع ومن حزن أو فرح ومن حب أو بغض أو غضب ، فكل مايثير القلب يبدو فى العينين ، فإن للعين تعبير أقوى وأبلغ من اللسان .

الأفئدة :

والأفئدة جمع فؤاد ، وهو القلب .

الطير من عجائب القدرة

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء علي أنه خطاب للعامة . ﴿ مسَخَّرَات ﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المؤاتية له . ﴿ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾ في الهواء المتباعد من الأرض . ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴾ فيه . ﴿ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ فإن ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة

والقلب مضخة عضلية قوية تدفع بالدم إلى الأوعية المنتشرة فى جميع أعضاء وأنحاء البدن ، لتحمل الغذاء إلى جميع خلاياه وأنسجته ، ثم تحمل منها فضلاتها ، والقلب ينقسم أعلاه إلى قسمين يسمى كل قسم منهما أذينا ، كما ينقسم أسفله إلى قسمين يسمى كل قسم منهما بطينا ، وكل قسم فى أعلى القلب وظيفته الأستقبال وكل قسم فى أسفل القلب وظيفته الإرسال .

والأذين الأيمن فى أعلى القلب يلج فيه الدم الفاسد من الجسم ، وهو أزرق اللون لأمتلائه بثانى أكسيد الكربون ، وهو عبارة عن فضلات غازية ، والبطين الأيمن فى أسفله يدفع هذا الدم الأزرق إلى الرئتين لتنظفاه وتنقياه مما به من فضلات ، ثم تزوده بالأكسجين عن طريق التنفس .

أما الأذين الأيسر فإنه يستقبل الدم الذى نقته الرئتان مما يشوبه فأصبح أحمر اللون ، أما البطين الأيسر فإنه يدفع الدم الأحمر النقى إلى الوتين الأورطى ليسرى فى جميع الأوعية وينتشر فى كل أعضاء البدن ، موزعا عليها الغذاء عن طريق الأوعية ثم عن طريق مايتفرع منها من شعيرات دموية ، وهى مسالك دقيقة جدا يسرى بداخلها الدم فيصل إلى أقصى المواضع وأرق الأعضاء .

وهذا وصف ينطبق على توزيع المياه فى الأراضى الزراعية عن طريق الأنهار إذ تتفرع منها الترع ثم تتفرع من الترع القنوات إلى أقصى النواحى .

وهناك عملية أخرى لتصفية الدم مما يلوثه تقوم بها الكليتان . . .

راجع فيما ذكرناه كتاب معجزة القرآن

وهذا الجانب من وظيفة القلب مهم فى حفظ حياة الإنسان وللقلب وظيفة أخرى هى مايشير إليه القرآن الكريم بقوله تعالى « لهم قلوب لايفقهون بها » الأعراف ١٧٩ كأن القلب أداة العقل والفهم والمعرفة والتبصر ، وإذا فارق القلب هذه المهمة تحول صاحبه إلى حيوان لاهم له إلا الطعام مصداقا لقوله تعالى فى نهاية هذه الآية « أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

تحتها تمسكها . ﴿ إنَّ فِي ذَلكَ لآيَاتٍ ﴾ تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة يمكن معها الطيران ، وخلق الجو بحيث يمكن الطير فيه وإمساكها في الهواء علي خلاف طبعها . ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ لأنهم هم المنتفعون بها .

نعمة السكن

﴿ وَالـلَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر ، فعل بمعني مفعول .﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا ﴾ هي القباب المتخذة من الأدم (٣٥) ، ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فإنها من حيث إنها نابتة علي جلودها يصدق عليها أنها من جلودها . ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا ﴾ تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها . ﴿ يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ وقت ترحالكم . ﴿ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ ووضعها أو ضربها وقت الحضر أو النزول . وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه . ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ﴾ الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز ، وإضافتها إلى ضمير الأنعام لأنها من جملتها . ﴿ أَثَاثًا ﴾ ما يلبس ويفرش . ﴿ وَمَتَاعًا ﴾ ما يتجر به . ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إلى مدة من الزمان فإنها لصلابتها تبقى مدة مديدة ، ، أو إلى حين مماتكم ، أو إلى أن تقضوا منه أوطاركم .

الآيات من ٨١ : ٨٥

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥) ﴾

---

(٣٥) الأدم : الجلد

نعمة الظل والملبس

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ﴾ من الشجر والجبل والأبنية وغيرها . ﴿ ظِلالاً ﴾ تتقون بها حر الشمس . ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كِن . ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ ﴾ ثياباً من الصوف والكتان والقطن وغيرها . ﴿ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ خصه بالذكر اكتفاء بأحد الضدين أو لأن وقاية الحر كانت أهم عندهم . ﴿ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ يعني الدروع والجواشن ، والسربال يعم كل ما يلبس . ﴿ كَذَلِكَ ﴾ كإتمام هذه النعم التي تقدمت . ﴿ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ أي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه . وقرئ تَسْلَمُون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب، أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك . وقيل : تسلمون من الجراح بلبس الدروع .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا ولم يقبلوا منك . ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ فلا يضرك فإنما عليك البلاغ وقد بلغت ، وهذا من إقامة السبب مقام المسبب .

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ أي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبأنها من الله تعالي . ﴿ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم إنها بشفاعة آلهتنا ، أو بسبب كذا أو باعراضهم عن أداء حقوقها . وقيل : نعمة الله نبوة محمد ﷺ ، عرفوها بالمعجزات ثم أنكروها عناداً ، ومعنى ثم استبعاد الإنكار بعد المعرفة . ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ الجاحدون عناداً (٣٦) ، وذكر الأثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل أو التفريط في النظر ، أو لم تقم عليه الحجة لأنه لم يبلغ حد التكليف وإما لأنه يقام مقام الكل كما في قوله

---

(٣٦) روى السيوطى فى لباب النقول حول سبب نزول هذه الآية قال : أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد أن أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا » قال الأعرابى : نعم ، ثم قرأ عليه « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم » قال : نعم . ثم قرأ عليه . . . كل ذلك يقول : نعم حتى بلغ : « كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون » فولىَّ الأعرابى ، فانزل الله تعالى « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » .

(٣٧) النحل ٧٥

الرسل شهداء علي أممهم يوم القيامة

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالإيمان والكفر . ﴿ ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في الاعتذار إذ لا عذر لهم . وقيل في الرجوع إلى الدنيا . وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الإقناط الكلي علي ما يمنعون به من شهادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ﴿ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ولا هم يسترضون ، من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر ، أو خوفهم أو يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله :

﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ ﴾ عذاب جهنم . ﴿ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ﴾ أي العذاب . ﴿ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ يمهلون .

الآيات من ٨٦ : ٩٠

﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦) وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾

تبرؤ الشركاء من المشركين

﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ﴾ أوثانهم التي ادعوها شركاء ، أو الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه . ﴿ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ ﴾ نعبدهم أو نطيعهم ، وهو اعتراف بأنهم كانوا مخطئين في ذلك ، أو التماس لأن يشطر عذابهم . ﴿ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ

﴿ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي أجابوهم بالتكذيب في أنهم شركاء الله ، أو أنهم ما عبدوهم حقيقة وإنا عبدوا أهواءهم كقوله تعالي ﴿ كلا سيكفرون بعبادتهم ﴾ (٣٨) ولا يمتنع إنطاق الله للأصنام به حينئذ ، أو في أنهم حملوهم علي الكفر وألزموهم إياه كقوله ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ (٣٩) .

﴿ وَأَلْقَوْاْ ﴾ وألقي الذين ظلموا . ﴿ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ ﴾ الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا . ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم ﴾ وضاع عنهم وبطل . ﴿ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون هم حين كذبوهم وتبرءوا منهم .

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بالمنع عن الإسلام والحمل علي الكفر . ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا ﴾ لصدهم ﴿ فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ المستحق بكفرهم . ﴿ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ بكونهم مفسدين بصدهم .

الرسول شهيد علي أمته

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ يعني نبيهم فإن نبي كل أمة بعث منهم . ﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمد . ﴿ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ﴾ علي أمتك . ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ استئناف أو حال بإضمار قد . ﴿ تِبْيَانًا ﴾ بياناً بليغاً . ﴿ لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ من أمور الدين علي التفصيل أو الإجمال بالاحالة إلي السنة أو القياس . ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ للجميع وإنما حرمان المحروم من تفريطه . ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ خاصة .

الإسلام يدعو إلي مكارم الأخلاق

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ بالتوسط في الأمور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك ، والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر ، وعملاً كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ، وخلقاً كالجود المتوسط بين البخل والتبذير . ﴿ وَالْإِحْسَانِ ﴾ إحسان الطاعات ، وهو إما بحسب الكمية

---

(٣٨) مريم ٨٢

(٣٩) إبراهيم ٢٢

كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» . ﴿ **وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة . ﴿ **وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ عن الإفراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فإنه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها ﴿ والمنكر ﴾ ما ينكر على متعاطيه في إثارة القوة الغضبية ﴿ **وَالْبَغْيِ** ﴾ والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم ، فإنها الشيطنة التي هي مقتضي القوة الوهمية ، ولا يوجد من الإنسان شر إلا وهو مندرج في هذه الأقسام صادر بتوسط إحدى هذه القوى الثلاث ، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : هي أجمع آية في القرآن للخير والشر . وصارت سبب إسلام عثمان بن مظعون رضي الله تعالي عنه ، ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شئ وهدي ورحمة للعالمين ، ولعل إيرادها عقب قوله ﴿ ونزلنا عليك الكتاب ﴾ للتنبيه عليه . ﴿ **يَعِظُكُمْ** ﴾ بالأمر والنهي والميز بين الخير والشر . ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ تتعظون (٤٠) .

الآيات من ٩١ : ٩٤

﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا**

(٤٠) روى الحافظ بن أبي يعلى عن عبد الملك بن عمير قال : بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أن يأتيه ، فأبى قومه أن يدعوه ، وقالوا : أنت كبيرنا لم تكن لتخفّ إليه . قال : فليأته من يبلغه عني ويبلغني عنه ، فانتدب رجلان فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقالا : نحن رسل أكثم إليك ، وهو يسألك : من أنت ؟ وما أنت ؟ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : أما من أنا فأنا محمد بن عبد الله ، وأما ما أنا فأنا عبد الله ورسوله . قال ثم تلا عليهما هذه الآية « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... قالا : رَدِّدْ علينا هذا القول ، فردده عليهما حتى حفظاه ، فأتيا أكثم فقالا : أبى أن يرفع نسبه ، فسألنا عن نسبه فوجدناه زاكي النسب وسطاً في مضر - أي شريفا - وقد رمى إلينا بكلمات قد سمعناها . فلما سمعهن أكثم قال : إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها ،فكونوا في هذا الأمر رءوسا ولاتكونوا أذنابا - تفسير ابن كثير -

يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤) ﴾

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ يعني البيعة لرسول الله ﷺ علي الإسلام لقوله تعالى ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾ (٤١) . وقيل كل أمر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله : ﴿ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾ وقيل النذور . . وقيل الإيمان بالله ﴿ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ ﴾ أي أيمان البيعة أو مطلق الأيمان . ﴿ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ بعد توثيقها بذكر الله تعالي ، ومنه أكد بقلب الواو همزة ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ شاهداً بتلك البيعة فإن الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ من نقض الأيمان والعهود .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾ ما غزلته ، مصدر بمعني المفعول . ﴿ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾ متعلق بنقضت أي نقضت غزلها من بعد إبرام وإحكام . ﴿ أَنكَاثًا ﴾ طاقات نكث فتلها جمع نكث ، وانتصابه على الحال من غزلها ، أو المفعول الثاني لنقضت فإنه بمعني صيرت ، والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه . قيل : هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فإنها كانت خرقاء تفعل ذلك . ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ حال من الضمير في ولا تكونوا ، أو في الجار الواقع موقع الخبر أي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها ، متخذي أيمانكم مفسدة ودخلاً بينكم ، وأصل الدخل ما يدخل الشئ ولم يكن منه . ﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ لأن تكون جماعة أزيد عدداً وأوفر مالاً من جماعة ، والمعني لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم، أو لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش ، فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم . ﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ﴾ الضمير لأن تكون أمة لأنه بمعني المصدر ، أي يختبركم بكونهم أربي لينظر .

---

(٤١) الفتح ١٠

أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم .

وقيل الضمير للرياء وقيل للأمر بالوفاء. ﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ إذا جازاكم علي أعمالكم بالثواب والعقاب .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ متفقة علي الإسلام، ﴿ وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ﴾ بالخذلان ، و﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ بالتوفيق . ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سؤال تبكيت ومجازاة.

﴿ وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ﴾ تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهي ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌ ﴾ أي عن محجة[42] الإسلام .﴿ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ عليها والمراد أقدامهم ، وإنما وحد ونكر للدلالة علي أن زلل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة. ﴿ وَتَذُوقُوا السُّوءَ ﴾ العذاب في الدنيا .﴿ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بصدكم عن الوفاء أو صدكم غيركم عنه ، فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره .﴿ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ في الآخرة.

الآيات من ٩٥ : ١٠١

﴿ وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾

---

(٤٢) مَحجة : طريق

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ ولاتستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ﷺ ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ عرضا يسيرا ،وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم علي الأرتداد ، ﴿ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ ﴾ من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة . ﴿ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ مما يعدونكم ، ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إن كنتم من أهل العلم والتمييز.

﴿ مَا عِندَكُمْ ﴾ من أعراض الدنيا .﴿ يَنفَدُ ﴾ ويفني ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ ﴾ من خزائن رحمة. ﴿ بَاقٍ ﴾ لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل علي أن نعيم أهل الجنة باق . ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم ﴾ علي الفاقة وأذي الكفار أوعلي مشاق التكاليف ،وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون ، ﴿ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ بما يرجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بجزاء أحسن من أعمالهم .

المؤمن الصالح سعيد الدارين

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ بينه بالنوعين دفعا للتخصيص . ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب ، وإنما المتوقع عليها تخفيف العذاب . ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ في الدنيا يعيش عيشا طيبا فإنه إن كان موسرا فظاهر وإن كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فإنه إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة .﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الطاعة.

وجوب الاستعاذة من الشيطان قبل قراءة القرآن

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾ إذا أردت قراءته كقوله تعالي ، ﴿ إذا قمتم إلي الصلاة ﴾(٤٣) ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة ، والجمهور علي أنه للاستحباب وفيه دليل علي أن المصلي يستعيذ في كل ركعة لأن الحكم المترتب علي شرط يتكرر بتكرره قياسا،

(٤٣) المائدة ٦

وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه إيذان بأن الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل ،و عن ابن مسعود « قرأت علي رسول الله ﷺ فقلت :أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال : قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ »(٤٤) .

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ ﴾ تسلط وولاية. ﴿ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ علي أولياء الله تعالي المؤمنين والمتوكلين عليه ، فإنهم لايطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه إلا فيما يحتقرون علي ندور وغفلة،ولذلك أمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطانا .

﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ يحبونه ويطيعونه ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِهِ ﴾ بالله أوبسبب الشيطان ﴿ مُشْرِكُونَ ﴾ .

من أدلة النسخ في القرآن

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴾ بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أوحكما ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه ، وما لايكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل بالتخفيف ، ﴿ قَالُوا ﴾ أي الكفرة ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ متقول علي الله تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهي عنه ، وجواب إذا والله أعلم بما ينزل ، اعتراض لتوبيخ الكفار علي قولهم والتنبيه علي فساد سندهم ويجوز أن يكون حالا . ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ حكمة الأحكام ولايميزون الخطأ من الصواب .

الآيات من ١٠٢ : ١٠٥

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ

(٤٤) رواه الثعلبي في تفسيره مسلسلا عن شيخه أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي إلى ابن مسعود رضى الله عنه .

اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥) ﴾

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾ يعني جبريل عليه الصلاة والسلام ، وإضافة الروح إلي القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزوله تنبيه علي أن إنزاله مدرجا علي حسب المصالح بما يقتضي التبديل .﴿ من رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ ملتبسا بالحكمة . ﴿ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ليثبت الله الذين آمنوا علي الإيمان بأنه كلامه ، وأنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ المنقادين لحكمه ،وهما معطوفان علي محل ليثبت أي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف .

دحض دعوي أن الذي يعلم رسول الله ﷺ بشر

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ يعنون جبرا الرومي غلام عامر ابن الحضرمي، وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول ﷺ يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزي قد أسلم وكان صاحب كتب ، وقيل سلمان الفارسي (٤٥) ﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ﴾ لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه مأخوذ من لحد القبر ، وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء ، لسان أعجمي غير بين ﴿ وَهَٰذَا ﴾ وهذا القرآن ﴿ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ذو بيان وفصاحة ، والجملتان مستأنفتان لإبطال طعنهم ، وتقديره يحتمل وجهين أحدهما :أن ما سمعه منه كلام أعجمي لايفهمه هو ولا أنتم والقرآن عربي تفهمونه بأدني تأمل ، فكيف يكون ما تلقفه منه؟ وثانيهما : هب أنه تعلم منه المعني باستماع كلامه لكن لم

---

(٤٥) روى السيوطى فى لباب النقول : قال : أخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام ، وكان أعجمى اللسان ، وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا : إنما يعلمه بلعام ، فانزل الله الآية . .

يتلقف منه اللفظ ، لأن ذلك أعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعني فهو معجز من حيث اللفظ ، مع أن العلوم الكثيرة التي في القرآن لايمكن تعلمها إلا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه في بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجمية لعلهما لم يعرفا معناها ؟ وطعنهم في القرآن بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليل علي غاية عجزهم.

الله لا يهدي من أعرض عن ذكره

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ لا يصدقون أنها من عند الله . ﴿ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾ إلى الحق أو إلى سبيل النجاة وقيل إلي الجنة . ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة ، هددهم علي كفرهم بالقرآن بعد ما أماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ، ثم قلب الأمر عليهم فقال :

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ لأنهم لا يخافون عقاباً يردعهم عنه . ﴿ وَأُوْلَئِكَ ﴾ إشارة إلى الذين كفروا أو إلي قريش . ﴿ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ أي الكاذبون علي الحقيقة ، أو الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب ، أو الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة ، أو الكاذبون في قولهم : إنما أنت مفتر إنما يعلمه بشر.

الآيات من ١٠٦ : ١١١

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ

تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١١١)﴾

حكم المكرة علي التلفظ بلفظ الكفر

﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ** ﴾ بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض، أو من أولئك أو من الكاذبون ، أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله ﴿ فعليهم غضب ﴾ويجوز أن ينتصب بالذم وأن تكون من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله : ﴿ **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ** ﴾ علي الافتراء أو كلمة الكفر ، استثناء متصل لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان . ﴿ **وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** ﴾ لم تتغير عقيدته ، وفيه دليل علي أن الإيمان هو التصديق بالقلب . ﴿ **وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا** ﴾ اعتقده وطاب به نفساً . ﴿ **فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ إذ لا أعظم من جرمه . روي : «**أن قريشاً أكرهوا عماراً وأبويه ياسراً وسمية علي الارتداد ، فربطوا سمية بين بعيرين وجئ بحربة في قبلها وقالوا : إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت ، وقتلوا ياسراً وهما أول قتيلين في الإسلام، وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرهاً فقيل : يارسول الله إن عماراً كفر فقال : كلا إن عماراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه ، فأتي عمار : رسول الله ﷺ وهو يبكي ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول : ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت** (٤٦) » . وهو دليل علي جواز التكلم بالكفر عند الإكراه ، وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزازاً للدين كما فعله أبواه لما روى «**أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ، ما تقول في محمد ؟ قال : رسول الله ﷺ قال : فما تقول في ؟ فقال : أنت أيضاً فخلاه ، وقال للآخر : ما تقول في محمد قال رسول الله ﷺ ؟ قال : فما تقول في؟ قال : أنا أصم ، فأعاد عليه ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : أما الأول فقد أخذ برخصة الله ، وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له**» (٤٧) .

---

(٤٦) رواه الزمخشرى فى الكشاف ، وذكر مثله السيوطى فى لباب النقول ، ورواه ابن كثير فى تفسيره نقلا عن الطبرى الذى رواه عن أبى عبيدة محمد بن عمار بن ياسر .

(٤٧) أخرجه ابن أبى شيبة من حديث الحسن ، وأخرجه عبد الرزاق فى التفسير عن معمر

﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلي الكفر بعد الإيمان أو الوعيد . ﴿ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾ بسبب أنهم آثروها عليها . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ أي الكافرين في علمه إلى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصمهم من الزيغ .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ فأبت عن إدراك الحق والتأمل فيه . ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ الكاملون في الغفلة إذ أغفلتهم الحال الراهنة عن تدبر العواقب .

﴿ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضي بهم إلي العذاب المخلد .

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ أي عذبوا كعمار رضي الله تعالي عنه بالولاية والنصر ، وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك ، وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح أي من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى أكره مولاه جبراً حتي ارتد ، ثم أسلم وهاجر . ﴿ ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ﴾ علي الجهاد وما أصابهم من المشاق . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ من بعد الهجرة والجهاد والصبر . ﴿ لَغَفُورٌ ﴾ لما فعلوا قبل . ﴿ رَحِيمٌ ﴾ منعم عليهم مجازاة علي ما صنعوا بعد . ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ ﴾ منصوب برحيم أو باذكر . ﴿ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ تجادل عن ذاتها وتسعي في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي . ﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ﴾ جزاء ما عملت .﴿ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ لا ينقصون أجورهم .

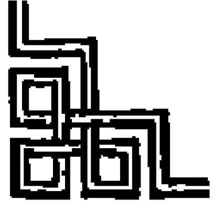
الآيات من ١١٢ : ١١٥

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)

قال : سمعت أن مسيلمة أخذ رجلين فذكره بنحوه .

وذكر الواحدى فى المغازى أن اسم المقتول حبيب بن زيد ، واسم الآخر عبد الله بن وهب الأسلمى ، قال : وكان فى الساقة ، وذكروا أنه قطعه عضوا عضوا وأحرقه بالنار .

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٥) ﴾



من أمثال القرآن

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ أي جعلها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا ، فأنزل الله بهم نقمته ، أو لمكة . ﴿ كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ لا يزعج أهلها خوف . ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا ﴾ أقواتها . ﴿ رَغَدًا ﴾ واسعاً . ﴿ مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ من نواحيها . ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ بنعمه جمع نعمة علي ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع ، أو جمع نُعم كبؤس وأبؤس . ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ استعار الذوق لإدراك أثر الضرر ، واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف ، وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلي المستعار له كقول كثير :

غمرُ الرِّداءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً ... غلقَتْ لِضَحْكَتِه رِقَابُ المالِ (٤٨)

فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقي عليه ، وأضاف إليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظراً إلي المستعار له ، وقد ينظر إلي المستعار كقوله :

يُنَازِعُني رِدَائِي عَبْدُعَمْـــرو ... رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرُو بن بَكْرِ
لِيِ الشَّطْرُ الَّذِي مَلَكت يَمِينِي ... وَدُونَكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ (٤٩)

---

(٤٨) لكثير عزة يمدح
والغمر : الكثير ، يقصد كثير العطاء من تشبيه العطاء بالرداء على سبيل الاستعارة .
ويعني بقوله : غلقت رقاب المال : نفاد الأموال من العطاء وهو أسلوب استعارى .
ومعنى غلقت لغويا : غضبت وضجرت ..

(٤٩) ذكرهما الزمخشري في الكشاف ولم ينسبهما لقائل ، كما لم ينسبهما أيضا محقق الكشاف .
ومعنى اعتجر : تعمم وتلفَّع ، ورويدك : تمهل ، والشطر : النصف . ويقصد بالرداء

استعار الرداء لسيفه ، ثم قال فاعتجر نظراً إلي المستعار . ﴿ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ بصنيعهم .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني محمداً ﷺ ، والضمير لأهل مكة عاد إلي ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم . ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ أي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما أصابهم من الجدب الشديد ، أو وقعة بدر .

دعوة الى الانتفاع بالحلال ونبذ الحرام الذي حرمه الله

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا ﴾ أمرهم بأكل ما أحل الله لهم وشكر ما أنعم عليهم بعدما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم ، صداً لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة . ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ تطيعون ، أو إن صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته .

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم أن ما عداها حل لهم ، ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال :

الآيات من ١١٦ : ١٢٢

﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ

السيف .

ومعنى البيتين : إن عبد عمر ينازعني سيفي ، فقلت له : تمهل لى النصف منه وهو المقبض الذى فى يمينى ولك النصف الآخر الذى أودعه صدرك .

بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٩) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ﴾

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾ كما قالوا ﴿ ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ﴾ (٥٠) الآية ، ومقتضي سياق الكلام وتصدير الجملة بإنما حصر المحرمات في الأجناس الأربعة إلا ما ضم إليه دليل: كالسباع والحمر الأهلية ، وانتصاب الكذب بلا تقولوا ، وهذا حلال وهذا حرام بدل منه أو متعلق بتصف علي إرادة القول ، أي : ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام ، أو مفعول لا تقولوا ، والكذب منتصب بتصف ، وما مصدرية أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب ، أي : لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ، ووصف ألسنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب ، كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ، ولذلك عد من تصحيح الكلام كقولهم : وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر . وقرئ الكذبِ بالجر بدلاً من ما ، والكُذُبُ جمع كذوب أو كذاب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب علي الذم ، أو بمعني الكلم الكواذب . ﴿ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ تعليل لا يتضمن الغرض . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾لما كان المفتري يفترى لتحصيل مطلوب نفي عنهم الفلاحَ وبينه بقوله :

﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ أي ما يفترون لأجله أو ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب . ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة .

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ أي في سورة الأنعام في قوله ﴿ وعلي الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ﴾ (٥١) ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ متعلق بقصصنا

---

(٥٠) الأنعام ١٣٩

(٥١) الأنعام ١٤٦

أو بحرمنا . ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ بالتحريم . ﴿ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه ، وفيه تنبيه علي الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وأنه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة .

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ بسببها أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة ، والسوء يعم الافتراء علي الله وغيره . ﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ من بعد التوبة . ﴿ لَغَفُورٌ ﴾ لذلك السوء . ﴿ رَحِيمٌ ﴾ يثيب علي الإنابة .

إبراهيم إمام الحنفاء

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد إلا مفرقة في أشخاص كثيرة كقوله :

لَيْسَ مِنَ اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ (٥٢)

وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين ، وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ، ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله ، أو لأنه كان وحده مؤمناً وكان سائر الناس كفاراً . وقيل : هي فعلة بمعني مفعول كالرحلة والنخبة مِنْ أَمَّهُ إذا قصده ، أو اقتدي به فإن الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله ﴿ إِنِي جاعلك للناس إماماً ﴾ (٥٣) .

---

(٥٢) هذا بيت من أبيات قالها أبو نواس يمدح هارون الرشيد ويعطف قلبه على الفضل البرمكي ، ومن هذه الأبيات قوله :

قولا لهارون إمام الهـدى	عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على مابك من قدرة	فلست مثل الفضل بالواجد
ليس على الله بمستنـكر	أن يجمع العالم فى واحـد

وكان الرشيد قد توعد الفضل بالقتل .

وظاهر معنى الأبيات يوحى بأنها بما فيه لمقام الاستعطاف ، ولكن معناها الباطن يفيد : لاتكن منك غيره على الفضل فإن كرمه بعض صفاتك ، فإن الله قادر على جمع صفات العالم كله فيك وقد فعل .

ـ من تعليق الشيخ محمد عليان المرزوقى فى مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف ـ

(٥٣) البقرة ١٢٤

﴿ قَانتًا لِّلَّهِ ﴾ مطيعاً له قائماً بأوامره . ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن الباطل . ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ كما زعموا فإن قريشا كانوا يزعمون أنهم علي ملة إبراهيم .

﴿ شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ ﴾ ذكر بلفظ القلة للتنبيه علي أنه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة . ﴿ اجْتَبَاهُ ﴾ للنبوة . ﴿ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ في الدعوة إلي الله . ﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ بأن حببه إلي الناس حتي أن أرباب الملل يتولَّونه ويثنون عليه ، ورزقه أولاداً طيبة وعمراً طويلاً في السعة والطاعة . ﴿ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ لمن أهل الجنة كما سأله بقوله ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ (٥٤) .

الآيات من ١٢٣ : ١٢٥

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) ﴾

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ، وثم إما لتعظيمه والتنبيه علي أن أجل ما أوتي إبراهيم اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ملته ، أو لتراخي أيامه . ﴿ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ في التوحيد والدعوة إليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد أخري والمجادلة مع كل أحد علي حسب فهمه ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ بل كان قدوة الموحدين .

اختلاف اليهود وضلالهم

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ ﴾ تعظيم السبت ، أو التخلي فيه للعبادة . ﴿ عَلَى الَّذِينَ

---

(٥٤) الشعراء ٨٣

اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ أى على نبيهم ، وهم اليهود أمرهم موسى عليه السلام أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة (٥٥) فأبوا وقالوا : نريد يوم السبت لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والأرض ، فألزمهم الله السبت وشدد الأمر عليهم . وقيل معناه إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه ، فأحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى واحتالوا له الحيل ، وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بأنعم الله . ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾ بالمجازاة على الاختلاف ، أو بمجازاة كل فريق بما يستحقه .

أساس دعوة الإسلام الحكمة والموعظة الحسنة وترك العنف

﴿ **ادْعُ** ﴾ من بعثت إليهم . ﴿ **إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ** ﴾ إلى الإسلام . ﴿ **بِالْحِكْمَةِ** ﴾ بالمقالة المحكمة ، وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة . ﴿ **وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ الخطابات المقنعة والعبر النافعة ، فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم . ﴿ **وَجَادِلْهُم** ﴾ وجادل معانديهم. ﴿ **بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر، والمقدمات التي هى أشهر فان ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم . ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ أى إنما عليك البلاغ والدعوة ، وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا إليك ، بل الله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم .

---

(٥٥) كان من توفيق الله لأمة الإسلام أن هداهم إلى يوم الجمعة ، الذى لم يُوفق إلى معرفته اليهود والنصارى ، روى مسلم عن أبى هريرة وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قالا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا ، فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة والمقضى بينهم قبل الخلائق » .

الآيات من ١٢٦ : ١٢٨

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾ لما أمره بالدعوة وبين له طرقها أشار إليه وإلي من يتابعه بترك المخالفة ، ومراعاة العدل مع من يناصبهم ، فإن الدعوة لاتنفك عنه من حيث إنها تتضمن رفض العادات ، وترك الشهوات والقدح في دين الإسلام والحكم عليهم بالكفر والضلال . وقيل إنه عليه الصلاة والسلام لما رأي حمزة وقد مثل به فقال : « والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك »(٥٦) فنزلت . فكفر عن يمينه ، وفيه دليل علي أن للمقتص أن يماثل الجاني وليس له أن يجاوزه ، وحث علي العفو تعريضا بقوله : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ﴾ تصريحا علي الوجه الآكد بقوله : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ ﴾ أي الصبر . ﴿ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ من الانتقام للمنتقمين ، ثم صرح بالأمر به لرسوله لأنه أولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال :

---

(٥٦) أخرجه الثعلبى بدون سند ، وقصة حمزة أخرجها البزار والطبرانى وأسندها إلى أبى هريرة رضى الله عنه ، وذكرها ابن هشام فى سيرته فى غزوة أحد عن ابن اسحاق وهذا الحديث رواه السيوطى فى لباب النقول مسندا إلى الحاكم والبيهقى فى الدلائل والبزار من حديث أبى هريرة .

وروى السيوطى سببا آخر قال : أخرج الترمذى والحاكم عن أبى بن كعب قال : لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم ، فقالت الأنصار : لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنُربينَّ عليهم ـ أى لنزيدن ـ فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى « وإن عاقبتم فعاقبوا .. »

قال السيوطى : وظاهر هذا تأخر نزولها إلى الفتح ، وفى الحديث الذى قبلها نزولها بأحد . وجمع ابن الحصار بأنها نزلت أولا بمكة ، ثم ثانيا بأحد ، ثم ثالثا يوم الفتح تذكيرا من الله لعباده ـ لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ـ

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ إلا بتوفيقه وتثبيته . ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ علي الكافرين أو علي المؤمنين وما فعل بهم . ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ في ضيق صدر من مكرهم ، وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ، ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيق .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ المعاصي . ﴿ وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ في أعمالهم بالولاية والفضل ، أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون بالشفقة علي خلقه .

فضل سورة النحل :

عن النبي ﷺ « **من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أوليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية** »(٥٧) .

(٥٧) قال ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف : أخرجه الثعلبى وابن مردويه . ولم يذكر سنده فى هذا المكان .

(١٧) سورة الإسراء مكية
وآياتها إحدي عشرة ومائة

سورة بني إسرائيل مكية (١)

وقيل إلا قوله تعالي ﴿ وإن كادوا ليفتنونك ﴾ إلى آخر ثمان آيات وهي مائة وإحدي عشرة آية .

بسم الله الرحمن الرحيم
الآيات من ١ :٣

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) ﴾

قصة الإسراء

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ سبحان اسم بمعني التسبيح الذي هو التنزيه يستعمل علماً له فيقطع عن الإضافة ويمنع عن الصرف قال :

فَخْرُهُ قَدْ قُلْتُ لَمَّا جَاءَنِي سبحان من علقمة الفاخر (٢)

وانتصابه بفعل متروك إظهاره ، وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد . وأسرى وسري بمعني ، وليلاً نصب علي الظرف . وفائدته الدلالة بتنكيره علي تقليل مدة الإسراء ، ولذلك قرئ : من الليل . أي بعضه كقوله ﴿ ومن الليل

---

(١) فى تفسير ابن كثير والكشاف : السورة مكية ماعدا الآيات ٢٦,٣٢,٥٧، ومن آية ٧٣ حتى ٨٠ فمدنية

وهذه السورة نزلت بعد سورة القصص .

(٢) جاء فى تفسير الكشاف : سبحان علم للتسبيح كعثمان وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره : أسبح الله سبحان ، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده .

فتهجد به ﴾ (٣) . ﴿ **مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ بعينه لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال «**بينا أنا في المسجد الحرام فى الحِجْر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق**» . أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لأنه كله مسجد أو لأنه محيط به ، أو ليطابق المبدأ المنتهي . لما روي أنه ﷺ «**كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته ، وقص القصة عليها وقال : مُثّل لي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فصليت بهم ، ثم خرج إلي المسجد الحرام وأخبر به قريشاً فتعجبوا منه استحالة ، وارتد ناس ممن آمن به ، وسعي رجال إلى أبي بكر رضي الله تعالي عنه فقال : إن كان قال لقد صدق ، فقالوا : تصدقه علي ذلك ؟ قال : إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصِّدِّيق ، واستنعته**(٤) **طائفة سافروا إلي بيت المقدس فَجُلِّيَ له ، فطفق ينظر إليه وينعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب ، فقالوا : أخبرنا عن عيرنا ، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها ، وقال : تَقْدُم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق ، فخرجوا يشتدون إلي الثنية فصادفوا العير كما أخبر ، ثم لم يؤمنوا وقالوا : ما هذا إلا سحر مبين**» وكان ذلك قبل الهجرة بسنة .

واختلف فى أنه كان في المنام أو في اليقظة بروحه أو بجسده ، والأكثر على أنه أسرى بجسده إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلي السموات حتى انتهي إلى سدرة المنتهي ، ولذلك تعجب قريش واستحالوه ، والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلي في أقل من ثانية ، وقد برهن في الكلام أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض وأن الله قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي ﷺ ، أو فيما يحمله ، والتعجب من لوازم المعجزات . ﴿ **إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا** ﴾ بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد . ﴿ **الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ ببركات الدين والدنيا

---

(٣) الإسراء ٧٩

(٤) استنعته : طلبوا نعته ووصفه .

لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن موسي عليه الصلاة والسلام ، ومحفوف بالأنهار والأشجار . ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له ، ووقوفه علي مقاماتهم ، وصرف الكلام من الغيبة إلي التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات . وقرئ ليريه بالياء . ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوال محمد ﷺ . ﴿ الْبَصِيرُ ﴾ بأفعاله فيكرمه ويقربه علي حسب ذلك (٥) .

---

(٥) جاء فى تفسير ابن كثير تحت عنوان فائدة :

قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية : وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر ابن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبى حبة وأبى ليلى الأنصاريين وعبد الله بن عمر وجابر وحذيفة وبريدة وأبى أيوب وأبى أمامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومى وأم هانىء وعائشة وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين . فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة الملحدون « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »

وجاء فى كتاب إعجاز القرآن فى آفاق الزمان والمكان :

نحن كمسلمين نسلم بهذه المعجزة ، ومعنى سبحان الله أنه تعالى منزه فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله عن قوانين البشرية ، أى تنزيه معجزة الإسراء عن محاولاتنا فى ارتياد الفضاء فى أى عصر ، فالله هو الذى أسرى بعبده ، أى بمحمد بجسده وروحه ونفسه معا ، وأسرى أى أتاح لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إمكانية السفر ليلا بوسيلة إلهية من المسجدالأقصى ، وهذه الوسيلة سريعة تتناسب قدرتها مع قدرة اللانهائية التى لاتحتاج لزمن لتنفيذها ، أى بقانون إلهى مشمول بالنفاذ القدرى « كن فيكون » وبهذا فإن الإسراء ليس اجتهادا تكنولوجيا من محمد صلى الله عليه وسلم ـ وإنما معجزة تتحدى قوانيننا البشرية الأرضية ، ولهذا نصعد الأمر لله الذى خرق لمحمد قانون الزمن . .

لقد توافر الدليل المادى الحسى فى رحلة الإسراء الأرضية ليؤمن الناس بها تمهيدا لإيمانهم بالمعراج كرحلة سماوية غيبية ملائكية . . .

ومرحلة الإسراء بشرية خضعت للإبصار بالعين كما فى قوله تعالى﴿ لنريه ﴾ أما المعراج فرحلة إلى الملأ الأعلى ، طرح النبى صلى الله عليه وسلم فيها بشريته ، وتغير شىء فى ذاتيته، وكأنه ملاك بروحه ونفسه دون الجسد، ولهذا عندما صعد إلى السماء قال سبحانه ﴿ لقد رأى ﴾ ولم يقل « أريناه » . معجزة القرآن فى آفاق الزمان والمكان صـ ٢٣٩

رسالة موسى لبني إسرائيل وفساد بني إسرائيل المتكرر

﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا ﴾ علي أن لا تتخذوا كقولك : كتبت إليك أن افعل كذا . وقرأ أبو عمرو بالياء علي لأن لا يتخذوا . ﴿ مِن دُونِي وَكِيلاً ﴾ رباً تكلون إليه أموركم غيرى .

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ نصب علي الاختصاص أو النداء إن قرئ أن لا تتخذوا بالتاء علي النهي يعني : قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلاً ، أو علي أنه أحد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلاً فيكون كقوله ﴿ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ (٦) وقرئ بالرفع علي أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من واو تتخذوا ، وذرية بكسر الذال . وفيه تذكير بأنعام الله تعالي عليهم في إنجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام في السفينة . ﴿ إِنَّهُ ﴾ إن نوحاً عليه السلام ﴿ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ يحمد الله تعالي على مجامع حالاته ، وفيه إيماء بأن إنجاءه ومن معه كان ببركة شكره ، وحث للذرية علي الاقتداء به . وقيل الضمير لموسي عليه الصلاة والسلام .

الآيتان من ٤ : ٥

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً (٥) ﴾

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ وأوحينا إليهم وحياً مقضياً مبتوتاً . ﴿ فِي الْكِتَابِ ﴾ في التوراة . ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ ﴾ جواب قسم محذوف ، أو قضينا علي إجراء القضاء المبتوت مجرى القسم . ﴿ مَرَّتَيْنِ ﴾ إفسادتين أولاهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعياء وقيل أرمياء (٧) وثانيهما قتل زكريا ويحيي

---

(٦) آل عمران : ٨٠ .

(٧) شعيا وأرميا : نبيان من أنبياء بنى اسرائيل .

وقَصْدُ قتل عيسى عليه السلام . ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً ﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى أو لتظلمن الناس .

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا ﴾ . وعد عقاب أولاهما . ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا ﴾ بختنصر عامل لهراسف علي بابل وجنوده . وقيل جالوت الجزرى . وقيل سنحاريب (٨) من أهل نينوي . ﴿ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ذوي قوة وبطش في الحرب شديد . ﴿ فَجَاسُوا ﴾ فترددوا لطلبكم . وقرئ بالحاء المهملة وهما أخوان . ﴿ خِلالَ الدِّيَارِ ﴾ وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسَبَوْا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد . والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر علي ذلك أولوا البعث بالتخلية وعدم المنع . ﴿ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ﴾ وكان وعد عقابهم لا بد أن يفعل .

الآيات من ٦ : ١٠

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً (٨) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (١٠) ﴾

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ ﴾ أي الدولة والغلبة . ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ علي الذين بعثوا عليكم ، وذلك بأن ألقى الله في قلوب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كثناسف بن لهراسف شفقة عليهم ، فرد أسراهم إلي الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من أتباع بختنصر ، أو بأن سلط الله داود عليه الصلاة

---

(٨) سنحاريب : كان ملك بابل ، وبختنصر : ابن ابنه وكان من كتابه أما جالوت فهو الذى حاربه طالوت وقتل بيد داود كما جاء فى سورة البقرة .

والسلام علي جالوت فقتله (٩) . ﴿ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾ مما كنتم ، والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفروهم المجتمعون للذهاب إلي العدو .

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ ﴾ لأن ثوابه لها . ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ فإن وباله عليها ، وإنما ذكرها باللام ازدواجاً . ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾ وعد عقوبة المرة الآخرة . ﴿ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ أي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم أي يجعلوها بادية آثار المساءة فيها ، فحذف لدلالة ذكره أولاً عليه . وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء علي التوحيد ، والضمير فيه للوعد أو للبعث أو لله ، ويعضده قراءة الكسائي بالنون . وقرئ لنسوأن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ، ولنسوأن بفتح اللام على الأوجه الأربعة علي أنه جواب إذا واللام في قوله : ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ﴾ متعلق بمحذوف هو بعثناهم . ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ﴾ ليهلكوا . ﴿ مَا عَلَوْا ﴾ ما غلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم . ﴿ تَتْبِيراً ﴾ ذلك بأن سلط الله عليهم الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز ، وقيل حردوس ، قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دماً يغلي فسألهم عنه فقالوا : دم قربان لم يقبل منا فقال : ما صدقوني فقتل عليه ألوفاً منهم فلم يهدأ الدم ، ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً، فقالوا : إنه دم يحيي فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ، ثم قال يا يحيي قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك، فاهدأ بإذن الله تعالي قبل أن لا أبقى أحداً منهم فهدأ .

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ بعد المرة الآخرة ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ ﴾ نوبة أخرى . ﴿ عُدْنَا ﴾ مرة ثالثة إلي عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ ، وقصد قتله فعاد الله تعالي بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى بني النضير ، وضرب الجزية علي الباقين هذا لهم في الدنيا . ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ محبساً لا يقدرون

---

(٩) يرى بعض العلماء أن وعد الآخرة لم يجئ بعد ، وأن أوانه آت قريبا ، وآيته أن يتجمع الإسرائيليون من كل مكان ويعلوا علوا كبيرا ، ويفسدوا فى الأرض ويسفكوا دماء الأبرياء ويغتصبوا دورهم وأراضيهم ، فيكونوا مستحقين لأن تدور الدائرة عليهم ، ومصداق ذلك فى آخر سورة الإسراء « فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا »

علي الخروج منها أبد الآباد . وقيل بساطاً كما يبسط الحصير .

فضل القرآن

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ للحالة أو الطريقة التي هي أقوم الحالات أو الطرق . ﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف .

﴿ وأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ عطف علي أن لهم أجراً كبيراً والمعني أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم ، أو علي يبشر بإضمار يخبر.

الآيات من ١١ : ١٤

﴿ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً (١١) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً (١٢) وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُوراً (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (١٤) ﴾

النهي عن الاستعجال في الدعاء بالشر

﴿ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ ﴾ ويدعو الله تعالي عند غضبه بالشر علي نفسه وأهله وماله ، أو يدعوه بما يحسبه خيراً وهو شر . ﴿ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾ مثل دعائه بالخير . ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾ يسارع إلى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته . وقيل : المراد آدم عليه الصلاة والسلام فإنه لما انتهي الروح إلى سرته ذهب لينهض فسقط .

وروي : أنه عليه السلام دفع أسيراً إلي سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه فأرخت كتافه ، فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام : "اللهم إنما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له"(١٠) فنزلت .

(١٠)أخرجه الواقدى فى المغازى من رواية ذكوان عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها باسير ، وقال لها : احتفظى به . قالت : فلهوت مع امراة فخرج ولم أشعر ، فدخل يسأل عنه فقلت : والله ما أدرى . فقال : قطع الله يدك . . . ـ من تعليق تحقيق الكشاف ـ

ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث : اللهم انصر خير الحزبين ، اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية . فأجيب له فضرب عنقه صبراً يوم بدر .

من مظاهر قدرة الله تعالي

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ تدلان علي القادر الحكيم بتعاقبهما علي نسق واحد بإمكان غيره . ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ أي الآية التي هي الليل ، بالإشراق والإضافة فيهما للتبيين كإضافة العدد إلي المعدود . ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ مضيئة أو مبصرة للناس من أبصره فبصر ، أو مبصراً أهله كقولهم : أجبن الرجل إذا كان أهله جبناء . وقيل الآيتان القمر والشمس ، وتقدير الكلام وجعلنا نَيِّرَي الليل والنهار آيتين ، أو جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ، ، ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور ، أو نقص نورها شيئاً فشيئاً إلى المحاق ، وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة ، جعلها ذات شعاع تبصر الأشياء بضوئها . ﴿ لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ لتطلبوا في بياض النهار أسباب معاشكم وتتوصلوا به إلي استبانة أعمالكم . ﴿ وَلِتَعْلَمُوا ﴾ باختلافهما أو بحركاتهما . ﴿ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ وجنس الحساب . ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ ﴾ تفتقرون إليه في أمر الدين والدنيا . ﴿ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ بيناه بياناً غير ملتبس .

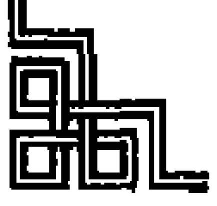
إحصاء عمل الإنسان في كتاب : ومحاسبة الإنسان نفسه بنفسه

﴿ كُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ﴾ عمله وما قدر له كأنه طير إليه من عش الغيب ووكر القدر ، لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه ، استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالي وعمل العبد . ﴿ فِي عُنُقِهِ ﴾ لزوم الطوق في عنقه ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً ﴾ هي صحيفة عمله أو نفسه المنتقشة بآثار أعماله ، فإن الأعمال الاختيارية تحدث في النفس أحوالاً ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ، ونصبه بأنه مفعول أو حال من مفعول محذوف ، وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ، ويخرج من خرج ويخرج وقرئ ويخرج أى الله عز وجل . ﴿ يَلْقَاهُ مَنشُوراً ﴾ لكشف الغطاء ، وهما صفتان للكتاب ، أو يلقاه صفة ومنشوراً حال من مفعوله . وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا .

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ ﴾ علي إرادة القول . ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ أي كفي نفسك ، والباء مزيدة وحسيباً تمييز وعلي صلته لأنه إما بمعني الحاسب كالصريم بمعني الصارم وضريب القداح بمعني ضاربها من حسب عليه كذا أو بمعني الكافي فوضع موضع الشهيد ، لأنه يكفي المدعي ما أهمه ، وتذكيره علي أن الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال أو علي تأويل النفس بالشخص .

الآيات من ١٥ : ٢٠

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥) وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً (١٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (١٧) مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً (١٩) كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (٢٠) ﴾



﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه . ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ ولا تحمل نفس حاملة وزراً وزر نفس أخرى ، بل إنما تحمل وزرها . ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة ، وفيه دليل علي أن لا وجوب قبل الشرع (١١) .

---

(١١) جاء فى لباب النقول فى أسباب نزول هذه الآية : أخرج ابن عبد البر بسند ضعيف عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت خديجة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين ، فقال : هم من آبائهم ، ثم سألته بعد ذلك فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ثم سألته بعدما استحكم الإسلام فنزلت « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقال : هم على الفطرة ، أوقال : فى الجنة .

ثقل مسئولية الأمراء والرؤساء

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ وإذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق ، أو دنا وقته المقدر كقولهم : إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة . ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه إليهم ، ويدل علي ذلك ما قبله وما بعده ، فإن الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان ، فيدل علي الطاعة من طريق المقابلة ، وقيل : أمرناهم بالفسق لقوله : ﴿ فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ كقولك أمرته فقرأ ، فإنه لا يفهم منه إلا الأمر بالقراءة علي أن الأمر مجاز من الحمل عليه ، أو التسبب له بأن صب عليهم من النعم ما أبطرهم وأفضي بهم إلي الفسوق ، ويحتمل أن لا يكون له مفعول منوي كقولهم : أمرته فعصاني .

وقيل : معناه كثرنا يقال : أمرت الشيء وآمرته فأمر إذاكثرته وفي الحديث «**خير المال سكة مأبورة ، ومهرة مأمورة** (١٢) » ، أي كثيرة النتاج . وهو أيضاً مجاز من معنى الطلب ، ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية أمرنا عن أبي عمرو ، ويحتمل

تعليق : لايرد على قوله تعالى « ولاتزر وازرة وزر أخرى » قوله تعالى « وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم » قال ابن كثير فى ذلك : إن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم فى أنفسهم وإثم آخر بسبب ما أضلوا به من غير أن ينقص من أوزار أولئك ولايحمل عنهم شيئا ، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده .

وقوله تعالى « وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا » إخبار عن عدله تعالى وأنه لايعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه ، كقوله تعالى « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء إن أنتم إلا فى ضلال كبير » .

ـ من تفسير ابن كثير ـ

(١٢) أخرجه حميد وإسحاق وابن أبى شيبة والحارث والطبرانى وأبو عبيد من رواية مسلم بن بديل عن إياس بن زهير عن سويد بن هبيرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خير مال المرء ميرة مأمورة أو سكة مأثورة » قال ابن إسحاق ومعه النضر بن شميل : وغيره يرفعه . .

ومعنى السكة المابورة فى الحديث الذى ذكره المؤلف : الطريقة من النخل الكثيرة والمابورة : من أبر نخله أى لقحه وأصلحه .

والمهرة المامورة : الكثيرة النتاج .

أن يكون منقولاً من أمرُ بالضم أمارة أي جعلناهم أمراء ، وتخصيص المترفين لأن غيرهم يتبعهم ولأنهم أسرع إلي الحماقة وأقدر علي الفجور . ﴿ فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ﴾ يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله ، أو بظهور معاصيهم أو بانهماكهم في المعاصي . ﴿ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريب ديارهم .

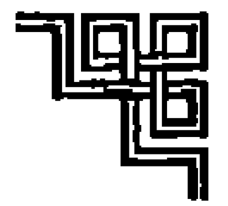
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ وكثيراً أهلكنا . ﴿ مِنَ الْقُرُونِ ﴾ بيان لكم وتمييز له . ﴿ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ كعاد وثمود . ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾ يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها ، وتقديم الخبير لتقدم متعلقه .

شتان بين من يطلب الدنيا ومن يطلب الآخرة

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ ﴾ مقصوراً عليها همه . ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة لأنه لا يجد كل متمن ما يتمناه ، ولا كل واجد جميع ما يهواه وليعلم أن الأمر بالمشيئة والهم فضل . ولمن نريد بدل من له بدل البعض . وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله تعالي حتى يطابق المشهورة . وقيل لمن فيكون مخصوصاً بمن أراد الله تعالي به ذلك . وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها . ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً ﴾ مطروداً من رحمة الله تعالي .

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ حقها من السعي وهو الإتيان بما أمر به، والانتهاء عما نهي عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم . وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص . ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ إيماناً صحيحاً لا شرك معه ولا تكذيب فإنه العمدة . ﴿ فَأُوْلَئِكَ ﴾ الجامعون للشروط الثلاثة . ﴿ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴾ من الله تعالي أي مقبولاً عنده مثاباً عليه ، فإن شكر الله الثواب علي الطاعة .

﴿ كُلاًّ ﴾ كل واحد من الفريقين ، والتنوين بدل من المضاف إليه . ﴿ نُّمِدُّ ﴾ بالعطاء مرة بعد أخرى ونجعل آنفه مدداً لسالفه . ﴿ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ ﴾ بدل من كلاً . ﴿ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ من معطاه متعلق بنمد . ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ ممنوعاً لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلاً .



الآيات من ٢١ : ٢٤

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (٢١) لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ في الرزق ، وانتصاب كيف بفضلنا علي الحال . ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾ أي التفاوت في الآخرة أكبر ، لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها .

﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته أو لكل أحد . ﴿ فَتَقْعُدَ ﴾ فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتي قعدت كأنها حربة ، أو فتعجز من قولهم قعد عن الشئ إذا عجز عنه . ﴿ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً ﴾ جامعاً علي نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ، ومفهومه أن الموحد يكون ممدوحاً منصوراً .

جملة أوامر صالحة تتعلق بالعقيدة وصلاح المجتمع

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ وأمر أمراً مقطوعاً به . ﴿ أَلاَّ تَعْبُدُوا ﴾ بأن لا تعبدوا . ﴿ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ لأن غاية التعظيم لا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام ، وهو كالتفصيل لسعي الآخرة . ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا ناهية . ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وبأن تحسنوا ، أو وأحسنوا بالوالدين إحساناً لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ، ولا يجوز أن تتعلق الباء بالإحسان لأن صلته لا تتقدم عليه . ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا ﴾ إما هي إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيداً ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل ، وأحدهما فاعل يبلغن وبدل على قراءة حمزة والكسائي من ألف يبلغان الراجع إلى الوالدين ، وكلاهما عطف علي أحدهما فاعلاً أو بدلاً ولذلك لم يجز أن يكون تأكيداً للألف ، ومعنى عندك أن يكونا في كنفك وكفالتك . ﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ فلا تتضجر مما يستقذر منهما

وتستثقل من مئونتهما ، وهو صوت يدل علي تضجر ، وقيل هو اسم الفعل الذي هو أتضجر ، وهو مبنى علي الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير . وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح علي التخفيف . وقرئ به منوناً وبالضم للاتباع كمنذ منون ، والنهي عن ذلك يدل علي المنع من سائر أنواع الإيذاء قياساً بطريق الأولى . وقيل عرفاً كقولك : فلان لا يملك النقير والقطمير ، ولذلك منع رسول الله ﷺ حذيفة من قتل أبيه وهو في صف المشركين ، نهي عما يؤذيهما بعد الأمر بالإحسان بهما . ﴿ **وَلَا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ ولا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ. وقيل النهي والنهر والنهم أخوات . ﴿ **وَقُل لَّهُمَا** ﴾ بدل التأفيف والنهر . ﴿ **قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ جميلاً لا شراسة فيه .

﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ** ﴾ تذلل لهما وتواضع فيهما ، جعل للذل جناحاً كما جعل لبيد في قوله :

وَغداةَ رِيحٍ قَدْ كشفت وَقرةً ... إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشِّمَالِ زِمَامُهَا (١٣)

للشمال يداً وللقرة زماماً.

وأمره بخفضه مبالغة أو أراد جناحه كقوله تعالي ﴿ **واخفض جناحك للمؤمنين** ﴾ (١٤) . وإضافته إلى الذل للبيان والمبالغة كما أضيف حاتم إلي الجود ، والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل . وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول . ﴿ **مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما بالأمس . ﴿ **وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا** ﴾ وادع الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية ، ولا تكتف برحمتك الفانية وإن كانا كافرين لأن من الرحمة أن يهديهما . ﴿ **كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وإرشادهما لي في صغرى وفاء بوعدك للراحمين . روى : «**أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إن أبوى بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما ؟ قال : لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت**

---

(١٣) الشاعر هو لبيد بن ربيعة والبيت من معلقته ،

والقرة : شدة البرد ، والشمال : اسم من أسماء الريح ، والبيت فيه استعارة مكنية تفيد تشخيص الطبيعة وتصويرها فى صورة الإنسان حيث جعل للقرة زماما وللشمال يدا .

(١٤) الحجر ٨٨

تفعل ذلك وتريد موتهما» (١٥) .

الآيات من ٢٥ : ٣٠

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً (٢٨) وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (٣٠) ﴾

---

(١٥) هذا الحديث ذكره الزمخشرى فى الكشاف ، وقال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف : لم أجده .

ومما ورد فى فضل بر الوالدين مارواه الإمام أحمد عن أبى أسيد وهو مالك بن ربيعة الساعدى قال : بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من الأنصار فقال : يارسول الله ، هل بقى على من بر أبوى شىء بعد موتهما أبرهما به ؟ قال : « نعم خصال أربع : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لارحم لك إلا من قبليهما ، فهو الذى بقى عليك من برهما بعد موتهما » .

وروى ابن كثير فى تفسيره حديث أنس وغيره من طرق متعددة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ صعد المنبر ، ثم قال : آمين آمين آمين . قيل : يارسول الله علام أمنت ؟

قال : أتانى جبريل فقال : يامحمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك . قل آمين ، فقلت : آمين . ثم قال : رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له . قل آمين . فقلت : آمين . ثم قال : رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة . قل آمين . فقلت : آمين »

ومعنى لم يدخلاه الجنة ، يعنى أنه لم يبرهما وكان لهما عاقاً ، فكان ذلك سببا فى دخوله النار وعدم دخوله الجنة . .

﴿ **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ** ﴾ من قصد البر إليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير، وكأنه تهديد علي أن يضمر لهما كراهة واستثقالاً . ﴿ **إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ** ﴾ قاصدين للصلاح . ﴿ **فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ** ﴾ للتوابين . ﴿ **غَفُوراً** ﴾ ما فرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير ، وفيه تشديد عظيم ، ويجوز أن يكون عاماً لكل تائب ، ويندرج فيه الجاني علي أبويه التائب من جنايته لوروده علي أثره.

﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ** ﴾ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم . وقال أبو حنيفة : حقهم إذا كانوا محارم فقراء أن ينفق عليهم . وقيل : المراد بذي القربى أقارب الرسول ﷺ . ﴿ **وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً** ﴾ بصرف المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف ، وأصل التبذير التفريق . «**وعن النبي ﷺ أنه قال لسعد وهو يتوضأ : ما هذا السرف قال : أو في الوضوء سرف؟ قال : نعم وإن كنت علي نهر جار**» (١٦) .

﴿ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ** ﴾ أمثالهم في الشرارة فإن التضييع والإتلاف شر ، أو أصدقاءهم وأتباعهم لأنهم يطيعونهم في الإسراف والصرف في المعاصي . روي : أنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة ، فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالإنفاق في القربات . ﴿ **وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً** ﴾ مبالغاً في الكفر به فينبغي أن لا يطاع .

﴿ **وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ** ﴾ وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياءً من الرد ، ويجوز أن يراد بالإعراض عنهم أن لا ينفعهم علي سبيل الكناية . ﴿ **ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا** ﴾ لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه ، أو منتظرين له . وقيل : معناه لفقد رزق من ربك ترجوه أن يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لأنه مسبب عنه ، ويجوز أن يتعلق بالجواب الذي هو قوله تعالى . ﴿ **فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً** ﴾ أي فقل لهم قولاً ليناً ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم بإجمال القول لهم ، والميسور من يسر الأمر مثل سعد الرجل ونحس ، وقيل : القول الميسور

---

(١٦) رواه ابن ماجه في سننه وأحمد في مسنده وأبو يعلى ، والبيهقي في السنن .

الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر ، مثل أغناكم الله تعالى ورزقنا الله وإياكم .

﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** ﴾ تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر ، نهي عنهما آمراً بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم . ﴿ **فَتَقْعُدَ مَلُومًا** ﴾ فتصير ملوماً عند الله وعند الناس بالإسراف وسوء التدبير . ﴿ **مَّحْسُورًا** ﴾ نادماً أو منقطعاً بك لا شئ عندك من حسره السفر إذا بلغ منه . وعن جابر «**بينا رسول الله ﷺ جالس أتاه صبي فقال : إن أمي تستكسيك درعاً ، فقال ﷺ من ساعة إلى ساعة فعد إلينا ، فذهب إلى أمه فقالت : قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك ، فدخل ﷺ داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عرياناً وأذَّن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فأنزل الله ذلك**(١٧) » ثم سلاه بقوله : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ** ﴾ يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة البالغة فليس ما يرهقك من الإضافة إلا لمصلحتك . ﴿ **إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا** ﴾ يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفي عليهم ، ويجوز أن يراد أن البسط والقبض من أمر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر ، فأما العباد فعليهم أن يقصدوا، أو أنه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط ، وأن يكون تمهيداً لقوله تعالى :

---

(١٧) ذكره الزمخشرى فى تفسيره الكشاف ، وقال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف : لم أجده نقول : ولكن السيوطى فى لباب النقول ذكره ، وقال : أخرجه ابن مردويه وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه .

وجاء فى الكشاف أيضا أنها نزلت حين أعطى النبى صلى الله عليه وسلم الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وكذلك أعطى عيينة بن حصن . فجاء عباس بن مرداس وكان قد أخذ دونهما فأنشأ يقول :

أتجعل نهبى ونهب العبيـد ... بين عيينة والأقـــــرع ؟

وماكان حصن ولا حـابسٌ ... يفوقان جَدِّىَ فى مجمع

وماكنت دون امرىء منهما ... ومن تضع الـــيومَ لايُرفَع

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اقطع لسانه عنى ، أعطه مائة من الإبل . فنزلت .

أخرجه مسلم فى صحيحه . وذكره أصحاب المغازى والسير .

الآيات من ٣١ : ٣٤

﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً (٣١) وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً (٣٣) وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤) ﴾

﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ ﴾ مخافة الفاقة ، وقتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال : ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً ﴾ ذنباً كبيراً لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع، والخِطْء : الإثم يقال خطأ خِطْئًا كأثم إثماً ، وقرأ ابن عامر خَطأ وهو اسم من أخطأ يضاد الصواب ، وقيل لغة فيه كمَثَل ومِثل وحَذَر وحِذْر . وقرأ ابن كثير خِطاء بالمد والكسر، وهو إما لغة فيه أو مصدر خاطأ وهو وإن لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله :

تَخَاطَأَهُ القَنَّاصُ حتىً وَجَدْتُهُ ... وَخَرْطُومُهُ فِي مَنْقعِ المَاءِ رَاسِب (١٨)

وهو مبني عليه ، وقرئ خَطاء بالفتح والمد ، وخطا بحذف الهمزة مفتوحاً ومكسوراً .

﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾ بالعزم والإتيان . بالمقدمات فضلاً عن أن تباشروه . ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ﴾ فعلة ظاهرة القبح زائدته . ﴿ وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ وبئس طريقاً طريقه ، وهو الغضب على الأبضاع المؤدى إلى قطع الأنساب وهيج الفتن (١٩) .

---

(١٨) تخاطاه : أخطاه ، والقناص : الصائد ، وخرطومه : أنفه

والشاهد فى البيت استعمال تخاطأ بمعنى أخطأ .

وفى المعجم الوجيز : تخاطأ له : تظاهر له بالخطأ ، وتخاطأ الشيء : أخطأه ويقال : تخاطأه النبل : تجاوزه ولم يصبه .

(١٩) وفى التنفير من الزنى وردت آثار متعددة منها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى أمامة رضى الله عنه قال : إن فتى شابا أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان : وزنا بعد إحصان، وقتل مؤمن معصوم عمداً . ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا ﴾ غير مستوجب للقتل . ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ ﴾ للذي يلي أمره بعد وفاته وهو الوارث ﴿ سُلْطَانًا ﴾ تسلطاً بالمواخذة بمقتضي القتل على من عليه ، أو بالقصاص على القاتل فإن قوله تعالى مظلوماً يدل على أن القتل عمداً عدوان فإن الخطأ لا يسمى ظلماً . ﴿ فَلَا يُسْرِف ﴾ أي القاتل . ﴿ فِّي الْقَتْلِ ﴾ بأن يقتل من لا يستحق قتله ، فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولي بالمثلة (٢٠) أو قتل غير القاتل ويؤيد الأول قراءة أبى فلا تسرفوا . وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف علي خطاب أحدهما .

﴿ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ علة النهي على الاستئناف والضمير إما للمقتول فإنه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب ، وإما لوليه فإن الله تعالى نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاة بمعونته ، وإما للذي يقتله الولي إسرافاً بإيجاب القصاص أو التعزير ، والوزر علي المسرف .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ﴾ فضلاً أن تتصرفوا فيه . ﴿ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ إلا بالطريقة التي هي أحسن . ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء . ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ﴾ بما عاهدكم الله من تكاليفه ، أو ما عاهدتموه

فقال : يارسول الله ائذن لى بالزنى ، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه .

فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أدنه » فدناه منه قريبا . فقال : « اجلس » فجلس فقال : « أتحبه لأمك » ؟ قال : لا والله جعلنى الله فداك . قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » قال : « أفتحبه لابنتك »؟ قال : لا والله يارسول الله جعلنى الله فداك . قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » قال : « أفتحبه لأختك » ؟

قال : لا والله جعلنى الله فداك . قال : « ولا الناس يحبونه لأخواتهم » قال : « أفتحبه لعمتك »؟ قال : لا والله جعلنى الله فداك . قال : «ولا الناس يحبونه لعماتهم » قال : « أفتحبه لخالتك »؟ قال : لا والله جعلنى الله فداك . قال : « ولا الناس يحبونه لخالاتهم » قال : فوضع يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وأحصن فرجه » قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء .

(٢٠) المثلة : التمثيل بالقتيل كقطع أجزائه وتمزيق جسده أو تشويهه أو حرقه . .

وغيره . ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به، أو مسئولاً عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه لم نكثت ، أو يسأل العهد تبكيتاً للناكث كما يقال للموءودة بأي ذنب قتلت ، فيكون تخييلاً ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسئولاً .

الآيات من ٣٥ : ٣٨

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥) وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦) وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ﴾

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ﴾ ولا تبخسوا فيه ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ بالميزان السوى ، وهو رومي [٢١] عُرِّب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن ، لأن العجمي إذا استعملته العرب وأجرته مجري كلامهم في الإعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربياً . وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء[٢٢] . ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ وأحسن عاقبة تفعيل من آل إذا رجع .

﴿ وَلا تَقْفُ ﴾ ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف أثره إذا قفاه ومنه القافة . ﴿ مَا

---

(٢١) القسطاس : أصله الرومى القرسطون

(٢٢) فى سورة الشعراء آية رقم ١٨٢

*** الإعجاز العلمى**

﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا ﴾

ونفهم من سياق الآية الكريمة أن الله عز وجل سوف يحاسبنا علي ما أنعم به علينا من نعمة السمع والبصر فيما استخدمناهما في حلال أم في حرام وحول نعمة البصر ومافيه من اعجاز يقول الدكتور محمود نصر الديب استاذ طب جراحة العين بكلية طب الزقازيق تحت

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ما لم يتعلق به علمك تقليداً أو رجماً بالغيب ، واحتج به من

* الإعجاز العلمي

عنوان : «الإعجاز الرباني في خلق عدسة العين!»

قد ورد بالأثر أن رجلا من بني إسرائيل قد عبد الله كثيرا وحين عرض علي الله للحساب قال جل شأنه أدخلوا عبدي الجنة برحمتي قال العابد بل بعملي يارب فقال الله تبارك وتعالي زنوا عبادة عبدي مقابل نعمة من نعمي فوزنوا عمله مقابل نعمة البصر فرجحت نعمة البصر فقال العبد بل برحمتك يارب

إن نعمة الإبصار نعمة جليلة والعين التي جعلها الله سبحانه وتعالى نافذة للجسم علي العالم الخارجي موسوعة كبيرة تحشد طاقات العلماء علي مر السنين لاستجلاء أسرار عملها وما يتكشف منها إلا القليل ومع زيادة السبر في أغوار أسرارها ازداد وقوف العقل عاجزا أمام إبهار عظمة الخالق فيها تلك الكرة الصغيرة التي لايزيد قطرها علي ٢,٥ سنتيمتر تقريبا .

ويضيف الدكتور محمود نصر الديب إن من بعض آيات الله جل شأنه في خلق العين تلك العدسة الشفافة بين ٣,٥ ، ٤,٥ مم تلك العدسة التي أودعها الله القدرة علي التكيف لرؤية الأشياء بوضوح علي مسافة ١ - ٢ مم وفي أقل من ثانية واحدة ينظر الإنسان إلي كف يده علي مسافة ٢٠ ـ ٣٠ مم فيرى تعرجات وثنايا كفه بوضوح في حين أنه لتغير قوة العدسة في كاميرات التصوير للانتقال من تصوير شئ بعيد إلي تصوير شئ قريب يستلزم من الوقت والجهد عشرات المرات وهذا التغيير في قوة العدسة الخاصة بالعين دون جهد وحتي دون أن ينتبه إليه الإنسان أويشعر وإنما يتم تلقانيا دون أي جهد من الإنسان

ويشير الدكتور محمود نصر الديب إلي أن هذا التغيير في قوة عدسة العين يقوم به موتور صغير وهو جزء عضلة دقيقة لاتري إلا بالمجهر في جزء من الثانية تقوم به علي مدار الساعة وطول عمر الإنسان دون كلل أو ملل - وحين يصيب هذه العضلة شئ قليل من الضعف وتضطر العين لاستخدام كل العضلة بدلا من جزء منها تجهد هذه العضلة ويشعر الإنسان بالصداع وعدم القدرة علي التركيز لمدد طويلة في شئ قريب سواء في القراءة أو الحياكة أو غيرهما من الأعمال التي تؤدى علي مسافات قريبة ويبدأ هذا الوهن من هذ العضلة الدقيقة بعد سن الأربعين ومن هنا كان أن هدي الله الإنسان لاستخدام النظارات الطبية بعد سن الأربعين لأداء الأعمال القريبة كالقراءة مثلا ، ويؤكد الدكتور محمود إنه عندما يحدث عتامة بعدسة العين «المياه البيضاء»وعلاجها يكون عن طريق عملية جراحية لإزالة المياه البيضاء ويترتب عليها تغيير في انكسار الضوء بالعين مما يؤدي إلي عدم وضوح =

منع اتباع الظن ، وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند ،

* الإعجاز العلمي

الرؤية بشكل جيد يدفع إلي عمل نظارتين إحداهما سميكة للمسافات وأخري أكثر سمكا للقراءة وفي الفترة الأخيرة تم بنجاح زراعة العدسة داخل العين لمحاولة الاستغناء عن نظارة المسافات وقد استغرق الوصول إلي نتائج زرع العدسة ما يقرب من ٢٠٠ سنة ، ومع هذا فلا يمكنها التكيف بحيث يمكن رؤية الأشياء القريبة بدون نظارة للقراءة وبالتالي فإن العدسة المزروعة لاتؤدي نفس دور التكيف للرؤية بوضوح علي مسافات مختلفة مثل العدسة الطبيعية للعين .

وتحت عنوان التكيف البصري إعجاز إلهي لخدمة البشر يحدثنا الدكتور / طه محمد الشيوي الاستاذ المتفرغ بكلية طب القصر العيني :

«القرنية» هي السدس الأمامي الشفاف من الطبقة الخارجية للعين وهي تمثل عدسة محدبة ولو توقفنا عند صفة الشفافية لوجدنا أنها ترجع إلي عدة أسباب أهمها :

أولا : عدم وجود أوعية دموية فهي النسيج الوحيد في الجسم الذي لايوجد به أوعية دموية ولها مصادر تغذية خاصة بها .

ثانيا : التكوين التشريحي للقرنية إذ تتكون من مواد ذات نفاذية خاصة ومعامل انكسار ثابت للضوء حتي لاتترسب الأشعة أثناء مرورها بها

ثالثا : طبقة الخلايا الطلائية المبطنة للقرنية تقوم بوظيفة المخ التي تخرج الماء من القرنية بمعدل ثابت بحيث يبقي تركيز الماء بأنسجة القرنية عند نحو ٧٢٪ من الوزن الجاف لها .

ومن القرنية ينتقل الدكتور الشيوي للحديث عن الإعجاز الإلهي في عدسة العين وهي عبارة عن عدسة محدبة الوجهين وتقوم بتجميع الأشعة الضوئية الداخلة إلي العين علي نقطة محددة من الشبكية حيث تتكون الصورة وشفافية العدسة مثل القرنية تعتمد علي أنها تتغذي بواسطة السائل المائى للعين وترجع أهمية عدسة العين إلي أنها تملك خاصية التكيف البصري التي تمكن العين من رؤية الأجسام القرنية في نفس درجة الوضوح مثل الأجسام البعيدة .

ويتم التكيف البصري بواسطة انقباض عضلة الجسم الهدبي مما يؤدي إلي زيادة تكور عدسة العين وبالتالي زيادة قوتها حتي تستطيع رؤية الأجسام القريبة

وتقل هذه القدرة مع زيادة عمر الإنسان حتي تنعدم تقريبا في سن الستين وفي هذه

=

سواء كان قطعاً أو ظناً واستعماله بهذا المعنى سائغٍ وشائع . وقيل : إنه مخصوص بالعقائد وقيل : بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام «**من قفا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج**»(٢٣) . وقول الكميت :

---

(٢٣) رواه أحمد والطبراني من رواية معاذ بن أنس مرفوعا بلفظ « من قفا مؤمنا بما ليس فيه يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » .

ورواه الطبراني في مسند الشاميين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ـ بلفظ « من قذف مؤمنا أو مؤمنة حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج » .

ورواه أبو داود والحاكم بلفظ مقارب

وردغة الخبال : عصارة أهل النار . وفي الصحاح : الرَّدغة ـ بالتحريك ـ الماء والطين والوحل الشديد ، والخبال العناء والفساد . والذى في الحديث المقصود بردغة الخبال : صديد أهل النار ـ الصحاح ـ

*** الإعجاز العلمى**

الحالة لابد للمريض من ارتداء نظارة القراءة والأعمال القريبة من العين وعندما تفقد العدسة شفافيتها وتصبح معتمة تسمي بالمياه البيضاء أو « الكتاركت » وتتجلي قدرة الخالق أيضا في الشبكية التي تمثل الفيلم الحساس الذي تتكون عليه صور المرئيات والشبكية جهاز كامل معقد يتكون من ملايين الخلايا كل منها تتصل بخطوط خاصة أو مشتركة لنقل الإحساس بالضوء ويتم ذلك من خلال عمليات معقدة

وتتم عملية نقل الإحساس هذه بواسطة نشاط خمائر خاصة وهرمونات تفرز عند العقد العصبية ينتج عنها شحنات كهربية تنقل الإحساس بالضوء

هذه الخلايا تعمل بنظام ثابت وتختار طول الموجات الضوئية التي تحملها فهناك خلايا تحس للضوء الأحمر وخلايا للضوء الأخضر وأخري للأصفر وغيرها من الألوان وهذه عملية تتم من خلايا مواد كيميائية خاصة ينعدم الإحساس بالألون في غيابها وتتميز الشبكية بنوع خاص من التمثيل الغذائي وتستهلك كمية كبيرة من الاكسجين وفيتامين .

إن هذا قليل من كثير من خلق الله سبحانه وتعالي مما يزيد القلب إيمانا وتسليما بقدرة الخالق العظيم .

ولهذا يسألنا المولي عز وجل يوم القيامة عن نعمة البصر والسمع .

ولاَ أرْمِي البَرِيءَ بغَيْرِ ذَنْبٍ ولاَ أَقْفُو الحَواصِنَ إنْ قفينا (٢٤)

﴿ إنَّ السَّمْعَ وَالْبَصرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ ﴾ أي كل هذه الأعضاء فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن أحوالها شاهدة على صاحبها ، هذا وإن أولاء وإن غلب في العقلاء لكنه من حيث إنه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله :

وَالعَيْشُ بَعْدَ أُولَئِكَ الأَيَام (٢٥)

﴿ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ في ثلاثتها (٢٦) ضمير كل ، أي كان كل واحد منها مسئولاً عن نفسه ، يعني عما فعل به صاحبه ويجوز أن يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف أو لصاحب السمع والبصر . وقيل مسئولا مسند إلي عنه كقوله تعالي ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ (٢٧) والمعني يسأل صاحبه عنه ، وهو خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم ، وفيه دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه علي المعصية . وقرئ والفؤاد بقلب الهمزة واواً بعد الضمة ثم إبدالها بالفتح .

﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أي ذا مرح وهو الاختيال . وقرئ مرحاً وهو باعتبار الحكم أبلغ وإن كان المصدر آكد من صريح النعت . ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ ﴾ لن تجعل فيها خرقاً بشدة وطأتك . ﴿ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ بتطاولك وهو تهكم بالمختال ، وتعليل للنهي بأن الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل .

---

(٢٤) الحواصن : جمع حَصان ـ بفتح الحاء ـ وحاصن وحصناء وهى العفيفة وقفُينا : أى قفاهن الناس فتكلموا فيهن بغير حق .

يقول : أنا لا أتهم البرىء ولا أرميه بسوء : ولا أقذف المحصنات ، ولو تكلم فيهن أحد غيرى بسوء . .

(٢٥) شطر بيت لجرير بن عطية ، وهو بكامله :

ذم المنازل بعد منزله اللّوى . . والعيش بعد أولئك الأيام

يقول : كل منزل مذموم بعد منزلة اللّوى ، وكل عيش مذموم بعد العيش فى تلك الأيام التى كنا نعيشها بين الأحباب .

(٢٦) فى ثلاثتها : أى فى السمع والبصر والفؤاد

(٢٧) الفاتحة ٧

﴿ كُلُّ ذَلكَ ﴾ إشارة إلى الخصال الخمس والعشرين المذكورة . من قوله تعالى ﴿ لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ (٢٨) وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما : أنها المكتوبة في ألواح موسى عليه السلام (٢٩) . ﴿ كَانَ سَيِّئُه ﴾ يعني المنهي عنه فإن المذكورات مأمورات ومناه . وقرأ الحجازيان والبصريان سيئةٌ على أنها خبر كان والاسم ضمير كل ، وذلك إشارة إلى ما نهي عنه خاصة وعلي هذا قوله . ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ بدل من سيئة أو صفة لها محمولة علي المعني ، فإنه بمعنى سيئاً وقد قرئ به ، ويجوز أن ينتصب مكروهاً علي الحال من المستكن في كان أو في الظرف على أنه صفة سيئة ، والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بإرادته تعالي .

الآيات من ٣٩ : ٤٤

﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا (٤٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا (٤١) قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لأَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾

﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى الأحكام المتقدمة . ﴿ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِن

---

(٢٨) الإسراء ٢٢

(٢٩) التى يشير إليها قوله تعالى « وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء » الأعراف ١٤٥

عن مقاتل : أنه كتب فى الألواح : إنى أنا الله الرحمن الرحيم ، لاتشركوا بى شيئا ، ولاتقطعوا السبيل ولاتحلفوا باسمى كاذبين ، فإن من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ، ولاتقتلوا ولاتزنوا ولاتعقوا الوالدين ـ تفسير الكشاف ـ

الْحِكْمَةِ ﴾ التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به . **﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾** كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه ، فإن من لا قصد له بطل عمله ، ومن قصد بفعله أو تركه غيره ، ضاع سعيه ، وأنه رأس الحكمة وملاكها ، ورتب عليه أولاً ما هو عائده : الشركُ في الدنيا وثانياً ما هو نتيجته في العقبى فقال تعالى : **﴿ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا ﴾** تلوم نفسك . **﴿ مَّدْحُورًا ﴾** مبعداً من رحمة الله تعالى .

تأنيب لمن يزعمون أن الملائكة بنات الله

﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ ﴾ خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله ، والهمزة للإنكار والمعني : أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد وهم البنون . **﴿ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾** بناتٍ لنفسه وهذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم . **﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً ﴾** بإضافة الأولاد إليه ، وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها ، ثم بتفضيل أنفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ، ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أَدْوَنَهمَ .

القرآن تذكير وتنبيه

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ كررنا هذا المعني بوجوه من التقرير . **﴿ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾** في مواضع منه ، ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال إضافة البنات إليه على تقدير : ولقد صرفنا هذا القول في هذا المعنى ، أو أوقعنا التصريف فيه ، وقرئ صرفنا بالتخفيف . **﴿ لِيَذَّكَّرُوا ﴾** ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر . **﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾** عن الحق وقلة طمأنينة إليه .

رد قاطع ينفي وجود الشريك

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ أيها المشركون ، وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفيما بعده على أن الكلام مع الرسول ﷺ ، ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب في الثانية علي أن الأولى مما أمر الرسول ﷺ أن يخاطب به المشركين ، والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم . **﴿ إِذًا لَّابْتَغَوْا**

﴿ إلى ذي العرش سبيلاً ﴾ جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى : لطلبوا إلى من هو مالك الملك سبيلاً بالمعازّة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ، أو بالتقرب إليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ (٣٠) .

﴿ سبحانه ﴾ ينزه تنزيهاً . ﴿ وتعالى عما يقولون علواً ﴾ تعالياً . ﴿ كبيراً ﴾ متباعداً غاية البعد عما يقولون ، فإنه فى أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته ، واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه .

﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ ينزهه عما هو من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بإمكانها وحدوثها علي الصانع القديم الواجب لذاته (٣١) . ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ، ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لإسناده إلى ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز إطلاق اللفظ على معنييه . وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر يسبح بالياء . ﴿ إنه كان حليماً ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم . ﴿ غفوراً ﴾ لمن تاب منكم .

---

(٣٠) الإسراء ٥٧

(٣١) روى الطبرانى عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما رجع ليلة أسرى به : « سمعت تسبيحا فى السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذى المهابة مشفقات لذى العلو بما علا : سبحان العلى الأعلى ، سبحانه وتعالى .

وروى البخارى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

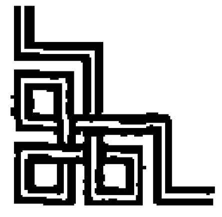
وهذا يشير إلى أن كل شيء يسبح الله تعالى حتى الطعام

وفى حديث أبى ذر ـ فيما يرويه ابن كثير أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ فى يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل .

وفى سنن النسائى عن عبد الله بن عمر قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفادع وقال : « نقيقها تسبيح » ـ من تفسير ابن كثير ـ

الآيات من ٤٥ : ٥٠

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا (٤٧) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٤٨) وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) ﴾



حجاب الكفار عن الهدى

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا ﴾ يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم . ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ ذا ستر كقوله تعالى ﴿ وعده مأتياً ﴾ (٣٢) وقولهم سيل مفعم ، أو مستوراً عن الحس ، أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون ، نفى عنهم أن يفهموا ما أنزل عليهم من الآيات ، بعد ما نفي عنهم التفقه للدلالات المنصوبة فى الأنفس والآفاق تقريراً له وبياناً لكونهم مطبوعين على الضلالة لما صرح بقوله .

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ (٣٣) تكنها وتحول دونها عن إدراك الحق وقبوله . ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ كراهة أن يفقهوه ، ويجوز أن يكون مفعولاً لما دل عليه قوله ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أي منعناهم أن يفقهوه . ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾(٣٤) يمنعهم عن استماعه . ولما كان القرآن معجزاً من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وإدراك اللفظ ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ ﴾ واحداً غير مشفوع به آلهتهم ، مصدر وقع موقع الحال وأصله يحد وحده

(٣٢) مريم ٦١

(٣٣) الأكنة جمع كنان وهو الغشاء والغطاء

(٣٤) الوقر : الثقل

بمعنى واحداً وحده . ﴿ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾ هرباً من استماع التوحيد ونفرة أو تولية ، ويجوز أن يكون جمع نافر كقاعد وقعود .

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾ بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن . ﴿ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ ظرف لأعلم وكذا ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ ﴾ أي نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به، ونجوى مصدر ويحتمل أن يكون جمع نَجِيٍّ . ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾ مقدر باذكر ، أو بدل من إذ هم . نجوى على وضع « الظالمون » موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم ، والمسحور هو الذي سُحر فزال عقله . وقيل : الذي له سَحْر وهو الرئة أي إلا رجلاً يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم .

﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ ﴾ مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون . ﴿ فَضَلُّوا ﴾ عن الحق في جميع ذلك . ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ إلى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في أمره لا يدرى ما يصنع أو إلى الرشاد (٣٥) .

---

(٣٥) مما رواه ابن إسحاق فى سيرته ويدل على أن هؤلاء القوم لايهتدون إلى الحق رغم وضوحه ، وأن الله أضلهم عن اتباع الهدى قال : إن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى خرجوا ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بالليل فى بيته ، فأخذ كل واحد منهم مجلسا يستمع فيه، وكل لايعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق ، فتلاوموا ، فتكرر هذا منهم ثلاثا ، ثم أتى الأخنس أبا سفيان فى بيته ، فقال : أخبرنى ياأبا حنظله عن رأيك فيما سمعت من محمد ، قال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف مايراد بها ، وسمعت أشياء ماعرفت معناها ولا مايراد بها . فقال الأخنس : وأنا والذى حلفت به .

ثم خرج الأخنس حتى أتى أبا جهل فقال: يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد؟

قال : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان . قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك هذه ؟ والله لانؤمن به أبدا ولانصدقه .

قال : فقام عنه الأخنس وتركه . ـ سيرة ابن هشام ـ

إنكارهم البعث

﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ﴾ حطاماً. ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيـدًا ﴾ على الإنكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم ، من المباعدة والمنافاة ، والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه ، لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها وخلقاً مصدر أو حال .

﴿ قُلْ ﴾ جواباً لهم . ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ .

الآيات من ٥١ : ٥٧

﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) ﴾

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ أي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه أبعد شئ منها ، فإن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم لا شتراك الأجسام في قبول الأعراض، فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد . ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وكنتم تراباً وما هو أبعد منه في الحياة . ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ فسيحركونها نحوك تعجباً واستهزاء ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن

﴿ يَكُونَ قَرِيباً ﴾ فإن كل ما هو آت قريب ، وانتصابه على الخبر أو الظرف أى يكون في زمان قريب ، وأن يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمر .

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ ﴾ أي يوم يبعثكم فتبعثون ، استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما ، وأن المقصود منهما الإحضار للمحاسبة والجزاء . ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ حال منهم أي حامدين الله تعالى على كمال قدرته كما قيل إنهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، أو منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه . ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية [٣٦] ، أو مدة حياتكم لما ترون من الهول .

الأمر بالكلام الطيب

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي ﴾ يعنىَ المؤمنين . ﴿ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الكلمة التى هي أحسن ولا يخاشنوا المشركين . ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضى إلى العناد وازدياد الفساد . ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِيناً ﴾ ظاهر العداوة .

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ تفسير للتي هي أحسن وما بينهما اعتراض أي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار، فإنه يهيجهم على الشر مع أن ختام أمرهم غيب لا يعلمه إلا الله . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ موكولاً إليك أمرهم تقسرهم على الإيمان وإنما أرسلناك مبشراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالاحتمال منهم . وروى أن المشركين أفرطوا في إيذائهم فشكوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت . وقيل شتم عمر رضي الله تعالى عنه رجلٌ منهم به فأمره الله بالعفو .

الله أعلم حيث يجعل رسالته

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ وبأحوالهم فيختار منهم لنبوته

---

(٣٦) إشارة إلى قصة عزيز الوارد ذكرها فى سورة البقرة « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها .... الآية رقم ٢٥٩ .

وولايته من يشاء ، وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبياً ، وأن يكون العراة الجوع أصحابه . ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ بالفضائل النفسانية والتبرى عن العلائق الجسمانية ، لا بكثرة الأموال والأتباع حتى داود عليه الصلاة والسلام فإن شرفه بما أوحي إليه من الكتاب لا بما أوتيه من الملك . قيل هو إشارة إلى تفضيل رسول الله ﷺ وقوله ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ تنبيه على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأمته خير الأمم المدلول عليه بما كتب في الزبور من أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ، وتنكيره ها هنا وتعريفه في قوله تعالى ﴿ ولقد كتبنا في الزبور﴾ (٣٧) لأنه في الأصل فعول للمفعول كالحلوب ، أو المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس أو الفضل ، أو لأن المراد وآتينا داود بعض الزبر ، أو بعضاً من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام .

زعم الكفار إن آلهتهم تكشف عنهم الضر ويتقربون بها إلى الله

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ أنها آلهة . ﴿ مِّن دُونِهِ ﴾ كالملائكة والمسيح وعزير . ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ ﴾ فلا يستطيعون . ﴿ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ ﴾ كالمرض والفقر والقحط . ﴿ وَلَا تَحْوِيلاً ﴾ ولا تحويل ذلك منكم إلى غيركم (٣٨) .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القرابة بالطاعة . ﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ بدل من واو يبتغون أي يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب . ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ كسائر العباد فكيف تزعمون أنهم آلهة . ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ حقيقاً بان يحذره كل أحد حتي الرسل والملائكة .

---

(٣٧) الأنبياء ١٠٥

(٣٨) جاء فى أسباب النزول للسيوطى أن سبب نزول هذه الآية ـ فيما أخرجه البخارى وغيره عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناساً من الجن ، فأسلم الجنيون واستمسك الآخرون بعبادتهم ، فأنزل الله الآية ـ لباب النقول ـ

الآيات من ٥٨ : ٦٠

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا (٥٩) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠) ﴾

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ بالموت والاستئصال . ﴿ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ بالقتل وأنواع البلية . ﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿ مَسْطُورًا ﴾ مكتوبا .

لماذا لم يرسل الله لهم الآيات التي يطلبونها ؟

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ ﴾ ما صرفنا عن إرسال الآيات التي اقترحها قريش . ﴿ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾ إلا تكذيب الأولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود ، وأنها لو أرسلت لكذبوا به تكذيب أولئك ، واستوجبوا الاستئصال علي ما مضت به سنتنا وقد قضينا أن لا نستأصلهم ، لأن منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن (٣٩) ثم ذكر بعض الأمم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال :

﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ ﴾ بسؤالهم . ﴿ مُبْصِرَةً ﴾ بينة ذات أبصار أو بصائر ،

---

(٣٩) ذكر السيوطى فى أسباب النزول قال : أخرج الحاكم والطبرانى وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعوا ، فقيل له : إن شئت أن نستأنى بهم ، وإن شئت نؤتهم الذى سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم . قال : بل أستأنى بهم فأنزل الله « وما منعنا أن نرسل بالآيات .. » الآية قال : وأخرج الطبرانى وابن مردويه عن الزبير نحوه أبسط منه . ـ لباب النقول ـ

أو جاعلتهم ذوي بصائر ، وقرئ بالفتح (٤٠) . ﴿ **فَظَلَمُوا بِهَا** ﴾ فكفروا بها ، أو فظلموا أنفسهم بسبب عقرها . ﴿ **وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ** ﴾ أي بالآيات المقترحة . ﴿ **إِلاَّ تَخْوِيفاً** ﴾ من نزول العذاب المستأصل، فإن لم يخافوا نزل ، أو بغير المقترحة كالمعجزت وآيات القرآن إلا تخويفا بعذاب الآخرة . فإن من بعثت إليهم مؤخر إلي يوم القيامة ، والباء مزيدة، أو في موقع الحال والمفعول محذوف .

﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لَكَ** ﴾ واذكر إذ أوحينا إليك . ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ** ﴾ فهم في قبضة قدرته ، أو أحاط بقريش بمعني أهلكهم من أحاط بهم العدو ، فهي بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه . ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ** ﴾ ليلة المعراج وتعلق به من قال إنه كان في المنام ، ومن قال إنه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية (٤١) . أو عام الحديبية حين رأي أنه دخل مكة . وفيه أن الآية مكية إلا أن يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ، ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله تعالي ﴿ **إذ يريكهم الله في منامك قليلا** ﴾ (٤٢) ولما روي (**أنه لما ورد ماءه قال لكأني أنظر إلي مصارع القوم هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فتسامعت به قريش واستسخروا منه**) (٤٣) .

---

(٤٠) قرىء بالفتح : أى بفتح الميم فى (مَبصرةً) . على أنها مصدر ميمى بمعنى تبصرة .

(٤١) جاءت كلمة الرؤيا بمعنى الرؤية البصرية ، واستعملها المتنبى فى شعره بهذا المعنى فى قصيدته قائلا :

ورؤياك فى العينين أحلى من الغمض

وقال آخر :

فكبر للرؤيا وهش فؤاده . . .

فالرؤيا فى البيتين بمعنى رؤية من أحب يقظة لا مناماً .

وقال الشيخ الشعراوى فى حديثه عن الإسراء : إذا كان الإسراء رؤيا منامية فكيف تكون فتنة للناس ؟ ومعنى فتنة للناس أن بعضهم يصدق وبعضهم يكذب ولو كانت رؤيا منامية كما يدعون لايناقشها أحد لاتصديقا ولا تكذيبا .

من كتاب : اعجاز القرآن فى آفاق الزمان والمكان صـ ٢٤٠ .

(٤٢) الأنفال : ٤٣

(٤٣) رواه مسلم فى صحيحه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه . قال قال رسول الله

وقيل : رأي قوما من بني أمية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال : هذا حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم ، وعلي هذا كان المراد بقوله : ﴿ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ ما حدث في أيامهم .

﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ عطف علي الرؤيا وهي شجرة الزقوم ، ولما سمع المشركون ذكرها قالوا : إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ، ولم يعلموا أن من قدر أن يحمي وبر السَمَنْدَل (٤٤) من أن تأكله النار ، وأحشاء النعامة من أذي الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها، قدر أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها . ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به علي المجاز للمبالغة ، أو وصفها بأنها في أصل الجحيم فإنه أبعد مكان من الرحمة ، أو بأنها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا ، وقد أولت بالشيطان وأبي جهل والحكم بن أبي العاصي ، وقرئت بالرفع علي الابتداء والخبر محذوف ، أي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك .

﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ ﴾ بأنواع التخويف . ﴿ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ إلا عتوا متجاوز الحد (٤٥)

صلى الله عليه وسلم : « هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ههنا ـ قال : فما ماط أحد عن موضع يده »

(٤٤) السمندل : دويبة توجد ببلاد الترك يتخذ من وبرها مناديل إذا اتسخت طرحت فى النار فيذهب الوسخ ويبقى المنديل سالما لاتعمل فيه النار .

ـ تفسير الكشاف ـ

(٤٥) جاء فى لباب النقول : أخرج ابن أبى حاتم والبيهقى فى البعث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما ذكر الله الزقوم خوف به هذا الحى من قريش. قال أبو جهل : هل تدرون ماهذا الزقوم الذى يخوفكم به محمد ؟ قالوا : لا . قال : الثريد بالزبد ، أما لئن أمكننا منها لنزقمنها زقما . فأنزل الله تعالى « والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا » وأنزل كذلك : « إن شجرة الزقوم . طعام الأثيم . كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم . . . » الدخان ٤٣ ـ ٥٠

الآيات من ٦١ : ٦٥

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً (٦٥) ﴾

تذكير بقصة إبليس وغوايته لبني آدم :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ لمن خلقته من طين ، فنصب بنزع الخافض ، ويجوز أن يكون حالا من الراجع إلي الموصول أي خلقته وهو طين ، أو منه أي أأسجد له وأصله طين . وفيه علي الوجوه الثلاثة إيماء بعلة الإنكار .

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾ الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب ، وهذا مفعول أول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف للدلالة صلته عليه ، والمعني أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود له لم كرمته علي . ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه : ﴿ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أي لأستأصلنهم بالإغواء إلا قليلا لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم ، من احتنك الجراد الأرضَ إذا جرد ما عليها أكلا ، مأخوذ من الحنك ، وإنما علم أن ذلك يتسهل له إما استنباطا من قول الملائكة ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (٤٦) مع التقرير ، أو تفرسا منْ خَلْقِه ذا وهْمٍ وشهوةٍ وغضب .

﴿ قَالَ اذْهَبْ ﴾ امض لما قصدته ، وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه . ﴿ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ ﴾ جزاؤك وجزاؤهم ، فغلب المخاطب علي الغائب ، ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين علي الالتفات . ﴿ جَزَاءً

(٤٦) البقرة ٣٠

﴿ مَّوْفُوراً ﴾ مكملا من قولهم فِرْ (٤٧) لصاحبك عرضه ، وانتصاب جزاء علي المصدر بإضمار فعله ، أو بما في (جزاؤكم) من معني تجازون ، أو حال موطئة لقوله موفورا .

﴿ وَاسْتَفْزِزْ ﴾ واستخفف . ﴿ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم ﴾ أن تستفزه ، والفز الخفيف . ﴿ بِصَوْتِكَ ﴾ بدعائك إلي الفساد . ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم ﴾ وصِحْ عليهم من الجلبة وهي الصياح . ﴿ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ بأعوانك من راكب وراجل، والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام « **يا خيل الله اركبي** »(٤٨) .

والرجل اسم جمع للراجِل كالصحب والركب ، ويجوز أن يكون تمثيلا لتسلطه علي من يغويه بمغوار صوت (٤٩) علي قوم فاستفزهم من أماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتي استأصلهم . وقرأ حفص ورجلك بالكسر ، وغيره بالضم وهما لغتان كندِس ونُدس (٥٠) ومعناه : وجمعك الرجل . وقرئ ورجالك ورجالك .

---

(٤٧) فر : فعل أمر وَفَر ، بمعنى احفظه ولاتنقص منه شيئا .

(٤٨) أخرجه أبو الشيخ فى الناسخ والمنسوخ من حديث سعيد بن جبيرفى قصة المحاربين قال : كان ناس أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : نبايعك على الإسلام . . . وفيها : فامر النبى صلى الله عليه وسلم فنودى فى الناس : ياخيل الله اركبى . .

ورواه قتادة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعنى يوم قريظة ـ يوم الأحزاب ـ مناديا ينادى : ياخيل الله اركبى . .

وذكره السهيلى فى الروض الأنف أن ذلك كان فى غزوة حنين . .

ـ من تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر ـ

(٤٩) بمغوار صوت : أى بغارة مصحوبة بأصوات مستفزة مقلقة وأصل التعبير فى تفسير الكشاف : مثلت حالهُ (أى إبليس) فى تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوَّت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم .

(٥٠) نَدُس ونِدس ـ بضم الدال وكسرها ، ومعناهُ : حَسَنُ الحديث ، وتقول : رجُلٌ ندُس وندِس : أى فهِم لبيب .

وفى المعجم الوجيز : الندُس : الذى يخالط الناس دون أن يثقل عليهم ويجمع على « نَدُسُون »

والندْسُ والنّدُس ـ بالسكون والضم ـ الفطن الدقيق النظر فى الأمور .

﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ ﴾ بحملهم علي كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها علي ما لا ينبغي . ﴿ وَالأَوْلادِ ﴾ بالحث علي التوصل إلي الولد بالسبب المحرم، والإشراك فيه بتسميته عبد العزي ، والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة والحِرَف الذميمة والأفعال القبيحة (٥١) .

﴿ وَعِدْهُمْ ﴾ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال علي كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الأمل . ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ اعتراض لبيان مواعيده الباطلة ، والغرور تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب .

﴿ إِنَّ عِبَادِي ﴾ يعني المخلصين ، وتعظيم الإضافة والتقييد في قوله ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ (٥٢) يخصصهم . ﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ أي علي إغوائهم قدرة . ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ يتوكلون عليه في الاستعاذة منك علي الحقيقة

الآيات من ٦٦ : ٦٩

﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا (٦٧) أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (٦٨) أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩) ﴾

---

(٥١) عن ابن كثير : جاء فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لو أن أحدكم إذا أراد أن ياتى أهله قال : باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإن إن يُقَدَّر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان أبدا » وهذه نصيحة طيبة للنجاة من توعد الشيطان للإنسان من مشاركته فى ولده . وصدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ـ من تيسير العلى القدير لاختصار تفسير ابن كثير حـ ٣ صـ ٣٨ ـ

(٥٢) الحجر ٤٠

الله القادر المعين هو المستحق وحده للعبادة :

﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي ﴾ هو الذي يجري . ﴿ لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِه ﴾ الربح وأنواع الأمتعة التي لا تكون عندكم . ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما تعسر من أسبابه .

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾ خوف الغرق . ﴿ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ ﴾ ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم ﴿إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ وحده فإنكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه فلا تدعون لكشفه إلا إياه ،أو ضل كل من تعبدونه عن إغاثتكم إلا الله . ﴿ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ ﴾ من الغرق .﴿ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ عن التوحيد . وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة :

عَطَاء فَتَي تَمَكَّنَ فِي المَعَالي فَأَعْرَضَ فِي المَكَارِمِ وَاسْتَطَالا (٥٣)

---

(٥٣) يمدح ذو الرمة من يتحدث عنه بالكرم وأنه يعطى عطاءً فتى متمكن فى المعالى متسع فى المكارم .

والفعل أعرض معناه هنا : اتسع وعَرضُ . يقال : أعرض الشيء أى ظهر وبرز وصار ذا عرض ، وأعرض فى العلم : أى تفقه فى نواحيه واتسع وأعرض فى المكارم : أى ذهب طولا وعرضا ، وأعرض المسألة : أى جاء بها واسعة كبيرة . . . ـ المعجم الوجيز ـ

ولكن الفعل أعرض فى الآية الكريمة لايفيد المعنى الذى أشار إليه بيت ذى الرمة إلا على احتمال بعيد .

وهو فى إفادة الإعراض عن الشيء والصدود وعنه أقرب وأقوى . . .

وهذا دأب من لايريد الله له الهداية . ولكن السعيد هو الذى يستفيد من التجربة ويدرك أنه لامنجى فى الضوائق إلا الله فيؤمن به ويوحده .

وذلك شأن عكرمة بن أبى جهل فيما يرويه ابن كثير فى تفسيره . قال : إنه ذهب فاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة ، وركب البحر ليدخل الحبشة ، فجاءتهم ريح عاصف ، فقال القوم بعضهم لبعض : إنه لايغنى عنكم إلا أن تدعوا الله وحده . فقال عكرمه فى نفسه : والله إن كان لاينفع فى البحر غيره فإنه لاينفع فى البر غيره ، اللهم لك عهد على لئن أخرجتنى منه لأذهبن فلأضعن يدى فى يد محمد ، فلأجدنه رءوفا رحيما ، فخرجوا من البحر ، فرجع إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلم وحسن إسلامه رضى الله عنه وأرضاه .

﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً ﴾ كالتعليل للإعراض .

﴿ أَفَأَمِنتُمْ ﴾ الهمزة فيه للإنكار والفاء للعطف علي محذوف وتقديره : أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك علي الإعراض فإن من قدرأن يهلككم في البحر بالغرق قادر أن يهلككم في البر بالخسف وغيره .﴿ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ﴾ أن يقلبه الله وأنتم عليه ، أو يقلبه بسببكم ، فبكم : حال ، أو صلة ليخسف ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون ، فيه وفي الأربعة التي بعده ، وفي ذكر الجانب تنبيه علي أنهم لما وصلوا الساحل كفروا وأعرضوا ، وأن الجوانب والجهات في قدرته سواء ، لا معقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك . ﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ﴾ ريحا تحصب أي ترمي بالحصباء ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴾ يحفظكم من ذلك فإنه لا راد لفضله .

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ ﴾ في البحر . ﴿ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ بخلق دواع تلجئكم إلي أن ترجعوا فتركبوه . ﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ ﴾ لا تمر بشئ إلا قصفته أى كسرته . ﴿ فَيُغْرِقَكُم ﴾ وعن يعقوب بالتاء علي إسناده إلي ضمير الريح . ﴿ بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾ بسبب إشراككم أو كفرانكم نعمة الإنجاء . ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ مطالبا يتبعنا بانتصار أو صرف .

الآيات من ٧٠ : ٧٤

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ ﴾

نقول : وصدقت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حين قال ذات يوم : إنى لأرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله ـ . فكان عكرمةُ الموحد ابنَ أبى جهل الكافر الملحد . .

تكريم بني آدم وتفضيلهم علي غيرهم

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ بحسن الصورة والمزاج الأعدل ، واعتدال القامة ، والتمييز بالعقل ، والإفهام بالنطق ، والإشارة ، والخط والتهدي ، أو أسباب المعاش والمعاد ، والتسلط علي ما في الأرض ، والتمكن من الصناعات ، وانسياق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية إلي ما يعود عليهم بالمنافع ، إلي غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه . ومن ذلك ما ذكره ابن عباس : وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده .

﴿ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ علي الدواب والسفن من حملته حملاً إذا جعلت له ما يركبه ، أو حملناهم فيهما حتي لم تخسف بهم الأرض ولم يغرقهم الماء .

﴿ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم . ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ بالغلبة والاستيلاء ، أو بالشرف والكرامة ، والمستثني جنس الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو الخواص منهم ، ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض أفراده والمسألة موضع نظر ، وقد أول الكثير بالكل وفيه تعسف .

موقف الحساب يوم القيامة

﴿ يَوْمَ نَدْعُو ﴾ نصب (٥٤) بإضمار اذكر ، أو ظرف لما دل عليه ﴿ ولا يظلمون ﴾ .

وقرئ يدعو ، ويدعي ، ويدعو علي قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو في أفعي ، أو علي أن الواو علامة الجمع كما في قوله ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (٥٥) أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فإنها ليست إلا علامة الرفع ، وهو قد يقدر كما في يدعي . ﴿ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين . وقيل : بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال : يا صاحب كتاب كذا ، أي تنقطع علقة الأنساب وتبقي نسبة

(٥٤) يعني أن الظرف (يوم) هو الذي نصب . .

(٥٥) الأنبياء ٣

الأعمال . وقيل : بالقوي الحاملة لهم علي عقائدهم وأفعالهم . وقيل : بأمهاتهم جمع أم كخف وخفاف (٥٦) والحكمة في ذلك إجلال عيسي عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما، وأن لا يفتضح أولاد الزنا .

﴿ فَمَنْ أُوتِيَ ﴾ من المدعوين . ﴿ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ أى كتاب عمله . ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ﴾ ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه . ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ولا ينقصون من أجورهم أدني شيء ، وجمع اسم الإشارة والضمير لأن من أوتي في معني الجمع ، وتعليق القراءة بإيتاء الكتاب باليمين يدل علي أن من أوتي كتابه بشماله إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة، ولذلك لم يذكرهم مع أن قوله :

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ أيضا مشعر بذلك فإن الأعمي لا يقرأ الكتاب ، والمعني ومن كان في هذه الدنيا أعمي القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة أعمي لا يري طريق النجاة ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة . وقيل : لأن الاهتداء بعد لا ينفعه والأعمي مستعار من فاقد الحاسة . وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالأجهل والأبله ولذلك لم يمله أبو عمرو ويعقوب ، فإن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم المتوسطة كما فى أعمالكم بخلاف النعت ، فإن ألفه واقعة فى الطرف لفظًا وحكما فكانت معرضة للإمالة من حيث إنها تصير ياء في التثنية ، وقد أمالها حمزة والكسائي وأبو بكر . وقرأ ورش بين بين فيهما .

عصمة الله لنبيه ﷺ من الفتن

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ نزلت في ثقيف قالوا : لا ندخل في أمرك حتي تعطينا خصالا نفتخر بها علي العرب : لا نعشر ، ولا نحشر، ولا نجبي (٥٧) في صلاتنا ، وكل ربًا لنا فهو لنا وكل ربًا علينا فهو موضوع عنا ، وأن تمتعنا باللات سنة وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة ، فإن قالت العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني .

---

(٥٦) قال الزمخشرى فى تفسيره هذا الجمع من بدع التفاسير ثم قال : وليت شعرى أيهما أبدع ؟ أصحة لفظه أم بهاء حكمته ؟

(٥٧) لانعشر : لا تؤخذ منا عشور أموالنا ، ولانحشر : لايؤخذ أحد منا فى بعوث القتال ، ولانجبى : من التجبية وخفض الرأس فى الركوع والسجود .

وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتي تلم بآلهتنا وتمسها بيدك .

وإن هي المخففة واللام هي الفارقة والمعني : أن الشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة بالاستنزال ﴿ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ من الأحكام ﴿ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ غير ما أوحينا إليك . ﴿ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾ ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتي .

﴿ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ ﴾ ولولا تثبيتنا إياك . ﴿ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴾ لقاربت أن تميل إلي اتباع مرادهم ، والمعني أنك كنت علي صدد الركون إليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم ، لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركون فضلا أن تركن إليهم ، وهو صريح في أنه عليه الصلاة والسلام ما هم بإجابتهم مع قوة الدواعي إليها ، ودليل علي أن العصمة بتوفيق الله وحفظه .

الآيات من ٧٥ : ٧٨

﴿ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً (٧٥) وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً (٧٧) أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) ﴾

﴿ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ﴾ أى لو قاربت لأذقناك . ﴿ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير أخطر ، وكان أصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعني مضاعفا ، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، ثم أضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب . وقيل: المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وضعف الممات عذاب القبر . ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾ يدفع العذاب عنك .

﴿ وَإِن كَادُوا ﴾ وإن كاد أهل مكة . ﴿ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾ ليزعجونك

بمعاداتهم. ﴿ مِنَ الأَرْضِ ﴾ أرض مكة . ﴿ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ ﴾ ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك . ﴿إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ إلا زمانا قليلا ، وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة .

وقيل : الآية ، نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا : الشام مقام الأنبياء فإن كنت نبيًا فالحق بها حتى نؤمن بك ، فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت ، فرجع ثم قُتِل منهم بنو قريظة وأُجلِيَ بنو النضير بقليل (٥٨) وقرئ لا يلبثوا منصوبا بإذًا علي أنه معطوف علي جملة قوله ﴿ وَإِن كَادُو لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾ لا علي خبر كاد فإن إذًا لا تعمل إذا كان معتمد ما بعدها علي ما قبلها ، . وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر :

عفت الدّيَار خَلافَهُمْ فَكَأَنَّمَا بسط الشَّوَاطب بَيْنَهُنَّ حَصِيراً (٥٩)

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ من رُّسُلِنَا ﴾ نصب علي المصدر أي سن الله ذلك سنة ، وهو أن يهلك كل أمة لله أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم ، فالسنة لله وإضافتها إلي الرسل لأنها من أجلهم ويدل عليه . ﴿ وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ أي تغييرا .

---

(٥٨) روى هذا الخبر السيوطى فى لباب النقول عن ابن أبى حاتم والبيهقى فى الدلائل من حديث شهر بن حوشب وقال : إنه غزا لذلك غزوة تبوك . .

وفى تفسير ابن كثير : إن الآية نزلت فى كفار قريش لما هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، فتوعدهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا ، وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعدما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف سنة حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم ، فقتل أشرافهم وسبى ذراريهم . .

وربما عارض كلام ابن كثير أن هذه الآية وماقبلها مدنية . .

(٥٩) ذكره الزمخشرى فى تفسيره ولم ينسبه لقائل

ومعنى عفت : درست وذهب أثرها ، وخلافهم : بعدهم .

والشواطب : النساء يشققن شطب النخل أى سعفه الأخضر يعملنه حصيرا .

الأمر بإقامة الصلاة في أوقاتها والتهجد بالقرآن

﴿ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام « أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلي بي الظهر » (٦٠) وقيل : لغروبها، وأصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فإن الدالك لا تستقر يده ، وكذا كل ما تركب من الدال واللام : كدلج ودلح ودلع ودلف ودله . وقيل : الدلوك من الدلك لأن الناظر إليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأنيث مثلها في : لثلاث خلون ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ إلي ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الأخيرة .

﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ وصلاة الصبح ، سميت قرآنا لأنه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا ، واستدل به علي وجوب القراءة فيها : ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز لكونها مندوبة فيها ، نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر دل الأمر بإقامتها علي الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا . ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ، أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو أخو الموت بالانتباه أو كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجم الغفير ، والآية جامعة للصلوات الخمس إن فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها إن فسر بالغروب . وقيل : المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس إلي غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه ، واستدل به علي أن الوقت يمتد إلي غروب الشفق .

الآيات من ٧٩ : ٨٣

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) ﴾

---

(٦٠) أخرجه البيهقى فى سننه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ﴾ وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن . ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ فريضة زائدة لك علي الصلوات المفروضة ، أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك . ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفة ، وهو مطلق في كل مكان يتضمن كرامة، والمشهور أنه مقام الشفاعة . لما روي أبو هريرة رضي الله تعالي عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي** » (٦١) ولإشعاره بأن الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك إلا مقام الشفاعة ، وانتصابه علي الظرف بإضمار فعله أي فيقيمك مقاما أو بتضمين يبعثك معناه ، أو الحال بمعني أن يبعثك ذا مقام .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي ﴾ أي في القبر . ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ ادخالا مرضيا . ﴿ وَأَخْرِجْنِي ﴾ أي منه عند البعث . ﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ إخراجا ملقي بالكرامة . وقيل : المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة . وقيل : إدخاله مكة ظاهراً عليها وإخراجه منها آمناً من المشركين . وقيل : إدخاله الغار وإخراجه منه سالما . . وقيل: إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤديا حقه . وقيل : إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أو أمر وإخراجه منه . وقرئ مدخل ومخرج بالفتح علي معني أدخلني فأدخل دخولا وأخرجني فأخرج خروجا .

﴿ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ حجة تنصرني علي من خالفني أو ملكا ينصر الإسلام علي الكفر، فاستجاب له بقوله ﴿ **فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾(٦٢)﴿ **ليظهره علي الدين كله** ﴾(٦٣)﴿ **ليستخلفهم في الأرض** ﴾(٦٤)

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ الإسلام ﴿ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ وذهب وهلك الشرك من زهق روحه إذا خرج . ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ مضمحلا غير ثابت (٦٥) .

---

(٦١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، وابن أبى شيبة والترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

ورواه البخارى فى كتاب التوحيد من حديث أنس ، وفى كتاب الزكاة عن ابن عمر .

(٦٢) المائدة ٥٦ (٦٣) الصف ٩ ـ التوبة ٣٣ ـ الفتح ٢٨

(٦٤)النور ٥٥

(٦٥) ذكر السيوطى فى لباب النقول : أخرج الترمذى عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة ، فنزلت عليه « وقل رب أدخلنى مدخل صدق

عن ابن مسعود رضي الله عنه (أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته في عين كل واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل ، فينكب لوجهه حتي ألقي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال : يا علي ارم به فصعد فرمي به فكسره) (٦٦) .

القرآن وأثره في الشفاء المادي والمعنوي

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضي ، ومن للبيان فإن كله كذلك . وقيل إنه للتبعيض والمعني أن منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء (٦٧) وقرأ

وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا »

قال : وهذا صريح فى أن الآية مكية . وأخرجه ابن مردويه بلفظ أصرح منه .

(٦٦) رواه ابن كثير فى تفسيره بمثله وعزاه إلى مسلم والترمذى والنسائى وعبد الرزاق فى مصنفه . وكذلك إلى البخارى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

(٦٧) آيات الشفاء فى القرآن هى :

١ « ويشف صدور قوم مؤمنين » التوبة ١٤

٢ « وشفاء لما فى الصدور » يونس ٥٧

٣ « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » النحل ٦٩

٤ « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين » الإسراء ٨٢

٥ « وإذا مرضت فهو يشفين » الشعراء ٨٠

٦ « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » فصلت ٤٤

وفى الاستشفاء بالقرآن أخرج البيهقى فى الشعب عن واثلة بن الأسقع أن رجلا شكا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وجع حلقه قال : « عليك بقراءة القرآن » وأخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أشتكى وجع صدرى قال : « اقرأ القرآن »

وفى هذه الآيات الست التى ذكرناها : نقل عن الشيخ الإمام أبى القاسم القشيرى رحمه الله تعالى أن ولده مرض مرضا شديدا قال : حتى أيست منه واشتد الأمر على ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى منامى فشكوت إليه ما بولدى ، فقال لى : « أين أنت من آيات الشفاء ؟ فانتبهت ، ففكرت فيها فإذا هى فى ستة مواضع من كتاب الله عز وجل »

البصريان ننزل بالتخفيف . ﴿ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ لتكذيبهم وكفرهم به .

حال الإنسان بين الرخاء والشدة

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ ﴾ بالصحة والسعة ﴿ أَعْرَضَ ﴾ عن ذكر الله . ﴿ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ لوي عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بأمره ، ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لأنه من عادة المستكبرين ، وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء علي القلب أو علي أنه بمعني نهض . ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ من مرض أو فقر . ﴿ كَانَ يَئُوسًا ﴾ شديد اليأس من روح الله .

الآيات من ٨٤ : ٨٨

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً (٨٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥) وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً (٨٦) إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧) قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ قل كل أحد يعمل علي طريقته التي تشاكل حاله في الهدي والضلالة ، أو جوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه . ﴿ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴾ أسد طريقا وأبين منهجا ، وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين . (٦٨) .

وهى التى ذكرناها .

قال : فكتبتها ثم حللتها بالماء وسقيته إياها فكأنما نشط من عقال : ـ من كتاب قبس من كنوز الذكر والدعاء ـ محمد زين العابدين ابراهيم صـ ٦١ ـ مطالع سحر ـ المملكة العربية السعودية ـ

(٦٨) ذكر بعض العلماء أن هذه الآية من آيات الرحمة والرجاء ، وتعليل ذلك أن شاكلة العبد المعصية والتقصير ، وشاكلة الرحمن العفو والمغفرة ـ تفسير القرطبى ـ

سؤالهم عن الروح

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ الذى يحيا به بدن الإنسان ويدبره . ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ من الإبداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء جسده ، أو وجد بأمره وحدث بتكوينه علي أن السؤال عن قدمه وحدوثه . وقيل: مما استأثر الله بعلمه . لما روي : أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح ، فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي ، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي ، فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة .

وقيل : الروح جبريل ، وقيل : خلق أعظم من الملك ، وقيل : القرآن ، ومن أمر ربي معناه من وحيه . ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ تستفيدونه بتوسط حواسكم ، فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية . إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات ، ولذلك قيل : من فقد حسا فقد فقد علما . ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من أحواله المعروفة لذاته ، وهو إشارة إلى أن الروح مما لا يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به ، فلذلك اقتصر علي هذا الجواب كما اقتصر موسي في جواب: ﴿**وما رب العالمين**﴾(٦٩)بذكر بعض صفاته

روي : أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا : **أنحن مختصون بهذا الخطاب ؟ فقال : بل نحن وأنتم ، فقالو ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** ، وساعة **تقول هذا** فنزلت (٧٠) ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام** ﴾ (٧١) وما قالوه لسوء فهمهم لأن الحكمة الإنسانية

---

(٦٩) سورة الشعراء آية رقم ٢٣

(٧٠) ذكره الثعلبى فى تفسيره ـ تفسير سورة لقمان بغير سند ولا راو وروى ابن مردويه من طريق علي بن عاصم عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » قالت اليهود : أوتينا علما كثيرا، أوتينا التوراة ومن يؤت التوراة فقد أوتى خيرا كثيرا ، فأنزل الله تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى » الكهف ١٠٩ ـ من تعليق تفسير الكشاف ـ

(٧١) لقمان ٢٧

أن يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده ، وهو بالإضافة إلي معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالإضافة إليه (٧٢) كثير .

عظمة القرآن وإعجازه

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ولا تجد من يتوكل علينا : استرداده مسطورا محفوظا (٧٣) .

﴿ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ فإنها إن نالتك فَعَلَّها تسترده عليك ، ويجوز أن يكون استثناء منقطعا بمعني ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به ، فيكون امتنانًا بإبقائه بعد المنة في تنزيله . ﴿ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً ﴾ كإرساله وإنزال الكتاب عليه وإبقائه في حفظه .

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ ﴾ في البلاغة وحسن النظم وكمال المعني . ﴿ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ وفيهم العرب العرباء وأرباب البيان وأهل التحقيق ، وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ، ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضي كقول زهير :

---

(٧٢) جاء فى أسباب نزول هذه الآية : أخرج البخارى عن ابن مسعود قال : كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو متوكىء على عسيب ، فمر بنفر من يهود ، فقال بعضهم : لو سألتموه ، فقالوا : حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحى ، ثم قال : « الروح من أمر ربى »

وأخرج الترمذى عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود علمونا شيئا نسأل هذا الرجل فقالوا : سلوه عن الروح فسألوه فانزل الله « ويسألونك عن الروح » قال ابن كثير يجمع بين الحديثين بتعدد النزول ، وكذلك قال الحافظ ابن حجر ، أو يحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان فى ذلك ، وإلا فما فى الصحيح أصح .

قال السيوطى : قلت : ويرجح مافى الصحيح بأن راويه حاضر القصة بخلاف ابن عباس رضى الله عنهما ـ لباب النقول فى أسباب النزول ـ

(٧٣) نص العبارة كما جاءت فى الكشاف : إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لاتدرى ما الكتاب ، ثم لاتجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده محفوظا مستورا .

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ لا غَائِبٌ مَالِي وَلا حَرِمُ (٧٤)

﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ ولو تظاهروا علي الإتيان به ، ولعله لم يذكر الملاكة لأن إتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ، ولأنهم كانوا وسائط في إتيانه ، ويجوز أن تكون الآية تقريرا لقوله ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴾ (٧٥) .

الآيات من ٨٩ : ٩٥

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً (٨٩) وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً (٩٥) ﴾

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان . ﴿ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كل معني كالمثل في غرابته ووقوعه موقعها في الأنفس . ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ إلا جحودا ، وإنما جاز ذلك ولم يجز: ضربت إلا زيدا لأنه متأول بالنفي .

---

(٧٤) سبق الحديث عن هذا الشاهد .

(٧٥) جاء فى سبب نزول هذه الآية : أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ـ قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم فى عامة من يهود سماهم ، فقالوا : كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ؟ وإن هذا الذى جئت به لانراه متناسقا كما تناسق التوراة ، فأنزل علينا كتابا نعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتى به . فأنزل الله الآية ـ لباب النقول للسيوطى ـ

تحديات المشركين

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان إعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات إليه . وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والأرض أرض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء إذا زخر .

﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴾ أو يكون لك بستان يشتمل علي ذلك .

* الإعجاز العلمي

عن فوائد العنب نقول :

قال تعالى : ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب﴾ الإسراء ٩١

وقال : ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب﴾ الرعد ٤

وقال : ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا﴾ النحل ٦٧

وقال : ﴿إن للمتين مفازا * حدائق وأعنابا﴾ النبأ ٣١ - ٣٢

لقد أثبت العلم الحديث أن العنب يحتوى على نسبة عالية من السكر الآحادى المسمى <<جلوكوز>> .. وهو لا يحتاج إلى هضم ، بل يمتص من المعدة والأمعاء ، ليذهب مباشرة إلى الدم ، الذى ينقله إلى أنسجة الجسم المختلفة ؛ لنستفيد منه فى توليد الحرارة والطاقة على العمل .

ولذلك فإن إسعاف المرضى الذين يمنع عنهم الغذاء ، أو لا يقدرون عليه كأن يكونوا فى حالة غيبوبة أو ما شابه ذلك ، يكون مبنياً فى الأساس على الجلوكوز - أى سكر العنب- مع بعض الأملاح الضرورية للجسم ، حيث يتم حقن محلول الجلوكوز ، أو محلول الأملاح .. فى الوريد ، فيسرى مع تيار الدم ليغذى أنسجة وخلايا الجسم مباشرة دون المرور على المعدة أو الأمعاء أو غيرها من أجزاء الجهاز الهضمى .

كما أثبتت الأبحاث العلمية ، أن العنب يحتوى على نسبة لا بأس بها من الحديد والكالسيوم .. وبه نسبة بسيطة من فيتامين (د) المسئول عن تكوين العظام والاستفادة من الكلسيوم الموجود فى الطعام .

كما يحتوى العنب على كمية بسيطة من فيتامين (هـ) المسئول عن الخصب والاتزان الجنسى والعصبى والعضلى .

=

﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ يعنون قوله تعالي ﴿ أو نسقط عليهم كسفا من السماء ﴾ (٧٦) وهو كقطع لفظا ومعني ، وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن إلا في الروم وابن عامر إلا في هذه السورة ، وأبو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور ، وهو إما

(٧٦) سبأ ٩

* الإعجاز العلمي

كما أن به نسبة من فيتامين (أ) الذى يقى من العشى الليلى . وبه أيضاً نسبة من فيتامين (جـ) المسئول عن ثبات تركيب الدم ، ومقاومة الأنسجة لنزلات البرد والأنفلونزا ، بالإضافة إلى أنّ أكل العنب يفيد فى علاج الإمساك ؛ لأنه ملين طبيعى .

وتفيد الأحماض العضوية الموجودة به فى معادلة الأحماض الضارة المتخلفة عن هضم بعض الأطعمة فى الجسم ، مثل اللحوم والأسماك ، والبيض والدهنيات ، والحبوب والمكسرات ، فكلها مصادر غذائية هامة ، لكنها كامنة الحموضة .. أى ينتج عن هضمها أحماض حرة ضارة بالجسم ، وتراكم هذه الأحماض الحرة يؤدى إلى اضطرابات فسيولوجية ، مما يضعف مقاومة الجسم ، ولكن الأحماض الموجودة فى العنب تعادل هذه الأحماض الضارة وتحفظ التوازن الحمضى القلوى بالجسم .

وأوراق العنب ذات فائدة عظيمة ؛ حيث إنها غنية بالأملاح والفيتامينات ، وكل مائة جرام من ورق العنب تحتوى على ٧٥,٥ جرام ماء ، ٣,٨ جرام بروتين ، ١,- دهون ، ١,٥ جرام رماد ، ١٥,٦ جرام كربوهيدرات ، ٣٩٢ ملليجرام كالسيوم ، ٤٤ ملليجرام فوسفور ، ٣,٩ ملليجرام حديد ، ١٧٩٠٠ وحدة دولية من فيتامين (أ) ، ٠,٢٦ ملليجرام فيتامين (ب١) ، ٠,٠٨ ملليجرام فيتامين (ب٢) ، ١٢٠ ملليجرام فيتامين (جـ) ...... وكل مائة جرام من ورق العنب تعطى الجسم ٩٧ سعرا حرارياً ومن هذا يتضح أن أوراق العنب غنية جدا بالفيتامين (أ) ، (ب) والكالسيوم وبها كمية من الفوسفور والحديد .

ومن هنا كان العنب جديرا بتلك المكانة التى وضعه الله فيها إذ ذكره أكثر من عشر مرات فى كتابه الكريم وقرن اسمه بحدائق وجنات ونعيم ويأتى العلم الحديث ويقرر تلك المكانة بعد بحوثه المتعددة .

مخفف من المفتوح كسدرة وسدر أو فعل بمعني مفعول كالطحن . ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴾ كفيلا بما تدعيه أي شاهدا علي صحته ضامنا لدركه ، أو مقابلا كالعشير بمعني المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله : فإني وقَيَّار بها لغريبُ (٧٧) . أو جماعة فيكون حالا من الملائكة .

﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾ من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة . ﴿ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ ﴾ في معارجها ﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ وحده . ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ﴾ وكان فيه تصديقك . ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾ تعجبا من اقتراحاتهم أو تنزيها لله من أن يأتي أو يتحكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة ، وقرأ ابن كثير وابن عامر : قال سبحان ربي أي قال الرسول . ﴿ هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا ﴾ كسائر الناس ﴿ رَّسُولاً ﴾ كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم علي ما يلائم حال قومهم ، ولم يكن أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا علي الله حتي يتخيروها علي هذا هو الجواب المجمل وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر كقوله ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ﴾ (٧٨) ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا ﴾ (٧٩) .

---

(٧٧) هذا شطر بيت سبق شرحه . وقيار : اسم فرسه ، والبيت بتمامه :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله   فإني وقيار بها لغريب

(٧٨) الأنعام ٧

(٧٩) الحجر ١٤

جاء فى أسباب نزول الآيات المتقدمة :

أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال " ان عتبة وشيبة ابنى ربيعة ، وأبا سفيان بن حرب ، ورجلا من بنى عبد الدار ، وأبا البحترى ، والأسود بن المطلب ، وربيعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل ، وعبد الله بن أمية ، وأمية بن خلف ، والعاصى بن وائل ، ونبيها ومنبها ابنى الحجاج اجتمعوا فقالوا : يامحمد مانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد سببت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ،

استنكار الكفار أن يكون الرسول بشرا

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾أي وما منعهم الإيمان بعد نزول الوحي وظهور الحق ﴿ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ إلا قولهم هذا ، والمعني أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله بشرا .

﴿ قُل ﴾ جوابا لشبهتهم . ﴿ لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ ﴾ كما يمشي بنو آدم . ﴿ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ ساكنين فيها . ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴾ لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه ، وأما الإنس فعامتهم عماة عن

وفرقت الجماعة ، فما من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك ربما يأتيك رئيا تراه قد غلب بذلنا أموالنا فى طلب العلم حتى نبرئك منه ، فقال رسول الله ﷺ : ما بي ما تقولون ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليَّ كتابًا ، وأمرني أن أكون لكم مبشراً ونذيراً . قالوا : فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك ، فقد علمت بأنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقل مالا ولا أشد عيشًا منا ، فلتسأل لنا ربك الذي بعثك فليُسَيِّر عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليُجْر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا . فإن لم تفعل فسل ربك ملَكا يصدقك بما تقول ، وأن يجعل لك جنانا وقصوراً من ذهب وفضة نعينك بها علي ما نراك تبتغى ، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش ، فإن لم تفعل فاسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل .

فقام رسول الله ﷺ عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبى أمية ، فقال : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب . فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلي السماء سلمًا ثم ترقى فيه وأنا أنظر ، حتى تأتى ومعك نسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة فيشهدوا لك أنك كما تقول .

فانصرف رسول الله ﷺ حزينًا فأنزل الله عليه الآيات . ـ لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي .

إدراك الملك والتلقف منه ، فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس ، وملكا يحتمل أن يكون حالا من رسولا وأن يكون موصوفا به ، وكذلك بشرا والأول أوفق .

الآيات من ٩٦ : ١٠٠

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (٩٦) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً (٩٧) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً (٩٩) قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً (١٠٠) ﴾

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ علي أني رسول الله إليكم بإظهاره المعجزة علي وفق دعواي ، أو علي أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم عاندتم وشهيدا نصب علي الحال أو التمييز . ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾ يعلم أحوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها ، وفيه تسلية للرسول ﷺ وتهديد للكفار .

الهداية بيد الله وحده

﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ﴾ يهدونه ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ يسحبون عليها أو يمشون بها . روي (أنه قيل لرسول الله ﷺ كيف يمشون علي وجوههم قال : **إن الذي أمشاهم علي أقدامهم قادر علي أن يمشيهم علي وجوههم**) (٨٠)

(٨٠) أخرجه أبو عيسى الترمذي في جامعه الصحيح والإمام أحمد في مسنده وإسحاق

﴿ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ، لأنهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وأبوا أن ينطقوا بالصدق ، ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف إلي النار موفي القوي والحساب .

﴿ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ ﴾ سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم . ﴿ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة ، كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم لله بأن لا يزالوا علي الإعادة والإفناء وإليه أشار بقوله :

﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ لأن الإشارة إلي ما تقدم من عذابهم .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ أو لم يعلموا . ﴿ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ فإنهم ليسوا أشد خلقا منهن ولا الإعادة أصعب عليه من الإبـداء . ﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيـــهِ ﴾ هو الموت أو القيامة . ﴿ فَأَبَى الظَّالِمُونَ ﴾ مع وضوح الحق . ﴿ إِلاَّ كُفُورًا ﴾ إلا جحودا .

﴿ قُل لَّوْ أَنـــتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ خزائن رزقه وسائر نعمه ، وأنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم : لو ذات سوار لطمتني . وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الإيجاز والدلالة علي الاختصاص . ﴿ إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ ﴾ لبخلتم مخافة النفاد بالإنفاق إذ لا أحد إلا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فإنما يؤثره لعوض يفوقه ، فهو إذن بخيل بالإضافة إلي جود الله تعالي وكرمه هذا وأن البخلاء أغلب فيهم . ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا ﴾ بخيلا لأن بناء أمره علي الحاجة والضنة بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذله .

والبزار من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي إسناده مقال .

ورواه ابن مردويه من حديث أنس رضي الله عنه ، وله أصل في الصحيحين عن أنس أن رجلا قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر علي وجهه ؟ قال : « أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟

الآيات من ١٠١ : ١٠٦

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦) ﴾

عود إلي قصة موسي

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ هي العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل، والضفادع ، والدم وانفجار الماء من الحجر ، وانفلاق البحر ، ونتق الطور علي بني إسرائيل .

وقيل : الطوفان ، والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الأخيرة .

وعن صفوان أن يهوديا سأل النبي ﷺ عنها فقال : أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببرئ إلي ذي سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف ، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبل اليهوذي يده ورجله . فعلي هذا المراد بالآيات الأحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع ، سميت بذلك لأنها تدل علي حال من يتعاطي متعلقها في الآخرة من السعادة أو الشقاوة .

وقوله وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا ، حكم مستأنف زائد علي الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام .

﴿ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾ فقلنا له سلهم [٨١] من فرعون ليرسلهم

---

(٨١) سَلْهم من فرعون : يعني اطلب من فرعون أن يرسل معك بني إسرائيل كما جاء في

معك ، أو سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله ﷺ فسال علي لفظ المضي بغير همز ، وهو لغة قريش ، وإذ متعلق بقلنا ، أو سأل علي هذه القراءة أو فاسأل يا محمد بني إسرائيل عما جري بين موسي وفرعون إذ جاءهم ، أوعن الآيات ليظهر للمشركين صدقك أو لتتسلي نفسك أو لتعلم أنه تعالي لو أتي بما اقترحوا لأصروا علي العناد والمكابرة كمن قبلهم ، أو ليزداد يقينك ، لأن تظاهر الأدلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب ، وعلي هذا كان ﴿ إذ ﴾ نصبا بآتينا أو بإضمار يخبروك علي أنه جواب الأمر ، أو بإضمار اذكر علي الاستئناف .

﴿ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً ﴾ سحرت فتخبط عقلك .

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾ يا فرعون ، وقرأ الكسائي بالضم (٨٢) علي إخباره عن نفسه . ﴿ مَا أَنـزَلَ هَؤُلَاءِ ﴾ يعني الآيات ﴿ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه علي (٨٣) الحال .

﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴾ مصروفا عن الخير مطبوعا علي الشر من قولهم : ما ثبرك عن هذا ؟ أي ما صرفك " أو هالكا ، قارع (٨٤) ظنه بظنه ، وشتان ما بين الظنين ، فإن ظن فرعون كذب بحت ، وظن موسي يحوم حول اليقين من تظاهر أماراته .

وقرئ وإن أخالك يا فرعون لمثبورا علي إن المخففة واللام هي الفارقة .

﴿ فَأَرَادَ ﴾ فرعون . ﴿ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾ أن يستخف موسي وقومه وينفيهم . ﴿ مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أرض مصر أو الأرض مطلقا بالقتال والاستئصال . ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً ﴾ فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالإغراق .

﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ ﴾ من بعد فرعون ، أو إغراقه . ﴿ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا

سورة طه من قوله تعالى : ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم ... ﴾ طه : ٤٧ .

(٨٢) بالضم : أي بضم التاء في علمت .

(٨٣) وانتصابه على الحال : أي ا نتصاب كلمة (بصائر) .

(٨٤) قارع : قابل .

الأَرْضَ ﴾ التي أراد أن يستفزكم منها .﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾ الكرة أو الحياة أو الساعة أو الدارالآخرة يعني قيام القيامة (٨٥) ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم ، واللفيف الجماعات من قبائل شتي .

القرآن نزل بالحق

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ أي وما أنزلنا القرآن إلا ملتبسا بالحق المقتضي لإنزاله ، وما نزل علي الرسول إلا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه . وقيل وما أنزلناه من السماء إلا محفوظا بالرصد من الملائكة ، ومانزل علي الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين . ولعله أراد به نفي اعتراء البطلان له أول الأمر وآخره ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا ﴾ للمطيع بالثواب . ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ للعاصي بالعقاب فلا عليك إلا التبشير والانذار .

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ﴾ أنزلناه مفرقا منجما . وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله : ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فإنه نزل في تضاعيف عشرين سنة . ﴿ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ علي مهل وتؤدة فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه . ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾ علي حسب الحوادث .

الآيات من ١٠٧ : ١١٠

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ

---

(٨٥) يقول بعض العلماء : وعد الآخرة هو الذي جاء فى سورة الإسراء حيث قال تعالى : ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ الآية رقم ٧ .

وفيه إشارة إلى أن الإفساد الثاني هو ما عليه بنو إسرائيل الآن من علو وغطرسة وسيلقون نتيجة ذلك .

أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً (١١٠) ﴾

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا ﴾ فإن إيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ ﴾ تعليل له أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرءوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل ، أو رأوا نعتك وصفة ما أنزل إليك في تلك الكتب ، ويجوز أن يكون تعليلا لقل علي سبيل التسلية كأنه قيل : تسل بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة ولا تكترث بإيمانهم وإعراضهم . ﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ القرآن . ﴿ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ يسقطون علي وجوههم تعظيما لأمر الله أو شكرا لإنجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد ﷺ علي فترة من الرسل وإنزال القرآن عليه .

﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا ﴾ عن خلف الموعد . ﴿ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ إنه كان وعده كائنا لا محالة .

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ كرره لاختلاف الحال والسبب فإن الأول للشكر عند إنجاز الوعد ، والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ، وذكر الذقن لأنه أول ما يلقي الأرض من وجه الساجد ، واللام فيه لاختصاص الخرور به . ﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ سماع القرآن ﴿ خُشُوعًا ﴾ كما يزيدهم علما ويقينا بالله .

لله الأسماء الحسني

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾ نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول : يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر (٨٦) .

أو قالت اليهود : إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله في التوراة ، والمراد علي الأول هو التسوية بين اللفظين بأنهما يطلقان علي ذات واحدة وإن اختلف اعتبار

(٨٦) رواه السيوطي في لباب النقول وعزاه إلى ابن مردويه وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

إطلاقهما ، والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود المطلق وعلي الثاني أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلي المقصود وهو أجود لقوله : ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ والدعاء في الآية بمعني التسمية وهو يتعدي إلي مفعولين حذف أولهما استغناء عنه ، وأو للتخيير ، والتنوين في أيا عوض عن المضاف إليه ، وما صلة لتأكيد ما في أيا من الإبهام ، والضمير في فله للمسمي لأن التسمية له لا للاسم ، وكان أصل الكلام أيا ما تدعو فهو حسن ، فوضع موضعه فله الأسماء الحسني للمبالغة والدلالة علي ما هو الدليل عليه ، وكونها حسني لدلالتها علي صفات الجلال والإكرام .

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ بقراءة صلاتك حتي تسمع المشركين ، فإن ذلك يحملهم علي السب واللغو فيها . ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ حتي لا تسمع من خلفك من المؤمنين . ﴿ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ بين الجهر والمخافتة . ﴿ سَبِيلًا ﴾ وسطا فإن الاقتصاد في جميع الأمور محبوب . روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول : أنا أناجي ربي وقد علم حاجتي ، وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان ، فلما نزلت أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا . (٨٧)

---

(٨٧) رواه السيوطي في لباب النقول : أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس في قوله ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ قال : نزلت ورسول الله ﷺ مخفت بمكة ، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فكان المشركون إذا سمعوا القرآن سبوه ومن أنزله ومن جاء به فنزلت .

قال : وأخرج البخارى أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في الدعاء ، وأخرج ابن جرير من طريق ابن عباس مثله ، ثم رجح الأولى لكونها أصح سنداً ، وكذا رجحها النووي وغيره .

وقال الحافظ ابن حجر : لكن يحتمل الجمع بينهما بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة .

وقد أخرج ابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء فنزلت .

وأخرج ابن جرير والحاكم عن عائشة قالت : نزلت هذه الآية في التشهد ، وهي مبينة لمرادها في الرواية السابقة .

وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلاً بالإخفات نهارا والجهر ليلاً .

الآية ١١١

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١) ﴾

آية العز

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ في الألوهية . ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ﴾ ولي يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته . نفي عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا، وما يعاونه ويقويه ، ورتب الحمد عليه للدلالة علي أنه الذي يستحق جنس الحمد لأنه الكامل الذات المنفرد بالإيجاد ، المنعم علي الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة ، أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله : ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ وفيه تنبيه علي أن العبد وإن بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي أن يعترف بالقصور عن حقه في ذلك . (٨٨)

روي أنه ﷺ كان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية (٨٩) .

ولابن منيع في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما : كانوا يجهرون بالدعاء : اللهم ارحمني . فنزلت فامروا ألا يخافتوا ولا يجهروا . ـ لباب النقول) .

(٨٨) وفى أسباب نزول هذه الآية قال السيوطي : أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولدا ، وقالت العرب : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ، وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذل . فأنزل الله الآية . ـ لباب النقول ـ .

(٨٩) أخرج ابن أبى شيبة وعبد الرزاق من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

ويسمى العلماء هذه الآية آية العز لأنها تشير إلى عزة الله وعظمته وتفرده بالوحدانية ـ وعدم افتقاره إلى الولد والشريك والمناصر ـ جلّ في علاه .

فضل سورة الإسراء

وعنه عليه السلام «**من قرأ سورة بني إسرائيل فَرَقَّ قلبه عند ذكر الوالدين ، كان له قنطار من الجنة** » والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية [٩٠] .

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

(٩٠) رواه الزمخشري في تفسيره الكشاف ولم يذكر له سندا ، ولم يعلق عليه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف .

(١٨) سورة الكهف مكية(١)

وقيل إلا قوله ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية ﴾

وهي مائة وإحدى عشرة (٢) آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٤

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) ﴾

---

(١) في تفسير الكشاف وابن كثير : سورة الكهف مكية ما عدا الآية رقم ٢٨ ، والآيات من ٨٣ : ١٠١ فمدنية وهذه السورة نزلت بعد سورة الغاشية .

(٢) الصواب : آياتها مائة وعشر آيات .

سبب نزول هذه السورة :

جاء في لباب النقول للسيوطي :

أخرج ابن جرير من طريق ابن اسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء .

فخرجا حتى أتيا المدينة ، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ وصفوا لهم أمره وبعض قوله ، فقالوا لهم : سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّل ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنه كان لهم أمر عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟

فأقبلا حتى قدما على قريش ، فقالا : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد . فجاءوا رسول الله ﷺ فسألوه فقال : أخبركم غدا بما سألتم عنه ، ولم يستثن ، فانصرفوا ، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحيًا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه ، وشق

فضل القرآن ورسالته

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنـزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ يعني القرآن ، رتب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيهاً على أنه أعظم نعمائه ، وذلك لأنه الهادى إلى ما فبه كمال العباد والداعى إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد . ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ شيئاً من العوَج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى ، أو انحراف من الدعوة إلى جناب الحق وهو في المعانى كالعوج في الأعيان .

﴿ قَيِّمًا ﴾ مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط ، أو قيما بمصالح العباد فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال ، أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها ، وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيماً ، أو على الحالِ من الضمير في له ، أو من الكتاب على أن الواو في ولم يجعل للحال دون العطف ، إذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلاً بين أبعاض المعطوف عليه ، ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير قيماً .

﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ أي لينذر الذين كفروا عذاباً شديداً ، فحذف المفعول الأول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصاراً على الغرض المسوق إليه .

﴿ مِّن لَّدُنْهُ ﴾ صادراً من عنده ، وقرأ أبو بكر بإسكان الدال كإسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل علي أصله ، وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع .

﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ هو الجنة .

﴿ مَاكِثِينَ فِيهِ ﴾ في الأجر . ﴿ أَبَدًا ﴾ بلا انقطاع .

﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ خصهم بالذكر وكرر الإنذار متعلقاً بهم استعظاماً لكفرهم ، وإنما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره .

الآيات من ٥ : ١٠

﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ

عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله بسورة الكهف ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقول الله ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ .

إلاَّ كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي بالولد أو باتخاذه أو بالقول ، والمعنى أنهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى الذي أرادوا به ، فإنهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر. أو بالله إذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ إليه . ﴿ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾ الذين تقولوه بمعنى التبنى . ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً ﴾ عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك ، وإيهام احتياجه تعالى إلى ولد يعينه ويخلفه إلى غير ذلك من الزيغ ، وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والأول أبلغ وأدل على المقصود . ﴿ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على إخراجها من أفواههم ، والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها. وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لأن كبرها هنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الإشمام.﴿ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ .

تسلية النبي ﷺ

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ قاتلها . ﴿ عَلَىٰ آثَارِهِمْ ﴾ إذا ولوا عن الإيمان ، شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته أعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم . وقرئ باخع نفسك على الإضافة . ﴿ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ بهذا القرآن . ﴿ أَسَفًا ﴾ للتأسف عليهم أو متأسفاً عليهم ، والأسف فرط الحزن والغضب . وقرئ أن بالفتح على لأن فلا يجوز إعمال باخع إلا إذا جعل حكاية حال ماضية (٣) .

(٣) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحارث وأمية بن خلف والعاص بن وائل والأسود ابن المطلب وأبو البختري في نفر من قريش ، وكان رسول الله ﷺ قد كبر عليه ما يرى من

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ ﴾ من الحيوان والنبات والمعادن . ﴿ زِينَةً لَّهَا ﴾ ولأهلها ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ في تعاطيه ، وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به أيامه وصرفه على ما ينبغي ، وفيه تسكين لرسول الله ﷺ .

﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾ تزهيد فيه ، والجرز الأرض التى قطع نباتها . مأخوذ من الجرز وهو القطع ، والمعنى إنا لنعيد ما عليها من الزينة تراباً مستوياً بالأرض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه .

قصة أهل الكهف

﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ بل أحسبت . ﴿ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ في إبقاء حياتهم مدة مديدة . ﴿ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً ﴾ وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ، ثم ردها إليها ليس بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير .

والكهف : الغار الواسع في الجبل .

والرقيم : اسم الجبل ، أو الوادى الذي فيه كهفهم ، أو اسم قريتهم أو كلبهم. قال أمية بن أبي الصلت :

وَلَيْسَ بِهَا إِلاَّ الرَّقِيمُ مُجَاوِراً وَصِيْدَهُمُو وَالقَوْمُ فِي الكَهْفِ هُجَّدُ (٤)

أو لوح رصاصى أو حجري رُقِمت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف .

وقيل : أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم ، فأخذتهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه . فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته ، فقال أحدهم : استعملت أُجَرَاء

خلاف قومه إياه وإنكارهم ما جاء به من النصيحة فأحزنه حزنًا شديداً ، فأنزل الله تعالى ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ... ﴾ ـ لباب النقول ـ .

(٤) رواه الزمخشري في الكشاف ـ ولفظ قافيته : هُمَّد .

والهمد جمع هامد ، ولفظ المؤلف هنا هَجدٌ : جمع هاجد وهو النائم وهما بمعني .

يقول : ليس في تلك الصحراء إلا الكلب وهو الرقيم ، مجاورا وصيدهم والوصيد هو الفناء أو باب الغار وعتبته . وهم جميعاً نائمون في داخل الغار .

ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم، فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت ، ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله ، فرجع إليَّ بعد حين شيخاً ضعيفاً لا أعرفه وقال : إنه لي عندك حقاً وذكره لي حتى عرفته فدفعتها إليه جميعاً ، اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا ، فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء . وقال آخر : كان فيَّ فضل وأصابت الناس شدة ، فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفاً فقلت : والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ، ثم ذكرت لزوجها فقال أجيبي له وأغيثي عيالك ، فأتت وسلمت إلى نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارْتَعَدَتْ فقلت : ما لك قالت أخاف الله ، فقلت لها : خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها (٥) ، اللهم إن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ، فانصدع حتى تعارفوا . وقال الثالث كان لي أبوان هرمان وكانت لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي فحبسني ذات يوم غيث لم أبرح حتى أمسيت ، فأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت إليهما ، فوجدتهما نائمين فشق على أن أوقظهما ، فتوقعت جالساً ومحلبي على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما . اللهم إن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا . ففرج الله عنهم فخرجوا (٦) وقد رفع ذلك نعمان بن بشير .

﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس (٧) على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف ، ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا من لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو . ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار . ﴿ رَشَدًا ﴾ نصير بسببه راشدين مهتدين ، أو اجعل أمرنا كله رشداً كقولك : رأيت منك أسداً ، وأصل التهيئة إحداث هيئة الشئ .

---

(٥) ملتمسها : حاجتها.

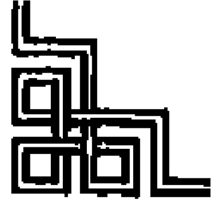
(٦) هذا حديث متفق عليه ، وقد أخرجه البخاري ومسلم بنحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

ورواه النعمان بن بشير وغيره بألفاظ مختلفة، وهو في تنبيه الغافلين عن عبيد بن عمير رضي الله عنهما ص ٤٨٢ بلفظ مقارب .

(٧) دقيانوس : اسم ملك مدينتهم .

الآيات من ١١ : ١٥

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ⑪ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ
الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ⑫ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا
بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ⑬ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ⑭ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن
دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
⑮ ﴾



﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ ﴾ أي ضربنا عليهم حجاباً يمنع السماع بمعنى أنمناهم

* الإعجاز العلمي

من الإعجاز البلاغي العلمي لقصة أهل الكهف حول الآيات من ١١ - ١٨ سورة الكهف تستعرض ما قاله الدكتور/ محمود شلبي في كتابه حياة أصحاب الكهف .

﴿ فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا . ﴾

﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أي ضربنا عليها حجاباً يمنع السماع ..

والمراد : أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات .. بأن يجعل الضرب على الآذان كناية عن الإنامة الثقيلة ..

ومن الناس من حمل الضرب على تعطيلها .. كما في قولهم ضرب الأمير على يد الرعية : أي منعهم عن التصرف ..

والفاء هنا مثلها في قوله تعالى : ﴿ فاستجبنا له ﴾ ، بعد قوله سبحانه ﴿ إذ نادى ﴾ ..

فإن الضرب المذكور وما يترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك .. من آثار استجابة دعائهم السابق ..

﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾.

﴿ وترى الشمس ﴾ بيان لحالهم بعدما أووا إلى الكهف .. ولم يصرح سبحانه به تعويلاً على ما سبق من قوله تعالى :

﴿ إذ أوى الفتية إلى الكهف ﴾ ..

إنامة لا تنبههم فيها الأصوات ، فحذف المفعول كما حذف في قولهم : بنى على امرأته(٨) . ﴿ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ ﴾ ظرفان لضربنا . ﴿ عَدَدًا ﴾ أي ذوات عدد ،

(٨) أى بنى عليها قبة أو خيمة .

* الإعجاز العلمى

والخطاب لرسول الله .. ﷺ .. أو .. لكل أحد ممن يصلح له ..

وهو للمبالغة فى الظهور .. وليس المراد الإخبار بوقوع الرؤية .. بل الأنباء بكون الكهف لو رأيته ترى الشمس ..

﴿ إذا طلعت تزاور ﴾ تتنحى .. والمراد إذا طلعت تروغ وتميل ..

وأصله تتزاور بتاءين فحذف أحدهما تخفيفاً ، من الزور وهو الميل ..

﴿ عن كهفهم ﴾ الذى آووا إليه ..

﴿ ذات اليمين ﴾ أي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل إلى قعره ..

أى جانبه الذى إلى المغرب ..

﴿ وإذا غربت ﴾ أى تراها عند غروبها ..

﴿ تقرضهم ﴾ أى تعدل عنهم ..

﴿ ذات الشمال ﴾ أى جهة ذات شمال الكهف ، أى جانبه الذى يلى المشرق ، والمراد تتجاوزهم ..

﴿ وهم فى فجوة منه ﴾ أى فى متسع من الكهف ..

وحاصل الجملتين أنهم كانوا لا تصيبهم الشمس أصلاً فتؤذيهم ، وهم فى وسط الكهف .. بحيث ينالهم روح الهواء .. ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس ..

والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن .. وهو الذى يلى المغرب .. وتغرب محاذية لجانبه الأيسر ..

فيقع شعاعها على جنبه .. وتحلل عفونته وتعدل هواه ولا تقع عليهم ، فتؤذى أجسادهم وتبلى ثيابهم ..

ولعل ميل الباب إلى جانب المغرب كان أكثر ، ولذلك وقع التزاور على كهفهم والقرض على أنفسهم ..

وقال الزجاج : ليس ذلك لما ذكر .. بل لمحض صرف الله تعالى الشمس بيد قدرته عن أن تصيبهم .. على منهاج خرق العادة .. كرامة لهم ..

وجئ بقوله تعالى :﴿ وهم فى فجوة منه ﴾ ..

ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل ، فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده .

* الإعجاز العلمي

حالاً مبينة لكون ما ذكر .. أمراً بديعاً .. كانه قيل : ترى الشمس تميل عنهم يميناً وشمالاً .. ولا تحوم حولهم مع كونهم فى متسع من الكهف معرض لإصابتها .. لولا أن كفها عنهم كف التقدير .. واحتج عليه بقوله تعالى ..

﴿ ذلك من آيات الله ﴾ حيث جعل (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من التزاور والقرض فى الطلوع والغروب يميناً وشمالاً ، ولا يظهر كونه آية على القول السابق ، ظهوره على قوله ..

فإن كونه آية دالة على كمال قدرة الله تعالى ، وحقيقة التوحيد ، وكرامة أهله ، عنده سبحانه ..

على هذا أظهر من الشمس في رابعة النهار ..

وأكثر المفسرين على أنهم لم تصبهم الشمس أصلاً وإن اختلفوا فى منشأ ذلك ..

واختار جمع أنه لمحض حجب الله تعالى الشمس ، على خلاف ما جرت به العادة .

قالوا : والإشارة تؤيد ذلك أتم تأييد ، والاستبعاد مما لا يلتفت إليه .. لا سيما فيما نحن فيه .. فإن شأن أصحاب الكهف كله على خلاف العادة ..

وبعض آخر جعله إشارة إلى حفظ الله تعالى إياهم فى ذلك الكهف المدة الطويلة ..

وجعله بعضهم إشارة إلى هدايتهم إلى التوحيد ، ومخالفتهم قومهم وآباءهم .. وعدم الاكتراث بهم وبملكهم مع حداثتهم .. وإيوائهم إلى كهف شأنه ذلك .. ولا يخلو عن حسن .

﴿ من يهد الله ﴾ من يدله سبحانه دلالة موصولة إلى الحق ، ويوفقه لما يحبه ويرضاه ! !

﴿ فهو المهتد ﴾ الفائز بالحظ الأوفر فى الدارين ..

والمراد .. إما الثناء على أصحاب الكهف .. والشهادة لهم بإصابة المطلوب ، والإخبار بتحقق ما أملوه من نشر الرحمة ، وتهيئة المرفق ..

أو .. التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة .. ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها ..

فالمراد بمن .. إما الفتية ، أو ما يعمهم وغيرهم ..

وفيه ثناء عليهم أيضاً ..

﴿ ومن يضلل ﴾ يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه .

﴿ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ويقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ أيقظناهم . ﴿ لِنَعْلَمَ ﴾ ليتعلق علمنا تعلقاً حالياً مطابقاً لتعلقه أولاً تعلقاً استقبالياً . ﴿ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ ﴾ المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم.

* الإعجاز العلمى

بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ﴾ .

﴿ وتحسبهم ﴾ وتظنهم .. أو .. لو رأيتهم تحسبهم ..

﴿ أيقاظا ﴾ جمع يقظ..

ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر .. كما قال غير واحد ..

وقيل : يحتمل أن يحسب الرائى ذلك لشدة الحفظ الذى كان عليهم .. وقلة التغير .. وذلك لأن الغالب على النيام استرخاء ..

وهيآت يقتضيها النوم .. فاذا لم تكن لنائم يحسبه الرائي يقظان وإن كان مسدود العينين ..

ولو صح فتح أعينهم بسند يقطع العذر كان أبين فى هذا الحسبان ..

وقيل : مداره كثرة تقلبهم ..

﴿ وهم رقود ﴾ جمع راقد .. اي نائم ، وهم نيام ..

﴿ ونقلبهم ﴾ فى رقدتهم كثيرا ..

﴿ ذات اليمين ﴾ أى جهة تلى أيمانهم ..

﴿ وذات الشمال ﴾ أى جهة تلى شمائلهم .. كيلا تأكل الأرض ما عليهم من أبدانهم ، كما قيل ..

وقيل : إنه عجيب ، فإن الله تعالى الذى قدر على أن يبقيهم أحياء تلك المدة الطويلة .. هو عز وجل قادر على حفظ أبدانهم أيضاً من غير تقليب ..

واجيب .. بأنه اقتضت حكمته تعالى أن يكون حفظ أبدانهم بما جرت به العادة ، وإن لم نعلم وجه تلك الحكمة .

وقيل : يمكن أن يكون تقليبهم حفظاً لما هو عادتهم فى نومهم التقلب يميناً وشمالاً اعتناء بشأنهم ..

وقيل .. يحتمل أن يكون ذلك إظهارا لعظيم قدرته تعالى فى شأنهم .. حيث جمع تعالى شأنه فيهم الإنامة الثقيلة المدلول عليها بقوله تعالى : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾

والتقليب الكثير .. ومما جرت به العادة أن النوم الثقيل لا يكون فيه تقلب كثير ..

واختلف فى أوقات تقليبهم ..

عن ابن عباس .. رضى الله تعالى عنهما : أنهم كانوا يقلبون فى كل ستة أشهر مرة..

﴿ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ ضبط أمداً لزمان لبثهم ، وما في أي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم ، فهو مبتدأ وأحصي خبره . وهو فعل ماض وأمدا مفعول له ولما

* **الإعجاز العلمى**

وقيل : يقلبون فى كل سنة مرة ..

وقيل : بأن هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها .. ولفظ القرآن لا يدل عليها ، وما جاء فيها غير صحيح ..

فظاهر الآية يدل على الكثرة ، لمكان المضارع الدال على الاستمرار التجددى ، مع ما فيه من التثقيل ..

وقرئ .. وتَقَلّبُهم .. أى آية عظيمة . أو .. وتَقَلبهم .. من آيات الله تعالى ..

وفيه إشارة إلى قوة اشتباههم بالأيقاظ بحيث أنهم يحسبون أيقاظاً .. فى حال سبر أحوالهم ..

إذا قال الله تعالى : ﴿ ولملئت منهم رعبا ﴾

فاعلم فوراً ..أنه رعب حقيقى .. يقذفه القوىّ الجبّار القهّار .. فى قلب أي إنسان يحاول أن يطلع عليهم .. أو ينظر إليهم ..

رُعباً .. يقهرك .. ويضطرك اضراراً .. أن تُولّى منهم فراراً ..

لماذا ؟!

لأن الله يريد أن يحفظ هؤلاء الفتية ..

رغم أنف الناس جميعاً ..

ورغم أنف الذين اضطهدوهم .. وقهروهم .. واضطروهم إلى مضيق هذا الكهف ، وضيقوا عليهم الأرض بما رحبت ..

أنتم أيها الصعاليك ، فعلتم هذا بأوليائى وأحبائى ..

أنتم استضعفتموهم .. وأهنتموهم .. وألجأتموهم إلى هذا الكهف ..

لأجعلن لهم هذا الكهف جنَّة عرضها عرض السموات والأرض ..

ولأنشرنَّ عليهم من رحمتي .

ولأجعلنهم آية للعالمين ..

هم فى أعينكم محبوسون فى كهف ..

وهم عندى منعمون فى جنة .

لأغيرنَّ لهم النواميس ..

لأجعلنهم أيقاظاً ، وهم رقُود !!

لبثوا حال منه أو مفعول له ، وقيل : إنه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمداً تمييز، وقيل : أحصى اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد كقولهم : هو

* الإعجاز العلمي

لأقلبنهم بين ظلال تجلياتي عليهم ..

مَن آذى لى وليّاً فقد آذنته بالحرب ..

أنا حربٌ لمن حاربهم ..

ها هم أولاء أمام أعينكم ، ظاهرين لمن ينظر إليهم .. طيلة ثلاثمائة سنة .. فإن استطعتم أن تقربوهم فافعلوا .. ولن تفعلوا ..

كيف يلتجئوا إليَّ ، ولا أحفظهم ؟!

كيف يستغيثونى ، ولا أغيثهم ؟!

كيف تكيدونهم جميعاً ، ولا أكيدكم جميعاً ؟!

لأجعلنهم آية من آياتى ..

لأبقينهم ظاهرين فى كهفهم ، لمن يطلع عليهم ..

ولأمنعنَّ من ينظر إليهم من مجرد التفكير فى الأقتراب منهم ..

ليس أياماً ، ولا شهوراً .. ولكن على امتداد ثلاثمائة سنة ..

فإن كان لكم كيد فكيدوهم ، وهلمَّ إليهم فخذوهم !!

كأنَّ لسان القُدرة الإلهية يقول شيئاً من هذا !!

وقد كان ، واستمر الفتية ثلاثمائة سنة ، ظاهرين للأعين .. فى فجوة من الكهف ، يتقلبون تقلب اليقظان .. وكلبهم حى قائم بباب الكهف ، باسط ذراعيه بالوصيد ..

وكان الناموس .. أو كانت المعجزة .. التى منعت أى أحد أن يقترب منهم .. هو : ﴿لو اطلعت عليهم﴾ .. ﴿لوليت منهم فراراً﴾ .. ﴿ولملئت منهم رعباً﴾؟!

أى أحَد ، ولينظر من شاء النظر إليهم ..

سوف يحدث له هذا فوراً .

سوف يُطلق ساقيه للريح فراراً من هوْلِ ما رأى ، ومـا وقعت عليه عيناه ..

ولكن ماذا رأى ؟!

إنه رأى مشهداً طبيعياً .. مجموعة من الشباب .. يستريحون فى كهف ..

منظر مألوف ، لا يدفع إلي فرار ولا إلى هلع ..

فلماذا يفر الناظر إليهم إذاً ؟!

أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق [٩] ، وأمداً نصب بفعل دل عليه أحصى كقوله :

(٩) ابن المذلق اسم رجل كان يضرب به المثل في الإفلاس .

* الإعجاز العلمي

هناك ناموس يعمل فوراً ..

هناك أمر إلهي .. حتمي الأثر في قلوب الناظرين .

﴿ ولملئت منهم رعباً ﴾ ..

فوراً ، يمتلئ قلب الناظر رُعْباً ، عظيماً ، لا يُطـاق ..

يدفع الناظر إلى الفرار ، ليتخلص من هذا الرعب الذى يعصف بكل خلية من خلاياه .

ولكن هيهات هيهات .. لا خلاص .. إن الرعب يملؤه إلى الأبد ..

وفي قراءة : ﴿ ولملّئت ﴾ .. أى أشد الامتلاء من الرعب ..

ثم انظر إلى الإعجاز العجيب فى قوله :

﴿ ولملئت منهم ﴾ ..أي جاءك الرعب منهم .. من جهتهم .. من النظر إليهم ..

لمـــاذا ؟

لأن الله ألقى عليهم مهابة من جلاله ، تجلى عليهم بجلاله .. فما نظر إليهم ناظر إلا امتلأ رُعباً ..

وهذا فى مقابل ، ما فعل بهم الامبراطور الحقير الخسيس ، حين أرهبهم وأرعبهم بجبروته وبطشه ، فأبدلهم الله رعباً ، ألقاه عليهم .. فلو نظر إليهم تراجان .. أو غيره .. لامتلأ فوراً رعباً يجعله يفرّ فراراً !

كأن لسان القدرة يقــــول :

أرعبتموهم بجنودكم وبطشكم ، لأرعبنكم جميعاً منهم بجبروتي وبطشي !

ولأدعنهم فى الكهف المفتوح أمام أعينكم ثلاثمائة سنة ، تحدياً لكم جميعاً ، أن تقتربوا منهم ، أو تمسوهم بسوء ..

فهيا فافعلوا !

ولن تفعلوا !

وأخيراً ، لقد كانت هذه هى الإشعاعات . فماذا قــال المفسرون ؟

﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ لو عاينتهم وشاهدتهم ، وأصل الاطلاع الوقوف على الشئ

وأضربَ منَّا بالسُّيوف القَوانسا (١٠)

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ بالصدق . ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾ شبان جمع فَتِيّ كصبي وصبية . ﴿ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ بالتثبيت .

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ وقويناها بالصبر على هجر الوطن والأهل والمال ، والجراءة على إظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار . ﴿ إِذْ قَامُوا ﴾ بين يديه . ﴿ فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا

---

(١٠) شطر بيت للعباس بن مرداس ، والبيت بتمامه هو :

أكرُّ وأحمى للحقيقة منهم وأضْرَبُ منا بالسيوف القوانسا

فأكر : اسم تفضيل من كَرَّ أى أشد كرًا ، وأحمى : أشد حماية، وأضرب : أشد ضربا .

والقوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الفارس ، والبيضة هو الخوذة .

والشاهد في البيت أن أضرب وهو اسم تفضيل نصب المفعول به وهو القوانس .

* الإعجاز العلمى

بالمعاينة والمشاهدة ..

وقُرئ : ﴿لو اطلعت﴾ ، بضم الواو ..

﴿لوليت منهم فراراً﴾ لأعرضت بوجهك عنهم وأوليتهم كشحك ..

﴿ولملئت منهم رعبا﴾ خوفا يملأ الصدر ..

وسبب ما ذكر أن الله عز وجل ألقى عليهم من الهيبة والجلال ما ألقى .

وقيل سببه طول شعورهم وأظفارهم وصفرة وجوهم .. وتغير أطمارهم ..

وقيل : إظلام المكان وإيحاشه ..

والذى ينبغى أن يعول عليه أن السبب فى ذلك .. ما ألقى الله تعالى عليهم من الهيبة وهم فى كهفهم .. وأن شعورهم وأظفارهم إن كانت قد طالت فهى لم تطل إلى حد ينكره من رآه .

واختار بعض المفسرين ، أن الله تعالى لم يغير حالهم وهيئتهم أصلاً ليكون ذلك آية بينة ..

شَطَطًا ﴾ والله لقد قلنا قولاً ذا شطط أي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم .

﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ مبتدأ . ﴿ قَوْمُنَا ﴾ عطف بيان . ﴿ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾ خبره، وهو إخبار في معنى إنكار . ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ ﴾ هلا يأتون . ﴿ عَلَيْهِم ﴾ على عبادتهم . ﴿ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ ببرهان ظاهر فإن الدين لا يؤخذ إلا به ، وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود وأن التقليد فيه غير جائز . ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبة الشريك إليه .

الآيتان من ١٦ : ١٧

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) ﴾

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾ خطاب بعضهم لبعض . ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ عطف على الضمير المنصوب ، أي وإذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا الله ، فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام كسائر المشركين . ويجوز أن تكون ما مصدرية على تقدير وإذا اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة الله ، وأن تكون نافية على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم . ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم ﴾ يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم . ﴿ مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ في الدارين . ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ ما ترفقون به أي تنتفعون، وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى ، وقرأ نافع وابن عامر مَرْفِقاً بفتح الميم وكسر الفاء ، وهو مصدر جاء شاذاً كالمرجع والمحيض فإن قياسه الفتح .

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ ﴾ لو رأيتهم ، والخطاب لرسول الله ﷺ ، أو لكل أحد . ﴿ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم ، لأن

الكهف كان جنوبياً ، أو لأن الله تعالى زَوَّرها عنهم . وأصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاى ، وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تَزْوَرّ كتحمر ، وقرئ تزاورُّ كتحمارّ وكلها من الزور بمعنى الميل . ﴿ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين . ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ﴾ تقطعهم وتصرم عنهم . ﴿ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ يعنى يمين الكهف وشماله لقوله : ﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي وهم في متسع من الكهف ، يعنى في وسطه بحيث ينالهم رَوْح الهواء ولا يؤذيهم كَرْب الغار ولا حر الشمس ، وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات نعش (١١) ، وأقرب المشارق والمغارب إلي محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه ، والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأبيض وهو الذى يلى المغرب ، وتغرب محاذيةً لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه ، ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابه . ﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي شأنهم وإيواؤهم إلى كهف شأنه كذلك ، أو إخبارك قصتهم ، أو ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله (١٢) . ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ ﴾ بالتوفيق . ﴿ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ الذى أصاب الفلاح ، والمراد به إما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها . ﴿ وَمَن يُضْلِلْ ﴾ ومن يخذله . ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ من يليه ويرشده .

الآيات من ١٨ : ٢٠

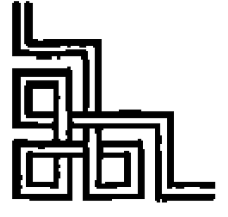
﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم

---

(١١) بنات نعش نجوم في السماء عددها سبع تشاهد جهة القطب الشمالي شبهت بحملة النعش ـ المعجم الوجيز .

(١٢) لم يخبرنا الله تعالى عن مكان هذا الكهف في أي بلد هو من بلاد الله ، إذ لا فائدة لنا فيه وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا حول ذلك أقوالا فقال بعضهم في أيلة ، وقيل : بلاد الروم ، وقيل : ببلاد البلقاء ، والله أعلم بذلك ولو كان هناك مصلحة دينية لأرشدنا الله ورسوله إليه فقد قال ﷺ : « ما تركت شيئا يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به » ـ من تفسير ابن كثير .

بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) ﴾



﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا ﴾ لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم . ﴿ وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ نيام . ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ﴾ في رقدتهم . ﴿ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ كيلاً تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان . وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى ، وتقلبهم على المصدر منصوباً بفعل يدل عليه تحسبهم أي وترى تقلبهم . ﴿ وَكَلْبُهُم ﴾ هو كلب مَرّوا به فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال : أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم . أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ، ويؤيده قراءة من قرأ : وكالبهم أي وصاحب كلبهم . ﴿ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ﴾ حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل . ﴿ بِالْوَصِيدِ ﴾ بفناء الكهف ، وقيل الوصيد الباب ، وقيل العتبة . ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فنظرت إليهم ، وقرئ لو اطلعت بضم الواو . ﴿ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾ لهربت منهم ، وفراراً يحتمل المصدر لأنه نوع من التولية والعلة والحال . ﴿ وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ خوفاً يملأ صدرك بما ألبسهم الله من الهيبة أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم . وقيل لوحشة مكانهم . وعن معاوية رضي الله عنه أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال : لو كشفت لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقال له ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : اليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾ فلم يسمع وبعث ناساً فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم [١٣] . وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعباً بالتثقيل .

---

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم وعبيد بن محمد وأبو بكر بن أبي شيبة من رواية يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده صحيح .

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا . ﴿ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ ليسأل بعضهم بعضاً فتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقيناً على كمال قدرة الله تعالى ، ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم . ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ بناء على غالب ظنهم لأن النائم لا يحصى مدة نومه ولذلك أحالوا العلم إلى الله تعالى . ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا إنكار الآخرين عليهم. وقيل إنهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم في يومهم أو اليوم الذى بعده قالوا ذلك ، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا هذا ، ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فيما يهمهم وقالوا: ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ، وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وحمزة وروح عن يعقوب بالتخفيف. وقرئ بالتثقيل وإدغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغماً وغير مدغم ، ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده ، وحملهم له دليل على أن التزود رأي المتوكلين (١٤) والمدينة طرسوس . ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا ﴾ أي أهلها . ﴿ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ أحل وأطيب أو أكثر وأرخص . ﴿ فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يعرف . ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ ولا يفعلن ما يؤدى إلى الشعور .

﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ أي يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم ، والضمير

---

(١٤) يعنى بهذه العبارة أن التزود لا ينافي التوكل ، وأن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأى المتوكلين علي الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلي ما في أوعية القوم من النفقات ، وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن محرم يشد عليه هميانه فقالت: أوثق عليك نفقتك.

وحكي عن بعض فقراء العلماء أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله ، وعُلِمَ عنه ذلك ، فكان ميسورو أهل بلده يعرضون عليه الخروج معهم إلى الحج ويلحون عليه في ذلك ، فيعتذر إليهم ويحمد لهم بذلهم ، فإذا انفضوا عنه قال لمن عنده : ما لهذا السفر إلا شيئان : شد الهيمان والتوكل على الرحمن . ـ تفسير الكشاف ـ .

للأهل المقدر في أيها . ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ يقتلوكم بالرجم . ﴿ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ أو يصيروكم إليها كرهاً من العود بمعنى الصيرورة . وقيل كانوا أولاً على دينهم فآمنوا . ﴿ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ إن دخلتم في ملتهم .

الآيات من ٢١ : ٢٣

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) ﴾

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم أطلعنا عليهم . ﴿ لِيَعْلَمُوا ﴾ ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم . ﴿ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ بالبعث أو الموعود الذي هو البعث . ﴿ حَقٌّ ﴾ لأن نومهم وانتباهم كحال من يموت ثم يبعث . ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ وأن القيامة لا ريب في إمكانها ، فإن من توفي نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنين حافظاً أبدانها عن التحلل والتفتت ، ثم أرسلها إليها قدر أن يتوفي نفوس جميع الناس ممكثاً إياها إلى أن يحشر أبدانهم فيردها عليها .

﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ ﴾ ظرف لأعثرنا أي أعثرنا عليهم حين يتنازعون . ﴿ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ أمر دينهم ، وكان بعضهم يقول تبعث الأرواح مجردة ، وبعضهم يقول : يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين أنهما يبعثان معاً ، أو أمر الفتية حين أماتهم الله ثانياً بالموت ، فقال بعضهم : ماتوا . وقال آخرون : ناموا نومهم أول مرة ، أو قالت طائفة تبني عليهم بنياناً يسكنه الناس ويتخذونه قربة ، وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجداً يصلى فيه كما قال تعالى : ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ .

وقوله : ربهم أعلم بهم اعتراض ، إما من الله رداً على الخائضين في أمرهم من أولئك المتنازعين ، أو من المتنازعين في زمانهم ، أو من المتنازعين فيهم على عهد الرسول ﷺ ، أو من المتنازعين للرد إلى الله بعد ما تذكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك .

حكى أن المبعوث لما دخل السوق وأخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزاً فذهبوا به إلى الملك ـ وكان نصرانياً موحداً ـ فقص عليه القصص ، فقال بعضهم : إن آباءنا أخبرونا أن فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء ، فانطلق الملك وأهل المدينة من مؤمن وكافر وأبصروهم وكلموهم ، ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس ، ثم أرجعوا إلى مضاجعهم ، فماتوا ، فدفنهم الملك وبني عليهم مسجداً . وقيل : لما انتهوا إلى الكهف قال لهم الفتي : مكانكم حتى أدخل أولاً لئلا يفزعوا ، فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثَمَّ مسجداً .

﴿ **سَيَقُولُونَ** ﴾ أي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين . ﴿ **ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ** ﴾ أي هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه إليهم . قيل : هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبياً .

﴿ **وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ** ﴾ قاله النصارى أو العاقب منهم وكان نسطورياً . ﴿ **رَجْمًا بِالْغَيْبِ** ﴾ يرمون رمياً بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه وإتياناً به ، أو ظناً بالغيب من قولهم رَجَمَ بالظن إذا ظن ، وإنما لم يذكر بالسين إكتفاء بعطفه على ما هو فيه .

﴿ **وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ** ﴾ إنما قاله المسلمون بإخبار الرسول لهم عن جبريل عليهما الصلاة والسلام وإيماء الله تعالى إليه بأن أتبعه قوله : ﴿ **قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾ وأتبع الأولين قوله رجماً بالغيب ، وبأن أثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر أقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة ، فإن عدم إيراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع أن الأصل ينفيه ، ثم رد الأولين بأن أتبعهما قوله رجماً بالغيب ليتعين الثالث وبأن أدخل فيه الواو على الجملة الواقعة حالاً من المعرفة، لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت .

وعن علي رضي الله عنه : هم سبعة وثامنهم كلبهم وأسماؤهم : يمليخا ، ومشلينيا ، ومشلينيا ، هؤلاء أصحاب يمين الملك ، ومرنوش ، ودبرنوش ، وشاذنوش ، أصحاب يساره وكان يستشيرهم ، والسابع الراعي الذي وافقهم ، واسم كلبهم قطمير ، واسم مدينتهم أفسوس .

وقيل : الأقوال الثلاثة لأهل الكتاب والقليل منهم .

﴿ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾ فلا تجادل في شأن الفتية إلاّ جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه ، وهو أن تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم . ﴿ وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال مسترشد ، فإن فيما أوحي إليك لمندوحة من غيره ، مع أنه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤول وتزييف ما عنده فإنه مخل بمكارم الأخلاق .

﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ .

الآيات من ٢٤ : ٢٦

﴿ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾

﴿ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ نهي تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش : سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين ، فسألوه فقال : ائتوني غداً أخبركم ولم يستثن ، فأبطأ عليه الوحي بضعه عشر يوماً حتى شق عليه وكذبته قريش .

والاستثناء من النهي أي ولا تقولن لأجل شئ تعزم عليه إني فاعله فيما يستقبل إلا بأن يشاء الله ، أي إلا ملتبساً بمشيئته قائلاً إن شاء الله أو إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله بمعنى أن يأذن لك فيه ، ولا يجوز تعليقه بفاعل لأن استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي .

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ ﴾ مشيئة ربك وقل إن شاء الله . كما روي أنه لما نزل قال عليه

الصلاة والسلام : إن شاء الله . ﴿ إذَا نَسِيتَ ﴾ إذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته . وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ، ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه . وعامة الفقهاء على خلافه لأنه لو صح ذلك لم يتقرر إقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب ، وليس في الآية والخبر أن الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ، ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه ، أو اذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك ، أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي .

﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي ﴾ يدلنى . ﴿ لأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ لأقرب رشداً وأظهر دلالة على أنى نبى من نبأ أصحاب الكهف . وقد هداه لأعظم من ذلك كقصص الأنبياء المتباعدة عنه أيامهم ، والإخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة ، أو لأقرب رشداً وأدنى خيراً من المنسي .

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ يعنى لبثهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم ، وهو بيان لما أجمل قبل . وقيل إنه حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين . وقرأ حمزة والكسائي ثلاثمائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد ، ويحسنه ها هنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وأن الأصل في العدد إضافته إلى الجمع ومن لم يضف أبدل السنين من ثلثمائة .

﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ له ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلهما ، فلا خلق يخفي عليه علماً . ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عما عليه إدراك السامعين والمبصرين، إذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف ، وصغير وكبير ، وخفي وجلى ، والهاء تعود إلى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عن سيبويه ، وكان أصله أبصر أي صار ذا بصر ، ثم نقل إلى صيغة الأمر بمعنى الإنشاء، فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له أو لزيادة الباء كما في قوله تعالى ﴿ وكفى به ﴾ (١٥) والنصب على المفعولية عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور

---

(١٥) الفرقان : ٥٨ .

وهو كل أحد والباء مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية ومعتدية إن كانت للصيرورة .

﴿ مَا لَهُم ﴾ الضمير لأهل السموات والأرض . ﴿ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ من يتولى أمورهم . ﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ ﴾ في قضائه . ﴿ أَحَدًا ﴾ منهم ولا يجعل له فيه مدخلاً . وقرأ ابن عامر وقالوا عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل أحد عن الإشراك ، ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة أصحاب الكهف من حيث إنها من المغيبات بالإضافة إلى رسول الله على أنه وحي معجز أمره أن يداوم درسه ويلازم أصحابه فقال :

الآيات من ٢٧ : ٢٩

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾

الأمر بتلاوة القرآن وإبلاغه للناس

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ من القرآن ، ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله . ﴿ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ لا أحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره . ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ ملتجأ تعدل عليه إن هممت به .

تقريب المؤمنين سواء كانوا أغنياء أو فقراء وعدم طاعة المشركين في طلب إبعادهم عن مجلسه ﷺ

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ واحبسها وثبتها . ﴿ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ في مجمع أوقاتهم ، أو في طرفي النهار . وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه أن غدوة علم في الأكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير . ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ رضا الله وطاعته .

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ ولا يجاوزهم نظرك إلي غيرهم، وتعديته بعن لتضمينه معنى نبأ . وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من أعداه وعداه . والمراد نهي الرسول ﷺ أن يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحاً إلى طراوة زي الأغنياء . ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها .

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ﴾ من جعلنا قلبه غافلاً . ﴿ عَن ذِكْرِنَا ﴾ كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش . وفيه تنبيه على أن الداعي له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات ، حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد ، وأنه لو أطاعه كان مثله في الغباوة . والمعتزلة لما غاظهم إسناد الإغفال إلى الله تعالى قالوا : إنه مثل أجبنته(١٦) إذا وجدته كذلك أو نسبته إليه ، أو من أغفل إبلَهُ إذا تركها بغير سمة(١٧) أي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان ، واحتجوا على أن المراد ليس ظاهراً ما ذكر أولاً بقوله : ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ وجوابه ما مر غير مرة . وقرئ أغفلنا بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حَسِبَنا قلبهُ غافلين عن ذكرنا إياه بالمؤاخذة .

﴿ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ أي تقدماً على الحق ونبذاً له وراء ظهره يقال : فرس فرط أي متقدم للخيل ومنه الفرط (١٨) .

---

(١٦) أجبنتهُ : أي عددته جبانًا . (١٧) سمة : علامة .

(١٨) تقدم سبب نزول مثل هذه الآية في سورة الأنعام وهي الآية رقم ٥٢ وذكر السيوطي في لباب النقول : أخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ قال : نزلت في أمية بن خلف الجمحي . وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه الله من طرد الفقراء عنه ، وتقريب صناديد أهل مكة فنزلت .

وروي عن أبي هريرة قال : دخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ وعنده سلمان الفارسي فقال عيينة : إذا نحن أتيناك فاخرج هذا وأدخلنا فنزلت . ـ لباب النقول ـ .

وهذا الخبر يفيد أن الآية مدنية ، فإن عيينة ممن أسلم عام الفتح أو قبله بقليل .

وروي مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال : كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال

وعيد للظالمين

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ، ويجوز أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالاً . ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ لا أبالي بإيمان من آمن ولا كفر من كفر ، وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته . ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا ﴾ هيأنا . ﴿ لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ فسطاطها ، شبه به ما يحيط بهم من النار . وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط . وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا ﴾ من العطش . ﴿ يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾ كالجسد المذاب . وقيل كدرديّ الزيت وهو على طريقة قوله : فأعتبوا بالصيلم(١٩) .

﴿ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ إذاقدم ليشرب من فرط حرارته ، وهو صفة ثانية لماء أو حال من المهل أو الضمير في الكاف . ﴿ بِئْسَ الشَّرَابُ ﴾ المهل . ﴿ وَسَاءَتْ ﴾ النار . ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ متكأ وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد ، وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقاً وإلا فلا ارتفاق لأهل النار .

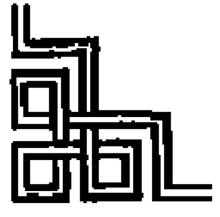
الآيات من ٣٠ : ٣٥

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ

المشركون : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا . قال : وكنت أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هذيل ورجلان نسيت اسميهما ، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداةوالعشي يريدون وجهه ﴾ تفرد باخراجه مسلم دون البخاري .

(١٩) الصَّيْلَم : الداهية تستأصل ما تصيب ، وهي السيف أيضًا ـ المعجم الوسيط ـ .

أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) ﴾



بشرى للمؤمنين

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ خبر إن الأولى وهي الثانية بما في حيِّزها ، والراجع محذوف تقديره من أحسن عملاً منهم أو مستغنى عنه بعموم من أحسن عملاً كما هو مستغنى عنه في قولك : نعم الرجل زيد ، أو واقع موقعه الظاهر فإن من أحسن عملاً لا يحسن إطلاقه على الحقيقة إلا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ وما بينهما اعتراض وعلى الأول استئناف لبيان الأجر أو خبر ثان ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ من الأولى للابتداء والثانية للبيان صفة لأساور ، وتنكيره لتعظيم حسنها من الإحاطة به ، وهو جمع أسورة أو أساور في جمع سوار . ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا ﴾ لأن الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة . ﴿ مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ نمارق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين . ﴿ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ على السرر كما هو هيئة المتنعمين . ﴿ نِعْمَ الثَّوَابُ ﴾ الجنة ونعيمها . ﴿ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ متكأ .

قصة صاحب الجنتين وأخيه

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ﴾ للكافر والمؤمن . ﴿ رَّجُلَيْنِ ﴾ حال رجلين مقدرين أو موجودين هما أخوان من بني إسرائيل كافر اسمه قطروس ، ومؤمن اسمه يهوذاً ، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا ، فاشترى الكافر بها ضياعاً وعقاراً وصرفها المؤمن في وجوه الخير ، وآل أمرهما إلى ما حكاه الله تعالي . وقيل الممثل بهما أخوان من بني مخزوم كافر وهو الأسود بن عبد الأشد ومؤمن وهو أبو سلمة عبد الله زوج أم سلمة قبل رسول الله ﷺ .

﴿ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾ بستانين . ﴿ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ من كروم ، والجملة بتمامها بيان للتمثيل أو صفة للرجلين . ﴿ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾ وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزراً بها كرومهما ، يقال حفه القوم إذا أطافوا به ، وحففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولاً ثانياً كقولك : غشيته به . ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا ﴾ وسطهما . ﴿ زَرْعًا ﴾ ليكون كل منهما جامعاً للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الأنيق .

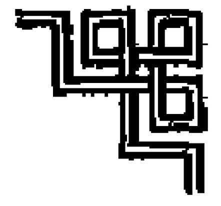
﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾ ثمرها ، وإفراد الضمير لإفراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى أكله . ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ ﴾ ولم تنقص من أكلها . ﴿ شَيْئًا ﴾ يعهد في سائر البساتين فإن الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالباً . ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا ﴾ ليدوم شربهما فإنه الأصل ويزيد بهاؤهما ، وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف .

﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ أنواع من المال سوى الجنتين من ثَمَّر ماله إذا كثره . وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم ، وأبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله ﴿ وأحيط بثمره ﴾ (٢٠) . ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ يراجعه في الكلام من حار إذا رجع ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ حشماً وأعواناً . وقيل أولاداً ذكوراً لأنهم الذين ينفرون معه .

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها ، وإفراد الجنة لأن المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيهاً على أن لا جنة له غيرها ، ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون ، أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالأخرى ، أو لأن الدخول يكون في واحدة واحدة . ﴿ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ ضار لها بعجبه وكفره ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ ﴾ أن تفنى ﴿ هَذِهِ ﴾ الجنة . ﴿ أَبَدًا ﴾ لطول أملة وتمادي غفلته واغتراره بمهلته .

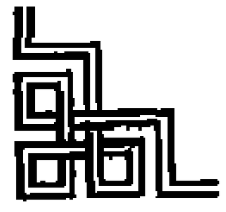
---

(٢٠) الكهف : ٤٢ .



الآيات من ٣٦ : ٤١

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) ﴾



﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ كائنة . ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ بالبعث كما زعمت . ﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا ﴾ من جنته ، وقرأ الحجازيان والشامي منهما أي من الجنتين . ﴿ مُنقَلَبًا ﴾ مرجعاً وعاقبة لأنها فانية وتلك باقية ، وإنما أقسم على ذلك لاعتقاده أنه تعالى إنما أولاه لاستئهاله واستحقاقه إياه لذاته وهو معه أينما تلقاه .

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ لأنه أصل مادتك أو مادة أصلك . ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ فإنها مادتك القريبة . ﴿ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ ثم عدلك وكملك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال . جعل كفره بالبعث كفراً بالله تعالى لأن منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ، ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه .

﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ أصله لكن أنا ، فحذفت الهمزة ونقلت حركتها إلى نون لكن فتلاقت النونان فكان الإدغام ، وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالألف في الوصل لتعويضها من الهمزة أو لإجراء الوصل مجرى الوقف ، وقد قرئ لكن أنا على الأصل ، وهو : ضمير الشأن ، وهو بالجملة الواقعة خبراً له خبر أنا ، أو ضمير الله ، والله بدله ، وربي خبره والجملة خبر أنا والاستدراك من أكفرت كأنه قال : أنت كافر بالله لكني مؤمن به ، وقد قرئ لكن هو الله ربي ، ولكن أنا لا إله إلا هو ربي .

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ﴾ وهلا قلت عند دخولها . ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾

الأمر ما شاء أو ما شاء كائن على أن ما موصولة ، أو أي شئ شاء الله كان على أنها شرطية ، والجواب محذوف وإقرارٌ بأنها وما فيها بمشيئة الله إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها . ﴿ **لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه** ﴾ وقلت : لا قوة إلا بالله اعترافاً بالعجز على نفسك والقدرة لله ، وإن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها بمعونته وإقداره . وعن النبى ﷺ « **من رأي شيئاً فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره** » (٢١) .

﴿ **إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً** ﴾ يحتمل أن يكون أنا فصلاً وأن يكون تأكيداً للمفعول الأول ، وقرئ أقل بالرفع على أنه خبر أنا والجملة مفعول ثاني لترنى، وفي قوله ﴿ **وَوَلَدًا** ﴾ دليل لمن فسر النفر بالأولاد .

﴿ **فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ** ﴾ في الدنيا أو في الآخرة لإيماني وهو جواب الشرط . ﴿ **وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا** ﴾ على جنتك لكفرك . ﴿ **حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ** ﴾ مرامى جمع حسبانه وهي الصواعق . وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها أو عذاب حساب الأعمال السيئة . ﴿ **فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا** ﴾ أرضاً ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها .

﴿ **أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا** ﴾ أي غائراً . في الأرض مصدر وصف به كالزلق . ﴿ **فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا** ﴾ للماء الغائر تردداً في رده .

الآيات من ٤٢ : ٤٦

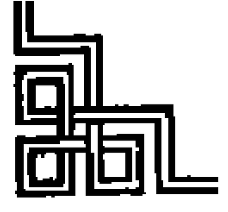
﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ**

---

(٢١) رواه السيوطي في الجامع الصغير جـ ٢ ص ١٧٧ وقال أخرجه ابن السني عن أنس رضي الله عنه ، ورمز له السيوطي بالضعف .

وفي الحديث الصحيح عن أبي موسي الأشعري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله » .

﴿ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً (٤٦) ﴾



﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ وأهلك أمواله حسبما توقعه صاحبه وأنذره منه ، وهو مأخوذ من أحاط به العدو فإنه إذا أحاط به غلبه وإذا غلبه أهلكه ، ونظيره أتى عليه إذا أهلكه ، ونظيره أتى عليهم أذا أهلكه من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعلياً عليهم . ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾ ظهراً لبطن تلهفاً وتحسراً . ﴿ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا ﴾ في عمارتها وهو متعلق بيُقَلِّب ، لأن تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل : فأصبح يندم ، أو حال أي متحسراً على ما أنفق فيها . ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ ساقطة . ﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ بأن سقطت عروشها على الأرض وسقطت الكروم فوقها عليها . ﴿ وَيَقُولُ ﴾ عطف على يُقَلِّبُ ، أو حال من ضميره . ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه أتِيَ من قبل شِرْكه ، فتمني لو لم يكن مشركاً فلم يُهْلِك الله بستانهُ ، ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندماً على ما سبق منه .

﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه . ﴿ يَنصُرُونَهُ ﴾ يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أورد المهلَك أو الإتيان بمثله . ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ فإنه القادر على ذلك وحده . ﴿ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ وما كان ممتنعاً بقوته عن انتقام الله منه .

﴿ هُنَالِكَ ﴾ في ذلك المقام وتلك الحال . ﴿ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقديراً لقوله ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ ﴾ ، أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله : ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ أي لأوليائه . وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ، ومعناه السلطان والملك أي هنا لك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه ، أو لا يعبد غيره كقوله تعالى ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوالله مخلصين له الدين ﴾ (٢٢) فيكون تنبيهاً على أن قوله ﴿ يا ليتني لم أشرك ﴾ كان عن اضطرار وجزع مما دهاه .

(٢٢) العنكبوت : ٦٥ .

وقيل : هنالك إشارة إلى الآخرة ، وقرأ أبو عمرو والكسائى الحقُّ بالرفع صفة للولاية، وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد ، وقرأ عاصم وحمزة عُقْباً بالسكون ، وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة .

مثل الحياة الدنيا

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ واذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة .

﴿ كَمَاءٍ ﴾ هي كماء ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا لاضرب علي أنه بمعني صير.﴿ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ﴾ فالتف بسببه وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه، أو نجع في النبات حتي روي ورف (٢٣) وعلي هذا كان حقه (٢٤) فاختلط بنبات الأرض لكنه لما كان من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته .﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيماً ﴾ مهشوما مكسورا.﴿ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ تفرقه، وقرئ تذريه من أذري ، والمشبه به ليس المال ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة ، وهي حال النبات المنبت بالماء، يكون أخضر وارفاً ، ثم هشيماً تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الإنشاء والإفناء .﴿ مُّقْتَدِرًا ﴾ قادراً.

الباقيات الصالحات

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يتزين بها الإنسان في دنياه وتفني عنه عما قريب .﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ وأعمال الخيرات التي تبقي له ثمرتها أبد الآباد، ويندرج فيها ما فسرت به : من الصلوات الخمس ، وأعمال الحج ، وصيام رمضان، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، والكلام الطيب . ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ﴾ من المال والبنين . ﴿ ثَوَابًا ﴾ عائدة . ﴿ وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا (٢٥) .

---

(٢٣) رفَّ يقال : رفَّ لونه رفًّا ورفيفًا إذا يرق وتلألأ ، ويقال : شجر رفيف إذا تندت أوراقه ـ الصحاح ـ .

(٢٤) كان حقه : أي حق اللفظ على هذا التفسير : فاختلط بنبات الأرض .

(٢٥) روي ابن كثير في تفسيره حول هذه الآية قال :

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف : الباقيات الصالحات : الصلوات

الآيات من ٤٧ : ٥١

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴿٥٠﴾ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾

من أهوال القيامة

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ﴾ واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو ، أو نذهب بها

الخمس ، وروي الإمام أحمد عن الحارث مولي عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : جلس عثمان يوما فجاءه المؤذن ، فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مُدٌّ ، فتوضأ ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئى هذا ثم قال : « من توضأ وضوئى هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح ، ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين الظهر ، ثم صلي المغرب غفر ما بينها وبين العصر ، ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين المغرب ، ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ، ثم إن قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات .

قالوا : هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات يا عثمان ؟ قال : هي لا إله إلا الله وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » . تفرد به .

وروي الطبراني عن سعد بن جناده رضي الله عنه قال : كنت أول من أتى النبي ﷺ من أهل الطائف ، فخرجت من أعلى الطائف إلى السراة غدوة فأتيت منى عند العصر ، فتصاعدت في الجبل ، ثم هبطت ، فأتيت النبى ﷺ فأسلمت ، وعلمني « قل هو الله أحد » و « إذا زلزلت الأرض زلزالها » وعلمني هؤلاء الكلمات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » وقال : « هن الباقيات الصالحات » ـ تفسير ابن كثير ـ .

فنجعلها هباء منبثاً . ويجوز عطفه على عند ربك أي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت . ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها ، وقرئ وتُرَى على بناء المفعول . ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ وجمعناهم إلي الموقف ، ومجيئه ماضياً بعد نسير وترى لتحقق الحشر ، أو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم ، وعلى هذا تكون الواو للحال بإضمار قد . ﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ ﴾ فلم نترك . ﴿ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾ يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل ، وقرئ بالياء .

﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ ﴾ شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم . ﴿ صَفًّا ﴾ مصطفين لا يحجب أحد أحداً . ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ على إضمار القول على وجه يكون حالاً أو عاملاً في يوم نسير . ﴿ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ﴿ ولقد جئتمونا فرادى ﴾ (٢٦) أو أحياء كخلقكم الأول لقوله : ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً ﴾ وقتاً لإنجاز الوعد بالبعث والنشور ، وأن الأنبياء كذبوكم به ، وبل للخروج من قصة إلى أخرى .

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾ صحائف الأعمال في الأيمان والشمائل (٢٧) أو في الميزان ، وقيل : هو كناية عن وضع الحساب . ﴿ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين . ﴿ مِمَّا فِيهِ ﴾ من الذنوب . ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ﴾ ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات . ﴿ مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ ﴾ تعجباً من شأنه . ﴿ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ﴾ هنة (٢٨) صغيرة . ﴿ وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ﴾ إلا عددها وأحاط بها . ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ﴾ مكتوباً في الصحف . ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ فيكتب عليه ما لم يفعل أو يزيد في عقابه الملائم لعمله (٢٩) .

---

(٢٦) الأنعام : ٩٤ .

(٢٧) الأيمان والشمائل جمع يمين وشمال ، يعنى أن منكم من يتناول صحيفته بيمينه ، ومنكم من يتناولها بشماله .

(٢٨) الهنة : كناية عن الشيء .

(٢٩) في التحذير من إحصاء الكتاب لكل شيء صغر أو كبر ضرب النبى ﷺ مثلاً عملياً

تذكير بعداوة إبليس ليحذره الناس

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ كرره في مواضع لكونه مقدمة للأمور المقصود بيانها في تلك المحال ، وها هنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بأنه من سنن إبليس ، أو لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان . زهّدهم أولاً في زخارف الدنيا بأنها عرضة الزوال والأعمال الصالحة خير وأبقى من أنفسها وأعلاها ، ثم نفّرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن .

﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ حال بإضمار قد أو استئناف للتعليل كأنه قيل : ماله لم يسجد فقيل كان من الجن . ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ فخرج عن أمره بترك السجود والفاء للسبب ، وفيه دليل على أن الملك لا يعصى البتة ، وإنما عصي إبليس لأنه كان جنياً في أصله والكلام المستقصي فيه في سورة البقرة (٣٠) .

﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ ﴾ أعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للإنكار والتعجب . ﴿ وَذُرِّيَّتَهُ ﴾ أولاده وأتباعه ، وسماهم ذرية مجازاً . ﴿ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي ﴾ فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي . ﴿ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ من الله ، إبليس وذريته . ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ يعنى أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة ، وإنما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية ، فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ

ذكره الطبراني بإسناده إلى سعد بن جناده قال :
لما فرغ النبى ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء فقال النبى ﷺ : « اجمعوا من وجد عوداً فليأت به ، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به ، قال : فما كان إلا ساعة حتي جعلناه ركاماً ، فقال النبي ﷺ : « أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب علي الرجل منكم كما جمعتم هذا فليتق الله رجل ، ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه » . ـ تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٧٨ ـ .

(٣٠) راجع تفسير الآيات من ٣٠ ـ ٣٩ من سورة البقرة .

والأَرْضِ﴾ لاعتضد بهم في خلقها ﴿ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي] [31] ما أحضرت بعضهم خلق بعض ، ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله : ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ أى أعواناً رداً لاتخاذهم أولياء من دون الله شركاء له في العبادة ، فإن استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها ، فوضع المضلين موضع الضمير ذماً لهم واستبعاداً للاعتضاد بهم . وقيل الضمير للمشركين والمعنى : ما أشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون ، فلا تلتفت إلى قولهم طمعاً في نصرتهم للدين فإنه لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلين لديني . وبعضده قراءة من قرأ وما كنتَ على خطاب الرسول ﷺ ، وقرئ متخذاً المضلين على الأصل وعضداً بالتخفيف وعضداً بالإتباع وعضداً كخدم جمع عاضد من عضده إذا قواه .

الآيات من ٥٢ : ٥٥

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً ﴿٥٥﴾ ﴾

عدم استجابة الآلهة المتخذة من دون الله لعابديها يوم القيامة

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ ﴾ أى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون . ﴿ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ أنهم شركائى وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي ، وإضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه ، وقيل إبليس وذريته . ﴿ فَدَعَوْهُمْ ﴾ فنادوهم للإغاثة . ﴿ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ فلم يغيثوهم . ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم ﴾ بين الكفار وآلهتهم . ﴿ مَّوْبِقًا ﴾ مهلكاً يشتركون فيه وهو النار ، أو عداوة هي في

(٣١) الفقرة التي بين القوسين من تفسير الكشاف لسقوطها من الأصل .

شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه : لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً ، اسم مكان أو مصدر من وبق يوبق وبقا إذا هلك .

وقيل : البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة .

﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا ﴾ فأيقنوا . ﴿ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ مخالطوها واقعون فيها . ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ انصرافاً أو مكاناً ينصرفون إليه .

القرآن فيه بيان للحق ولكن الكفار يجادلون فيه وينصرفون عنه

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كل جنس يحتاجون إليه . ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ ﴾ يأتى منه الجدل . ﴿ جَدَلاً ﴾ خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز .

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا ﴾ من الإيمان . ﴿ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ وهو الرسول الداعي والقرآن المبين . ﴿ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ﴾ ومن الاستغفار من الذنوب . ﴿ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ إلا طلب أو انتظار أو تقدير أن تأتيهم سنة الأولين ، وهي الاستئصال فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ عذاب الآخرة . ﴿ قُبُلاً ﴾ عياناً (٣٢) . وقرأ الكوفيون قُبُلاً بضمتين وهو لغة فيه ، أو جمع قبيل بمعنى أنواع ، وقرئ بفتحتين ، وهو أيضاً لغة يقال لقيته مقابلة وقبلاً وقبلاً وقبلياً ، وانتصابه على الحال من الضمير أو العذاب .

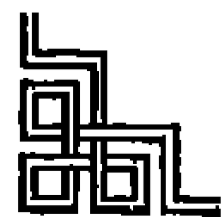
الآيات من ٥٦ : ٦٠

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن

---

(٣٢) قِبَلا بمعنى عيانا ، وأنواعا بكسر ففتح ـ الصحاح ـ .

يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) ﴾



﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ للمؤمنين والكافرين . ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ، والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتاً . ﴿ لِيُدْحِضُوا بِهِ ﴾ ليزيلوا بالجدال . ﴿ الْحَقَّ ﴾ عن مقره ويبطلوه، من إدحاض القدم وهو إزلاقها وذلك قولها للرسل ـ ﴿ ما أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ (٣٣) ﴿ ولو شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ (٣٤) ونحو ذلك . ﴿ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي ﴾ يعني القرآن. ﴿ وَمَا أُنذِرُوا ﴾ وإنذارهم أو والذي أنذروا به من العقاب . ﴿ هُزُوًا ﴾ استهزاء . وقرئ هزأ بالسكون وهو ما يستهزأ به على التقديرين .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴾ بالقرآن . ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ فلم يتدبرها ولم يتذكر بها . ﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتهما . ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم . ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ كراهة أن يفقهوه ، وتذكير الضمير وإفراده للمعنى . ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ يمنعهم أن يستمعوه حق استماعه . ﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ تحقيقاً ولا تقليداً لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون وإذا كما عرفت جزاء جواب للرسول ﷺ على تقدير قوله مالي لا أدعوهم، فإن حرصه ﷺ على إسلامهم يدل عليه .

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ﴾ البليغ المغفرة. ﴿ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ الموصوف بالرحمة. ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾ استشهاد على ذلك بإمهال قريش مع إفراطهم في عداوة رسول الله ﷺ . ﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ ﴾ وهو يوم بدر أو يوم القيامة. ﴿ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾ منجاً ولا ملجأ ، يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه .

(٣٣) يس : ١٥ .

(٣٤) المؤمنون : ٢٤ .

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ ﴾ يعني قرى عاد وثمود وأضرابهم ، وتلك مبتدأ خبره . ﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ أو مفعول مضمر مفسر به ، والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في أحدهما ليكون مرجع الضمائر . ﴿ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ كقريش بالتكذيب والمراء وأنواع المعاصي . ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم، وقرأ أبو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام أي لهلاكهم ، وحفص بكسر اللام حملاً على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض .

قصة موسي و الخضر

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾ مقدر باذكر . ﴿ لِفَتَاهُ ﴾ يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فإنه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده. ﴿ لَا أَبْرَحُ ﴾ أي لا أزال أسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله : ﴿ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ من حيث إنها تستدعي ذا غاية عليه ، ويجوز أن يكون أصله لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، فانقلب الضمير والفعل وأن يكون لا أبرح هو بمعنى لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب ولا أفارقه فلا يستدعي الخبر .

ومجمع البحرين ملتقي بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وعد لقاء الخضر فيه . وقيل : البحران موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فإن موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن . وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع . ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ أو أسير زماناً طويلاً ، والمعنى حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب أو حتى أبلغ إلا أن أمضى زماناً أتيقن معه فوات المجمع ، والحقب الدهر ، وقيل : ثمانون سنة وقيل : سبعون .

روى : أن موسي عليه الصلاة والسلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخول مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له : هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال : لا ، فأوحى الله إليه ، بل أعلم منك عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين ، وكان الخضر في أيام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر ، وبقي إلى أيام موسى .

وقيل : إن موسي عليه السلام سأل ربه أي عبادك أحب إليك ؟ فقال : الذي

يذكرني ولا ينساني ، قال : فأي عبادك أقضى ؟ قال : الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى ، قال : فأي عبادك أعلم ؟ قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردي ، فقال : إن كان في عبادك أعلم مني فادللني عليه ، قال : أعلم منك الخضر قال : أين أطلبه؟ قال : على الساحل عند الصخرة ، قال كيف لي به ؟ قال تأخذ حوتاً في مكْتل (٣٥) ، فحيث فقدته فهو هناك ، فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان .

الآيات من ٦١ : ٦٥

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ﴾

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ﴾ أي مجمع البحرين وبينهما ظرف أضيف إليه على الاتساع أو بمعنى الوصل . ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ نسي موسي عليه الصلاة والسلام أن يطلبه ويتعرف حاله ، ويوشع أن يذكر له ما رأي من حياته ووقوعه في البحر . روي : أن موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب في البحر بمعجزة لموسى أو الخضر . وقيل : توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء . وقيل : نسيا تفقد أمره وما يكون منه أمارة على الظفر بالمطلوب ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكاً من قوله ﴿ وسارب بالنهار ﴾ (٣٦) . وقيل : أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ، ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ .

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾ مجمع البحرين . ﴿ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا ﴾ ما نتغذي به .

---

(٣٥) المكتل ـ بكسر الميم ـ : السَّلَّة .

(٣٦) الرعد : ١٠ .

﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ قيل : لم ينصَبْ حتى جاوز الموعد فلما جاوزه، وسار الليلة و الغد إلى الظهر ألقى عليه الجوع والنصب . وقيل : لم يَعْيَ موسى في سفر غيره ، ويؤيده التقييد باسم الإشارة .

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ يعني الصخرة التي رقد عندها موسى . وقيل : هى الصخرة التى دون نهر الزيت . ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ فقدته أو نسيت ذكره بما رأيت منه . ﴿ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان فإن أن أذكره بدل من الضمير ، وقرئ أن أذكركه . وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه ، والحال وإن كانت عجيبة لا ينسى مثلها ، لكنه لما ضرى بمشاهدة أمثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ، ولعله نسى ذلك لاستغراقه في الاستبصار وإنجذاب سائره إلى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة ، وإنما نسبه إلى الشيطان هضماً لنفسه : أو لأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعد من نقصان . ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ سبيلاً عجباً وهو كونه كالسرب أو اتخاذ عجباً ، والمفعول الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر أى قال في آخر كلامه ، أو موسى في جوابه عجباً تعجباً من تلك الحال . وقيل الفعل لموسى أي اتخذ موسي سبيل الحوت في البحر عجباً .

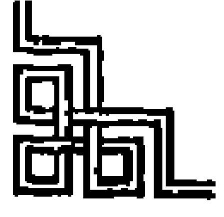
﴿ قَالَ ذَلِكَ ﴾ أى أمر الحوت. ﴿ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ نطلب لأنه أمارة المطلوب . ﴿ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا ﴾ فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه . ﴿ قَصَصًا ﴾ يقصان قصصاً أي يتبعان آثارهما اتباعاً ، أو مقتصين حتى أتيا الصخرة .

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ﴾ الجمهور على أنه الخضر عليه السلام واسمه بليا بن ملكان . وقيل اليسع . وقيل إلياس . ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ هي الوحي والنبوة. ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيوب .

الآيات من ٦٦ : ٧٠

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ

سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾



﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ ﴾ على شرط أن تعلمنى ، وهو في موضع الحال من الكاف . ﴿ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ علماً ذا رشد وهو إصابة الخير ، وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبُخْل والبَخَل ، وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت العائد المحذوف ، وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ، ويجوز أن يكون رشداً علة لأتبعك أو مصدراً بإضمار فعله ، ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطاً فى أبواب الدين ، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقاً، وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب ، فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعاً له ، وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه .

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ نفي عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله .

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ أي وكيف تصبر وأنت نبي على ما أتولى من أمور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك ، وخبرا تمييز أو مصدر لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره .

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ معك غير منكر عليه . ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ عطف على صابراً أي ستجدني صابراً وغير عاص ، أو على ستجدني . وتعليق الوعد بالمشيئة إما للتيمن وخلفه ناسياً لا يقدح في عصمته أو لعلمه بصعوبة الأمر ، فإن مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد بلا خلاف ، وفيه دليل على أن أفعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى .

﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ فلا تخالفني بالسؤال عن شيء أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته . ﴿ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ حتى أبتدئك ببيانه ، وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة .

الآيات من ٧١ : ٧٨

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) ﴾

﴿ فَانطَلَقَا ﴾ علي الساحل يطلبان السفينة ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ أخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها . ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلي غرق أهلها . وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير . وقرأ حمزة والكسائي ليغرق أهلها علي إسناده إلي الأهل . ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ أتيت أمرا عظيما من أمر الأمر إذا عظم .

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ تذكير لما ذكره قبل .

﴿ قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ بالذي نسيته أو بشئ نسيته ، يعني وصيته بأن لا يعترض عليه أو بنسياني إياها ، وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها . وقيل : أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة . وقيل : إنه من معاريض الكلام والمراد شئ آخر نسيه. ﴿ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ ولا تغشني عسرا من أمر ي بالمضايقة والمؤاخذة علي المنسي ، فإن ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فإنه يقال : رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه ، وقرئ عسرا بضمتين .

﴿ فَانطَلَقَا ﴾ أي بعد ما خرجا من السفينة . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ ﴾ قيل فتل عنقه ، وقيل ضرب برأسه الحائط ، وقيل أضجعه فذبحه ، والفاء للدلالة علي أنه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ، ولذلك : ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ أي طاهرة من الذنوب ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والأول أبلغ ، وقال أبو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي أذنبت ثم غفرت ، ولعله اختار الأول لذلك فإنها كانت صغيرة ولم تبلغ الحلم أو أنه لم يرها قد أذنبت ذنبا يقتضي قتلها ، أو قتلت نفسا فتقاد بها ، نبه به علي أن القتل إنما يباح حذا أو قصاصا وكلا الأمرين منتف ، ولعل تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء ، واعتراض موسي عليه الصلاة والسلام مستأنفا في الأولي وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء ، لأن القتل أقبح والاعتراض عليه أدخل فكان جديرا بأن يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله : ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ أي منكرا، وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وأبو بكر نكرا بضمتين.

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ زاد فيه لك مكافحة بالعتاب علي رفض الوصية ، ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير أول مرة حتي زاد في الاستنكار ثاني مرة .

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي ﴾ وإن سألت صحبتك ، وعن يعقوب فلا تصحبني أي فلا تجعلني صاحبك . ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات . وعن رسول الله ﷺ «**رحم الله أخي موسي استحيا فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب**» (٣٧) . وقرأ نافع من لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدْنِيْ مِنْ نَصْرِ الخَبِيبَيْنِ قَدِي . وأبو بكر لدني بتحريك النون وإسكان الضاد من عضد .

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ أنطاكية وقيل : أُبُلَّة البصرة . وقيل :

---

(٣٧) أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان من رواية حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب في أثناء حديث ، وأصله عند مسلم في صحيحه .

باجروان أرمينية . ﴿ استَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ وقرئ يضيفوهما من أضافه يقال ضافه إذا نزل به ضيفا وأضافه وضيفه أنزله ، وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض إذا مال . ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال :

يُرِيدُ الرُّمْح صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ   وَيَعْدِلُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ (٣٨) .

وقال :

إِنَّ دَهْراً يَلُمُّ شَمْلي بجملٍ   لزمانٌ يَهُمُّ بالإحْسَانِ (٣٩)

وانقض انفعل من قضضته إذا كسرته ،ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه(٤٠) ، أو أفعل من النقض . وقرئ أن ينقض ، وأن ينقاصّ بالصاد المهملة من انقاصَّت السن إذا انشقت طولا . ﴿ فَأَقَامَهُ ﴾ بعمارته أو بعمود عمده به ، وقيل مسحه بيده فقام . وقيل نقضه وبناه .

﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ تحريضا علي أخذ الجعل لينتعشا به ، أو تعريضا بأنه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأي الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه ، واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين ، وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أي لأخذت وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وأدغمه الباقون .

﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ الإشارة إلي الفراق الموعود بقوله : ﴿ فلا تصاحبني ﴾ أو إلي الاعتراض الثالث ، أو الوقت أي هذا الاعتراض سبب فراقنا أو

---

(٣٨) في تعليق الكشاف على هذا البيت : الإرادة هنا مجاز عن التوجه، ويجوز أن الإسناد مجاز ، لأن المريد صاحب الرمح ، والأوجه أنه شبه الرمح بإنسان على طريق الاستعارة المكنية ، وإسناده الإرادة والعدول إليه تخيل ، أى يريد الرمح أن يشرب من صدر أبي براء لا من دماء هؤلاء .

(٣٩) في الكشاف للزمخشري :

إن دهرا يلف شملي بجمْل   لزمان يهم بالإحسان

وهو لحسان بن ثابت

وجمل : اسم المحبوبة ، ويروى : بسعدى .

(٤٠) لهويّه : لسقوطه .

هذا الوقت وقته ، وإضافة الفراق إلي البين إضافة المصدر إلي الظرف علي الاتساع وقد قرئ علي الأصل . ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر.

الآيات من ٧٩ : ٨٢

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ لمحاويج ، وهو دليل علي أن المسكين يطلق علي من يملك شيئا إذا لم يكفه . وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك أول لزمانتهم فإنها كانت لعشرة إخوة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر . ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ أن أجعلها ذات عيب . ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾ قدامهم أو خلفهم وكان رجوعهم عليه ، واسمه جلندي بن كركر ، وقيل منوار بن جلندي الأزدي . ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ من أصحابها . وكان حق النظم أن يتأخر قوله ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ عن قوله ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾ لأن إرادة التعيب مسببة عن خوف الغصب وإنما قدم للعناية أو لأن السبب لما كان مجموع الأمرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه علي أقوي الجزأين وأدعاهما وعقبه بالآخر علي سبيل التقييد والتتميم ، وقرئ كل سفينة صالحة والمعني عليها .

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا ﴾ أن يغشيهما . ﴿ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا ، أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره يجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر ، أو يعديهما بدائه فيرتدا بإضلاله، أو بممالأته علي طغيانه وكفره . وإنما خشي ذلك لأن الله تعالي ؛أعلمه . وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما : أن نجدة الحروري كتب إليه كيف قتله وقد

نهي النبي ﷺ عن قتل الولدان ، فكتب إليه إن كنت علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسي فلك أن تقتل. وقرئ فخاف ربك أي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ، ويجوز يكون قوله ﴿ فخشينا ﴾ حكاية قول الله عز وجل .

﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ ﴾ أن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه . ﴿ زَكَاةً ﴾ طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة . ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴾ رحمة وعطفا علي والديه. قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت له نبيا هدي الله به أمة من الأمم، وقرأ نافع وأبو عمرو ويبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتخفيف ، وانتصابه علي التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة .

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ قيل اسمهما أصرم وصريم، واسم المقتول جيسور . ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ من ذهب وفضة ، روي ذلك مرفوعا والذم في قوله تعالي ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق . وقيل : من كتب العلم . وقيل : كان لوح من ذهب مكتوب فيه : عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب ، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله .

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً ﴾ تنبيه علي أن سعيه ذلك كان لصلاحه . قيل : كان بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح . ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ أي الحلم وكمال الرأي . ﴿ وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ مرحومين من ربك ، ويجوز أن يكون علة أو مصدرا لأراد فإن إرادة الخير رحمة . وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت رحمة من ربك ، ولعل إسناد الإرادة أولا إلي نفسه (٤١) لأنه المباشر للتعييب وثانيا إلي الله (٤٢) وإلي نفسه لأن التبديل بإهلاك الغلام وإيجاد الله بدله ، وثالثا إلي الله (٤٣) وحده لأنه لا مدخل له

---

(٤١) أي في قوله تعالى على لسان الخضر : ﴿ فخشينا أن يرهقهما ﴾ .

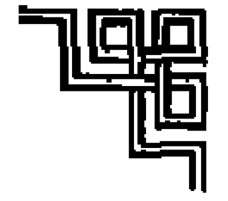
(٤٢) أي في قوله تعالي : ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربك ﴾ .

(٤٣) أي في قوله تعالي : ﴿ فأراد ربك ﴾ .

في بلوغ الغلامين . أو لأن الأول في نفسه شر ، والثالث خير ، والثاني ممتزج . أو لاختلاف حال العارف في الالتفات إلي الوسائط . ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ ﴾ وما فعلت ما رأيته . ﴿ عَنْ أَمْرِي ﴾ عن رأيي وإنما فعلته بأمر الله عز وجل ، ومبني ذلك علي أنه إذا تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما ، وهو أصل ممهد غير أن الشرائع في تفاصيله مختلفة . ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾ أى ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا .

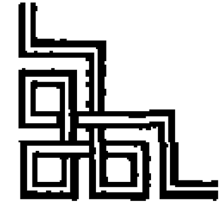
فوائد هذه القصة

ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر إلي إنكار ما لم يستحسنه ، فلعل فيه سرا لا يعرفه ، وأن يداوم علي التعلم ويتذلل للمعلم ، ويراعي الأدب في المقابل وأن ينبه المجرم علي جرمه ويعفو عنه حتي يتحقق إصراره ثم يهاجر عنه .



الآيات من ٨٣ : ٨٦

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَباً (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً (٨٦) ﴾



قصة ذي القرنين :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ يعني إسكندر الرومي ملك فارس والروم . وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين ، أو لأنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها ، وقيل : لأنه انقرض في أيامه قرنان من الناس ، وقيل : كان له قرنان أي ضفيرتان ، وقيل : كان لتاجه قرنان . ويحتمل أنه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح أقرانه .واختلف في نبوته مع الاتفاق علي إيمانه وصلاحه ، والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا ، أو مشركو مكة . ﴿ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً ﴾ خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين . وقيل لله .

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ ﴾ أى مكنا له أمره من التصرف فيها كيف شاء

فحذف المفعول . ﴿ وآتيناه من كُلِّ شيءٍ ﴾ أراده وتوجه إليه . ﴿ سبباً ﴾ وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة .

﴿ فأتْبعَ سَبَباً ﴾ أي فأراد بلوغ المغرب فاتَّبعَ سببا يوصله إليه ، وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الألف مخففة التاء .

﴿ حتَّىٰ إذا بلَغَ مَغْربَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ ذات حمأ من حمئت البئر إذا صارت ذات حمأة (٤٤) . وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر حامية أى حارة ، ولا تنافي بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين أو حمية علي أن ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ، ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال ﴿ وجدها تغرب ﴾ ولم يقل كانت تغرب . وقيل إن ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال : حمئة فبعث معاوية إلي كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة (٤٥) .

---

(٤٤) الحمأة : الطين الأسود المنتن والقطعة منه حماة .

ويقال : حمىء الماء حَمَأً كثر فيه الحماة فتكدر وتغيرت رائحته ـ وفى التنزيل : « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة » ـ المعجم الوسيط ـ

(٤٥) فى تفسير ابن كثير : وجدها تغرب فى عين حمئة ، أى رأى الشمس تغرب فى منظره فى البحر المحيط ، وهذا شأن من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهى لاتفارق الفلك الرابع الذى هى مثبتة فيه لاتغادره ، وفيما يؤثر من قول تبّع فيما ذكر به ذا القرنين فى تخلقه بالعلم واتباعه إياه :

بلغ المشارق والمغارب يبـــتغى ... أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها ... فى عين ذا خلب وثاط حرمد

قال ابن كثير : وقد سمع ابن عباس هذين البيتين من ابن حاضر فسأله ابن عباس : ما الخلب؟

قال : الطين بكلامهم . قال : فما الثاط ؟ قال : الحماة . قال : فما الحرمد ؟ قال : الأسود .

فدعا ابن عباس رجلا أو غلاما فقال : اكتب مايقول هذا الرجل .

وقال المعلق فى مختصر ابن كثير: لما كان البحر ذا لون أزرق مائل إلى السواد ، وحمئة

﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا ﴾ عند تلك العين . ﴿ قَوْمًا ﴾ قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لَفَظَه البحر ، وكانوا كفارا فخيره الله بين أن يعذبهم أو يدعوهم إلي الإيمان كما حكي بقوله . . ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ ﴾ أي بالقتل علي كفرهم . ﴿ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ بالإرشاد وتعليم الشرائع . وقيل : خيره الله بين القتل والأسر وسماه إحسانا في مقابلة القتل ويؤيده الأول قوله :

الآيات من ٨٧ : ٩٣

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) ﴾

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ أي فاختار الدعوة وقال : أما من دعوته فظلم نفسه بالإصرار علي كفره أو استمر علي ظلمه الذي هو الشك فنعذبه أنا ومن معي في الدنيا بالقتل ، ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله .

﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ وهو ما يقتضيه الإيمان . ﴿ فَلَهُ ﴾ في الدارين. ﴿ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ﴾ فعلته الحسني . وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا علي الحال أي فله المثوبة الحسني مجزيا بها ، أو علي المصدر لفعله المقدر حالا أي يجزي بها جزاء أو التمييز ، وقرئ منصوبا غير منون علي أن تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ، ومنونا ومرفوعا علي أنه المبتدأ والحسني بدله ، ويجوز أن يكون أما وأما للتقسيم دون التخيير أي ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان ، فالأول لمن أصر علي الكفر والثاني لمن تاب عنه ، ونداء

فيها معنى السواد ، فيكون المعنى أن الشمس وجدها تغرب فى البحر ذى اللون الأزرق الأسود .

الله إياه إن كان نبيا فبوحي وإن كان غيره فبإلهام أو علي لسان نبي . ﴿ **وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا** ﴾ بما نأمره به . ﴿ **يُسْرًا** ﴾ سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر ، وقرئ بضمتين .

﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾ ثم أتبع طريقا يوصله إلي المشرق .

﴿ **حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ** ﴾ يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولا من معمورة الأرض ، وقرئ بفتح اللام علي إضمار مضاف أى مكان مطلع الشمس فإنه مصدر . ﴿ **وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا** ﴾ من اللباس أو البناء ، فإن أرضهم لا تمسك الأبنية أو أنهم اتخذوا الأسراب بدل الأبنية .

﴿ **كَذَٰلِكَ** ﴾ أى أمر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك ، أو أمره فيهم كأمره فى أهل المغرب من التخيير والاختيار . ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف لوجد أو نجعل ، أو صفة قوم أى علي قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم . ﴿ **وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ** ﴾ من الجنوب والآلات والعدد والأسباب ﴿ **خُبْرًا** ﴾ علماً تعلق بظواهره وخفاياه ، والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير .

﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾ يعنى طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنود إلى الشمال .

﴿ **حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ** ﴾ بين الجبلين المبنى بينهما سده ، وهما جبلاً أرمينية وأذر بيجان . وقيل : جبلان منيفان فى أواخر الشمال فى منقطع أرض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج . وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان . وقيل : المضموم لما خلقه الله تعالى ، والمفتوح لما علمه الناس لأنه فى الأصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس . وقيل: بالعكس وبين ها هنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة . ﴿ **وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا** ﴾ لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم . وقرأ حمزة والكسائى لا يفقهون أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه .

الآيات من ٩٤ : ٩٧

﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾

﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ ﴾ قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قال «الذين من دونهم» . ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾ قبليتان من ولد يافث بن نوح ، وقيل : يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل . وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقيل : عربيان من أج الظليم إذا أسرع وأصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث .﴿ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ أى فى أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزرع. وقيل : كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه ، وقيل كانوا يأكلون الناس .

﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ نخرجه من أموالنا . وقرأ حمزة والكسائى خراجاً وكلاهما واحد كالنول والنوال . وقيل : الخراج على الأرض والذمة والخرج المصدر. ﴿ عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائى .

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ ما جعلنى فيه مكيناً من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة بى إليه . وقرأ ابن كثير مكننى على الأصل . ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ أى بقوة فَعَلَة أو بما أتقوى به من الآلات . ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ حاجزاً حصيناً وهو أكبر من السد من قولهم ثوب مُردَم إذا كان رقاعاً فوق رقاع .

﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ قطَعَه ، والزبرة القطعة الكبيرة ، وهو لا ينافى رد الخراج والاقتصار على المعونة لأن الإيتاء بمعنى المناولة ، ويدل عليه قراءة أبى بكر ردماً ائتونى بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد ، والباء

محذوفة حذفها فى أمرتك الخير (٤٦) ، ولأن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ بين جانبى الجبلين بتنضيدها . وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين ، وأبو بكر بضم الصاد وسكون الدال ، وقرئ فتح الصاد وضم الدال ، وكلها لغات من الصدف وهو الميل ، لأن كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل . ﴿ قَالَ انفُخُوا ﴾ أى قال للعملة انفخوا فى الأكوار والحديد . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ ﴾ جعل المنفوخ فيه . ﴿ نَارًا ﴾ كالنار بالإحماء . ﴿ قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ أى آتونى قطراً أى نحاساً مذاباً أفرغ عليه قطراً ، فحذف الأول لدلالة الثانى عليه . وبه تمسك البصريون على أن إعمال الثانى من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى ، إذ لو كان قطراً مفعول أفرغ حذراً من الإلباس . وقرأ حمزة وأبو بكر قال أتونى موصولة الألف .

﴿ فَمَا اسْطَاعُوا ﴾ بحذف التاء حذراً من تلاقى متقاربين . وقرأ حمزة بالإدغام جامعاً بين الساكنين على غير حده . وقرء بقلب السين صاداً . ﴿ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه . ﴿ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ لثخنه وصلابته . وقيل : حفر للأساس حتى بلغ الماء ، وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى أعلى الجبلين ، ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً . وقيل : بناه من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها .

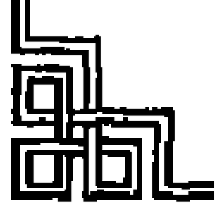
الآيات من ٩٨ : ١٠٥

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن

---

(٤٦) أى الباء المفروضة بعد اتونى ، والتقدير : ائتوني بزبر الحديد . كما حذفت فى أمرتك الخير . أى أمرتك بالخير .

ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ﴾



انهيار هذا السد من علامات الساعة

﴿ قَالَ هَذَا ﴾ هذا السد أو الإقدار على تسويته . ﴿ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ على عباده . ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج . أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة . ﴿ جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ مدكوكاً مبسوطاً مسوى بالأرض، مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل أدك لمنبسط السنام . وقرأ الكوفيون دكاء بالمد أى أرضاً مستوية . ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ كائناً لا محالة وهذا آخر حكاية قول ذي القرنين .

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون فى بعض مزدحمين فى البلاد ، أو يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويؤيده قوله : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ لقيام الساعة ﴿ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ للحساب والجزاء .

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ وأبرزناها وأظهرناها لهم .

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ عن آياتى التي ينظر إليها فأذكر بالتوحيد والتعظيم . ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ استماعاً لذكرى وكلامى لإفراط صممهم عن الحق ، فإن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصمت مسامعهم بالكلية .

وعيد المشركين الذين يتخذون من دون الله أولياء

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أفظنوا والاستفهام للإنكار . ﴿ أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي ﴾ اتخاذهم الملائكة والمسيح . ﴿ مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾ معبودين نافعهم ، أو

لا أعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة ، أوسد أن يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ ﴿ أَفَحَسْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى افكاً فيهم فى النجاة ، وأن بما فى حيزها مرتفع بأنه فاعل حسب ، فإن النعت إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل أو خبر له . ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ ما يقام للنزيل ، وفيه تهكم وتنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه .

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ نصب على التمييز وجمع لأنه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم .

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فإنهم خسروا دنياهم وأخراهم ، ومحله الرفع على الخبر المحذوف فإنه جواب السؤال أو الجر على البدل أو النصب على الذم . ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ بعجبهم واعتقادهم أنهم على حق .

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة . ﴿ وَلِقَائِهِ ﴾ بالبعث على ما هو عليه أو لقاء عذابه . ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ بكفرهم فلا يثابون عليها . ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً ، أو لا نضع لهم ميزاناً يوزن به أعمالهم لا نحباطها .

الآيات من ١٠٦ : ١١٠

﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً (١٠٨) قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾

﴿ ذَلِكَ ﴾ أى الأمر ذلك وقوله : ﴿ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ جملة مبنية له ويجوز

أن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أى جزاؤهم به ، أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر . ﴿ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً ﴾ أى بسبب ذلك .

للمؤمنين جنات الفردوس

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ فيما سبق من حكم الله ووعده ، والفردوس أعلى الجنة ، وأصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ حال مقدرة . ﴿ لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ تحولاً إذ لا يجدون أطيب منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم ، ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود .

كلمات الله لا تنفد

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً ﴾ ما يكتب به ، وهو اسم ما يمد به الشئ كالحبر للدواة والسليط للسراج . ﴿ لِّكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ لكلمات علمه وحكمته . ﴿ لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾ لنفد جنس البحر بأمره لأن كل جسم متناه . ﴿ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ فإنها غير متناهية لا تنفد كعلمه ، وقرأ حمزة والكسائى بالياء . ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ بمثل البحر الموجود . ﴿ مَدَداً ﴾ زيادة ومعونة ، لأن مجموع المتناهين متناه بل مجموع ما يدخل فى الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهياً للدلائل القاطعة على تناهى الأبعاد ، والمتناهى ينفد قبل أن ينفد غير المتناهى لا محالة . وقرىء ينفذ بالياء ومدداً بكسر الميم جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب ومداداً . وسبب نزولها أن اليهود قالوا فى كتابكم ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (٤٧) وتقرءون ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٤٨) .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ لا أدعى الإحاطة على كلماته . ﴿ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا

---

(٤٧) البقرة ٢٦٩

(٤٨) الإسراء ٨٥

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ وإنما تميزت عنكم بذلك . **﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾** يؤمل حسن لقائه أو يخاف سوء لقائه . **﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾** يرتضيه الله . **﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾** بأن يرائيه أو يطلب منه أجراً . روى أن جندب بن زهير قال لرسول الله ﷺ : إنى لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرنى فقال : « إن الله لا يقبل ما شورك فيه(٤٩) » فنزلت تصديقاً له وعنه عليه الصلاة والسلام « **اتقوا الشرك الأصغر** » قالوا وما الشرك الأصغر ؟ قال « **الرياء** » .

والآية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد والإخلاص فى الطاعة . وعن النبى ﷺ « **من قرأها عند مضجعه كان له نوراً فى مضجعه يتلألأ إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم ، فإن كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ** (٥٠) » .

فضل سورة الكهف

وعنه عليه الصلاة والسلام « **من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء** (٥١) » .

---

(٤٩) رواه الواحدى فى أسباب النزول بدون سند

ولهذا الحديث رواية أخرى : هى أنه صلى الله عليه وسلم قال له : « لك أجران ، أجر السر وأجر العلانية » أخرجه الترمذى وابن ماجه وابن حبان وأبو يعلى والبزار من حديث أبى هريرة .

(٥٠) أخرجه إسحاق والبزار من رواية النضر بن شميل .

(٥١) رواه احمد والنسائى من حديث معاذ بن أنس

ومن فضائل سورة الكهف أيضا ماروااه الإمام بن كثير فى تفسيره قال :

* روى الإمام احمد عن البراء قال : « قرأ رجل الكهف وفى الدار دابة ، فجعلت تنفر ، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته ، فذكر ذلك للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : اقرأ فلان ، فإنها السكينة تنزل عند القرآن ، أو تنزلت للقرآن » أخرجاه فى الصحيحين .

* وروى الإمام أحمد عن أبى الدرداء عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال » رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى من حديث قتادة به ، ولفظ الترمذى « من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف » وقال : حسن صحيح .

* وروى الإمام احمد عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » ورواه مسلم أيضا والنسائى من حديث قتادة به .

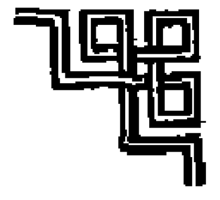
* وأخرج الحاكم فى مستدركه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور مابين الجمعتين » ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

* وروى السيوطى فى الجامع الصغير « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور مابينه وبين البيت العتيق » وقال : أخرجه البيهقى في الشعب عن أبى سعيد ، ورمز له السيوطى بالحسن .

سورة مريم مكية إلا آية السجدة (١)

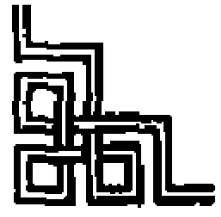
وآياتها ثمان وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٥

﴿ كهيعص ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ ﴾



﴿ كهيعص ﴾ أمال أبو عمرو الهاء لأن ألفات أسماء التهجي ياءات ،وابن عامر وحمزة الياء ، والكسائي وأبو بكر كليهما ، ونافع بين بين ، ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال ، والباقون يدغمونها (٢) .

قصة زكريا وطلبه الولد من الله

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾ خبر ما قبله إن أول السورة أو بالقرآن ، فإنه مشتمل عليه أو خبر محذوف أي : هذا المتلو ذكر رحمة ربك ، أو مبتدأ حذف خبره أي فيما يتلي عليك ذكرها ، وقرئ ذكر رحمة علي الماضي وذكر علي الأمر . ﴿ عَبْدَهُ ﴾ مفعول الرحمة ، أو الذكر علي أن الرحمة فاعله علي الاتساع كقولك :

---

(١) آية السجدة هى الآية ٥٨ فى السورة

وفى تفسير الكشاف هى مكية ماعدا ايتى ٥٨ ، ٧١ فمدنيتان وكذلك فى تفسير ابن كثير ، وفيهما أنها نزلت بعد سورة فاطر .

وجاء فى تفسير ابن كثير : روى محمد بن اسحاق فى السيرة من حديث أم سلمة رضى الله عنها وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود رضى الله عنه فى قصة الهجرة إلى أرض الحبشة أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشى وأصحابه .

(٢) أى يدغمون الدال فى نهاية الحرف (صاد) فى الذال التى بعدها فى كلمة (ذكر) .

ذكرني جود زيد . ﴿ زَكَرِيَّا ﴾ بدل منه أو عطف بيان له .

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ لأن الإخفاء والجهر عند الله سيان ، والإخفاء أشد إخباتاً (٣) وأكثر إخلاصاً ، أو لئلا يلام علي طلب الولد في إِبَّان (٤) الكبر ، أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم ، أو لأن ضعف الهرم أخفي صوته . واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون ، وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون ، وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ تفسير للنداء والوهن الضعف ، وتخصيص العظم لأنه دعامة البدن وأصل بنائه ولأنه أصلب ما فيه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن وتوحيده لأن المراد به الجنس ، وقرئ وهِن ووهُن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث ، ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ،ثم أخرجه مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال إلى الرأس الدي هو مكان الشيب مبالغة ، وجعله مميزا إيضاحا للمقصود ، واكتفي باللام (٥) علي الإضافة للدلالة علي أن علم المخاطب بتَعَيُّن المراد يغني عن التقييد . ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة ، وتنبيه علي أن المدعو له وإن لم يكن معتادا فإجابته معتادة ، وأنه تعالى عَوَّده بالإجابة وأطمعه فيها ، ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه .

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ ﴾ يعني بني عمه (٦) وكانوا أشرار بني إسرائيل ، فخاف أن لا يحسنوا خلافته علي أمته ويبدلوا عليهم دينهم . ﴿ مِن وَرَائِي ﴾ بعد موتي ، وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو يتعلق بمحذوف ، أو بمعني

---

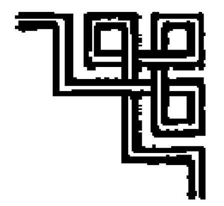
(٣) إخباتا : خشوعا

(٤) إِبَّان ـ بكسر الهمزة ـ وتشديد الباء المفتوحة بعدها ألف : زمان وعهد

(٥) اكتفى باللام : يعنى اكتفى بال فى قوله (الرأس) بدل إضافة الرأس إلى ياء المتكلم ، فلم يقل رأسى . .

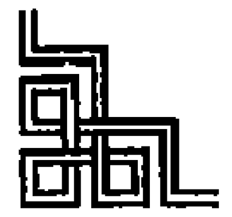
(٦) الموالى : هم العصبة من إخوته وبنى عمه ، وتقدم فى سورة النساء معناها فى قوله تعالى « ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون » النساء ٣٣

الموالي أي خفت فعل الموالي من ورائي، أو الذين يلون الأمر من ورائي . وقرئ خفت الوالي من ورائي ، أي قلوا وعجزوا عن إقامة الدين بعدي ، أو خفوا ودرجوا قدامي ، فعلي هذا كان الظرف متعلقا بخفت . ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ لا تلد . ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ﴾ فإن مثله لا يرجي إلا من فضلك وكمال قدرتك ، فإني وامرأتي لا نصلح للولادة . ﴿ وَلِيًّا ﴾ من صلبي .



الآيات من ٦ : ٩

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) ﴾



﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ صفتان له وجزمهما أبو عمر والكسائي علي أنهما جواب الدعاء ، والمراد وراثة الشرع والعلم فإن الأنبياء لا يورثون المال . وقيل : يرثني الحبورة فإنه كان حبرا (٧) ، ويرث من آل يعقوب الملك ، وهو يعقوب بن إسحاق عليهما الصلاة والسلام . وقيل : يعقوب كان أخا زكريا أو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام . وقرئ يرثني وارث آل يعقوب علي الحال من أحد الضميرين ، وأُوَيْرِث بالتصغير لصغره ، ووارث من آل يعقوب علي أنه فاعل يرثني، وهذا يسمي التجريد في علم البيان لأنه جرد عن المذكور أولا مع أنه المراد . ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ ترضاه قولا وعملا .

إجابة دعائه

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾ جواب لندائه ووعد بإجابة دعائه وإنما تولي تسميته تشريفا له . ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ لم يسم أحد بيحيي قبله ، وهو شاهد بأن التسمية بالأسامي الغريبة تنويه للمسمي . وقيل سميا

---

(٧) الحبورة : العلم والتقدم فى الدين

شبيها كقوله تعالي ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ (٨) لأن المتماثلين يتشاركان في الاسم، والأظهر أنه أعجمي وإن كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمل . وقيل سمي به لأنه حيي به رحم أمه ، أو لأن دين الله حيي بدعوته .

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ جساوة وقحولا في المفاصل ، وأصله عُتُوو كقعود ، فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولي ياء ، ثم قلبت الثانية وأدغمت وقرأ حمزة والكسائي وحفص عتيا بالكسر .

وإنما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بأن المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك : ﴿ قَالَ ﴾ أى الله تعالي أو الملك المبلغ للبشارة تصديقا له . ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ الأمر كذلك ويجوز أن تكون الكاف منصوبة بقال في : ﴿ قَالَ رَبُّكَ ﴾ وذلك إشارة إلي مبهم يفسره . ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ ويؤيد الأول قراءة من قرأ « وهو علي هين » أى الأمر كما قلت ، أوكما وعدت وهو علي ذلك يهون علي ، أو كما وعدت وهو عليّ هين لا أحتاج فيما أريد أن أفعله إلي الأسباب ، ومفعول قال الثاني محذوف .

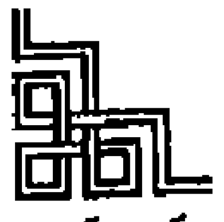
﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ بل كنت معدوما صرفا ، وفيه دليل علي أن المعدوم ليس بشئ ، وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك .

الآيات من ١٠ : ١٨

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠)
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) يَا
يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا
(١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا

(٨) مريم ٦٥

(١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)
قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) ﴾



﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ﴾ علامة أعلم بها وقوع ما بشرتني به . ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ سَوِيَّ الخلق ما بك من خرس ولا بكم ، وإنما ذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران للدلالة علي أنه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن .

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾ من المصلي أو من الغرفة . ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾ فأومأ إليهم لقوله ﴿ إِلا رمزا ﴾ وقيل : كتب لهم علي الأرض . ﴿ أَن سَبِّحُوا ﴾ صلوا أو نزهوا ربكم . ﴿ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ طرفي النهار ، ولعله كان مأمورا بأن يسبح ويأمر قومه بأن يوافقوه ، وأن تحتمل أن تكون مصدرية وأن تكون مفسرة .

أوصاف يحيي

﴿ يَا يَحْيَىٰ ﴾ علي تقدير القول . ﴿ خُذِ الْكِتَابَ ﴾ التوراة ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ بجد واستظهار بالتوفيق . ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ يعني الحكمة وفهم التوراة ، وقيل : النبوة أحكم الله عقله في صباه واستنبأه .

﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ ورحمة منا عليه أو رحمة وتعطفا في قلبه علي أبويه وكغيرهما عطف علي الحكم . ﴿ وَزَكَاةً ﴾ وطهارة من الذنوب ، أو صدقة أي تصدق الله به علي أبويه ، أو مكنه ووفقه للتصدق علي الناس. ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ مطيعا متجنبا عن المعاصي .

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ وبارا بهما . ﴿ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ عاقا أو عاصي ربه .

﴿ وَسَلامٌ عَلَيْهِ ﴾ من الله ﴿ يَوْمَ وُلِدَ ﴾ من أن يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم . ﴿ وَيَوْمَ يَمُوتُ ﴾ من عذاب القبر . ﴿ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ من عذاب النار وهو القيامة .

قصة مريم وحملها بعيسي

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ ﴾ في القرآن ﴿ مَرْيَمَ ﴾ يعني قصتها . ﴿ إِذِ انتَبَذَتْ ﴾ اعتزلت ، بدل (٩) من مريم بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة علي ما فيها ، أو بدل الكل لأن المراد بمريم قصتها وبالظرف الأمر الواقع فيه وهما واحد ، أو ظرف لمضاف مقدر وقيل : إذ بمعني أن المصدرية كقولك : أكرمتك إذ لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة . ﴿ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ شرقي بيت المقدس ، أو شرقي دارها ، ولذلك اتخذ النصاري المشرق قبلة ، ومكانا ظرف أو مفعول لأن انتبذت متضمن معني أتت .

﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ سترا . ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ قيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض متحجبة بشئ يسترها – وكانت تتحول من المسجد إلي بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت – فبينما هي في مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام متمثلا بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ، ولعله لتهيج شهوتها به فتنحدر نطفتها إلي رحمها .

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ ﴾ من غاية عفافها . ﴿ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فإني عائذة منك فكيف إذا لم تكن كذلك .

الآيات من ١٩ : ٢٥

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) ﴾

---

(٩) يعنى أن (إذ) بدل من مريم

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ الذي استعذت به . ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا ﴾ أى لأكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ، ويجوز أن يكون حكاية لقول الله تعالي ، ويؤيده قراءة أبي عمرو والأكثر عن نافع ويعقوب بالياء . ﴿ زَكِيًّا ﴾ طاهرا من الذنوب أو ناميا علي الخير أى مترقيا من سن إلي سن علي الخير والصلاح .

﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ ولم يباشرنى رجل بالحلال، فإن هذه الكنايات إنما تطلق فيه ، أما الزنا فإنما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ، ويعضده عطف قوله : ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وأدغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء ، أو فعيل بمعني فاعل ولم تلحقه التاء لأنه للمبالغة ، أو للنسب كطالق .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ﴾ أى ونفعل ذلك لنجعله آية أو لنبين به قدرتنا ولنجعله ، وقيل : عطف علي ليهب علي طريق الالتفات . ﴿ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾ علامة لهم وبرهانا علي كمال قدرتنا . ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ علي العباد يهتدون بإرشاده . ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ أي تعلق به قضاء الله في الأزل ، أو قدر وسطر في اللوح أو كان أمرا حقيقيا بأن يقضي ويفعل لكونه آية ورحمة .

﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ بأن نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكان مدة حملها سبعة أشهر ، وقيل : ستة ، وقيل :ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره ، وقيل: ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة ، وقيل : عشر سنين وقد حاضت حيضتين . ﴿ فَانتَبَذَتْ بِهِ ﴾ فاعتزلت وهو في بطنها كقوله : تَدُوسُ بنا الجماجم والتريبا (١٠) . والجار والمجرور في موضع الحال . ﴿ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصي الدار .

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ فألجأها المخاض ، بالكسر ، وهما (١١) مصدر مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج . ﴿ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة ، وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء ، والتعريف إما للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثم غيرها

---

(١٠) أى تدوس بنا الجماجم ونحن على ظهورها ، والتريب : عظام الصدر

(١١) وهما : أى المخاض بالفتح والكسر. يعنى فتح الميم وكسرها

وكانت كالمتعالم عند الناس ، ولعله تعالي ألهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها . ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي

*** الإعجاز العلمي**

حول الأعجاز العلمي لنخيل البلح ومافيه من فوائد يقول الشيخ / محمد عبد الصمد فى كتابه الأعجاز العلمي

نخيل البلح :

قال تعالى :﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ النحل ٦٧

وقال :﴿ فأجآءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً * فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ مريم من ٢٣ إلى ٢٥

وقال :﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد ﴾ من ٩ إلى ١٠

وقال :﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات ﴾ البقرة الآية ٢٦٦.

أثبت العلم الحديث أن البلح يحتوى على البروتينات التى تقوم بعملية البناء فهى التى تبنى خلايا الجسم ، وتجدد ما يبلى منها ..

كما يحوى نسبة عالية من السكريات ، وهى سريعة الامتصاص والتمثيل ، لا تحتاج إلى عمليات هضم ، ولا إلى عمليات كيمائية معقدة مثل الدهون والنشويات .. ولذا فهو أفضل الأغذية التى تمد الجسم بالطاقة التى تبعث فى خلايا الجسد النشاط .

ويحتوى البلح على معادن كثيرة مهمة .. وهذه المعادن لها أهميتها فيما يتعلق بالعمليات الكيمائية فى جسم الإنسان ، وتدخل فى تركيب أنسجته ، ونقص أحدها يكون له أثر ضاد على الجسم ، فمثلا الفوسفور : كل ١٠٠ جرام من البلح تحتوى على ٤٠٠ مليجرام من الفوسفور ، فى حين لا تزيد كمية الفوسفور الموجودة في فاكهة ما عن عشرين ملليجرام من نفس الكمية .

والفوسفور يدخل فى تركيب العظام والأسنان .. وهو الغذاء للحجيرات النبيلة فى دماغ الإنسان ، وهى حجيرات التناسل والتفكير ؛ ولذا ينصح الأطباء المفكرين بجعله فى طعامهم حتى لا يصاب العقل بالإجهاد المبكر . كما يحتوى البلح على فيتامين (أ) وهو

متُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ استحياء من الناس ومخافة لومهم ، وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن

* **الإعجاز العلمي**

موجود بنسبة عالية تعادل نسبته في أعظم مصادره . . أى تعادل نسبته في زيت السمك وفي الزبدة .

ومن فوائد هذا الفيتامين أنه يحفظ رطوبة العين وبريقها ، ويقوى الأعصاب البصرية ، ويمنع جفاف الملتحمة والعشى الليلى ، وجفاف الجلد ، ويساعد على النمو والرشاقة .

كما يحتوى البلح أيضاً على فيتامين ب ۱ ، ب ۲ . . وهذه الفيتامينات تساعد على تقوية الأعصاب ، وتلين الأوعية الدموية ، كما أن الألياف السيلولوزية التى يحتويها البلح تساعد على تنشيط حركة الأمعاء ومرونتها ، بحيث يستطيع من اعتادتناول البلح أن ينجو من حالات الإمساك المزمن .

كما أثبتت الدراسات العلمية أن البلح يضفى السكينة والهدوء على النفوس المضطربة والقلقة . . فيقول الدكتور محمد هاشم فى كتابه الأدوية والقرآن الكريم : «وهناك صفة نفسية هامة للتمر ، وهو أنه يضفى السكينة والدعة على النفوس القلقة المضطربة ، وكذلك المزاج العصبى الناجم عن نشاط الغدة الدرقية الرابضة فى مقدم العنق حين ازدياد إفرازاتها . .

وقد عرف أخيراً أن بعض النباتات والثمار لها خاصية الحد من نشاط الغدة الدرقية ، منها الجزر والسبانخ ، واللوز والمشمش ، وفى طليعة هذه النباتات التمر» .

. . . ومن هنا ينصح الطب الحديث بإعطاء كل طفل ثائر عصبى المزاج بضع ثمرات من التمر فى صباح كل يوم ؛ لتضفى السكينة والهدوء على نفسه ، فتحد من تصرفاته واضطرابه ، كما ينصح كل شخص لا يستسيغ تناول الإفطار أن يأخذ تمرات مع كوب الحليب صباح كل يوم فتزوده بالوقود اللازم لفكره وجسده طول النهار ، بخلاف تهدئة أعصابه . . ويعتقد العلماء أن وجود الأملاح المعدنية القلوية فى البلح تسبب تعادل حموضة الدم المتأتية عن تناول النشويات بكثرة .

والمعروف أن حموضة الدم هى السبب فى عدد غير قليل من الأمراض الأسرية الوراثية كحصيات الكلى والمرارة ، والنقرس ، وارتفاع ضغط الدم وغيرها !!

كما أن البلح يفيد فى حالات اضطراب المجارى البولية ، ويدر البول ، ويساعد الجهاز الهضمى وينبه حركته ، فيزيل الإمساك كما سبق أن أشرنا .

وإذا ما أكل البلح قبل نضجه فإنه يوقف الإسهال ، ويسبب الإمساك ، ويستعمل

=

عامر وأبو بكر مت من مات يموت . ﴿ وَكُنتُ نَسْيًا ﴾ ما من شأنه أن ينسي ولا

* الإعجاز العلمي

بفعالية في الالتهابات ، ويوقف النزيف الدموى ، ويقوى الكلى المهزولة .

ويقول الدكتور محمد هاشم «إنه يقطع السعال المزمن ، وأوجاع الصدر، ويستأصل البلغم وخصوصاً إذا كان على الريق ، ويولد الدم القوى ، ويصلح أوجاع الظهر» .

وقد قرر العلم أخيراً أن بالرطب هرمونا يسمى « البتوسين» يقوى العضلات الرحمية وينظم الانضباطات العضلية .

ومن عجب أن هذا الهرمون « البيتوسين » يقوم بعمل وعكسه فى آن واحد طبقاً لحاجة الجسم ، فهو يزيد من الطلق فى الحوامل عند الولادة ، إذا كان الطلق بارداً ، ويقلل منه إذا كان حامياً أكثر مما يجب .. فهو ينظم الطلق ، ويجعله متوازناً مع درجات اكتمال الحمل وساعات الولادة ؛ ولذا فهو يعد أكبر مساعد للوضع .

ويتداول هذا الهرمون طبيا ـ الآن ـ بعد استخلاصه مــن الرطب فعلاً ، كما وجد أن لهذا الهرمون خاصية منع النزيف عقب الولادة والوقاية من أمراض الولادة ، وعلى رأسها حمى النفاس .

من هنا تتجلى لنا عظمة تلك الآية الكريمة :

﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً * فكلى واشربى وقرى عينا ﴾مريم من ٢٣ إلى ٢٥

تلك الآية الكريمة المتخصصة فيما تضمنته من ذكر لهرمون الرطب يعد إعجازاً علمياً ولا سيما بعد أن كشفت البحوث العلمية التى أجريت أن البلح منبه لحركة الرحم ويزيد انقباضاته ، مما يساعد مساعدة قوية على تسهيل الولادة ، وعلى منع المضاعفات بعدها من نزيف يؤدى إلى الموت ، ومن حمي النفاس؛ لأن الرحم التى لا تنقبض انقباضاً شديداً تكون أشد عرضة لهجوم الميكروبات .

وكذلك يحوى الرطب أنواعاً من السكر ، مثل الفركتوز والجلوكوز والمعادن والبروتين ، فإذا أكلته المرأة فى المخاض ، كان ذلك من أحسن الأغذية لها ؛ ذلك أن عملية الولادة عملية شاقة ، وتستهلك كمية كبيرة من الطاقة ، والرطب يعطى المرأة فى حالة المخاض هذه الطاقة الكبيرة جاهزة للامتصاص والتمثيل ، ولا تحتاج إلى وقت لهضمها .

وثبت علمياً أن المكثرين من أكل الرطب أقل الناس إصابة بمرض السرطان .. كما أن الرطب به مواد مسهلة فتنظف الأمعاء .. وذلك مما يساعد على الولادة ؛ لأن الأمعاء

يطلب ونظيره الذبح لما يذبح ، وقرأ حمزة بالفتح وهو لغة فيه أو مصدر سمي به ، وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته . ﴿ مَّنسِيًّا ﴾ منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم علي الاتباع .

﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ﴾ عيسى ، وقيل جبريل كان يقبل الولد ، وقيل تحتها أسفل من مكانها . وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر علي أن في نادي ضمير أحدهما ، وقيل : الضمير في تحتها للنخلة . ﴿ أَلاَّ تَحْزَنِي ﴾ أي لا تحزني أو بأن لا تحزني . ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ جدولا هكذا روي مرفوعا (١٢) ، وقيل سريا من السَّرْو (١٣) وهو عيسي عليه الصلاة والسلام .

---

(١٢) السَّرو : سخاء فى مروءة

(١٣) روى مرفوعا : يعنى أن هناك رواية مرفوعة عن أبى سنان سنان بن سعيد رواها الطبرانى فى الصغير تقول : سئل النبى - صلى الله عليه وسلم - عن السرى فقال « هو الجدول »

* الإعجاز العلمى

الغليظة والمستقيم الممتلئ بالنفايات ، يعيق حركة الرحم وانقباضه .. ولذا يحرص أطباء النساء والولادة على إعطاء الأم عند بداية المخاض حقنه شرجية لتنظيف المستقيم والأمعاء الغليظة . وتحتاج المرأة فى حالة المخاض أيضاً إلى السوائل ..

ولذا قال تعالى: ﴿ فكلي واشربي وقري عيناً ﴾ .

وذلك لأن شرب الماء يعتبر مذيباً للمواد الموجودة فى الرطب ، فيسهل امتصاصها فضلاً عن أن مجهوداً شاقاً مثل الولادة يتطلب سوائل .

وهذه الآيات القليلات ، إعجاز علمى كامل ؛ لأنها أوضحت أهم ما وصل إليه الطب الحديث فى الولادة .

ومن ناحية أخرى نجد الأطباء ينصحون الصائمين الذين يشعرون بالدوار والتراخى وزوغان البصر ، بتناول التمر عند الإفطار ؛ لأنه يزيل هذه الأعراض بعد وقت وجيز .

هذا ، وقد أطلق عليه بعض العلماء « المنجم » لأنه غنى بالمعادن المختلفة ، فضلاً عن احتوائه على نسب عالية من الفيتامينات .

من ذلك كله يتجلى لنا مدى الإعجاز العلمى الكبير فى بيان القرآن لمكانة البلح بين مختلف الأشجار لما له من فوائد عديدة غذاء ودواء كما رأينا .

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ وأميليه إليك ، والباء مزيدة للتأكيد أو افعلي الهز والأمالة به ، أو هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع . ﴿ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ ﴾ تتساقط فأدغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة ، وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعني أسقطت ، وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع . ﴿ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾" تمييز أو مفعول .

روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء ، فهزتها فجعل الله تعالي لها رأسا وخوصا ورطبا . وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة علي براءة ساحتها ، فإن مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش ، والمنبهة لمن رآها علي أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر أن يحبلها من غير فحل ، وأنه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الأمرين فقال :

الآيات من ٢٦ : ٣٠

﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) ﴾

﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي ﴾ أى من الرطب وماء السري أو من الرطب وعصيره . ﴿ وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ وطيبي نفسك (١٤) وارفضي عنها ما أحزنك ، وقرئ وقري

---

(١٤) جاء فى كتاب العلاج بالتمر والرطب تحت عنوان « فى الطب القرآنى » تعليق على هذه الآية :

جاءت الأبحاث الطبية لتكشف عن آثار الرطب التى تعادل آثار العقاقير الميسرة لعملية الولادة ، والتى تكفل سلامة الأم والجنين معا ، فهو يقوم بدور الهرمونات التى يصفها الطبيب . حيث أمكن فصل هرمون منه يشبه فى فعله هرمون « الأكسى توسين » هو من

بالكسر وهو لغة نجد ، واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلي غيره ، أو من القر فإن دمعة السرور بارادة ودمعة الحزن حارة ، ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه .

﴿ **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا** ﴾ فإن تري آدميا ، وقرئ ترئن علي لغة من يقول: لبأت بالحج ، لتآخ بين الهمزة وحرف اللين . ﴿ **فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا** ﴾ صمتا وقد قرئ به ، أو صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم . ﴿ **فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا** ﴾ بعد أن أخبرتكم بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي . وقيل: أخبرتهم بنذرها بالإشارة ، وأمرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسي عليه الصلاة والسلام فإنه قاطع في قطع الطاعن .

الهرمونات البتيدية الذى يؤدى إلى حدوث تقلص فى الألياف العضلية المحيطة بحويصلات الغدد اللبنية ، ويؤدى إلى إفراز اللبن ، بالإضافة إلى ذلك فإنه كلما اقترب موعد الوضع تزداد حساسية الرحم لتأثير هذا الهرمون ، ذلك التأثير الذى يسبب تقلص تلك العضلات .

وكذلك فإنه يشجع السير الطبيعى لعمليات الوضع لقدرته على تنظيم الميزان المائى للجسم والضغط الأسموزى لبلازما الدم .

بالاضافة إلى ماذكر نجد أن البلح أو التمر يحتوى على الجلوكوز ـ سكر العنب ـ وهو من أهم مكوناته السكرية . . .

ويقرر العلماء أن بالرطب هرمونا اسمه « البتوسين » الذى يعمل على تقوية عضلات الرحم وينظم الانقباضات العضلية ، ومن عجب أن هذا الهرمون يقوم بالعمل وعكسه فى آن واحد طبقا لحاجة الجسم ، فهو يزيد من الطلق فى الحوامل عند الولادة إذا كان الطلق باردا ، ويقلل منه إذا كان حاميا . . فهو أكبر مساعد دوائى للوضع

كما وجد لهذا الهرمون خاصية أخرى ، إذ يمنع النزيف عقب الولادة ، ويقى من حمى النفاس ، وهى من أهم المخاطر التى قد تعقب عملية الولادة . ولعل هذا سر من الأسرار التى تقرره الآية الكريمة فى أمره سبحانه وتعالى لمريم عليها السلام « وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى واشربى وقرى عينا » ـ العلاج بالتمر والرطب م نبيل على عبد السلام حـ ٦٢ صـ ٦٣

﴿ فَأَتَتْ بِهِ ﴾ أي مع ولدها . ﴿ قَوْمَهَا ﴾ راجعة إليهم بعد ما طهرت من النفاس . ﴿ تَحْمِلُهُ ﴾ حاملة إياه . ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ أي بديعا منكرا من فري الجلد .

﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ يعنون هارون النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة وقيل : كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة . وقيل : هو رجل طالح أو صالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما ، أو لما رأوا قبل من صلاحها ، أو شتموها به [15] . ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ تقرير لأن ما جاءت به فري ، وتنبيه علي أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش .

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ إلي عيسي عليه الصلاة والسلام أي كلموه ليجيبكم . ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل، وكان زائدة ، والظرف صلة من ، وصبيا حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كقوله تعالي ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [16] أو بمعني صار .

أوصاف عيسي

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ أنطقه الله تعالي به أولا لأنه أول المقامات والرد علي من يزعم ربوبيته . ﴿ آتَانِيَ الْكِتَابَ ﴾ الإنجيل . ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ .

الآيات من ٣١ : ٣٨

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن

---

(١٥) شتموها به : على احتمال أن هناك من اسمه هارون وهو رجل طالح شبهوها به

(١٦) النساء ١٧ .

بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٨) ﴾

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴾ نافعا معلما للخير ، والتعبير بلفظ الماضي إما باعتبار ما سبق في قضائه ، أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع ، وقيل : أكمل الله عقله واستنبأه طفلا . ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ حيث كنت . ﴿ وَأَوْصَانِي ﴾ وأمرني ﴿ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ زكاة المال إن ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل . ﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ .

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ وبارا بها عطف علي مباركا ، وقرئ بالكسر علي أنه مصدر وصف به أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني ، أي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا علي الصلاة . ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ عند الله من فرط تكبره .

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ كما هو علي يحيي ، والتعريف للعهد ، والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن علي أعدائه ، فإنه لما جعل جنس السلام علي نفسه عرض بأن ضده عليهم كقوله تعالي ﴿ والسلام علي من اتبع الهدي ﴾ (١٧) فإنه تعريض بأن العذاب علي من كذب وتولي .

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ أى الذي تقدم نعته هو عيسي ابن مريم لا ما يصفه النصاري ، وهو تكذيب لهم فيما يصفونه علي الوجه الأبلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا بأضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم . ﴿ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾ خبر محذوف أى هو قول الحق الذي لا ريب فيه ، والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة . وقيل صفة عيسي أو بدل أو خبر ثان ومعناه كلمة الله . وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب علي أنه مصدر مؤكد . وقرئ قال الحق وهو بمعني القول . ﴿ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ في أمره يشكون أو يتنازعون ، فقالت اليهود ساحرا ، وقالت النصاري : ابن الله وقرئ بالتاء علي الخاطب .

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ﴾ تكذيب للنصاري وتنزيه لله تعالي عما بهتوه . ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ تبكيت لهم ، فإن من إذا أراد شيئا أوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق إلي الحاجة في اتخاذ الولد بإحبال الإناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب علي الجواب .

---

(١٧) طه ٤٧

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ سبق تفسيره في سورة آل عمران ، (١٨) وقرأ الحجازيان والبصريان وأن بالفتح علي ولأن وقيل إنه معطوف علي الصلاة .

اختلاف الأحزاب في شأن عيسي ووعيد الضالين في أمره

﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ﴾ اليهود والنصاري . أو فرق النصاري ، نسطورية قالوا إنه ابن الله ، ويعقوبية قالوا هو الله هبط إلي الأرض ثم صعد إلي السماء . وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه . ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه ، وهو يوم القيامة أو من وقت الشهود أو من مكانه فيه ، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وآرابهم وأرجلهم بالكفر والفسق ، أو من وقت الشهادة أو من مكانها . وقيل هو ما شهدوا به في عيسي وأمه .

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ تعجب معناه أن أسماعهم وأبصارهم . ﴿ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ أي يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما عميا في الدنيا ، أو التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ . وقيل : أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه ، والجار والمجرور علي الأول في موضع الرفع وعلي الثاني في موضع النصب ﴿ لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ أوقع (الظالمون) موقع الضمير إشعارا بأنهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم ، وسجل علي إغفالهم بأنه ضلال بين .

الآيات من ٣٩ : ٤٥

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) ﴾

---

(١٨) في الآية رقم ٥٠ من سورة آل عمران

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ يوم يتحسر الناس : المسئ علي إساءته ، والمحسن علي قلة إحسانه . ﴿ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلي الجنة والنار (١٩) وإذ بدل من اليوم أو ظرف للحسرة . ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض ، أو بأنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين ، فتكون حالا متضمنة للتعليل .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ لا يبقي غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك ، أو نتوفي الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفي الوارث لإرثه . ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ يردون للجزاء .

قصة إبراهيم مع أبيه

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا ﴾ ملازما للصدق ، أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالي وآياته وكتبه ورسله . ﴿ نَبِيًّا ﴾ استنبأه الله .

﴿ إِذْ قَالَ ﴾ بدل من إبراهيم وما بينهما اعتراض ، أو متعلق بكان أو بصديقا نبيا . ﴿ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ ﴾ التاء معوضة من ياء الإضافة ولذلك لا يقال يا أبتي ويقال يا أبتا ، وإنما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها . ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا

---

(١٩) عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سئل عنه ، أى عن قضاء الأمر ، فقال : « حين يذبح الكبش والفريقان ينظران »

وذبح الكبش رواه الإمام احمد عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : ياأهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت . قال : فيقال : ياأهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت قال : فيؤمر به فيذبح قال : ويقال : ياأهل الجنة خلود ولاموت ، وياأهل النار خلود ولاموت » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون » وأشار بيده ثم قال : « أهل الدنيا فى غفلة الدنيا »

هكذا رواه الإمام احمد ، وقد أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن الأعمش به ولفظهما قريب من ذلك . وفيهما عن ابن عمر رضى الله عنهما أيضا .

يُبْصِرُ ﴾ فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويري خضوعك . ﴿ **وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** ﴾ في جلب نفع أو دفع ضر ، دعاه إلي الهدي وَبيّنَ ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب ، حيث لم يصرح بضلاله ، بل طلب العلة التي تدعوه إلي عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبي الركون إليه ، فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ، ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام : وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ، ونبه علي أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح ، والمخلوق المعبود [٢٠] لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا علي النفع والضر لاستنكف العقل القويم من عبادته وإن كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة ، فكيف إذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ؟؟ ثم دعاه إلي أن يتبعه ليهديه إلي الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي فقال :

﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا** ﴾ ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ، بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق ، ثم ثَبَّطَه عما كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر ، فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث إنه الآمر به فقال :

﴿ **يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ** ﴾ ولما استهجن ذلك بين وجه الضر فيه بأن الشيطان مستعص علي ربك المولي للنعم كلها بقوله : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا** ﴾ ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص ، وكل عاص حقيق بأن تسترد منه النعم وينتقم منه ،ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر إليه فقال :

﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا** ﴾ قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك ، أو ثابتا في موالاته فإنه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب . وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب إما للمجاملة

---

(٢٠) الكلمتان اللتان بين القوسين أضفناهما لاستقامة الكلام ، ووضعناهما بدل ماهو فى الأصل (والشيء) ، وحذفنا بعد قوله النفع والضر عبارة (ولكن كان ممكنا) لعدم استقامتها مع المطلوب .

أو لخفاء العاقبة ، ولعل اقتصاره علي عصيان الشيطان من بين جناياته لارتقاء همته في الربانية ، أو لأنه ملاكها أو لأنه من حيث إنه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها .

الآيات من ٤٦ : ٥٢

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ قابل استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبتي بيا بني ، وأخره وقدم الخبر علي المبتدأ وصدره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة علي ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال : ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ عن مقالك فيها أو الرغبة عنها .

﴿ لأَرْجُمَنَّكَ ﴾ بلساني يعني الشتم والذم أو بالحجارة حتي تموت ، أو تبعد مني . ﴿ وَاهْجُرْنِي ﴾ عطف علي ما دل عليه لأرجمنك أى فاحذرني واهجرني . ﴿ مَلِيًّا ﴾ زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني .

﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ ﴾ توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة ، أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك ولكن : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾ لعله يوفقك للتوبة والإيمان ، فإن حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ بليغا في البر والإلطاف .

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ بالمهاجرة بديني . ﴿ وَأَدْعُو رَبِّي ﴾ وأعبده وحده . ﴿ عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ خا ئبا ضائع السعي

مثلكم في دعاء آلهتكم ، وفي تصدير الكلام بعسي التواضع وهضم النفس ، والتنبيه علي أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجبتين ، وأن ملاك الأمر خا تمته ، وهو غيب .

﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ بالهجرة إلي الشام . ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ بدل من فارقهم من الكفرة ، قيل : إنه لما قصد الشام أتي أولا حران وتزوج بسارة وولدت له إسحاق وولد منه يعقوب ، ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء ، أولأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله علي الانفراد . ﴿ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ وكلا منهما أو منهم .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا ﴾ النبوة والأموال والأولاد . ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ يفتخر بهم الناس ويثنون غليهم ، استجابة لدعوته﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ [٢١] والمراد باللسان ما يوجد به ، ولسان العرب لغتهم وإضافته إلي الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة علي أنهم أحقاء بما يثنون عليهم، وأن محامدهم لا تخفي علي تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل.

إشارة إلى قصة موسى وهارون

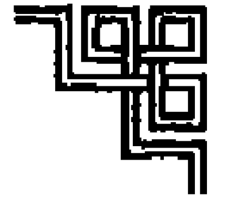
﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾موحداً أخلص عبادته عن الشرك والرياء، أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه ، وقرأ الكوفيون بالفتح[٢٢] علي أن الله أخلصه .﴿ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ أرسله الله إلي الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولاً مع أنه أخلص وأعلى.

﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ ﴾من ناحيته اليمنى من اليمين، وهي التي تلي يمين موسى من جانبه الميمون من اليمن بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة . ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ ﴾ تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته .﴿ نَجِيًّا ﴾ مناجيا حال من أحد الضميرين . وقيل : مرتفعاً ، من النجوة وهو الارتفاع . لما روي أنه فوق السموات حتى سمع صرير القلم.

---

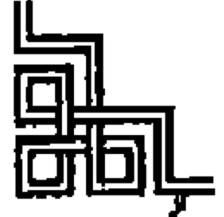
(٢١) الشعراء ٨٤

(٢٢) بالفتح : يعنى (أنَّ) المفتوحة



الآيات من ٥٣ : ٥٧

﴿ ووَهَبْنَا لَهُ من رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥٤) وكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وكَانَ عَندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) ﴾



﴿ ووَهَبْنَا لَهُ من رَّحْمَتِنَا ﴾ من أجل رحمتنا أوبعض رحمتنا . ﴿ أَخَاهُ ﴾ معاضدة أخيه وموازرته إجابة لدعوته ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي ﴾ (٢٣) فإنه كان أسن من موسي ، وهو مفعول أو بدل علي تقدير أن تكون من للتبعيض ﴿ هَارُون ﴾ عطف بيان له ﴿ نَبِيًّا ﴾ حال منه .

أوصاف إسماعيل :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ ذكره بذلك لأنه المشهور به والموصوف بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره ، وناهيك أنه وعد الصبر علي الذبح فقال : ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾(٢٤) فوفي ﴿ وكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ يدل علي أن الرسول لايلزم أن يكون صاحب شريعة ، فإن أولاد إبراهيم كانوا علي شريعته .

﴿ وكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ اشتغالاً بالأهم وهو أن يقبل الرجل علي نفسه ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل ، قال الله تعالي ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (٢٥) ﴿ وأمر أهلك بالصلاة ﴾ (٢٦) . ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾(٢٧) . وقيل أهله أمته فإن الأنبياء آباء الأمم . ﴿ وكَانَ عَندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ لاستقامة أقواله وأفعاله .

أوصاف إدريس

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ﴾ وهو سبط شيث وجد أبى نوح عليهم الصلاة والسلام ، واسمه أخنوخ ،واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه ، نعم لا

(٢٣) طه ٢٩ (٢٤) الصافات ١٠٢ (٢٥) الشعراء ٢١٤
(٢٦) طه ١٣٢ (٢٧) التحريم ٦

يبعد أن يكون معناه فى تلك اللغة قريباً من ذلك فلقب به لكثرة درسه، إذ روى أنه تعالي أنزل عليه ثلاثين صحيفة ، وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب . ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾.

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ يعني شرف النبوة والزلفي عند الله ، وقيل : الجنة . وقيل السماء السادسة أوالرابعة .

الآيات من ٥٨ : ٦٢

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) ﴾

سلالة الأنبياء

﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ إشارة إلي المذكورين في السورة من زكريا إلي إدريس عليهم الصلاة والسلام .﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ بأنواع النعم الدينية والدنيوية ﴿ مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾ بيان للموصول .﴿ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ ﴾ بدل منه بإعادة الجار، ويجوز أن تكون من فيه للتبعيض لأن المنعم عليهم أعم من الأنبياء وأخص من الذرية . ﴿ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ أي ومن ذرية من حملنا خصوصاً ، وهم من عدا إدريس ، فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح. ﴿ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الباقون.﴿ وَإِسْرَائِيلَ ﴾ عطف علي إبراهيم أي ومن ذرية إسرائيل ، وكان منهم موسي وهارون وزكريا ويحيي وعيسي ، وفيه دليل علي أن أولاد البنات من الذرية . ﴿ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا ﴾ ومن جملة من هديناهم إلي الحق .﴿ وَاجْتَبَيْنَا ﴾ للنبوة والكرامة .﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ خبر لأولئك إن

جعلت الموصول صفته، واستئناف إن جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله وإخباتهم له، مع مالهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفي من الله تعالي. وعن النبي ﷺ « اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » (٢٨) والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد. وقرئ يتلي بالياء لأن التأنيث غير حقيقي، وقرأ حمزة والكسائى بكياً بكسر الباء.

الأشقاء من بعدهم

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح، وخلف سوء بالسكون. ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾ تركوها أو أخروها عن وقتها ﴿ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والانهماك في المعاصي. وعن علي رضي الله تعالي عنه في قوله ﴿ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾. من بني الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور. ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ شراً كقوله :

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمِد النَّاس أَمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْو لا يعْدَمْ عَلَيٍّ الغَيّ لائماً (٢٩)

أو جزاء غي كقوله تعالي ﴿ يلق أثاما ﴾ (٣٠) أو غيا عن طريق الجنة، وقيل هو واد في جهنم يستعيذ منه أوديتها.

التائب المؤمن الصالح جزاؤه الجنة

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ يدل علي أن الآي في الكفرة. ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب علي البناء للمفعول من أدخل. ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ ولا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم،

---

(٢٨) أخرجه أحمد والبزار من طريق عبد الرحمن بن أبى مليكة عن سعيد بلفظ (إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ..

(٢٩) هذا البيت للمرقش الأصغر.

ومعناه : أن الذى يلقى الخير من الناس يحمده الناس ويحتفون به، والذى يقترف الإثم يذمونه، وقيل : المقصود بالخير الغنى، وبالغى الفقر.

(٣٠) الفرقان : ٦٨

ويجوز أن ينتصب شيئا علي المصدر ، وفيه تنبيه علي أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم .

﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها ، أو منصوب علي المدح ، وقرئ بالرفع علي أنه خبر مبتدأ محذوف ، وعدن لأنه المضاف إليه في العلم أو علم للعدن بمعني الإقامة كبرة ولذلك صح وصف ما أضيف إليه بقوله : ﴿ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ أي وعدها إياهم وهي غائبة عنهم ، أو وهم غائبون عنها ، أو وعدهم بإيمانهم بالغيب . ﴿ إِنَّهُ ﴾ إن الله . ﴿ كَانَ وَعْدُهُ ﴾ الذي هو الجنة . ﴿ مَأْتِيًّا ﴾ يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة ، وقيل هو من أتي إليه إحسانا أي مفعولا منجزا .

﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ فضول كلام . ﴿ إِلاَّ سَلامًا ﴾ ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ، أو تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم، علي بعض علي الاستثناء المنقطع ، أو علي أن معني التسليم إن كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله :

وَلا عَيْبَ فِيهِمِ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ(٣١)

أو علي أن معناه الدعاء بالسلامة وأهلها أغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وإنما فائدته الإكرام . ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ علي عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة ، وقيل : المراد دوام الرزق ودروره .

الآيات من ٦٣ : ٦٧

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) ﴾

(٣١) البيت للنابغة الذبياني يمدح الغساسنة ملوك الشام ، وقد تقدم شرحه وفيه من ألوان البديع المدح بما يشبه الذم .

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقي علي الوارث مال مورثه ، والوراثة أقوي لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ، ولا تبطل برد ولا إسقاط . وقيل : يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة في كرامتهم ، وعن يعقوب نُوَرِّث بالتشديد .

نزول الملائكة بالوحي بأمر الله

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ حكاية قول جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطأه رسول الله ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ، ورجا أن يوحي إليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوما ، وقيل : أربعين يوما حتي قال المشركون ودعه ربه وقلاه (٣٢) ، ثم نزل بيان ذلك .

والتنزيل النزول علي مهل لأنه مطاوع نزل وقد يطلق بمعني النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعني أنزل ، والمعني وما ننزل وقتا غب وقت إلا بأمر الله علي ما تقتضيه حكمته ، وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي .

﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحايين لا ننتقل من مكان إلي مكان ، ولا ننزل في زمان دون زمان إلا بأمره ومشيئته . ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ تاركا لك أي ما كان عدم النزول إلا لعدم الأمر به ، ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة وإنما كان لحكمة رآها فيه .

وقيل : أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة ، والمعني وما ننزل الجنة إلا بأمر الله ولطفة ، وهو مالك الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفة وفضله وقوله ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ تقرير من الله لقولهم أى وما كان ربك نسيا لأعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله :

---

(٣٢) ذكره السيوطى فى لباب النقول مرويا عن ابن أبى حاتم عن عكرمة قال : ورواه اسحاق عن ابن عباس قال السيوطى : وأخرج ابن مردويه عن أنس قال : سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبريل : أى البقاع أحب إلى الله وأبغض إلى الله ؟ فقال : ما أدرى حتى سأل ، فنزل جبريل وقد أبطأ عليه ، فقال : لقد أبطأت على حتى ظننت أن ترى علىّ موجدة . فقال : ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾ .. الآية

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ بيان لامتناع النسيان عليه ، وهو خبر محذوف أو بدل من ربك ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ خطاب للرسول ﷺ مرتب عليه ، أي لما عرفت ربك لأنه لا ينبغي له أن ينساك ، أو أعمال العمال فأقبل علي عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بإبطاء الوحي وهزء الكفار ، وإنما عدي باللام لتضمنه معني الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب : اصطبر لقرنك .

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ مثلا يستحق أن يسمي إلها ، أو أحدا سمي الله فإن المشتركين وإن سموا الصنم إلها لم يسموه الله قط ، وذلك لظهور أحديته تعالي ، وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة ، وهو تقرير للأمر أي إذا صح أن لا أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لأمره والاشتغال بعبادته والاصطبار علي مشاقها .

إنكار الكفار البعث

﴿ وَيَقُولُ الإِنسَانُ ﴾ المراد به الجنس بأسره فإن المقول فيما بينهم وإن لم يقله كلهم كقولك : بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم ، أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أبي بن خلف فإنه أخذ عظاما بالية ففتها وقال : يزعم محمد أننا نبعث بعدما نموت . ﴿ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ من الأرض أو من حال الموت ، وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار لأن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة ، وانتصابه بفعل دل عليه أخرج لا به فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها ، وهي ها هنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معني الحال ، كما خلصت الهمزة واللام في يا ألله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال . وروي عن ابن ذكوان إذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة علي الخبر .

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنسَانُ ﴾ عطف علي يقول ، وتوسيط همزة الإنكار بينه وبين العاطف مع أن الأصل أن يتقدمهما للدلالة علي أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن المعطوف عليه إنما نشأ منه فإنه لو تذكر وتأمل : ﴿ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ بل كان عدما صرفا ، لم يقل ذلك فإن أعجب من جمع المواد بعد التفريق وإيجاد مثل ما كان فيها من الأعراض . وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن

يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر ، وقرئ يتذكر علي الأصل (٣٣) .

الآيات من ٦٨ : ٧٢

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴾

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ أقسم باسمه تعالي مضافا إلي نبيه تحقيقا للأمر وتفخيما لشأن رسول الله ﷺ .

﴿ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ عطف أو مفعول معه لما روي أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم كل مع شيطانه في سلسلة ، وهذا وإن كان مخصوصا بهم ساغ نسبته إلي الجنس بأسره ، فإنهم إذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم . ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ ﴾ ليري السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا ، وينال الأشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم إلي دار الثواب وشماتتهم عليهم ﴿ جِثِيًّا ﴾ علي ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع ، أو لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل إلي الثواب والعقاب ، وأهل الموقف جاثون لقوله تعالي ﴿ وتري كل أمة جاثية ﴾ (٣٤) علي المعتاد في مواقف التقاول ، وإن كان المراد بالإنسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف إلي شاطئ جهنم إهانة بهم ، أو

---

(٣٣) فيما أثر من أحاديث حول هذه الآية الكريمة روى البخارى فى صحيحه فى كتاب التفسير - من سورة الإخلاص صـ ٦ صـ ١٦٠ : عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى « كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فاما تكذيبه إياى فقوله : لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه إياى فقوله : اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد»

ورواه النسائى فى سننه - باب أرواح المؤمنين . الأحاديث القدسية ص ٢٨

(٣٤) الجاثية ٢٨

لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة . وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم .

﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ من كل أمة شاعت دينا . ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ من كان أعصي وأعتي منهم فنطرحهم فيها ، وفي ذكر الأشد تنبيه علي أنه تعالي يعفو كثيرا من أهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم فأعتاهم ويطرحهم في النار علي الترتيب ، أو يدخل كلا طبقتها التي تليق به ، وأيهم مبني علي الضم عند سيبويه لأن حقه أن يبني كسائر الموصولات ، لكنه أعرب حملا علي كل وبعض للزوم الإضافة وإذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد إلي حقه منصوب المحل بننزعن ، ولذلك قرئ منصوبا ، ومرفوع عند غيره إما بالابتداء علي أنه استفهامي وخبره أشد ، والجملة محكية وتقدير الكلام : لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم أيهم أشد ، أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم ، أو مستأنفة شيعة ، على زيادة من ، أو على معنى لتنزعن بعض كل شيعة ، وإما بشيعة لأنها بمعني تشيع ، وعلي للبيان أو متعلق بأفعل، وكذا الباء في قوله :

﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ أي لنحن أعلم بالذين هم أولي بالصلي ، أو صليهم أولي بالنار . وهم المنتزعون وبجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا رؤساء الشيع فإن عذابهم مضاعف لضلالهم وإضلالهم . وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد .

كل الناس يردون جهنم : المؤمن والكافر

﴿ وَإِن مِّنكُمْ ﴾ وما منكم التفات إلي الإنسان ويؤيده أنه قرئ وإن منهم . ﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ إلا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم . وعن جابر رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عنه فقال : **إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض : أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم : قد وردتموها وهي خامدة .** (٣٥) وأما قوله تعالي ﴿ أولئك عنها

(٣٥) رواه ابن اسحاق وأبو عُبيدَ فى غريب الحديث ، وابن المبارك فى الزهد من طريق خالد ابن معدان بلفظ « إذا جاز المؤمنون الصراط نادى بعضهم بعضا ألم يعدنا ربنا ؟ فذكره » ورواه الواحدي والبغوى أيضا من هذا الوجه ـ من تعليق محقق الكشاف .

مبعدون ﴾ (٣٦) فالمراد عن عذابها . وقيل : ورودها الجواز علي الصراط فإنه ممدود عليها . ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ كان ورودهم واجبا أوجبه الله علي نفسه وقضي به بأن وعد به وعدا لا يمكن خلفه. وقيل أقسم عليه .

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ فيساقون إلي الجنة ، وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف ، وقرئ ثم بفتح الثاء أى هناك . ﴿ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ منهارا بهم كما كانوا ، وهو دليل علي أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة إلي الجنة بعد تجاثيهم ، وتبقي الفجرة فيها منهارا بهم علي هيئاتهم .

الآيات من ٧٣ : ٧٦

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا (٧٤) قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا (٧٥) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (٧٦) ﴾

إعراض الكفار عن سماع الآيات البينات والانتفاع بها

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ مرتلات الألفاظ مبينات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول ﷺ وواضحات الإعجاز . ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لأجلهم أو معهم . ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ ﴾ المؤمنين والكافرين . ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ موضع قيام أو مكانا . وقرأ ابن كثير بالضم أي موضع إقامة ومنزل . ﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مجلسا ومجتمعا ، والمعني أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها ، أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها علي فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالي ، لقصور نظرهم علي الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك أيضا مع التهديد نقضا بقوله :

(٣٦) الأنبياء ١٠١

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴾ وكم مفعول أهلكنا ، ومن قرن بيانه، وإنما سمي أهل كل عصر قرنا أي مقدما من قرن الدابة وهو مقدمها لأنه يتقدم من بعده ، وهم أحسن صفة لكم وأثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت. وقيل: هو لما جد منه، والخرثي[٣٧]ما رث، والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز ، وقرأ نافع وابن عامر ريا علي قلب الهمزة وإدغامها ، أو علي أنه من الري الذي هو النعمة ، وقرأ أبو بكر رييا علي القلب ، وقرئ ريا بحذف الهمزة، وزيا من الزي وهو الجمع فإنه محاسن مجموعة ، ثم بين أن تمتيعهم استدراج وليس بإكرام وأنما العيار علي الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله :

الله يمهل ولا يهمل

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به ، وإنما أخرجه علي لفظ الأمر إيذانا بأن إمهاله مما ينبغي أن يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالي ﴿ إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ﴾ [٣٨] وكقوله ﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ [٣٩] ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ﴾ غاية المد . وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أي قالوا أي الفريقين حتي إذا رأوا ما يوعدون . ﴿ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴾ تفصيل للموعود فإنه إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال . ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ من الفريقين بأن عاينوا الأمر علي عكس ما قدروه ، وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم ، وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتي . ﴿ وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ أي فئة وأنصارا قابل به أحسن نديا من حيث إن حسن النادي باجتماع وجوه القوم وأعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم .

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ عطف علي الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله ، أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله عز وجل أراد به ما هو خير له وعوضه منه ،

---

(٣٧) الخرثي ـ كالكرسي ـ العتيق من الأثاث (٣٨) آل عمران ١٧٨

(٣٩) فاطر ٣٧

وقيل : عطف علي فليمدد لأنه في معني الخبر كأنه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلالة ويزيد المقابل له هداية . ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ الطاعات التي تبقي عائدتها أبد الآباد ، ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما أشار إليه بقوله : ﴿ وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ والخير ها هنا إما لمجرد الزيادة أو علي طريقة قولهم الصيف أحر من الشتاء ، أى أبلغ في حره منه في برده .

الآيات من ٧٧ : ٨٢

﴿ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) ﴾

من صور العناد والتحدي

﴿ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾ نزلت في العاص بن وائل، كان لخباب عليه مال فتقضاه فقال له : لا حتي تكفر بمحمد فقال : لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث ، قال : فإذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فأعطيك (٤٠) .

ولما كانت الرؤية أقوي سند الإخبار استعمل أرأيت بمعني الإخبار ، والفاء أصلها في التعقيب والمعني : أخبر بقصة هذا الكافر عقب حديث أولئك . وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد أو لغة فيه كالعرب والعرب .

﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ﴾ أقد بلغ من عظمة شانه إلي أن ارتقي إلي علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتي ادعي أن يؤتي في الآخرة مالا وولدا وتألى عليه .

---

(٤٠) رواه السيوطى فى لباب النقول فى أسباب النزول ، وعزاه إلى الشيخين وغيرهما ورواه الامام احمد عن خباب بن الأرت .

﴿ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ أو اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فإنه لا يتوصل إلي العلم به إلا بأحد هذين الطريقين . وقيل : العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فإن وعد الله بالثواب عليها كالعهد عليه .

﴿ كَلاَّ ﴾ ردع وتنبيه علي أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه . ﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴾ سنظهر له أنا كتبنا قوله علي طريقة قوله : إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة . أي تبين أني لم تلدني لئيمة ، أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فإن نفس الكتابة لا تتأخر عن القول لقوله تعالي ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (٤١) .

﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾ ونطول له من العذاب ما يستأهله ، أو نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه علي الله جلت عظمته ، ولذلك أكده بالمصدر دلالة علي فرط غضبه عليه . ﴿ وَنَرِثُهُ ﴾ بموته . ﴿ مَا يَقُولُ ﴾ يعني المال والولد . ﴿ وَيَأْتِينَا ﴾ يوم القيامة . ﴿ فَرْدًا ﴾ لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا أن يؤتي ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه .

﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة إلي الله وشفعاء عنده .

﴿ كَلاَّ ﴾ ردع وإنكار لتعززهم بها . ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله تعالي ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾(٤٢). أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة أنهم عبدوها لقوله تعالي ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ (٤٣) .

﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ يؤيد الأول إذا فسر الضد بضد العز أي ويكونون عليهم ذلا ، أو بضدهم علي معنى أنها تكون معونة في عذابهم بأن توقد بها نيرانهم ، أو جعل الواو للكفرة أي كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها ، وتوحيده لوحدة المعني الذي به مضادتهم ، فإنهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله ﷺ «سواهم يد علي من سواهم » . (٤٤) وقرئ كلا بالتنوين علي قلب الألف نونا في

---

(٤١) ق ١٨ (٤٢) البقره ١٦٦ (٤٣) الأنعام ٢٣

(٤٤) جزء من حديث أخرجه ابو داود والنسائي وأحمد وغيرهم من رواية على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

الوقف كما قلب ألف الإطلاق في قوله:

أَقلي اللَّوْمَ عَاذِلُ وَالعتَابَنْ (٤٥)

أو علي معني كل هذا الرأي كلا وكلا علي إضمار فعل يفسره ما بعده أي سيجحدون ﴿ كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾.

الآيات من ٨٣ : ٩١

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) ﴾

إخلال الشياطين للكفار

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ بأن سلطناهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء. ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ تهزهم وتغريهم علي المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات، والمراد تعجيب رسول الله ﷺ من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم علي الكفر بعد وضوح الحق علي ما نطقت به الآيات المتقدمة.

﴿ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ بأن يهلكوا حتي تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الأرض من فسادهم. ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ ﴾ أيام آجالهم. ﴿ عَدًّا ﴾

ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما « المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ... »

(٤٥) هذا شطر بيت وهو بتمامه:

أقلى اللوم عاذلُ والعتابنْ وقولى إن أصبت لقد أصابنْ

قلبت الألف فى الشطرين نونا: وأصلهما: العتابا، وأصابا، وتسمى الألف فيها ألف الإطلاق.

والمعني لا تعجل بهلاكهم فإنه لم يبقي لهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة .

سعادة المتقين يوم الحشر

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ ﴾ نجمعهم . ﴿ إِلَى الرَّحْمَنِ ﴾ إلي ربهم الذي غمرهم برحمته ، ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن ولعله لأن مساق هذا الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها ﴿ وَفْدًا ﴾ وافدين عليه كما يفد الوفاد علي الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم .

شقاء الكفار في الآخرة

﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ كما تساق البهائم . ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ عطشا فإن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش ، أو كالدواب التي ترد الماء .

﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ ﴾ الضمير فيها للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم . ﴿ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ إلا من تحلي بما يستعد به ويستأهل أن يشفع للعصاة من الإيمان والعمل الصالح علي ما وعد الله تعالي ، أو إلا من اتخذ من الله إذنا فيها كقوله تعالي ﴿ **لا تنفع الشفاعة إلامن أذن له الرحمن** ﴾(٤٦) من قولهم : عهد الأمير إلي فلان بكذا إذا أمره به ، ومحله الرفع علي البدل من الضمير أو النصب علي تقدير مضاف أي إلا شفاعة من اتخذ ، أو علي الاستثناء . وقيل الضمير للمجرمين والمعني : لا يملكون الشفاعة فيهم إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به أن يشفع له بالإسلام .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ الضمير يحتمل الوجهين لأن هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز أن ينسب إليهم .

﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ علي الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة علي الله تعالي، والإد بالفتح والكسر العظيم المنكر والإدة الشدة وأدني الأمر، وآدني أثقلني وعظم عليّ .

﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ ﴾ وقرأ نافع والكسائي بالياء . ﴿ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ يتشققن مرة بعد أخري ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب ينفطرن ، والأول أبلغ لأن التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولأن أصل التفعل

---

(٤٦) طه ١٠٩

التكلف . ﴿ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ تهد هدا أو مهدودة ، أو لأنها تهد أي تكسر وهو تقرير لكونه أدا ، والمعني ، أن هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الأجرام العظام وتفتتت من شدتها ، أو أن فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا علي من تفوه بها .

﴿ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ يحتمل النصب علي العلة لتكاد أو لهدا علي حذف اللام وإفضاء الفعل إليه ، والجر بإضمار اللام أو بالإبدال من الهاء في منه والرفع علي أنه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك أن دعوا ، أو فاعل هدا أي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعني سمي المتعدي إلي مفعولين ، وإنما اقتصر علي المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا ، أو من دعا بمعني نسب الذي مطاوعه ادعي إلي فلان إذا انتسب إليه .

الآيات من ٩٢ : ٩٨

﴿ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (٩٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨) ﴾

﴿ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا له مستحيل ، ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للإشعار بأن كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولي أصولها وفروعها ، فكيف يمكن أن يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي ما منهم . ﴿ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ إلا وهو مملوك له يأوي إليه بالعبودية والانقياد ، وقرئ آت الرحمن علي الأصل .

﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ ﴾ حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوز علمه وقبضة قدرته . ﴿ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فإن كل شيء عنده بمقدار .

﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ منفردا عن الأتباع والأنصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به .

زرع محبة المؤمنين في قلوب المحبين

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها ، وعن النبي ﷺ «**إذا أحب الله عبدا يقول لجبريل أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم توضع له المحبة في الأرض**»(٤٧) . والسين إما لأن السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك إذا دخل الاسلام ، أو لأن الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم علي رءوس الأشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل .

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ بلغتك ، والباء بمعني علي أو علي أصله لتضمن يسرناه معني أنزلناه أى أنزلناه بلغتك . ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴾ الصائرين إلي التقوي. ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ أشداء الخصومة آخذين في كل لديد ، أي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وأنذره .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ تخويف للكفرة وتجسير للرسول ﷺ علي إنذارهم . ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ هل تشعر بأحد منهم وتراه . ﴿ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ وقرئ تسمع من أسمعت ، والركز الصوت الخفي ، وأصل التركيب هو الخفاء ، ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض ، والركاز المال المدفون .

فضائل سورة مريم :

عن رسول الله ﷺ « **من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيي ومريم وعيسي وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله**»(٤٨) .

(٤٧) رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ورواه مسلم من حديث سهيل بمثله ، ورواه ابن أبى حاتم عن أبى هريرة ، وكذلك رواه مسلم والترمذى. وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٤٨) ذكره الزمخشرى فى تفسيره ، وقال ابن حجر : أخرجه الثعلبى وابن مردويه من حديث أبى رضي الله عنه .

(٢٠) سورة طه مكية (١)

وآياتها خمس وثلاثون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٧

﴿ طـه (١) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (٢) إلا تذكرة لمن يخشى (٣) تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى (٤) الرحمن على العرش استوى (٥) له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى (٦) وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى (٧) ﴾

﴿ طه ﴾ فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الأصل ، وفخم الطاء وحده أبو عمرو وورش لاستعلائه وأمالهما الباقون . وهما من أسماء الحروف . وقيل : معناه يا رجل على لغة عك ، فإن صح فلعل أصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله :

إن السفاهة طاها في خلائقكم ... لا قدس الله أخلاق الملاعين (٢)

ضعيف لجواز أن يكون قسماً كقوله : حم لا ينصرون ، وقرئ طه على أنه أمر للرسول ﷺ (٣) بأن يطأ الأرض بقدميه (٤) ، فإنه كان يقوم في تهجده على

---

(١) في تفسير الكشاف : مكية إلا آيتي ١٣٠ ، ١٣١ فمدنيتان ، وهي ١٣٥ آية
وفي تفسير ابن كثير : مكية إلا آيتي ١٣٠ ، ١٣١، وفيهما : نزلت بعد مريم

(٢) هذا البيت لم ينسب لقائل ، وكأنه مصنوع .
والسفاهة : الجهل والحمق والخفة ، وطه في لغة (عك) وهي قبيلة من قبائل العرب وعك هو ابن عدنان أخو معد بن عدنان معناه ياهذا ، فكأنهم قلبوا ياء النداء طاء ، وحذفوا ذا .
والخلائق : الطبائع . والشاعر يدعو على مخاطبيه بأن لايطهر أرواحهم لأنهم ملاعين .

(٣) ذكر بعض العلماء أنه من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم : ومن أسمائه أيضا يسن والمزمل والمدثر .

(٤) روى عبد بن حميد في تفسيره في حديث أسنده إلى الربيع بن أنس قال : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام على رِجْل ورفع الأخرى ، فأنزل الله طه يعني طأ الأرض .

إحدى رجليه وأن أصله طأ فقلب همزته هاء أو قلبت في يطأ الفا كقوله : لا هَناك المرتع (٥) ثم بنى عليه الأمر وضم إليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طأها ، والألف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الأرض ، لكن يَرُدّ ذلك كتابتها على صورة الحرف ، وكذا التفسير بيا رجل ، أو اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما .

القرآن وسيلة للراحة والسعادة لا سبب للشقاء والتعب

﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ خبر طه إن جعلته مبتدأ على أنه مؤول بالسورة ، أو القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد ، وجوابه إن جعلته مقسماً به ومنادى له إن جعلته نداء ، واستئناف إن كانت جملة فعلية أو اسمية بإضمار مبتدأ، أو طائفة من الحروف محكية ، والمعنى : ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا أن تبلغ ، أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق .

والشقاء شائع بمعنى التعب ، ومنه: «أشقى من رائض المهر» ، «وسيد القوم أشقاهم» . ولعله عدل إليه للإشعار بأنه أنزل عليه ليسعد .

وقيل : رد وتكذيب للكفرة ، فإنهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا : إنك لتشقى بترك ديننا وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به .

وروى ابن مردويه فى سند عن محمد بن الحنفية عن أبيه على ـ كرم الله وجهه ـ قال : لما نزل ﴿ يأيها المزمل ﴾ قام الليل كله حتى ورمت قدماه ، فجعل يرفع رجلاً ويضع الأخرى ، فهبط عليه جبريل ، فقال « طه طأ الأرض بقدميك يامحمد »

وأخرجه البزار من وجه آخر عن على ، وأخرج البيهقى مثله فى الشعب عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(٥) هذا جزء من عجز بيت للفرزدق . والبيت بتمامه هو :

راحت بمسلمة البغال عشيةً فارعى فزارة لا هناك المرتع

ومسلمة هو ابن عبد الملك بن مروان ، وكان واليا على العراق فتركها متوجها إلى الشام ، وكان فى أثناء وجوده بالعراق يمنع بنى فزارة من الرعى فى أرض العراق ، فخلا لهم الجو بعد رحيله . وقوله : لا هناك المرتع دعاء عليهم : أصل الفعل : لاهنأك فقلبت الهمزة ألفا تخفيفا كما يقال : هناك ومَرَاك فى هنأك ومَرَأك .

﴿ إِلاَّ تَذْكِرَةً ﴾ لكن تذكيراً ، وانتصابها على الاستثناء المنقطع، ولا يجوز أن يكون بدلاً من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ، ولا مفعولاً له لأنزلنا ، فإن الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين . وقيل : هو مصدر فى موقع الحال من الكاف أو القرآن ، أو مفعول له على أن لتشقى متعلّق بمحذوف هو صفة القرآن أى ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه إلا تذكرة . ﴿ لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ لمن فى قلبه خشيةٌ ورقَّةٌ تتأثر بالإنذار ، أو لمن علم الله منه أنه يخشى بالتخويف منه فإنه المنتفع به .

﴿ تَنزِيلاً ﴾ نصب بإضمار فعله أو بيخشى ، أو على المدح ، أو البدل من تذكرة إن جعل حالاً ، وإن جعل مفعولاً له لفظاً أو معنى فلا لأن الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه . ﴿ مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ مع ما بعده إلى قوله ﴿ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (٦) تفخيم لشأن المنزلّ بفرط تعظيم المنزل بذكر أفعالهُ وصفاته على الترتيب الذى هو عند العقل ، فبدأ بخلق الأرض والسموات التى هي أصول العالم ، وقدَّم الأرض لأنها أقرب إلى الحس وأظهر عنده من السموات العلى، وهو جمع العليا تأنيث الأعلى ، ثم أشار إلي وجه إحداث الكائنات وتدبير أمرها بأن قصد العرش فأجرى منه الأحكام والتقادير ، وأنزل منه الأسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال :

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ .

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴾ ليدل بذلك على كمال قدرته وإرادته ، ولما كانت القدرة تابعة للإرادة وهى لا تنفك عن العلم عَقَّب ذلك بإحاطة علمه تعالى بجليات الأمور وخفياتها على سواء فقال :

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ أى وإن تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غنى عن جهرك ، فإنه سبحانه يعلم السر وأخفى منه ، وهو ضمير النفس . وفيه تنبيه علي أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لإعلام الله ، بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ، ثم إنه لما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات الألوهية بيَّنَ أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال :

---

(٦) طه ٨

الآيات من ٨ : ١٣

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ (٨) وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (٩) إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) ﴾

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ ومن فى ممن خلق الأرض صلة لتنزيلاً أو صفة له ، والانتقال من التكلم إلى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزَل من وجهين : إسناد إنزاله إلى ضمير الواحد العظيم الشأن ، ونسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام والتنبيه على أن واجب الإيمان به والانقياد له من حيث إنه كلام من هذا شأنه ، ويجوز أن يكون أنزلناه حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه . وقرئ الرحمنِ على الجر صفة لمن خلق ، فيكون على العرش استوى خبر لمبتدأ محذوف ، وكذا إن رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً .

والثرى الطبقة الترابية من الأرض وهى آخر طبقاتها ، والحسنى تأنيث الأحسن ، وفضل أسماء الله تعالى على سائر الأسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى أشرف المعانى وأفضلها .

قصة موسى عليه السلام

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ قَفَّى (٧) تمهيد نبوته ﷺ بقصة موسى ليأتم به فى تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد ، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل .

﴿ إِذْ رَأَىٰ نَارًا ﴾ ظرف للحديث لأنه حدث أو مفعول لاذكر . قيل : إنه استأذن شعيباً عليهما الصلاة والسلام فى الخروج إلى أمه ، وخرج بأهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ، ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة ، وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ما شيته إذ رأى من جانب الطور ناراً . ﴿ فَقَالَ

---

(٧) قفىَّ : أتبع

لأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾ أقيموا مكانكم وقرأ حمزة لأهله امكثوا ها هنا ، وفى القصص (٨) بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها . ﴿ **إِنِّي آنَسْتُ نَارًا** ﴾ أبصرتها إبصاراً لا شبهة فيه ، وقيل الإيناس إبصار ما يؤنس به . ﴿ **لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ** ﴾ بشعلة من النار وقيل : جمرة .

﴿ **أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى** ﴾ هاديا يدلنى على الطريق أو يهديني أبواب الدين، فإن أفكار الأبرار مائلة إليها فى كل ما يعن لهم . ولما كان حصولهما مترتباً بنى الأمر فيهما على الرجاء بخلاف الإيناس ، فإنه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه ، ومعنى الاستعلاء فى ﴿على النار﴾ أن أهلها مشرفون عليها، أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى : (مررت بزيد) إنه لصوق بمكان يقرب منه .

﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا** ﴾ أى النار وجد ناراً بيضاء تتقد فى شجرة خضراء . ﴿ **نُودِيَ يَا مُوسَىٰ** ﴾ .

﴿ **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ** ﴾ فتحه ابن كثير وأبو عمرو أى بأنى وكسره الباقون بإضمار القول أو إجراء النداء مجراه ، وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق . قيل : إنه لما نودى قال : من المتكلم؟ قال : إنى أنا الله ، فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال : أنا عرفت أنه كلام الله بأنى أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء . وهو إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقياً روحانياً ، ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة .

﴿ **فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ** ﴾ أمره بذلك لأن الحفوة تواضُع وأدب ولذلك طاف السلفُ حافين . وقيل : لنجاسة نعليه فإنهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ . وقيل: معناه فرغ قلبك من الأهل والمال .

﴿ **إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ** ﴾ تعليل للأمر باحترام البقعة ، والمقدس يحتمل المعنيين. ﴿ **طُوًى** ﴾ عطف بيان للوادى ؛ ونَوّنَهُ ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان .

---

(٨) فى الآية رقم ٢٩ من سورة القصص

وقيل : هو كثنى من الطى مصدر لنودى أو المقدس أى : نودى نداءين أو قدس مرتين .

﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ﴾ اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وإنا اخترناك . ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ للذى يوحي إليك ، أو للوحى واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين .

الآيات من ١٤ : ١٨

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (١٦) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) ﴾

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والأمر بالعبادة التي هى كمال العمل .

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ خصها بالذكر وأفردها بالأمر للعلة التي أناط بها إقامتها، وهو تذكر المعبود وشغف القلب واللسان بذكره . وقيل : لذكري لأنى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالثناء ، أو لذكرى خاصة لا ترائي بها ولا تَشُوبها(٩) بذكر غيرى . وقيل : لأوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتى لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال « **من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول أقم الصلاة لذكرى** » (١٠) .

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ ﴾ كائنة لا محالة . ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ أريد إخفاء وقتها ، أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية ولولا ما فى الإخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعذار لما أخبرت به ، أو أكاد أظهرها من أخفاه إذا سلب خفاءه ، ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه إذا أظهره . ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ متعلق بآتية أو بأخفيها على المعنى الأخير .

---

(٩) لاتشوبها : لاتخلطها

(١٠) متفق عليه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ومن حديث أنس رضى الله عنه والرواية المذكورة رواها البخارى .

﴿ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ عن تصديق الساعة ، أو عن الصلاة . ﴿ مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا ﴾ نهى الكافر أن يصد موسى عليه الصلاة والسلام عنها ، والمراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم : لا أرينك ها هنا ، تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها ، وأنه ينبغي أن يكون راسخاً في دينه فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه . ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها . ﴿ فَتَرْدَى ﴾ فتهلك بالانصداد بصده .

معجزة العصا

﴿ وَمَا تِلْكَ ﴾ استفهام يتضمن استيقاظاً لما يريه فيها من العجائب . ﴿ بِيَمِينِكَ ﴾ حال من معنى الإشارة . وقيل صلة تلك . ﴿ يَا مُوسَىٰ ﴾ تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه .

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ وقرئ عصى على لغة هذيل . ﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾ أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع . ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ وأخبط الورق بها على رءوس غنمي ، وقرئ أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته ، وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم ، أي أنحى عليها زاجراً لها . ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ حاجات أخر مثل أن كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته ، وعرض الزندين (١١) على شعبتيها ، وألقى عليها الكساء واستظل به ، وإذا قصر الرشاء (١٢) وصله بها ، وإذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها، وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها، حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة ، مثل أن تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع ، وتصيران دلواً عند الاستقاء ، وتطول بطول البئر ، وتحارب عنه إذا ظهر عدو ، وينبع الماء بركزها ، وينضب بنزعها ، وتورق وتثمر إذا اشتهى ثمرة فركزها ، على أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لأجله وليست من خواصها ، فذكر

---

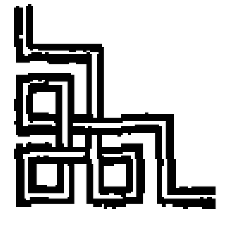
(١١) عرض الزندين : الزَّند هو العود الذى يقدح به النار ، وهو الأعلى ، والزند السفلى فيها ثقب وهي الأنثى ، فإذا اجتمعا قيل : زندان ولم يقل زندتان والجمع : زناد وأزند وأزناد ـ الصحاح ـ

(١٢) الرشاء : الحبل

حقيقتها ومنافعها مفصلاً ومجملاً على معنى أنها من جنس العصى تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه .

الآيات من ١٩ : ٢٤

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٢٤) ﴾



﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴾ .

﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ قيل : لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت لذلك سماها جاناً تارة نظراً إلى المبدأ وثعباناً مرة باعتبار المنتهى، وحية أخرى باعتبار الاسم الذى يعم الحالين . وقيل كانت فى ضخامة الثعبان وجلاده الجان ، ولذلك قال كأنها جان .

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ فإنه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها . ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾ هيئتها وحالتها المتقدمه ، وهى فِعْلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض ، أو على أن أعاد منقول من عاده بمعنى عاد إليه ، أو على الظرف أى سنعيدها في طريقتها ، أو على تقدير فعلها أى سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الأولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل . قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها .

معجزة اليد

﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ إلى جنبك تحت العضد ، يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر ، استعارة من جناحى الطائر سميا بذلك لأنه يجنحهما عند الطيران . ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ ﴾ كأنها مشعة . ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ من غير عاهة وقبح ، كنى به عن البرص كما كنى بالسوأة عن العورة لأن الطباع تعافه وتنفر عنه . ﴿ آيَةً أُخْرَىٰ ﴾ معجزة ثانية، وهى حال من ضمير تخرج كبيضاء أو من ضميرها ،

أو مفعول بإضمار خذ أو دونك .

﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ متعلق بهذا المضمر أو بما دل عليه آية أو القصة التى دللنا بها ، أو فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا أو مفعول نريك ومن آياتنا حال منها .

الأمر بتبليغ الرسالة

﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ بهاتين الآيتين وادعه إلى العبادة . ﴿ إِنَّهُ طَغَى ﴾ عصى وتكبر .

الآيات من ٢٥ : ٣٧

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) ﴾

دعاء موسى ربه

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ .

﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ لما أمره الله بخطب عظيم وأمر جسيم سأله أن يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه ، والتلقى لما ينزل عليه ويسهل الأمر له بإحداث الأسباب ورفع الموانع ، وفائدة لى إبهام المشروح والميسر أولاً ، ثم رفعه بذكر الصدر والأمر تأكيداً ومبالغة .

﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ .

﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ فإنما يحسن التبليغ من البليغ وكان فى لسانه رتة من جمرة أدخلها فاه ، وذلك أن فرعون حمله يوماً فأخذ بلحيته ونتفها ، فغضب وأمر بقتله قالت آسية : إنه صبى لا يفرق بين الجمر والياقوت ، فأُحضرا بين يديه فأخذ الجمرة ووضعها في فيه . ولعل تبييض يده كان لذلك . وقيل : احترقت يده فاجتهد

فرعون في علاجها فلم تبرأ ، ثم لما دعاه قال إلى أى رب تدعونى قال إلى الذى أبرأ يدى وقد عجزتَ عنه . واختلف فى زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ (١٣) ومن لم يقل احتج بقوله ﴿ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ (١٤) وقوله ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ (١٥) وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقاً بل عقدة تمنع الإفهام ، ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الأمر ، ومن لساني يحتمل أن يكون صفة عقدة، وأن يكون صلة احلل .

﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي ﴾ .

﴿ هَرُونَ أَخِي ﴾ يعيننى على ما كلفتنى به ، واشتقاق الوزير إما من الوزر لأنه يحمل الثقل عن أميره ، أو من الوَزَرَ وهو الملجأ لأن الأمير يعتصم برأيه ويلتجئ إليه فى أموره ، ومنه الموازرة ، وقيل : أصله أزير من الأزر بمعنى القوة ، فعيل بمعنى مفاعِل كالعشير والجليس ، قلبت همزته واواً كقلبها فى موازر ومفعولاً اجعل وزيراً، وهرون قدم ثانيهما للعناية به ، ولى صله أو حال ، أولى وزيراً وهرون عطف بيان للوزير ، أو وزيراً من أهلى ولى تبيين كقوله ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (١٦) وأخي على الوجوه بدل من هرون أو مبتدأ خبره .

﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ .

﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ على لفظ الأمر ، وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على أنهما جواب الأمر .

﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ﴾ .

﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾ فإن التعاون يهيج الرغبات ويؤدى إلى تكاثر الخير وتزايده.

﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً ﴾ عالماً بأحوالنا وأن التعاون مما يصلحنا، وأن هرون نعم المعين لي فيما أمرتنى به .

---

(١٣) طه ٣٦

(١٤) القصص ٣٤ والضمير فى هو يعود على هارون أخى موسى عليهما السلام

(١٥) الزخرف ٥٢

(١٦) الإخلاص ٤

إجابة دعائه وتذكيره بمنن الله عليه

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ أى مسئولك ، فُعْل بمعنى مفعول كالخُبْز والأُكْل بمعنى المخبوز والمأكول .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ أى أنعمنا عليك فى وقت آخر .

الآيات من ٣٨ : ٤٠

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (٤٠) ﴾

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ ﴾ بإلهام أو فى منام أو على لسان نبى فى وقتها أو ملك ـــ لا على وجه النبوة ـــ كما أوحى إلى مريم . ﴿ مَا يُوحَىٰ ﴾ ما لا يعلم إلا بالوحى، أو مما ينبغى أن يوحى ولا يخل يه لعظم شأنه وفرط الاهتمام به .

﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾ بأن اقذفيه ، أو أى اقذفيه لأن الوحى بمعنى القول . ﴿ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ والقذف يقال للإلقاء وللوضع كقوله تعالى ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ (١٧) وكذلك الرمى كقوله :

غُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحُسْنِ (١٨) .

---

(١٧) الأحزاب ٢٦ الحشر ٢

(١٨) هذا صدر بيت للشاعر أسيد بن عنقاء الفزارى ، كان من أكبر أهل زمانه وأعلمهم بالأدب ، فطال به عمره ونكبه دهره ، فلقيه عميلة الفزارى فسلم عليه وقال له : ما أصارك ياعم إلى ما أرى ؟ قال : بخل مثلك بماله وصون وجهى عن مسالة الناس . فقال : لئن بقيت إلى غد لأغيرن مابك . فلما كان وقت السحر سمع رغاء الإبل وصهيل الخيل تحت الأموال . فقال : ماهذا ؟

قالوا : عميلة شطر ماله بينك وبينه ، فمدحه بقصيدة منها :

رآنى على مابى عميلة فاشتكى ... إلى ماله حالى فواسى وما هجر

﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ لما كان إلقاء البحر إياه إلى الساحل أمراً واجب الحصول لتعلق الإرادة به ، وجعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمره بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر ، والأولى أن تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم ، فالمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل وإن كان التابوت بالذات فموسى بالعرض.

﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ﴾ جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة ، أو لأن الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقَّع . قيل : إنها جعلت في التابوت قطناًووضعته فيه ثم قَيَّرته (١٩) وألقته في اليم ، وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء إليه فأداه إلى بركة في البستان ، وكان فرعون جالساً على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم ، فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أَصْبَحُ الناس وجهاً فأحبه حباً شديداً كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ أي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون ، ويجوز أن يتعلق مني بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب ، وظاهر اللفظ أن اليم ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله (٢٠) فالتقط منه ، لكن لا يبعد أن يؤول الساحل بجنب فوهة نهره .

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ لتربى ويحسن إليك وأنا راعيك وراقبك ، والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك ، أو على الجملة السابقة بإضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك . وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر ، ولتصنع بالنصب وفتح التاء أي وليكن عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري .

﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ﴾ ظرف لألقيت أو لتصنع أو بدل من إذ أوحينا على أن

ولما رأى المجد استعيرت ثيابه ... تردى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام رماه الله بالحسن يافعاً ... له سيمياء لاتشق على البصر
كأن الثريا علقت فوق نحره ... وفي أنفه الشعْرَى وفي خده القمر

من شاهد الانصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان حاشية على تفسير الكشاف

(١٩) قَيَّرته : طلته بالقار حتى لايتسرب إليه الماء فيغرق

(٢٠) يسحله : يقشره

المراد بها وقت متسع . ﴿ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾ وذلك لأنه كان لا يقبل ثديَ المراضع ، فجاءت أخته مريم متفحصةً خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت : هل أدلكم؟ فجاءت بأمه فقبل ثديها . ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ ﴾ وفاء بقولنا ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ (٢١) ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ بلقائك . ﴿ وَلَا تَحْزَنَ ﴾ هى بفراقك أو أنت على فراقها وفقد إشفاقها .

﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ نفس القبطى الذى استغاثه على الإسرائيلى . ﴿ فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ﴾ غم قتله خوفاً من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والأمن منه بالهجرة إلى مدين . ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ وابتليناك ابتلاء ، أو أنواعاً من الابتلاء على أنه جمع فَتْن أو فِتْنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور فى حُجَزَة وَبْدَرة ، فخلصناك مرة بعد أخرى ، وهو إجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطء ومفارقة الأُلاَّف ، والمشي راجلاً على حذر ، وفقد الزاد ، وأجّر نفسه ، إلى غير ذلك، أوله ولما سبق ذكره . ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ لبثت فيهم عشر سنين قضاءً لأوفى الأجلين ، ومدين على ثمان مراحل من مصر .

﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ قدرته ، لأن أكلمك وأستنبئك ، غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر ، أو على مقدار من السن يوحَى فيه إلى الأنبياء .

﴿ يَا مُوسَىٰ ﴾ كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك .

الآيات من ٤١ : ٤٧

﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧) ﴾

---

(٢١) القصص ٧

﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ واصطفيتك لمحبتى ، مَثَّلَهُ فيما خوله من الكرامة بمن قَرَّبَهُ الملك واستخلصه لنفسه .

تكليفه الرسالة هو وأخاه

﴿ اذْهَبْ أَنـــتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي ﴾ بمعجزاتى . ﴿ وَلا تَنِيَا ﴾ ولا تفترا ولا تقصرا، وقرئ تنيا بكسر التاء . ﴿ فِي ذِكْرِي ﴾ لا تنسيانى حيثما تقلبتما . وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء إليّ .

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ أمر به أولا موسى عليه الصلاة والسلامَ وحده، وهنا إياه وأخاه فلا تكرير . قيل : أوحى إلى هرون أن يتلقى موسى . وقيل : سمع بمقبله فاستقبله .

﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا ﴾ مثل ﴿ هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾ [٢٢] فإنه دعوة فى صورة عرض ومشورة حذراً أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما؛ أو احتراماً لما له من حق التربية عليك. وقيل : كنياه وكان له ثلاث كنى : أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة . وقيل : عدَاه شباباً لا يهرم بعده ، وملكاً لا يزول إلا بالموت .

﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ متعلق باذهبا أو قولا أى : باشرا الأمر على رجائكما . وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما ، فإن الراجى مجتهد والآيس متكلف ، والفائدة فى إرسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بأنه لا يؤمن إلزامُ الحجة وقطعُ المعذرة وإظهارُ ما حدث فى تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ، ولذلك قدم الأول أى إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى .

﴿ قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا ﴾ أن يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة ، من فرط إذا تقدم ، ومنه الفارط ، وفرس فَرَط : يسبق الخيل . وقرئ يُفْرِط من أفرطته إذا حملته على العجلة ، أى نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان إنسى أو جنى على المعاجلة بالعقاب ، ويُفْرِط من الإفراط فى الأذية . ﴿ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ أو أن يزداد طغياناً فيتخطى إلى أن

---

(٢٢) النازعات ١٨ ، ١٩

يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب .

﴿ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا ﴾ بالحفظ والنصر . ﴿ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل ، فأحدث فى كل ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتى لكما ، ويجوز أن لا يقدر شئ ، على معنى إننى حافظكما سامعاً ومبصراً ، والحافظ إذا كان قادراً سميعاً بصيراً تم الحفظ .

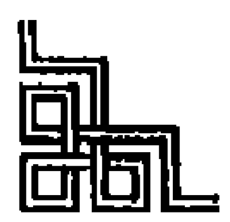
﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أطلقهم . ﴿ وَلا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان ، فإنهم كانوا فى أيدى القبط يستخدمونهم ويتبعونهم فى العمل ، ويقتلون ذكور أولادهم فى عام دون عام ، وتعقيب الإتيان بذلك دليل على أن تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان ، ويجوز أن يكون للتدريج فى الدعوة .

﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة ، وإنما وحد الآية وكان معه آيتان لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا الإشارة إلى وحدة الحجة وتعددها ، وكذلك قوله ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ ﴾ (٢٣) ، ﴿ فَأْتِ بِآيَةٍ ﴾ (٢٤) ، ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢٥) .

﴿ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴾ وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين ، أو السلامة فى الدارين لهم .

الآيات من ٤٨ : ٥٣

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) ﴾



﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أن عذاب المنزلين على

---

(٢٣) آل عمران ٤٩ . (٢٤) الشعراء ٣١ . (٢٥) الشعراء ٣٠

المكذبين للرسل ، ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لأن التهديد فى أول الأمر أهم وأنجع وبالواقع أليق .

حوار بين موسى وفرعون

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴾ أن بعد ما أتياه وقالا له ما أمرا به ، ولعله حذف لدلالة الحال عليه فإن المطيع إذا أمر بشئ فعله لا محالة ، وإنما خاطب الاثنين وخص موسى عليه الصلاة والسلام بالنداء لأنه الأصل وهرون وزيره وتابعة ، أو لأنه عرف أن له رتة (٢٦) ولأخيه فصاحة فأراد أن يفحمه ويدل عليه قوله **﴿ أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ﴾** (٢٧) .

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ من الأنواع ﴿ خَلْقَهُ ﴾ صورته وشكله الذى يطابق كماله الممكن له ، أو أعطى خليقته كل شئ يحتاجون إليه ويرتفقون به، فقدم المفعول الثانى لأنه المقصود بيانه . وقيل : أعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجاً . وقرئ خَلَقَه صفة للمضاف إليه أو المضاف على شذوذ ، فيكون المفعول الثانى محذوفاً أى : أعطى كل مخلوق ما يصلح . ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل به إلى بقائه وكماله اختياراً أو طبعاً ، وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره وإعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها، ودلالته على أن الغنى القادر بالذات المنعم على الإطلاق هو الله تعالى وأن جميع ما عداه مفتقر إليه منعم عليه فى حد ذاته وصفاته وأفعاله ، ولذلك بهت الذى كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم ير إلاَّ صَرْفَ الكلام عنه (٢٨) .

---

(٢٦) رتَّة : الرُّتَّة : العجمة فى اللسان وعدم الفصاحة بالكلام ، وهو أرت وهى رتَّاء وهم رُتٌّ ، والأَرَتُّ : الألثغ المتردد فى النطق
ـ المعجم الوسيط ـ

(٢٧) الزخرف ٥٢

(٢٨) فى التعليق على هذه الآية الكريمة نذكر ملخصاً لما قاله العلماء حولها :ـ
أعطى الله تعالى المخلوقات غرائز وطباعاً تمكنها من الحياة وتهديها إلى النجاة مما تقع فيه من المخاطر والمآزق التى تتعرض لها .
والغريزه شعور فطرى وفعل لا إرادى أوجده الله تعالى فى الإنسان وكل حيوان على وجه الأرض كلمة سامية ، فإنه سبحانه خلق كل شيء وأوجد كل مخلوق ثم هداه إلى

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ ﴾ فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة؟ ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنـدَ رَبِّي ﴾ أى هو غيب لا يعلمه إلا هو وإنما أنا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرنى به . ﴿ فِي كِتَابٍ ﴾ مثبت فى اللوح المحفوظ ، ويجوز أن يكون تمثيلاً لتمكنه فى علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده . ﴿ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴾ والضلال أن تخطئ الشئ فى مكانه فلم تهتد إليه ، والنسيان أن تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك ، وهما محالان على العالم بالذات ، ويجوز أن

وظيفته التى خلق لها .

كما هداه إلى حفظ حياته لحفظ نوعه بالسعي للقوت والدفاع عن نفسه وعن صغاره بما منحه عز وجل من أنواع الأسلحة والقدرة على الفرار .

ومن أهم الغرائز الخوف والحذر من الخطر ، فيفر وهو لايدرى لماذا هو يفر ، ويختبىء وهو لايدرى لماذا يختبىء .

وقد أعد الله تعالى لبعض الحيوانات جسما خفيفا وسيقانا رشيقة لتجرى فى سرعة وتقفز فى خفة بل منها مايتسلق الأشجار ليختفى بين الأغصان فينجو من الهلاك ، كما زود البعض الآخر بقرون قوية أو مخالب مدببة حادة وأشداق وأنياب قوية لتدافع عن نفسها أو لتفترس ماتأكله لتعيش ، ومنح الطيور أجنحة لتحلق بها فى الجو ، فتهرب مما يهددها .

ومن أعجب العجب أن يستعمل كل حيوان السلاح الذى منحه تعالى له فى دقة وإتقان ، فترى الثور يقاتل عدوه بقرنيه وهو لايدرى بوجودهما على رأسه ، فمن الذى أخبره بأن على رأسه سلاحا قويا يدافع به عن نفسه ، ومن الذى علمه أن ينطح بها عدوه ، ولماذا لم يستعمل أنيابه فى الدفاع عن نفسه كالنمر والأسد ؟ . . .

إنه تعالى يعلم ويمرن كل حى ويوجد فى كل شيء مايحتاج إليه من غرائز ليعيش وينجب فيحفظ نوعه . . .

ومن أعظم الغرائز غريزة الأمومة التى أودعها الله فى كل أنثى . . ومن عجيب صنع الله تعالى فى إعداد وظيفة الأم لوظيفتها الكبرى أن هداها إلى ماينبغى عمله لحفظ الحياة بفضل الغريزة ، فكل أم علمها الله سبحانه كيف تقطع الحبل السرى لتفصل الجنين من المشيمة ، وكيف تترك شيئا منه كما يفعل الطبيب تماما ، ومن العجب أن تعمل هذا العمل آكلة النبات كالأرنب وغيرها . . فمن علمها هذه الصنعة وهذا الطب وهى لاتأكل اللحم؟ فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . . .

راجع فى ذلك كتاب : معجزة القرآن ـ دار الاعتصام القاهرة .

يكون سؤاله دخلاً على إحاطة قدرة الله تعالى بالأشياء كلها وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة ، بأن ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الأشياء وجزئياتها ، والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادى مدتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط علمه بهم وبأجزائهم وأحوالهم فيكون معنى الجواب : أن علمه تعالى محيط بذلك كله وأنه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى .

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً ﴾ مرفوع صفة لربى ، أو خبر لمحذوف أو منصوب على المدح . وقرأ الكوفيون هنا وفى الزخرف (٢٩) مهداً أى كالمهد تتمهدونها ، وهو مصدر سمى به ، والباقون مهاداً وهو اسم ما يمهد كالفراش أو جمع مهد ولم يختلفوا في الذى فى النبأ . ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾ وجعل لكم فيها سبلاً بين الجبال والأودية والبرارى تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها .﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ مطراً . ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾ عدل به عن لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى ، تنبيهاً على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وإيذاناً بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته ، وعلى هذا نظائره كقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ (٣٠) ﴿ أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ﴾ (٣١) الآية . ﴿ أَزْوَاجًا ﴾ أصنافاً سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض . ﴿ مِّن نَّبَاتٍ ﴾ بيان أو صفة لأزواجاً وكذلك : ﴿ شَتَّى ﴾ ويحتمل أن يكون صفة لنبات فإنه من حيث إنه مصدر فى الأصل يستوى فيه الواحد والجمع ، وهو جمع شتيت كمريض ومرضى ، أى متفرقات فى الصور والأغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال :

الآيات من ٥٤ : ٥٩

﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ

(٢٩) الزخرف ١٠ (٣٠) فاطر ٢٧ (٣١) النمل ٦٠

مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ﴾ وهو حال من ضمير فأخرجنا علي إرادة القول أي أخرجنا أصناف النبات قائلين كلوا وارعوا ، والمعنى معديهما لانتفاعكم بالأكل والعلف آذنين فيه . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية .

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ﴾ فإن التراب أصل خلقة أول آبائكم وأول مواد أبدانكم .

* الإعجاز العلمي

قال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾

من مقال للدكتور / أحمد فؤاد باشا وكيل كلية علوم القاهرة يقول :

إن شئنا مثالاً من واقع الانجازات التي حققها الإنسان من خلال بحثه في مواد الكون وظواهره فلنتأمل تلك الأرض التي سخرها الله لخدمة الإنسان فهي أصل وجوده من ترابها ومائها خلق ، وعلى صدرها وخيراتها يعيش وإليها يعود ويتلاشى ترابًا في ترابها . ومنها يبعث تارة أخري ، قال تعالى :﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه : ٥٥) وقال سبحانه : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (الملك : ١٥) .

ولقد اهتم علماء الحضارة الإسلامية بدراسة كواكب الأرض والظواهر المتعلقة به قبل أن ينقلوا معارف الحضارات القديمة وجاءت المعلومات التي عرفوها منبثة في مؤلفاتهم العديدة ، مثل كتاب « صورة الأرض للخوارزمي وكتاب « البلدان » لليعقوبي وكتاب « المسالك والممالك « لابن حوقل وكتاب « الجماهير في معرفة الجواهر » للبيروني وغيرها . وقد كانت هذه المعارف عن الأرض أساسا لعلمين رئيسيين عرفا فيما بعد بعلم « الجغرافيا » وعلم « الجيولوجيا » .

ويقدر العلماء عمر الأرض بنحو ٤٦٠٠ مليون سنة ، منها حوالى أربعة آلاف مليون سنة تسمى « حقبة الحياة غير المعلومة » وتمثل أكثر من ٨٥٪ من الزمن الجيولوجي للأرض في حين يطلق على الحقبة منذ ٦٠٠ مليون سنة مضت إلى الزمن الحديث اسم « حقبة الحياة المعلومة وتمثل الفترة التي نعيشها حاليا والتي بدأت منذ حوال ١٥ ألف سنة مسيرة تطور الجنس البشري معرفيا وحضاريا .

أما تركيب الأرض فلم نعلم عنه إلا النذر اليسير ، حيث يقسم العلماء مادة الكرة

﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ بالموت وتفكيك الأجزاء . ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الأرواح إليها .

إصرار فرعون على التكذيب

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ بصرناه إياها أو عرفناه صحتها . ﴿ كُلَّهَا ﴾ تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد ، على أن المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى ، أو أنه عليه السلام أراه آياته وعدد عليه ما أوتي غيره من المعجزات ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ موسى من فرط عناده . ﴿ وَأَبَىٰ ﴾ الإيمان والطاعة لعتوه .

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ﴾ أرض مصر . ﴿ بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ هذا تعلل وتحير ودليل على أنه علم كونه محقاً حتى خاف منه على ملكه ، فإن الساحر لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه .

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ﴾ مثل سحرك . ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً ﴾ وعداً لقوله : ﴿ لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ ﴾ فإن الإخلاف لا يلائم الزمان والمكان

* الإعجاز العلمي

الأرضية إلى ثلاثة نطاقات رئيسية هي اللب والوشاح (أو الدثار) والقشرة وتنقسم القشرة الأرضية التي يتراوح سمكها بين ٥ كم و ٥٠ كم إلى قطع هائلة تسمى الصفائح (أو الألواح) تفصل بينها شقوق عريضة ، وتستقر فوقها القارات والمحيطات ، كما أن تلك الصفائح تكون في حالة حركة بطيئة مستمرة غير أن هذه الحركة من الضآلة بحيث لا يمكن ملاحظتها خلال فترات زمنية قصيرة وتحدث معظم الزلازل والبراكين في الأماكن التي تكون قريبة من حواف تلك الصفائح .

وقد استدل العلماء على أن درجة الحرارة ترتفع بمعدل درجة واحدة كلما نزلنا إلى باطن الأرض ثلاثة وثلاثين متراً ، أي أن درجة الحرارة على عمق ثلاثين كيلوا متراً في باطن الأرض تزيد على درجة حرارة قشرتها ألف درجة ، وعند اللب ترتفع كثيراً ، وربما تزيد على درجة حرارة سطح الشمس التي تقدر بنحو ٦٠٠٠ درجة مئوية .

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن حركات الأرض فنجد أن العلم الحديث ساعد على إظهار نوعين من حركة الأرض هما : دورانها حول محورها لحدوث الليل والنهار ، ودورانها حول الشمس لحدوث الفصول الأربعة .

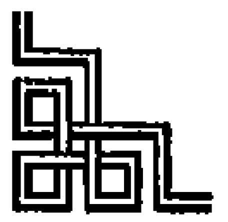
وهذه معلومات بسيطة عن الأرض التي منها خلقنا وإليها نعود ومنها نخرج تارة أخرى فسبحان الله العظيم .

وانتصاب . ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ بفعل دل عليه المصدر لا به لأنه موصوف ، أو بأنه بدل من موعداً على تقدير مكان مضاف إليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله .

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ ﴾ من حيث المعنى فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم ، أو بإضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الأول ، أو وعدكم وعد يوم الزينة ، وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في أن المراد بهما المصدر ، ومعنى سوى منتصفاً يستوى مسافته إلينا وإليك وهو في النعت كقولهم : قوم عدي في الشذوذ ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم ، وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ، أو يوم النيروز ، أو يوم عيد كان لهم في كل عام ، وإنما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رءوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار . ﴿ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ عطف على اليوم أو الزينة، وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على أن فيه ضمير اليوم أو ضمير فرعون على أن الخطاب لقومه .

الآيات من ٦٠ : ٦٥

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) ﴾



موسى والسحرة

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ﴾ ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم . ﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾الموعد .

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بأن تدعوا آياته سحراً .

﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ فيهلككم ويستأصلكم ، وبه قرأ حمزةوالكسائى ويعقوب بالضم من الإسحات وهو لغة نجد وتميم ، والسحت لغة الحجاز . ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾ كما خاب فرعون ، فإنه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه .

﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ أي تنازعت السحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم : ليس هذا هو كلام السحرة . ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴾ بأن موسى إن غلبنا اتبعناه ، أو تنازعواواختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر . وقيل : الضمير لفرعون وقومه وقوله :

﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ تفسير لأسروا النجوى كأنهم تشاوروا في تلفيقه حذراً أن يغلبا فيتبعهما الناس، وهذان اسم إن على لغة بلحرث بن كعب فإنهم جعلوا الألف للتثنية وأعربوا المثنى تقديراً . وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها . وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما إن اللام لا تدخل خبر المبتدأ . وقيل أصله إنه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لا يليق به الحذف ، وقرأ أبو عمرو أن هذين وهو ظاهر ، وابن كثير وحفص أن هذان على أنها هي المخففة واللام هي الفارقة أو النافية واللام بمعنى إلا .

﴿ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم ﴾ بالاستيلاء عليها . ﴿ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما لقوله : ﴿ إني أخاف أن يبدل دينكم ﴾ (٣٢) . وقيل أرادو أهل طريقتكم وهم بنو إسرائيل فإنهم كانوا أرباب علم فيما بينهم لقول موسى ﴿ أرسل معنا بنى إسرائيل ﴾ (٣٣) . وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرافهم من حيث إنهم قدوة لغيرهم .

﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ﴾ فأزمعوه واجعلوه مجمعاً عليه لا يختلف عنه واحد منكم . وقرأ أبو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله﴿ فجمع كيده ﴾ (٣٤) والضمير في قالوا إن كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض . ﴿ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ﴾ مصطفين لأنه

---

(٣٢) غافر ٢٦ (٣٣) الشعراء ١٧ . (٣٤) طه ٦٠

أهيب في صدور الرائين . قيل : كانوا سبعين ألفًا مع كل واحد منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة . ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾ فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض .

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ أي بعد ما أتوا مراعاة للأدب وأن بما بعده منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية محذوف، أي اختر إلقاءك أولاً أو إلقاءنا أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا .

الآيات من ٦٦ : ٧٠

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦)
فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا
فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ
(٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) ﴾

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴾ مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم ، وإسعافًا إلى ما أوهموا من الميل إلى البدء بذكر الأول فى شقهم وتغيير النظم إلى وجه أبلغ ، ولأن يبرزوا ما معهم ويستنفذوا أقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه . ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ أى فألقوا فإذا حبالهم وعصيهم ، وهي للمفاجأة والتحقيق أنها أيضًا ظرفية تستدعي متعلقًا ينصبها وجملة تضاف إليها ، لكنها خصت بأن يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية ، والمعنى : فألقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم ، وذلك بأنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل إليه أنها تتحرك . وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على إسناده إلى ضمير الحبال والعصى ، وإبدال أنها تسعى منه بدل الاشتمال ، وقرئ يخيل بالياء على إسناده إلى الله تعالى ، وتخيل بمعنى تتخيل .

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ فأضمر فيها خوفًا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية ، أو من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه .

﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ ﴾ ما توهمت . ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ ﴾ تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكداً بالاستئناف ، وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل .

﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ أبهمه ولم يقل عصاك تحقيراً لها أى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة (٣٥) التي في يدك ، أو تعظيماً لها أي لا تحتفل بكثرة هذه الأجرام وعظمها فإن في يمينك ما هو أعظم منها أثراً فألقه . ﴿ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾ تبتلعه بقدرة الله تعالى ، وأصله تتلقف فحذفت إحدى التاءين ، وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على إسناد الفعل إلى المسبب . وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال أو الاستئناف ، وحفص بالجزم والتخفيف على أنه من لقفته بمعنى تلقفته . ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا ﴾ إن الذي زوروا وافتعلوا . ﴿ كَيْدُ سَاحِرٍ ﴾ وقرئ بالنصب عل أن ما كافة وهو مفعول صنعوا . وقرأ حمزة والكسائى سحر بمعنى ذي سحر ، أو بتسمية الساحر سحراً على المبالغة ، أو بإضافة الكيد إلى السحر للبيان كقولهم : علم فقه ، وإنما وحد الساحر لأن المراد به الجنس المطلق ولذلك قال : ﴿ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ ﴾ أي هذا الجنس وتنكير الأول لتنكير المضاف كقول العجاج :

يَوْمَ تَرَى النُّفُوسُ مَا أعَدتْ ... فِى سَعْى دُنْيَا طَالما قدْ مَدَّتْ (٣٦) .

---

(٣٥) العويدة : تصغير عُودة بالتأنيث . تشبيه العصا بالعودة الصغيرة

(٣٦) من أبيات فى أرجوزة له يقول فيها :

الحمد لله الذى استقلت ... بإذنه السماء ، واطمأنت
بإذنه الأرض وما تعنت ... أوحى لها القرار فاستقرت
وشدها بالراسيات الثُّبَّت ... والجاعل الغيثَ حياة الأمَّة
والجامع الناس ليوم البعثة ... بعد الممات وهو محيى الموَّت
يوم ترى النفوس ماأعَدَّت ... من نُزل إذا الأمور غَبَّتَ
فى سعى دنيا طالما تعنت

هكذا رواها الشيخ محمد عليان فى كتابه : مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف والزمخشرى فى الكشاف روى شطر البيت الأخير كما رواه البيضاوى .

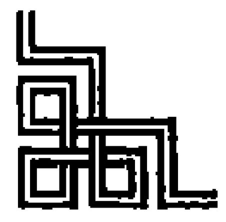
كأنه قيل إنما صنعوا كيد سحرى ﴿ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ حيث كان وأين أقبل .

إيمان السحرة

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا ﴾ أى فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر وإنما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته ، فألقاهم ذلك على وجوههم سُجَّداً لله توبة عما صنعوا وإعتابًا وتعظيمًا لما رأوا . ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ قدم هارون لكبر سنه أو لِرَوِىِّ الآية ، أو لأن فرعون ربي موسى في صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره لربما توهم أن المراد فرعون وذكر هارون على الاستتباع . رُوي أنهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها .

الآيات من ٧١ : ٧٦

﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣) إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦) ﴾



تهديد فرعون للسحرة

﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ ﴾ أي لموسى واللام لتضمن الفعل معني الاتباع . وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على الخبر ، والباقون على الاستفهام . ﴿ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ في الإيمان له . ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ﴾ لعظيمكم في فنكم وأعلمكم به أو لأستاذكم . ﴿ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ وأنتم تواطأتم على ما فعلتم . ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ، ومن ابتدائية كأن القطع

ابتدأ من مخالفة العضو العضو ، وهي مع المجرور بها في حيّز النصب على الحال ، أي لأقطعنها مختلفات ، وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف . ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف ، وهو أول من صلب . ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا ﴾ يريد نفسه وموسى لقوله ﴿ آمنتم له ﴾ واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله أراد به توضيع موسي والهزء به ، فإنه لم يكن من التعذيب في شئ . وقيل رب موسي الذي آمنوا به . ﴿ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ وأدوم عقابا .

﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ ﴾ لن نختارك . ﴿ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا ﴾ موسي به ، ويجوز أن يكون الضمير فيه لما . ﴿ مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ المعجزات الواضحات . ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ عطف على ما جاءنا أو قسم ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ ما أنت قاضيه أى صانعه أو حاكم به . ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ إنما تصنع ما تهواه ، أو تحكم ما تراه في هذه الدنيا ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (٣٧) فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده . وقرئ تقضي هذه الحياة الدنيا كقولك : صيم يوم الجمعة .

﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا ﴾ من الكفر والمعاصي . ﴿ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾ من معارضة المعجزة . روي أنهم قالوا لفرعون : أرنا موسي نائما ، فوجدوه تحرسه العصا فقالوا : ما هذا بسحر ، فإن الساحر إذا نام بطل سحره فأبي إلا أن يعارضوه ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ جزاء أو خير ثوابا وأبقي عقابا .

﴿ إِنَّهُ ﴾ إن الأمر . ﴿ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ﴾ بأن يموت علي كفره وعصيانه . ﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح . ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ حياة مهنأة .

﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ﴾ في الدنيا . ﴿ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ المنازل الرفيعة .

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ بدل من الدرجات . ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ حال والعامل فيها معني الإشارة أو الاستقرار . ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ تطهر من أدناس الكفار والمعاصي ، والآيات الثلاث يحتمل أن تكون من كلام

---

(٣٧) الأعلى ١٧

السحرة وأن تكون ابتداء كلام من الله تعالي :

الآيات من ٧٧ : ٨٣

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ (٧٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠) كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) ﴾

خروج موسي بقومه من مصر :

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ أي من مصر . ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا ﴾ فاجعل لهم ، من قولهم ضرب له في ماله سهما ، أو فاتخذ من ضرب اللبن إذا عمله . ﴿ فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسًا ويبسا كسقم سقمًا وسقمًا ، ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها ، وقرئ يبسا وهو إما مخفف منه أو وصف علي فعل كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله :

كَأَنَّ قُتُودَ رَحْلِي حِينَ ضَمَّتْ ... حَوَالِبَ غُرزاً وَمعى جيَاعا (٣٨)

أو لتعدده معني ، فإنه جعل لكل سبط منهم طريقا . ﴿ لَّا تَخَافُ دَرَكًا ﴾ حال من المأمور أى آمنا من أن يدرككم العدو ، أو صفة ثانية والعائد محذوف ، وقرأ

(٣٨) هذا البيت للقطامى يصف ناقته . . .

والقتود : العيدان التى يتكون منها الرحل ويجمع على أقتاد جمع قَتَد والحوالب يقصد : الحالبان وهما عرقان يكتنفان السرة ، والغُرَّز : جمع غارز أى قليلات اللبن ، والمعى : مجرى الطعام فى البطن من الحوايا ، ووصفها بكلمة جياع وهى جمع وصف بها المفرد على سبيل المبالغة . . .

حمزة علي أنه جواب الأمر . ﴿ ولا تَخْشَىٰ ﴾ استئناف أي وأنت لا تخشي ، أو عطف عليه والألف فيه للإطلاق كقوله ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ (٣٩) أو حال بالواو والمعني ولا تخشي الغرق .

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ﴾ وذلك أن موسي عليه السلام خرج بهم أول الليل فأخبر فرعون بذلك فقص أثرهم ، والمعني فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني . وقيل فأتبعهم بمعني فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعني : فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم . ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ الضمير لجنوده أوله ولهم ، وفيه مبالغة ووجازة أى : غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه إلا الله . وقرئ فغشاهم ما غشاهم أى غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالي أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورطهم للهلاك .

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ أى أضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٤٠) أو أضلهم في البحر وما نجا .

تذكير بني إسرائيل بالنعم التي جحدوها

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون علي إضمار قلنا ، أو للذين منهم في عهد النبي ﷺ بما فعل بآبائهم . ﴿ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ فرعون وقومه . ﴿ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ ﴾ بمناجاة موسي وإنزال التوراة ، وإنما عد المواعدة إليهم وهي لموسي أوله وللسبعين المختارين للملابسة . ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ يعني في التيه .

﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ لذائذه أو حلالاته ، وقرأ حمزة والكسائي أنجيتكم وواعدتكم وما رزقتكم علي التاء . وقرئ وعدتكم ووعدناكم ، والأيمن بالجر علي الجوار مثل : حجر ضب خرب . ﴿ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ فيما رزقناكم بالإخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق : ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين إذا وجب أداؤه . ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ فقد تردي وهلك . وقيل وقع في

(٣٩) الأحزاب ١٠ .   (٤٠) غافر ٢٩ .

الهاوية . وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل إذا نزل .

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ عن الشرك . ﴿ وَآمَنَ ﴾ بما يجب الإيمان به . ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ ثم استقام علي الهدي المذكور .

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظم عليهم فلذلك أجاب موسي عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم .

الآيات من ٨٤ : ٨٨

﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾

﴿ قَالَ ﴾ موسي . ﴿ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي ﴾ أى ما تقدمتهم إلا بخطا يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا . ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ فإن المسارعة إلي امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك .

ضلالهم واتخاذهم العجل

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ ﴾ ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم ، وهم الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا .

﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ باتخاذ العجل والدعاء إلي عبادته ، وقرئ وأضلهم أى أشدهم ضلالا لأنه كان ضالا مضلا ، وإن صح أنهم أقاموا علي الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر

العجل، وإن هذا الخطاب كان له عند مقدمه إذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك إخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع علي عادته ، فإن أصل وقوع الشئ أن يكون في علمه ومقتضي مشيئته .

والسامري منسوب إلي قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة . وقيل كان علجا من كرمان . وقيل : من أهل باجرما واسمه موسي بن ظفر وكان منافقا .

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ بعد ما استوفي الأربعين و أخذ التوراة ﴿ غَضْبَانَ ﴾ عليهم . ﴿ أَسِفًا ﴾ حزينا بما فعلوا . ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ وبأن يعطيكم التوراة فيها هدي ونور . ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ﴾ أي الزمان يعني زمان مفارقته لهم . ﴿ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ ﴾ يجب عليكم . ﴿ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ بعبادة ما هو مثل في الغباوة . ﴿ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ وعدكم إياي بالثبات علي الإيمان بالله والقيام علي ما أمرتكم به ، وقيل: هو من أخلفت وعده إذا وجدت الخلف فيه ، أي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الأربعين ، وهو لا يناسب الترتيب علي الترديد ولا علي الشق الذي يليه ولا جوابهم له .

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾ بأن ملكنا أمرنا إذ لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامري لما أخلفناه ، وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم ، وثلاثتها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشئ . ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ حملنا أحمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس . وقيل : استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به . وقيل : هي ما ألقاه البحر علي الساحل بعد إغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها أوزارا لأنها آثام ، فإن الغنائم لم تكن تحل بعد ، أو لأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي . ﴿ فَقَذَفْنَاهَا ﴾ أي في النار . ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ أي ما كان معه منها .

روي أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامري : إنما أخلف موسي ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم ، فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر

فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعل . وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وأبو بكر وروح حَمَلْنَا بالفتح والتخفيف .

﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا ﴾ من تلك الحلي المذابة . ﴿ لَهُ خُوَارٌ ﴾ صوت العجل . ﴿ فَقَالُوا ﴾ يعني السامري ومن افتتن به أول ما رآه . ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ أي فنسيه موسي وذهب يطلبه عند الطور ، أو فنسي السامري أن ترك ما كان عليه من إظهار الإيمان (٤١) .

الآيات من ٨٩ : ٩٦

﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) ﴾

---

(٤١) ذكر ابن كثير فى تفسيره مارواه عن ابن عباس حول هذه القصة قال : أراد هارون ـ عليه السلام ـ حين أمرهم بإلقاء الحلى فى حفرة فيها نار ، وأن يجتمع الحلى كله فى تلك الحفيرة ويجعل حجرا واحدا ، حتى إذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه مايشاء . ثم جاء ذلك السامرى فألقى عليها القبضة التى أخذها من أثر الرسول الذى جاوز ببنى إسرائيل البحر ، فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام : ياسامرى ألا تلقى مافى يدك ، والسامرى قابض عليه لايراه أحد طول ذلك ، فقال السامرى : لا ألقيها لشىء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يجعلها ما أريد ، فألقاها ودعا له هارون فقال السامرى : أريد أن يكون عجلا أجوف ليس فيه روح ولا خوار قال ابن عباس : لا والله ماكان له صوت قط، إنما كانت الريح تدخل فى دبره وتخرج من فيه ، وكان ذلك الصوت من ذلك . . .
ـ تيسير العلى القدير لاختصار تفسير ابن كثير حـ ٣ صـ ١٤٨ ـ

﴿ أَفَلا يَرَوْنَ ﴾ أفلا يعلمون . ﴿ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾ أنه لا يرجع إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا . وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لأن أن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين . ﴿ وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا ﴾ ولا يقدر علي إنفاعهم وإضرارهم .

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل رجوع موسي عليه الصلاة والسلام أو قول السامري كأنه أول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم . ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ﴾ بالعجل ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴾ لا غير . ﴿ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ في الثبات علي الدين .

﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ ﴾ علي العجل وعبادته . ﴿ عَاكِفِينَ ﴾ مقيمين . ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ وهذا الجواب يؤيد الوجه الأول .

﴿ قَالَ يَا هَارُونُ ﴾ أى قال له موسي حين رجع . ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾ بعبادة العجل .

﴿ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ ﴾ أن تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به ، أو تأتي عقبي وتلحقني ، ولا مزيدة كما في قوله ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ ﴾ (٤٢) ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ بالصلابة في الدين والمحاماة عليه ﴿ قَالَ يَا بْنَؤُمَّ ﴾ خص الأم استعطافًا وترقيقًا، وقيل : لأنه كان أخاه من الأم والجمهور علي أنهما كانا من أب وأم . ﴿ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي ﴾ أي بشعر رأسي قبض عليهما يجره إليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله ، وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا متصلبا في كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل . ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ لو قاتلت أو فارقت بعضهم ببعض . ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ حين قلت ﴿ اخلفني في قومي وأصلح ﴾ فإن الإصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة لهم أن ترجع إليهم فتتدارك الأمر برأيك .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ أي ثم أقبل عليه وقال له منكرا : ما خطبك ؟ أي ما طلبك له وما الذي حملك عليه ؟ ، وهو مصدر خطب الشئ إذا طلبه .

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالتاء علي الخطاب

(٤٢) الأعراف ١٢

أي علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له ، وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس أثره شيئا إلا أحياه ، أو رأيت ما لم تروه وهو أن جبريل عليه الصلاة والسلام جاءك علي فرس الحياة . وقيل : إنما عرفه لأن أمه ألقته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتي استقل (٤٣) .

﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق علي المقبوض كضرب الأمير ، وقرئ بالصاد والأول للأخذ بجميع الكف ، والثاني للأخذ بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم ، والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ، ولعله لم يسمه لأنه لم يعرف أنه جبريل أو أراد أن ينبه علي الوقت وهو حين أرسل إليه ليذهب به إلي الطور . ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ في الحلي المذاب أو في جوف العجل حتي حيي . ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ زينته وحسنته لي .

الآيات من ٩٧ : ١٠٢

﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨) كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً (١٠١) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) ﴾

﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ ﴾ عقوبة علي ما فعلت . ﴿ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ ﴾ خوفا من أن يمسك أحد فتأخذك الحمي ومن مسك فتتحامي الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحش النافر ، وقرئ لا مساس كفجار وهو علم

(٤٣) وهذا من المفارقات العجيبة التى تدل على قدرة الله وتصرفه الكامل فى مخلوقاته وأن الهداية بيده لابيد غيره ، فموسى الرسول رباه فرعون الكافر وقد اختاره الله نبيا ورسولا ، وموسى السامرى رباه جبريل ولكنه ضل وشقى ، وفى ذلك يقول القائل :
فموسى الذى رباه فرعون مؤمن ... وموسى الذى رباه جبريل كافر

للمسة . ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا ﴾ في الآخرة .. ﴿ لَّن تُخْلَفَهُ ﴾ لن يخلفكه الله وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا ، وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام أي لن تخلف الواعد إياه وسيأتيك لا محالة ، فحذف المفعول الأول لأن المقصود هو الموعد ويجوز أن يكون من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا ، وقرئ بالنون علي حكاية قول الله . ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ ظللت علي عبادته مقيما فحذف اللام الأولي تخفيفا ، وقرئ بكسر الظاء علي نقل حركة اللام إليها . ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ﴾ أي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه ، أو بالمبرد علي أنه مبالغة في حرق إذ برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه . ﴿ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ ﴾ ثم لنذرينه رمادا أو مبرودا وقرئ بضم السين . ﴿ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار غباوة المفتتنين به لمن له أدني نظر .

﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ ﴾ المستحق لعبادتكم . ﴿ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إذ لا أحد يماثله أو يدانيه في كمال العلم والقدرة . ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ وسع علمه كل ما يصح أن يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وإن كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة ، وقرئ وسع فيكون انتصاب علما علي المفعولية لأنه وإن انتصب علي التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعني فلما عدي الفعل بالتضعيف إلي المفعولين صار مفعولا .

العبرة من قصص الماضين

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسي عليه الصلاة والسلام . ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ من أخبار الأمور الماضية والأمم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيراً لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من أمتك .

﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ كتابا مشتملا علي هذه الأقاصيص والأخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار ، والتنكير فيه للتعظيم . وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس .

﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة

وقيل عن الله . ﴿ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً ﴾ عقوبة ثقيلة فادحة علي كفره ، وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها علي المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ، أو إثما عظيما .

﴿ خَالِدِينَ فِيهِ ﴾ في الوزر أو في حمله ، والجمع فيه والتوحيد في أعرض للحمل علي المعني واللفظ . ﴿ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً ﴾ أى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا ، والمخصوص بالذم محذوف أي ساء حملا وزرهم ، واللام في لهم للبيان كما في ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ (٤٤) ولو جعلت ساء بمعني أحزن والضمير الذي فيه للوزر أشكل أمر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معني .

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ وقرأ أبو عمرو بالنون علي إسناد النفخ إلي الآمر به تعظيما له أو للنافخ . وقرئ بالياء المفتوحة علي أن فيه ضمير الله أو ضمير إسرافيل وإن لم يجر ذكره لأنه المشهور بذلك ،، وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ ﴾ وقرئ ويحشر المجرمون ﴿ زُرْقًا ﴾ زرق العيون وصفوا بذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلي العرب (٤٥) ، لأن الروم كانوا أعدي أعدائهم وهم رزق العين ولذلك قالوا : صفة العدو أسود الكَبِد ، أصهب السبال (٤٦) ، أزرق العين أو عُمياً ، فإن حدقة الأعمي تَزْرَاقُّ .

الآيات من ١٠٣ : ١٠٩

﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً (١٠٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً (١٠٦) لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ

---

(٤٤) يوسف ٢٣

(٤٥) وقد استعار بشار هذا المعنى فهجا من أراده بالبخل وقال فيه :

وللبخيل على أمواله عللٌ ... زرق العيون عليها أوجه سود

(٤٦) أصهب السبال : الصهوبة صفرة تضرب إلى حمرة أو بياض ـ والسِّبَال جمع سَبَلة وهو طرف الشارب من الشعر ومقدم اللحية .

ويقال لمن جاء متوعدا : نشر سَبلتَه ، وهو أصهب السَّبلَة ـ المعجم الوجيز ـ

الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩) ﴾

﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول ، والخفت خفض الصوت وإخفاؤه . ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا ﴾ أي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها ، أو لا ستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا أنهم استحقوها علي إضاعتها في قضاء الأوطار واتباع الشهوات ، أو في القبر لقوله ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ (٤٧) إلي آخر الآيات .

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ وهو مدة لبثهم . ﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ أعدلهم رأيا أو عملا ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا ﴾ استرجاح لقول من يكون أشد تقاولا منهم .

حال الجبال يوم القيامة

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ عن مآل أمرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف(٤٨) .

﴿ فَقُلْ ﴾ لهم . ﴿ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها .

﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ فيذر مَقَارَّها ، أو الأرض ، وإضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله تعالي ﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ (٤٩) . ﴿ قَاعًا ﴾ خاليا ﴿ صَفْصَفًا ﴾ مستويا كأن أجزاءها علي صف واحد (٥٠) .

﴿ لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ اعوجاجا ولا نُتُوًّا إن تأملت فيها بالقياس الهندسي ، وثلاثتها أحوال مترتبة فالأولان باعتبار الإحساس ، والثالث باعتبار

---

(٤٧) غافر ٤٦ وهى فى حق آل فرعون ، وهى بتمامها ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ .

(٤٨) قال السيوطى فى لباب النقول : أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال : قالت قريش : يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة ؟ فنزلت ﴿ ويسالونك عن الجبال ﴾

(٤٩) النحل ٦١

(٥٠) وفى الصحاح أن كلا من القاع والصفصف بمعنى المستوى من الأرض ، وعلى هذا فالصفصف تأكيد للقاع .

المقياس، ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني ، والأمتُ وهو النتوء اليسير، وقيل : لا تري استئناف مبين للحالين .

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي يوم إذ نسفت علي إضافة اليوم إلي وقت النسف ، ويجوز أن يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة .

﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ داعي الله إلي المحشر ، قيل : هو إسرافيل يدعو الناس قائما علي صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل أوب إلي صوبه ﴿ لا عِوَجَ لَهُ ﴾ لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه . ﴿ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾ خفضت لمهابته . ﴿ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ﴾ صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت أخفاف الإبل ، وقد فسر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها إلي المحشر .

حال الناس يوم القيامة .

﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾ الاستثناء من الشفاعة أي إلا شفاعة من أذن له ، أو مَنْ أَعَمٌّ المفاعيل ، أي إلا من أذن في أن يشفع له فإن الشفاعة تنفعه ، فمن علي الأول مرفوع علي البدلية وعلي الثاني منصوب علي المفعولية ، وأذن يحتمل أن يكون من الإذن ومن الأذن (٥١) . ﴿ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ أى ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة أو رضي لأجله قول الشافع في شأنه ، أو قوله لأجله وفي شأنه .

الآيات من ١١٠ : ١١٥

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا (١١٢) وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ .

(٥١) الأذن بفتح الهمزة : السماع

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ما تقدمهم من الأحوال .. ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ وما بعدهم مما يستقبلونه . ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ ولا يحيط علمهم بمعلوماته ، وقيل : بذاته وقيل : الضمير لأحد الموصولين أو لمجموعها ، فإنهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه .

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الأساري في يد الملك القهار ، وظاهرها يقتضي العموم ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الإضافة ويؤيده . ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ وهو يحتمل الحال والاستئناف ما لأجله عنت وجوههم .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ ﴾ بعض الطاعات . ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ إذ الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات . ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ﴾ منع ثواب مستحق بالوعد ﴿ وَلَا هَضْمًا ﴾ ولا كسرا منه بنقصان أو جزاء ظلم وهضم لأنه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه ، وقرئ فلا يخف علي النهي .

القرآن جاء يذكر بهذا اليوم

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ عطف علي كذلك نقص أى مثل ذلك الإنزال أو مثل إنزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد .

﴿ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ كله علي هذه الوتيرة . ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ﴾ مكررين آيات الوعيد . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ المعاصي فتصير التقوي لهم ملكة . ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ عظة واعتبارا حين يسمعونها فتثبطهم عنها ، ولهذه النكتة أسند التقوي إليه والإحداث إلي القرآن .

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ ﴾ في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته ذاتهم . ﴿ الْمَلِكُ ﴾ النافذ أمره ونهيه الحقيق بأن يرجي وعده ويخشي وعيده . ﴿ الْحَقُّ ﴾ في ملكوته يستحقه لذاته ، أو الثابت في ذاته وصفاته . ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل عليه السلام ومساوقته في القراءة حتي يتم وحيه بعد ذكر الإنزال علي سبيل الاستطراد . وقيل : نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل أن يأتي بيانه . ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ أي سل الله زيادة العلم بدل

الاستعجال فإن ما أوحي إليك تناله لا محالة (٥٢) .

تذكير لعداوة إبليس لآدم وذريته ليحذروه

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ ﴾ ولقد أمرناه يقال تقدم الملك إليه وأوعز إليه وعزم عليه وعهد إليه إذا أمره ، واللام جواب قسم محذوف وإنما عطف قصة آدم علي قوله ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ﴾ (٥٣) للدلالة علي أن أساس بني آدم العصيان وعرقهم راسخ في النسيان . ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل هذا الزمان . ﴿ فَنَسِيَ ﴾ العهد ولم يُعْنَ به حتي غفل عنه ، أو ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة . ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ تصميم رأي وثباتًا ، علي الأمر ، إذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ، ولعل ذلك كان في بدء أمره قبل أن يجرب الأمور ويذوق شريها وأريها . (٥٤) وعن النبي ﷺ « **لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالي ولم نجد له عزما** » . وقيل : عزما علي الذنب لأنه أخطأ ولم يتعمده ، ونجد إن كان من الوجود الذي بمعني العلم فله عزما مفعولاه ، وإن كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما ، أو متعلق بنجد .

الآيات من ١١٦ : ١٢٢

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا

---

(٥٢) جاء فى لباب النقول للسيوطى : أخرج ابن أبى حاتم عن السدى قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه فى حفظه حتى يشق على نفسه ، فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه ، فانزل الله تعالى ولاتعجل بالقرآن ـ الآية ـ

(٥٣) طه ١١٣

(٥٤) شريها وأريها : الشَّرْىُ ـ بفتح فسكون ـ الحنظل ، والأَرْىُ : العسل ، والندى يسقط على الشجر

فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) ﴾

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ مقدر باذكر أى اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات . ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ قد سبق القول فيه . ﴿ أَبَىٰ ﴾ جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلي هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله ﴿ فَسَجَدُوا ﴾ لأن المعني أظهر الإباء عن المطاوعة .

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا ﴾ فلا يكونن سببا لإخراجكما ، والمراد نهيهما عن أن يكون بحيث يتسبب الشيطان إلي إخراجهما . ﴿ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ وأفرده بإسناد الشقاء إليه بعد إشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها ، من حيث إنه قيم عليها ، ومحافظة علي الفواصل ، أو لأن المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله .

﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ ﴾ .

﴿ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ ﴾ فإنه بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل أغراض ما عسي ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ، ليطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر عنها ، والعاطف وإن ناب عن (أنّ) لكنه ناب من حيث إنه عامل لا من حيث إنه حرف تحقيق ، فلا يمتنع دخوله علي أن امتناع دخول إن عليه . وقرأ نافع وأبو بكر وإنك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها .

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾ فانتهي إليه وسوسته . ﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ الشجرة التي من أكل منها خلد ولم يمت أصلا . فأضافها إلي الخلد لأنها سببه بزعمه . ﴿ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ ﴾ لا يزول ولا يضعف .

﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ أخذا يلزقان الورق علي سوآتهما للتستر وهو ورق التين ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ ﴾ بأكل الشجرة . ﴿ فَغَوَىٰ ﴾ فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل

الشجرة ، أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو . وقرئ فغوي من غوى الفصيل إذا أتخم من اللبن .

وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لأولاده عنها (٥٥) .

﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ ﴾ اصطفاه وقربه بالحمل علي التوبة والتوفيق لها من أَجْبَي إلي كذا فاجتبيته مثل جليت علي العروس فاجتليتها ، وأصل معني الكلمة الجمع . ﴿ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ فقبل توبته لما تاب . ﴿ وَهَدَى ﴾ إلي الثبات علي التوبة والتثبت بأسباب العصمة .

الآيات من ١٢٣ : ١٢٩

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (١٢٧) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (١٢٨) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (١٢٩) ﴾

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ الخطاب لآدم وحواء ، أوله ولإبليس ، ولما كانا أصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ لأمر المعاش

---

(٥٥) جاء في صدد الاعتذار عن آدم عليه السلام مارواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : حاجَّ موسى آدم فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟ قال آدم : ياموسى . أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتلومني علي أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني وقدره الله علي قبل أن يخلقني ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فحج آدم موسى »

كما عليه الناس من التجاذب والتحارب ، أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الأول قوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾ كتاب ورسول . ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ﴾ في الدنيا . ﴿ ولا يَشْقَىٰ ﴾ في الآخرة .

ضيق حياة الكافر

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ عن الهدي الذاكر لي والداعي إلي عبادتي . ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث ، وقرئ ضنكى كسكري ، وذلك لأن مجامع همته ومطامح نظره تكون إلي أعراض الدنيا متهالكا علي ازديادها خائفا علي انتقاصها ، بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالي قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ (٥٦) ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾(٥٧) ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ (٥٨) الآيات ، وقيل هو الضريع والزقوم في النار ، وقيل عذاب القبر ﴿ وَنَحْشُرُهُ ﴾ قرئ بسكون الهاء علي لفظ الوقف وبالجزم عطفا علي محل ﴿ فإنَّ له معيشة ضنكا ﴾ لأنه جواب الشرط . ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ أعمي البصر أو القلب ويؤيد الأول (٥٩) .

---

(٥٦) البقرة ٦١ (٥٧) المائدة ٦٦ (٥٨) الأعراف ٩٦

(٥٩) المقصود بالضنك في الآية كما يقول ابن كثير : ضيق الصدر بسبب كفره وضلاله ، فمهما تنعم فى الدنيا فإن قلبه فى قلق واضطراب لأنه لم يخلص إلى اليقين والهدى ، فهو دائما فى قلق وحيرة وشك ، وفى الآخرة ينتظره عذاب القبر . روى البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله عز وجل « فإن له معيشة ضنكا » قال « المعيشة الضنك الذى قال الله ﴿ إنه يسلط عليه تسعة وتسعين حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة ﴾

نقول : هذا بالنسبة لعذاب القبر ، أما بالنسبة للدنيا فقد دلت التجارب على أن السعادة فى الدنيا ليس مصدرها كثرة المال والجاه والسلطان فقد يملك الإنسان ذلك ولا يكون سعيدا ، وإنما مصدرها الوحيد هو الإيمان والرضا والقناعة ، ولا يوجد ذلك إلا فى قلب المؤمن التقى الذى يرضى بما قسم الله له ، وصدق الذى يقول :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ﴾ وقد أمالهما حمزة والكسائي لأن الألف منقلبة من الياء ، وفرق أبو عمرو بأن الأول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال : ﴿ أَتَتْكَ آيَاتُنَا ﴾ واضحة نيرة . ﴿ فَنَسِيتَهَا ﴾ فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها . ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ ومثل تركك إياها . ﴿ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ تترك في العمي والعذاب .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ﴾ بالانهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات . ﴿ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴾ بل كذب بها وخالفها . ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ ﴾ وهو الحشر علي العمي ، وقيل عذاب النار أي وللنار بعد ذلك . ﴿ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ من ضنك العيش أو منه ومن العمي ، ولعله إذا دخل النار زال عماه ليري محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها .

عدم اتعاظ قريش بمصير الأمم السابقة

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ ﴾ مسند إلي الله تعالي أو الرسول أو ما دل عليه . ﴿ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾ أي إهلاكنا إياهم أو الجملة بمضمونها ، والفعل علي الأولين معلق يجري مجري أعلم ويدل عليه القراءة بالنون . ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾ ويشاهدون آثار هلاكهم . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي .

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلي الآخرة . ﴿ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة ، وهو مصدر وصف به ، أو اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم (٦٠) . ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ عطف علي كلمة ، أي ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمي

---

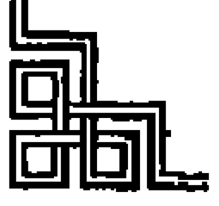
(٦٠) كونه اسم آلة ، يعنى على تأويل أنه بمعنى مِفْعَل ، أى مِلْزَم ، كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه.

ولِزاز خصم : اللِّزاز : مترس الباب ويقال : فلان لزاز خصومة أى قادر عليها وملازم لها ـ المعجم الوجيز.

لأعمارهم ، أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لكان العذاب لزاما ، والفصل للدلالة علي استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ، ويجوز عطفه علي المستكن في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمي لازمين له .

الآيات من ١٣٠ : ١٣٢

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) ﴾



الأمر بالصبر والصلاة

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ وصل وأنت حامد لربك علي هدايته وتوفيقه ، أو نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص حامدا له علي ما ميزك بالهدي معترفا بأنه المولي للنعم كلها . ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾ يعني الفجر . ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ يعني الظهر والعصر لأنهما في آخر النهار أو العصر وحده . ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ ﴾ ومن ساعاته جمع إنا بالكسر والقصر ، أو أناء بالفتح والمد ﴿ فَسَبِّحْ ﴾ يعني المغرب والعشاء وإنما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فإن القلب فيه أجمع والنفس أميل إلي الاستراحة فكانت العبادة فيه أحمز(٦١) ولذلك قال سبحانه وتعالي ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ (٦٢) . ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ تكرير لصلاتي الصبح والمغرب إرادة الاختصاص ، ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله :

ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُرْسَيْنِ (٦٣)

---

(٦١) أحمز : أشد   (٦٢) المزمل ٦

(٦٣) هذا البيت لشاعر اسمه خطام المجاشعى ، وقيل : هميان بن قحافة ، ضمن أبيات ، هى بتمامها :

ومهمهين قذفين مرتين   ظهراهما مثل ظهور الترسين

جبتهما بالنعت لا بالنعتين

أو أمر بصلاة الظهر فإنه نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين أو لأن النهار جنس ، أو بالتطوع في أجزاء النهار .

﴿ **لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ** ﴾ متعلق بسبح أي سبح في هذه الأوقات طمعا أن تنال عند الله ما به ترضي نفسك . وقرأ الكسائي وأبو بكر بالبناء للمفعول أي يرضيك ربك .

﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ** ﴾ أي نظر عينيك . ﴿ **إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ** ﴾ استحسانا له وتمنيا أن يكون مثله . ﴿ **أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ** ﴾ وأصنافا من الكفرة ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في به والمفعول منهم أى الذي متعنا به ، وهو أصناف بعضهم أو ناسا منهم . ﴿ **زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ منصوب بمحذوف دل عليه متعنا أو به علي تضمينه معني أعطينا ، أو بالبدل من محل به أو من أزواجا بتقدير مضاف ودونه ، أو بالذم وهي الزينة والبهجة . وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة في الجهرة ، أو جمع زاهر وصف لهم بأنهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد .

﴿ **لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ** ﴾ لنبلوهم ونختبرهم فيه ، أو لنعذبهم في الآخرة بسببه . ﴿ **وَرِزْقُ رَبِّكَ** ﴾ وما ادخر لك في الآخرة ، أو ما رزقك من الهدي والنبوة . ﴿ **خَيْرٌ** ﴾ مما منحهم في الدنيا . ﴿ **وَأَبْقَىٰ** ﴾ فإنه لا ينقطع .

﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ** ﴾ أمره بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أمر بها ليتعاونوا علي الاستعانة بها علي خصاصتهم ولا يهتموا أمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة . ﴿ **وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ وداوم عليها . ﴿ **لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا** ﴾ أي أن ترزق نفسك ولا أهلك . ﴿ **نَّحْنُ نَرْزُقُكَ** ﴾ وإياهم ففرغ بالك لأمر الآخرة .﴿ **وَالْعَاقِبَةُ** ﴾ المحمودة . ﴿ **لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ لذوي التقوي . روي « **أنه عليه**

والمهمه : الصحراء الواسعة ، والقذف ـ بفتح القاف والذال ـ الذى يقذف سالكه فلا يمكث فيه أحد ، والمرْت ـ بسكون الراء ـ المكان القفر الذى لاماء فيه ولا نبات ، والترس : حيوان ناتيء الظهر . والنعت : الوصف

يقول : لقد قطعت هاتين المفازتين المخوفتين دون معرفة سابقة لهما ، وقد نُعتا لى مرة واحدة لا مرتين .

من تعليق محقق الكشاف

الصلاة والسلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية»(٦٤) .

الآيات من ١٣٣ : ١٣٥

﴿ وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٣٣) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٤) قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ (١٣٥) ﴾

عود الكفار إلي طلب الآيات

﴿ وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ بآية تدل علي صدقه في إهداء النبوة ، أو بآية مقترحة إنكارا لما جاء به من الآيات ، أو للاعتداد به تعنتا وعنادا فألزمهم بإتيانه بالقرآن الذي هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها ، لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم أو العمل علي وجه خارق للعادة ، ولا شك أن العلم أصل العمل وأعلي منه قدرا وأبقي أثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ، ونبههم أيضا علي وجه أبين من الوجوه المختصة بهذا الباب فقال : ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ﴾ من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية ، فإن اشتمالها علي زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي بها أمي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بين ، وفيه إشعار بأنه كما يدل علي نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث إنه معجز وتلك ليست كذلك ، بل هي مفتقرة إلي ما يشهد علي صحتها . وقرئ الصحف بالتخفيف ، وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم أو لم تأتهم بالتاء والباقون بالياء .

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ﴾ من قبل محمدﷺ أو البينة والتذكير لأنها في معني البرهان ، أو المراد بها القرآن . ﴿ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً

---

(٦٤) روى ابن أبى حاتم عن ثابت قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أصابه خصاصة نادى أهله : ياأهلاه صلوا صلوا » وقال ثابت : « وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة » . تفسير ابن كثير.

فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ ﴾ بالقتل والسبي في الدنيا . ﴿ وَنَخْزَى ﴾ بدخول النار يوم القيامة ، وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما .

﴿ قُلْ كُلٌّ ﴾ أي كل واحد منا ومنكم . ﴿ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم . ﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾ وقرئ فتمتعوا . ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ﴾ المستقيم ، وقرئ السواء أي الوسط الجيد والسوآي والسوء أي الشر ، والسوي هو تصغيره . ﴿ وَمَنِ اهْتَدَى ﴾ من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ، ويجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الأولي لعدم العائد فتكون معطوفة علي محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل ، علي أن العلم بمعني المعرفة أو علي أصحاب أو علي الصراط ، علي أن المراد به النبي ﷺ .

فضائل سورة طه

وعنه ﷺ « **من قرأ طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين** » (٦٥) .

---

(٦٥) قال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف : أخرجه الثعلبى من رواية زياد عن الحسن مرسلا وروى الزمخشرى فى تفسيره ما أخرج ابن مردويه من حديث أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه ويس » .

سورة الأنبياء مكية وآياتها اثنتا عشرة ومائة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٣

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) ﴾

تنبيه للناس من غفلتهم

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ بالإضافة إلي ما مضي أو ما عند الله لقوله تعالي ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ (٢) وقوله ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٣) أو لأن كل ما هو آت قريب وإنما البعيد ما انقرض ومضي ، واللام صلة لاقترب أو تأكيد للإضافة وأصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم ، وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله : ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ أي في غفلة عن الحساب . ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ، ويجوز أن يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون .

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ ﴾ ينبههم من سنة الغفلة والجهالة . ﴿ مِّن رَّبِّهِم ﴾ صفة لذكر أو صلة ليأتيهم . ﴿ مُّحْدَثٍ ﴾ تنزيله ليكرر علي أسماعهم التنبيه كي يتعظوا، وقرئ بالرفع حملا علي المحل .﴿ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ يستهزئون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ حال من الواو وكذلك :

افتراءات الكفار علي الرسول

﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ أى استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن

---

(١) فى مختلف التفاسير نزلت بعد سورة إبراهيم

(٢) المعارج ٧ (٣) الحج ٤٧

التفكر فيه ، ويجوز أن يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع علي أنها خبر آخر للضمير . ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ﴾ بالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها . ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بدل من واو وأسروا للإيماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به ، أو فاعل له والواو لعلامة الجمع ، أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره وأصله وهؤلاء أسروا النجوي فوضع الموصول موضعه تسجيلا علي فعلهم بأنه ظلم ، أو منصوب علي الذم . ﴿ هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ بأمره في موضع النصب بدلا من النجوي ، أو مفعولا لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا علي كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكا ، واستلزموا منه أن ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره ، وإنما أسروا به تشاوراً في استنباط ما يهدم أمره ويظهر فساده للناس عامة .

الآيات من ٤ :٩

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ (٥) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩) ﴾

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ جهرا كان أو سرا فضلا عما أرسلوا به فهو آكد من قوله ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ﴾[٤] ولذلك اختير ها هنا وليطابق قوله ﴿ وأسروا النجوي ﴾ في المبالغة . وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالإخبار عن الرسول ﷺ .

﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فلا يخفي عليه ما يسرون ولا ما يضمرون .

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ إضراب لهم عن قولهم

(٤) الفرقان ٦

هو سحر إلي أنه تخاليط أحلام ، ثم إلي أنه كلام افتراه ، ثم إلي أنه قول شاعر ، والظاهر أن بل الأولي لتمام حكاية والابتداء بأخري ، أو للإضراب عن تحاورهم في شأن الرسول ﷺ وما ظهر عليه من الآيات إلي تقاولهم في أمر القرآن ، والثانية والثالثة لإضرابهم عن كونه أباطيل خيلت إليه وخلطت عليه إلي كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ، ثم إلي أنه كلام شعري يخيل إلي السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ، ويجوز أن يكون الكل من الله تنزيلا لأقوالهم في درج الفساد لأن كونه شعرا أبعد من كونه مفتري لأنه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء ، وهو من كونه أحلاما لأنه مشتمل علي مغيبات كثيرة طابقت الواقع، والمفتري لا يكون كذلك بخلاف الأحلام ، ولأنهم جربوا رسول الله ﷺ نيفا وأربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط ، وهو أبعد من كونه سحرا لأنه يجانسه من حيث إنهما من الخوارق . ﴿ **فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ** ﴾أى كما أرسل به الأولون مثل اليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتي ، وصحة التشبيه من حيث إن الإرسال يتضمن الإتيان بالآية .

﴿ **مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ** ﴾ من أهل قرية . ﴿ **أَهْلَكْنَاهَا** ﴾ باقتراح الآيات لما جاءتهم . ﴿ **أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ** ﴾ لو جئتهم بها وهم أعتي منهم ، وفيه تنبيه علي أن عدم الإتيان بالمقترح للإبقاء عليهم إذ لو أتي به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم(٥) .

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ جواب لقولهم ﴿ **هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُم** ﴾(٦) فأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة ، والإحالة عليهم إما للإلزام فإن المشركين كانوا يشاورونهم في أمر النبي عليه الصلاة والسلام ويثقون بقولهم ، أو

---

(٥) جاء فى لباب النقول : أخرج ابن جرير عن قتادة : قال أهل مكة للنبى صلى الله عليه وسلم : إن كان ماتقول حقا ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهبا ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن شئت كان الذى سأله قومك ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يُنظرُوا ، وإن شئت استأنيت بقومك . فأنزل الله الآية : ﴿ **ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون** ﴾

(٦) الأنبياء ٣

لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم وإن كانوا كفارا . وقرأ حفص نوحي بالنون .

﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ نفي لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لأنهم كانوا أبشارا مثلهم . وقيل جواب لقولهم ﴿ مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ﴾ (٧) ﴿ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ (٨) تأكيد وتقرير له فإن التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي إلي الفناء وتوحيد الجسد لا إرادة الجنس ، أو لأنه مصدر في الأصل ، أو علي حذف المضاف ، أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون فلذلك لا يطلق علي الماء والهواء، ومنه الجساد للزعفران (٩) . وقيل جسم ذو تركيب لأن أصله لجمع الشئ واشتداده .

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ ﴾ أي في الوعد . ﴿ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ ﴾ يعني المؤمنين بهم ومن في إبقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو أحد من ذريته ، ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال . ﴿ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ في الكفر والمعاصي .

الآيات من ١٠ : ١٦

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٠) وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (١٦) ﴾

شرف القرآن

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ﴾ يا قريش ﴿ كِتَابًا ﴾ يعني القرآن . ﴿ فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾

---

(٧) الفرقان ٧ (٨) الأنبياء ٨

(٩) الجساد بكسر الجيم : الزعفران والعصفر ونحوهما من صبغ شديد الحمرة . المعجم الوجيز.

صيتكم كقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ (١٠) أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق . ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ فتؤمنون .

تنذير لهم

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ وإرادة عن غضب عظيم لأن القصم كسر يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم . ﴿ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ صفة لأهلها وصفت بها لما أقيمت مقامه . ﴿ وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا ﴾ بعد إهلاك أهلها . ﴿ قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ مكانهم .

﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾ فلما أدركوا شدة عذابنا إدراك المشاهد المحسوس ، والضمير للأهل المحذوف . ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم ، أو مشبهين بهم من فرط إسراعهم .

﴿ لا تَرْكُضُوا ﴾ علي إرادة القول أى قيل لهم استهزاء لا تركضوا إما بلسان الحال أو المقال ، والقائل ملك أو من ثَمَّ من المؤمنين . ﴿ وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ من التنعم والتلذذ والإتراف إبطار النعمة . ﴿ وَمَسَاكِنِكُمْ ﴾ التي كانت لكم . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾ غدا عن أعمالكم أو تعذبون فإن السؤال من مقدمات العذاب ، أو تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل .

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة لذلك لم ينفعهم . وقيل إن أهل حضور (١١) من قري اليمن بعث إليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادي مناد من السماء يا لثارات الأنبياء فندموا وقالوا ذلك (١٢) .

﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾ فما زالوا يرددون ذلك ، وإنما سماه دعوي لأن المولول (١٣) كأنه يدعو الويل ويقول : يا ويل تعال فهذا أوانك ، وكل من تلك .

---

(١٠) الزخرف ٤٤

(١١) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن القرية المقصودة هى « حَضُور » واسمها « سَحُول » أيضا ، وإليهما تنسب إليها أنواع من الثياب ، وفى الحديث « كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى ثوبين سحوليين وروى حضوريين » متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها .

(١٢) ذكره الزمخشرى فى تفسيره الكشاف وأسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما .

(١٣) المولول : الصارخ اسم فاعل من ولول إذا صرخ ودعا بالويل قائلا ياويلى ياويلى .

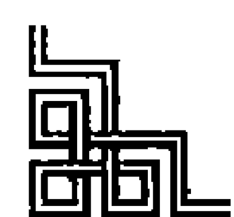
ودعواهم يحتمل الأسمية والخبرية (١٤) . ﴿ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً ﴾ مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع . ﴿ خَامِدِينَ ﴾ ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا منزلة المفعول الثاني كقولك : جعلته حلوا حامضا إذ المعني : وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره .

حكمة خلق السماء والأرض

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴾ وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسببا لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد ، فينبغي أن يتسلقوا بها إلي تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فإنها سريعة الزوال .

الآيات من ١٧ : ٢٢

﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠) أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) ﴾



﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً ﴾ ما يتلهي به ويلعب . ﴿ لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا ﴾ من جهة قدرتنا ، أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها ، وقيل : اللهو الولد بلغة اليمن ، وقيل : الزوجة والمراد به الرد علي النصاري ﴿ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ذلك ويدل علي جواب الجواب المتقدم . وقيل : إن نافية والجملة كالنتيجة للشرطية .

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن

---

(١٤) يعنى يحتمل أن يكون دعواهم اسما لما زالت مؤخرا ، ويحتمل أن يكون خبرا لها .

اللعب أي بل من شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد علي الباطل الذي من عداده اللهو . ﴿ فَيَدْمَغُهُ ﴾ فيمحقه ، وإنما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي ، والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدي إلي زهوق الروح تصوير لإبطاله به ومبالغة فيه ، وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله :

سَأَتْرُكُ مَنْزِلي لِبَني تَمِيم وَأَلْحَق بالحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا (١٥)

وَوُجِّهَ مع بُعْدِه الحمل علي المعني والعطف علي الحق . ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ هالك ، والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز . ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ مما تصفونه به مما لا يجوز عليه ، وهو في موضع الحال وما مصدرية أو موصولة أو موصوفة .

عظمة الله وقدرته

﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ خلقًا وملكًا . ﴿ وَمَنْ عِندَهُ ﴾ يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك ، وهو معطوف علي من في السموات وأفرده للتعظيم أو لأنه أعم منه من وجه ، أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوؤ في السماء والأرض أو مبتدأ خبره : ﴿ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ لا يتعظمون عنها . ﴿ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ ولا يعيون منها ، وإنما جئ بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور تنبيها علي أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ولا يستحسرون .

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ ينزهونه ويعظمونه دائما . ﴿ لا يَفْتُرُونَ ﴾ حال من الواو في يسبحون وهو استئناف أو حال من ضمير قبله .

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً ﴾ بل اتخذوا والهمزة لإنكار اتخاذهم . ﴿ مِّنَ الأَرْضِ ﴾ صفة لآلهة أو متعلقة بالفعل علي معني الابتداء ، وفائدتها التحقير دون التخصيص . ﴿ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ الموتي وهم وإن لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الإلهية ، فإن من لوازمها الاقتدار علي جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم

---

(١٥) الشاهد في البيت نصب الفعل بعد الفاء على أنها سببية ولم يتقدمها طلب وهو من الأقوال الضعيفة . وسبق هذا البيت والحديث عنه

بهم ، وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الإنشار بهم (١٦) .

مسألة كونية

﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ غير الله ، وصف بإلاَّ لتعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته علي ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه ، والمراد ملازمته لكونها مطلقا أو معه حملا لها علي غير كما استثني بغير حملا عليها، ولا يجوز الرفع علي البدل لأنه متفرع علي الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلا م غير موجب .

﴿ **لَفَسَدَتَا** ﴾ لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع ، فإنها إن توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وإن تخالفت فيه تعاوقت عنه . ﴿ **فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ** ﴾ المحيط بجميع الأجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير ﴿ **عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد .

الآيات من ٢٣ : ٢٨

﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)** ﴾

﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ** ﴾ لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالألوهية والسلطنة الذاتية . ﴿ **وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ لأنهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد .

﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً** ﴾ كرره استعظامًا لكفرهم واستفظاعًا لأمرهم وتبكيتاً وإظهاراً لجهلهم ، أو ضماً لإنكار ما يكون لهم سنداً من النقل إلى إنكار ما

---

(١٦) يعنى أن الضمير الذى سبق الفعل « ينشرون » يفيد معنى الخصوصية ، كأنه قيل : أم اتخذوا آلهة لايقدر على الإنشار إلا هم وحدهم ـ الكشاف ـ

يكون لهم دليلاً من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتي فاتخذوهم آلهة ، لما وجدوا فيهم من خواص الألوهية ، أو وجدوا في الكتب الإلهية الأمر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للأمر ، ويعضد ذلك أنه رتب على الأول ما يدل على فساده عقلاً ، وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا .

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ على ذلك إما من العقل أو من النقل ، فإنه لا يصح القول بما لا دليل عليه ، كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلاً ونقلاً ؟

﴿ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾ من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك ؟ ، والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ، ومن معي : أمته ، ومن قبلي : الأمم المتقدمة وإضافة الذكر إليهم لأنه عظتهم ، وقرئ (١٧) بالتنوين ، ولا إعمال وبه وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعدوشبههما وبعدمها(١٨) .

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ﴾ ولا يميزون بينه وبين الباطل ، وقرئ الحق بالرفع على أنه خبر محذوف وُسِّطَ للتأكيد بين السبب والمسبب . ﴿ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ عن التوحيد واتباع الرسول من أجل ذلك .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ تعميم بعد تخصيص ، فإن ذكر من قبل من حيث إنه خبر لاسم الإشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة ، وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحى إليه بالنون وكسر الحاء ، والباقون بالياء وفتح الحاء .

الملائكة عباد الله

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ نزلت في خزاعة قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيه له عن ذلك . ﴿ بَلْ عِبَادٌ ﴾ بل هم عباد من حيث إنهم مخلوقون وليسوا بالأولاد ﴿ مُّكْرَمُونَ ﴾ وفيه تنبيه على مدحض القوم ، وقرئ بالتشديد .

---

(١٧) أي قرىء « ذكرٌ من معي وذكرٌ من قبلي »

(١٨) أي قرىء بدون من « ذكر معي ، وذكر قبلي » .

﴿ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ لا يقولون شيئًا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين ، وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق إليه وإليهم ، وجعل القول محله وأداته تنبيهًا على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله ، وأنيبت اللام على الإضافة اختصارًا وتجافيا عن تكرير الضمير ، وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه . ﴿ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ لا يعملون قط ما لم يأمرهم به .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ لا تخفى عليه خافية مما قدموا وأخروا ، وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فإنهم لإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم . ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ أن يشفع له مهابة منه . ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ ﴾ عظمته ومهابته . ﴿ مُشْفِقُونَ ﴾مرتعدون ، وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء (١٩) . والإشفاق خوف مع اعتناء فإن عدى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وإن عدى بعلى فبالعكس .

الآيات من ٢٩ : ٣٤

﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) ﴾

﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾ من الملائكة أو من الخلائق ﴿ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ يريد به نفي البنوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية . ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ من ظلم بالإشراك وإدعاء الربوبية .

---

(١٩) قال تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فاطر ٢٨

دعوة إلى التأمل في مظاهر الكون

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِيــنَ كَفَرُوا ﴾ أو لم يعلموا ، وقرأ ابن كثير بغيرواو . ﴿ أَنَّ

* **الإعجاز العلمي**

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً ﴾

المتأمل لهذه الآية الكريمة تجد أنها اشتملت على أمرين من أمور خلق الكون أولهما : قضية خلق السموات والأرض والأمر الثانى : اثبات أن أصل كل شيء حي هو الماء .

ومن كتاب الإعجاز العلمي في الإسلام للشيخ محمد عبد الصمد يقول فيه :

قد أثبت العلم الحديث ما جاء به القرآن بعد جهد شاق طويل ، تقدمت فيه أبحاث الجيولوجيا والتحاليل الأرضية ، تمخضت عن أن الأرض والشمس ومختلف الكواكب والأجرام ، إنما كانت سديمًا في الفضاء ، وأن الأرض انفصلت عن هذا السديم ، والأدلة على ذلك كثيرة ، ومنها أن نفس العناصر التي تتكون منها الأرض هي نفسها التي تتكون منها الشمس .

وقد حاول العلماء جاهدين أن يصلوا إلى حقيقة السديم ، وقد كان الرأي الذي استقروا عليه مؤخرا جداً ، هو أن السديم عبارة عن غاز عالق بين مواد صلبة ، ولهذا فإنه لا يمكن إطلاق لفظ السديم على أي شيء من الوجهة العلمية سوى الدخان ، وليس عجيبا أن يكون هذا هو ما جاء به القرآن الكريم :

﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين) [فصلت ٩ : ١١] . إلى آخر الآيات .

فالعلم الحديث يقرر أن الكون كان شيئًا واحداً من غاز ثم انقسم إلي سدائم ، وعالمنا الشمسي كان نتيجة ذلك الانقسام الذي حدث من جراء انفجارات شديدة ، وتم الانفتاق المذكور في الآية بعد أن كانتا مرتوقتين وفي ذلك إشارة لما حدث في الكون من انفجارات انتشرت بسببها مادة الكون فيما حولها من فضاء وفراغ ، انتهت بتكوين أجرام السماء المختلفة .

تكوين الأرض :

يقول تعالي : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها ﴾ .

يقرر العلم أن الأرض انفصلت عن الشمس ، وهي على صورة غازية ملتهبة ثم أخذت تبرد شيئًا فشيئًا ، فنتج عن ذلك تجمد السطح الخارجي الذي أخذ يزداد سمكًا . . وفي هذه الفترة كانت الغازات والأبخرة تتصاعد من الأرض لتتساقط عليها ثانية على هيئة المطر ، فكان تكوين الماء . بعد

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾ ذات رتق أو مرتوقتين ، وهم الضم والالتحام أي

* الإعجاز العلمي

خلق الأرض ونزول الماء مع الأمطار وتفجره من الينابيع ، وجدت التربة الصالحة التي ينمو بها النبات ويترعرع . . أو ليس ذلك هو ما يقرره القرآن الكريم . .

شكل الأرض :

قال تعالى : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾

توضح المعاجم اللغوية أن كلمة دحاها تعني أنه جعلها كالدحية أي كالبيضة . . وقد أوضحت الصور التي سجلتها آلات التصوير في أثناء رحلات الأقمار الصناعية في الفضاء ، أن شكل الأرض الحقيقي مستدير ، وهذا يطابق ماتدل عليه البراهين النظرية والعملية .

ويلاحظ أن لفظ « دحاها » يدل على شيئين هما : البسط مع الاتساع ، والتكوير في التكوين . . وهذه روعته في التعبير عن الأرض التي نراها أمامنا في الظاهر مبسوطة فسيحة الأرجاء ، هي في واقع الأمر مستديرة كالبيضة ، وهذا تقرير العزيز الحكيم الذي أتقن كل شيء خلقه .

ومما يثبت كروية الأرض قوله تعالي : ﴿ رب المشرقين ورب المغربين ﴾

فلو كانت الكرة الأرضية منبسطة ، لوجب أن يكون على سطحها شروق واحد وغروب واحد ، فتنير الشمس كامل سطحها حين تشرق ، ويحتجب النور عن كامل سطحها حين تغرب ، وبما أن الأرض كروية فإن الشمس حينما تشرق عليها تنير الجهة الشرقية منها فقط ، وتظل الجهة الغربية منها محجوبة عن النور في حالة ظلمة ، ويجرى العكس حينما تشرق الشمس على الجهة الغربية منها ، وتنيرها بحيث تظل الجهة الشرقية منها مظلمة محرومة من النور بسبب غروب الشمس عنها . . وهذا الأمر لا يتأتى إلا من كون الأرض كروية الشكل .

وإن ما أثبته القرآن عن الشكل الكروي بالآية الكريمة السالف ذكرها لم يكتشفه العلم الحديث إلا أخيرا :

وعن نعمة الماء والتي منها أصل الحياة يحدثنا الدكتور أحمد فؤاد باشا :

من يتأمل نعمة الماء الذي جعله الله سبحانه وتعالى أصلا للحياة وضرورة من ضرورات استمرارها والحفاظ عليها ، فسوف يجد فيه من الخصائص الفريدة ما يؤهله للقيام بهذا الدور الذي أخبر القرآن الكريم بحقيقته في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ [الانبياء : ٣٠].

بداية يقول المشتغلون بالعلم أن أربعة أخماس السطح المنحني للكرة الأرضية التي نعيش عليها مغمور بالماء ، وأن الجاذبية الأرضية هي التي تحفظ استقرار هذا الماء في الفضاء الكوني لا ينسكب

كانتا شيئًا واحداً وحقيقة متحدة . ﴿ فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ بالتنويع والتمييز ، أو كانت

* الإعجاز العلمي

عن يمين ولا شمال مقوسا مع انحناء سطح الأرض لا مستويا كما نألف في مقادير المياه المستعملة بين أيدينا .

أما أصحاب العقول التامة والقلوب الموصولة بخالق الكون والحياة إنهم لا يقفون عند هذا التفسير المحدود بحدود العلم البشرى ، بل إنهم يلجأون إلى التحقق والرؤية القرآنية المتجاوبة مع فطرة الخلق ويهتدون ببصيرتهم إلى سبب الأسباب الذي أسكن الماء في الأرض وكف أمواجه عن الانسكاب في الفضاء الكوني مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون ﴾ [المؤمنون : ١٨] .

وعندما تتأمل الدورة التي تسلكها المياه بين الأحياء نجد في تكرارها وتجددها ما هو جدير بالنظر والتأمل والاعتبار . فالإنسان والحيوان والنبات يشرب من مياه الأنهار والينابيع التي هطلت من السحاب القادم من تبخر مياه البحار والمحيطات ، ثم تذوى الأجسام والزروع ، ويتسرب ما بها من ماء عائدا من حيث جاء سالكا الف فج ليتكون مرة أخرى سحباً وأمطاراً وينابيع وأنهارا ، وهكذا دواليك تستمر هذه الدورة الهيدرولوجية ، وتبقى معها الحياة بقدر مضبوط من الماء لا يزيد ولا ينقص مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدرمعلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ﴾ [الحجر ٢١ ـ ٢٣] عندما تتأمل إحدى خصائص الماء الفريدة التي سماها الباحثون « السعة الحرارية »وهي تعنى قدرة أي مادة على اكتساب الطاقة الحرارية والاحتفاظ بها ، نجد أن الماء يتميز عن باقي السوائل بسعة حرارية كبيرة تعمل على إبطاء معدل تسخينة أو تبريده . ويقول المشتغلون بالبحث العلمي أن هذه الخاصية الفيزيائية المميزة للماء هي التي تجعل مياه البحار والمحيطات تتمتع بثبات عظيم في درجة حرارتها يساعدها على حماية أحياء كثيرة تقلبات الجو ويقولون أيضاً أن هذا هو ما يحدث في جسم الكائن الحي ذاته ، فيقع من كوارث مهلكة تهدد حياته ، وهو ما يحدث كذلك بالنسبة لكوكب الأرض في جملته فيلطف الهواء واليابسة أما أصحاب العقول الراجحة والقلوب العامرة بالإيمان الخالص فإنهم يرون أبعد مما يقدم العلم البشري المحدود ويهتدون بعين البصيرة إلى مانح الماء خواصه الفريدة المسخرة لصالح الحياة والأحياء فمن يتعمق الأمر يجد أن أسرار الإعجاز في خلق الماء تكمن في تصميم بنيانه وتركيبه الجزئى على النحو الذي أراده الله تعالى ، بحيث يجمع فيه من الخصائص ما جعله مميزا عن غيره من السوائل ومرتبطا بوظائفه الضرورية بأسباب الحياة .

ومن مقال للدكتور منصور محمد حسب الله رئيس الجمعية المصرية للإعجاز القرآني يقول :

السموات واحدة ففتقت بالتحركات المختلفة حتى صارت أفلاكًا ، وكانت الأرضون

* الإعجاز العلمي

ورد ذكر الماء صراحة في القرآن الكريم في ٦٥ آية فضلاً عن الآيات التي ذكرت الماء ضمنيا عند الحديث عن الرياح ، والأمطار ، والأنهار ، والبحار مما يؤكد أهمية هذه النعمة الالهية .

ولقد ثبت علميا أن أصل جميع الكائنات الحية قد تكون في الماء ، وأنها جميعًا تتركب أساسا من الماء سواء الاميبا ، صاعدا إلى السمك والحشرات وذوات الثدي ، والطيور والقرود والإنسان ، أو نازلا إلى الجرثومة ، والميكروب ، والبكتريا فما أعظم التوافق والتطابق بين العلم والقرآن في قوله تعالى ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ .

إن الحياة تستحيل بدون الماء بل إن جسم الإنسان يتكون من ٧٥ ٪ من الماء والباقي بروتينات ودهون ونشويات وأملاح من طين الأرض ، ونحن والحيوانات تتغذى على النبات من طين الأرض ، وصدق الحق تبارك وتعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ وهكذا يتضح أن الطين والماء هما أصل كل شيء حي ، بل وكل إنسان لا فرق بين عربي وعجمي .

وأثبت علماء الجيولوجيا أن كل ماء الأرض خرج من باطنها (وليس من السماء) وذلك بعد مليار سنة من بدء نشأتها في ثورات بركانية وجيولوجية عارمة دامت ملايين السنين ولا تزال بعض البراكين تلفظ الماء من جوف الأرض حتى الآن ولقد ظهرت الحياة وحيدة الخلية في مياه البحار الأولية على شكل طحالب خضراء وبكتريا منذ ٣,٥ مليار سنة ، وكان الماء يغطي كل سطح الأرض ، ثم ظهرت اليابسة وبقى ثلاثة أرباع سطح الأرض مغطى بالماء واستقر هذا الوضع منذ مليار سنة وصدق تعالى في قوله :

﴿ والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ [النازعات ٣٠ ـ ٣٣] .

فتأمل عبارة أخرج منها التي تدل على أن الغلاف الجوي والمائي والمرعى خرجوا من جوف الأرض حين بردت قشرتها ، ولقد أثبت العلم ذلك بالقياسات الذرية والطيفية ، والأرض في القرآن هي الكوكب المحتوى على الماء وبالتالي العامر بالحياة . ولهذا ينسب الماء للأرض كما في الآية السابقة وأيضًا في قوله تعالى : ﴿ وقيل يا أرض ابلغي ماءك ﴾ ولقد شاءت إرادة الله أن تعمل الدورة الهيدرولوجية التي تتبخر فيها المياه من البحار المالحة لتتحول إلى أمطار عذبة تسقط على الجبال العالية لتجرى في الأنهار التي تصب في البحار ، وهكذا تستمر الدورة التي تعمل بحرارة الشمس كسراج وهاج يربط الله بينه وبين المطر في إعجاز علمي قرآني .

واحدة جعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم . وقيل : كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج . وقيل : كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات، فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق ، أو السموات بأسرارهاعلى أن لها مدخلاً ما في الأمطار ، والكفرة وإن لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظراً فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر واجب ابتداء أو بوسط، أو استفساراً من العلماء ومطالعة للكتب . وإنما قال كانتا ولم يقل كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض . وقرئ رَتَقًا بالفتح على تقدير شيئًا رتقاً أي مرتوقًا كالرفض بمعنى المرفوض (٢٠) .

---

(٢٠) علق العلماء فى العصر الحديث على هذه الآية فقالوا :

هذه الآية الكريمة تثير قضيتين أساسيتين ، إحداهما كونية ، والأخرى حيوية :

١ـ نشأة الكون فى بدايته بالفرقعة الكبرى ـ أى الانفجار العظيم ـ الذى حدث عندما كان كل من الزمان والمكان صفرا .

٢ـ القانون الطبيعى الشامل الذى ينص على أن الماء أساس كل شيء حي . ونقتصر على تفسير القضية الأولى المعروفة فرأينا بالرتق والفتق . . .

والله سبحانه وتعالى يجادل هنا أهل الكفر والشرك من الناس لكى يقيم عليهم الحجج والأدلة العلمية (التى سيشتركون هم أنفسهم فى فرضها وإثباتها عمليا) ، بأن خالق الكون إله واحد لاشريك له ، لأن من أقوى وأظهر دلائل الوحدانية أن تكون السنة الكونية واحدة فى الخلق والحياة ، لأنه لو تعددت الآلهة لكان لكل منهم سنة خاصة ، وتعددت بذلك السنن فى السماوات والأرض وعارض بعضها بعضا بدليل قوله تعالى ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون** ﴾ ـ الأنبياء ٢٢

. . . . وقد مرت نظرية الانفجار العظيم بمراحل نظرية وتجريبية إلى أن استقرت وأصبحت حقيقة علمية بعد اكتشاف تمدد الكون وإشعاع الخلفية الكونية وآثار الانفجار العظيم على هيئة دخان تم رصده أخيرا عام ٩٢ م ، وفيما يلى تبسيط لهذه الحقائق لنستفيد منها فى تفسير آية الرتق والفتق :

نظرية الأنفجار العظيم : أعلن هذه النظرية العالم الروسى جامو سنة ١٩٣٥ م وتطورت حديثا إلى أن أصبح من المتفق عليه أن الكون انفجر فجأة من حجم متناه فى الصغر انفجارا جبارا هائلا منذ حوالى ١٣ بليون سنة ، وأن الكون بعد ٠١ر٠ من الثانية من بدء الانفجار العظيم كان على هيئة كرة من الإشعاع والجسيمات ، محيطها أربع سنوات

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾(٢١) وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله

ضوئية ـ السنة الضوئية ٩٫٥ مليون كليومتر ـ ودرجة حرارتها مائة بليوم درجة مطلقة ، وكثافتها ٣٫٨ بليون كجم لتر على هيئة طاقة إشعاعية من هذه الجسيمات الأولية ، ولم يكن للمادة أى أثر ، وتسارعت هذه الجسيمات وتمددت كرة الكون ونقصت كثافتها تدريجيا مع استمرار التمدد .

وبعد ١٣ ثانية من بدء الانفجار هبطت الحرارة إلى ٣ بلايين درجة ، وساد الكون نوى الأيدروجين والهليوم وأشعة جاما .

وظلت كرة الكون فى تمدد حتى برد الغاز الكونى إلى ٣٥٠٠ درجة بعد مرور ٧٠٠ ألف سنة، حيث كانت السماء كلها دخانا متجانسا ، تكونت منه النجوم والمجرات والكواكب والأقمار فيما بعد .

ومازالت الأجرام السماوية تنطلق متباعدة عن بعضها البعض باعتبارها شظايا الانفجار العظيم الذى حدث عن بداية نشأة الكون والزمن ، وصدق الحق تبارك وتعالى بقوله مشيرا إلى هذه الفرقعة الكبرى : ﴿ **أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما** ﴾

ـ راجع اعجاز القرآن فى آفاق الزمان والمكان د منصور حسب النبى صـ ٣٠ ـ

وجاء فى كتاب من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم أد حسن أبو العنين حول هذه الآية : أشارت الآيات القرآنية الكونية إلى أن الأرض كانت فى فترة ما متصلة وملتصقة بغيرها من نجوم الفضاء السماوى ، ثم انفصلت وتفتقت عنها لما أراد الله جل وعلا لها أن تكون، وجعل الله سبحانه وتعالى من الماء كل شيء حى ، وجعل فى باطن الأرض ثقلا محكما يثبت به قوة جاذبيتها ، وأرسى جبالا شامخات راسخة فوق سطحها ، وجعل السماء فوقها سقفا محفوظا ، وكوكب الأرض مثله مثل غيره من بقية الكواكب والنجوم فى الفضاء السماوى له دورة محورية ، وأخرى انتقالية حول النجم الأم الشمس ، وكل شيء فى الكون يسبح فى مداره الخاص به ويسبح بحمد الله الذى خلقه وسواه بحكمة مقدرة، وبالحق الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناها ...** ﴾

ـ المرجع المذكور صـ ١٠ .

(٢١) جاء فى كتاب الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها فى القرآن الكريم للدكتور سليمان عمر قوش :

الماء هو سرالحياة كما تقرره الآية . هذه الحقيقة العلمية المثيرة أدرك العلماء سرها حديثا ،

تعالى : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ (٢٢) وذلك لأنه من أعظم مواده أو لفرط احتياجه إليه وانتفاعه به بعينه ، أو صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيا دونه . وقرئ حياً على أنه صفة كل أو مفعول ثان ، والظرف لغو ، والشيء مخصوص بالحيوان . ﴿ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ مع ظهور الآيات .

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ ثابتات من رسا الشيء إذا ثبت . ﴿ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ كراهة أن تميل بهم وتضطرب ، وقيل لأن لا تميد فحذف لا لأمن الإلباس . ﴿ وجعلنا فيها ﴾ في الأرض أو الرواسي . ﴿ فِجَاجاً سُبُلاً ﴾ مسالك واسعة ، وإنما قدم فجاجاً وهو وصف له ليصير حالاً فيدل على أنه حين خلقها خلقها كذلك ، أو

فمعظم العمليات بل كل العمليات البيوكيميائية اللازمة للحياة والنمو تحتاج إلى الماء الذى هو العنصر الأساسى لاستمرار الحياة لجميع الكائنات من بشر وحيوان ونبات .

وذلك لأن الماء من الخصائص الطبيعية والكيماوية مالايتوفر من العناصر أو السوائل ، فهو يغطى نحو ٧٥ ـ ٨٠٪ من سطح الأرض ، وله درجة ذوبان مرتفعة ، ويبقى سائلا فترة طويلة من الزمن ، وله حرارة تصعيد مرتفعة جدا ، وهو بذلك يساعد على بقاء درجة الحرارة فوق سطح الأرض عند معدل ثابت ويصونها من التقلبات الشديدة ولولا ذلك لضعفت صلاحية الأرض للحياة إلى حد كبير .

والماء هو المادة الوحيدة التى تقل كثفافتها ويزيد حجمها عندما تتجمد ، فعندما يشتد البرد يطفو الجليد على سطح الماء بدلا من أن يغوص فى قاع البحار ويكون بذلك طبقة عازلة تحفظ حرارة الماء الذى تحتها فوق درجة التجمد مما يحفظ حياة الأسماك والأحياء المائية الأخرى ، كذلك فإن الماء يمتص كميات كبيرة من الأكسجين عندما تنخفض درجة الحرارة والأحياء المائية تتنفس الأكسوجين الذائب فيه ، كذلك حينما يتجمد الماء تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة التى تساعد بدورها الأحياء المائية على البقاء .

إن هذه الآية لمن أقوى الدلائل على أن القرآن وحى من عند الله ، ذلك لأن أسرار الماء وخصائصه وكونه سر الحياة نفسها لم يكتشفه العلماء إلا بعد جهود كبيرة وأجيال متعاقبة .

ألا يكفى أن تكون هذه الآية بعظمة أسرارها دليلا إلى الإيمان بالله والإيمان برسالة النبى الأمى الذى نطق بها قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ؟!!

ـ المرجع المذكور صـ ١٥٣ ـ

(٢٢) النور ٤٥

ليبدل منها سبلاً فيدل ضمنًا على أنه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ إلى مصالحهم (٢٣) .

﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ عن الوقوع بقدرته أو الفساد والإخلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته ، أو استراق السمع بالشهب . ﴿ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا ﴾ عن أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة . ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ غير متفكرين .

---

(٢٣) في التعليق على هذه الآية ومثلها من الآيات التى تحمل هذا المعنى قال أد حسن أبو العنين فى كتابه : من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ـ الجزء الثانى ـ مع آيات الله فى الأرض صـ ١٦٠ :

قال : وصف القرآن الكريم الجبال بالرواسى فى سور متعددة ، ورواسٍ جمع راسٍ وراسية، وأرساه : جعله ثابت الأصل راسخا ....

وتظهر هذه الآيات الكريمات بأن السلاسل الجبلية تقف ثابتة راسخة على سطح الأرض بجذورها الممتدة فى القسم الأسفل من القشرة الأرضية التى تسمى طبقة السيما . وتعمل السلاسل الجبلية الالتوائية على التحام الكتل القارية الأركية القديمة بعضها بالبعض الآخر ، وتكوين مانسميه اليوم بالقارات ، كما تقف الجبال على شكل رواسى شامخات ثابتات سامقات ، وتتجمع فوق هاماتها السحب وتنساب من أعاليها المساقط المائية وأعالى مجارى الأنهار والشلالات بتقدير من العزيز الحكيم . ولم يكتشف العلم الوضعى أهمية السلاسل الجبلية فى حدوث ما أسماه بالتوازن الاستاتيكى للأرض إلا فى نهاية القرن التاسع عشر ..... وقد تحقق العلماء بأن الهضاب والجبال العالية فوق سطح الأرض لاتتفق قاعدتها مع مستوى سطح الأرض الذى تقع عليه ، بل لها جذور عميقة جدا تزيد على خمسة أمثال ارتفاع هذه الجبال فوق سطح الأرض المجاورة ، وكلما تعرضت هذه الجبال لحركات ارتفاع جديدة تزيد من منسوبها فوق منسوب سطح الأرض المجاورة ، أدى ذلك إلى زيادة أعماق جذور هذه الجبال فى باطن الأرض ، أو بمعنى آخر أن هناك دائما حالة من الاحتفاظ على الاتزان أو التوازن الاستاتيكى بين أعالى قشرة الأرض وأجزائها السفلية ...

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ بيان لبعض تلك الآيات . ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾ أي كل واحد منهما ، والتنوين بدل من المضاف إليه ، والمراد بالفلك الجنس كقولهم : كساهم الأميرُ حُلَّةً . ﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ يسرعون على سطح الفلك إسراع السابح على سطح الماء . وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر ، وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما ، وإنما جمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لأن السباحة فعلهم .

لا خلود لأحد في الدنيا

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله :

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا ... سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا(٢٤) .

والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لإنكاره بعد ما تقرر ذلك .

الآيات من ٣٥ : ٤٠

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦) خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (٤٠) ﴾

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها ، وهو برهان على ما أنكروه . ﴿ وَنَبْلُوكُم ﴾ ونعاملكم معاملة المختبر . ﴿ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ ﴾ بالبلايا

---

(٢٤) اختلف فى نسبة هذا البيت ، فقيل هو لذى الأصبع العدوانى ، وقيل : لفروة بن مسيك المرادى ، وقيل : للفرزدق ، وقبل هذا البيت بيت آخر هو :

وما إن طبَّنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا

والطِّب : العادة والمسلك . وهو من أجمل الأبيات فى الاعتذار عن الهزيمة .

والنعم . ﴿ فِتْنَةً ﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه . ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبروالشكر ، وفيه إيماء بأن المقصود من هذه الحياة والابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريراً لما سبق .

﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ ﴾ ما يتخذونك . ﴿ إِلاَّ هُزُواً ﴾ إلا مهزوءاً به ويقولون : ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ أي بسوء ، وإنما أطلقه لدلالة الحال فإن ذكر العدو لا يكون إلا بسوء . ﴿ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ بالتوحيد أو بإرشاد الخلق ببعث الرسل وإنزال الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن ﴿ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ منكرون فهم أحق أن يهزأ بهم ، وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص والحيلولة الصلة بينه وبين الخبر (٢٥) .

العجلة في طبع الإنسان

﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك : خلق زيد من الكرم ، جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع وهو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل : إنه على القلب ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجال الوعيد . روي أنها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب . ﴿ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي ﴾ نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار . ﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ بالإتيان بها ، والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ ﴾ وقت وعد العذاب أو القيامة . ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يعنون النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ محذوف الجواب وحين مفعول يعلم أي : لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم ﴿ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ ﴾ وهو حين تحيط بهم النار من كل

---

(٢٥) روى السيوطى فى لباب النقول : أخرج ابن أبى حاتم عن السدى قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على أبى جهل وأبى سفيان وهما يتحدثان ، فلما رآه أبو جهل ضحك وقال لأبى سفيان : هذا نبي عبد مناف ، فغضب أبو سفيان وقال : أتنكرون أن يكون لبنى عبد مناف نبى ؟ فسمعها النبى صلى الله عليه وسلم . فرجع إلى أبى جهل فوقع به وخوفه ، وقال : ما أراك منتهيا حتى يصيبك ما أصاب من غيرَّ عهده . فنزلت الآية . . .

جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصراً يمنعها لما استعجلوا، ويجوز أن يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعني : لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ماهم عليه حين لا يكفون ، وإنما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك .

﴿ بَلْ تَأْتِيهِم ﴾ العدة أو النار أو الساعة . ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجاة مصدر أو حال . وقرئ بفتح الغين . ﴿ فَتَبْهَتُهُمْ ﴾ فتغلبهم أو تحيرهم ، وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد أو الحين وكذا في قوله : ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾ لأن الوعد بمعنى النار أو العدة والحين بمعني الساعة ، ويجوز أن يكون للنار أو للبغتة . ﴿ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ يمهلون وفيه تذكير بإمهالهم في الدنيا .

الآيات من ٤١ : ٤٦

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٤١) قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤) قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥) وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦) ﴾

عاقبة المستهزئين

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ . ﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وعد له بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا يعنى جزاءه .

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للمستهزئين . ﴿ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾ يحفظكم ﴿ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ من بأسه إن أراد بكم ، وفي لفظ الرحمن تنبيه على أن لا كالئ غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ لا

يخطرونه ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه حتى إذا كلئوا منه عرفوا الكالئ . وصلحوا للسؤال عنه .

﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ﴾ بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا ، أو من عذاب يكون من عندنا ؟ والإضرابان عن الأمر بالسؤال علي الترتيب ، فإنه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه أبعد . ﴿ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ استئناف بإبطال ما اعتقدوه فإن من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره .

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ إضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم وهو الاستدراج والتمتع بما قدر لهم من الأعمار ، أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك ، وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على أنه أمل كاذب فقال : ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾أرض الكفرة . ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ بتسليط المسلمين عليها، وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدى المسلمين (٢٦) . ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ رسول الله والمؤمنين .

---

(٢٦) جاء فى التعليق على هذه الآية :

اختلف المفسرون فى تفسير قوله تعالى ﴿ أو لم يروا أنا تأتى الأرض ننقصها من أطرافها . . ﴾

فقال بعضهم : إن ذلك يدل على خراب أرض المشركين وقبض أهلها . وقال بعضهم : إن ذلك معناه هلاك العلماء فى الأرض وموتهم . وقال الرازى : أو لم يروا أن كل مايحدث فى الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال .

وأطراف الشيء هى أبعد أجزائه عن وسطه أو مركزه ، وبالنسبة لكوكب الأرض فإن أطرافه تتمثل فى ناحيتين هما :

أ ـ القمم والهامات العليا للجبال وهى التى تمثل الأطراف الرأسية لقشرة الأرض ، وهذه الأطراف العليا تتناقص في الأرتفاع تبعا لتآكلها وتحتها المستمرين بفعل عوامل التجوية والتعرية .

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ بما أوحي إلي ، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي ﷺ ، وقرئ بالياء على أن فيه ضميره ، وإنما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون . ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ منصوب بيسمع أو بالدعاء والتقييد به لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم .

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ أدنى شيء ، وفيه مبالغات ذكر المس وما فيه النفحة من معني القلة ، فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة . ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ من الذي ينذرون به .. ﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لدعوا على أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم .

الآيات من ٤٧ : ٥٥

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ العدل توزن بها صحائف الأعمال . وقيل : وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل ،

ب ـ أطراف الكرة الأرضية عند القطبين ، وتبعاً لتفلطح منطقتي القطبين أدى ذلك إلى تناقص طول القطر القطبي عن طول القطر الإستوائي ، وهذا الأمر له أثره في اختلاف زاوية سقوط الأشعة الشمسية على سطح الكرة الأرضية واختلاف الليل والنهار طولا وحرارة على أجزاء سطح الأرض . وتوضح الآية القرآنية أن هذا التناقص مستمر إلى يوم الساعة ومن ثم جاء الفعل بصيغة المضارع « ننقصها ... »

ـ من الاعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ الجزء الثاني صـ ١٠ .

وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به للمبالغة . ﴿ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ لجزاء يوم القيامة أو لأهله ، أو فيه كقولك : جئت لخمس خلون من الشهر . ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ من حقها أو من الظلم . ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ أي وإن كان العمل أو الظلم مقدار حبة ، ورفع نافع مثقال على كان التامة . ﴿ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ أحضرناها، وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الإيتاء فإنه قريب من أعطينا ، أو من المؤاتاة فإنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا ، والضمير للمثقال وتأنيثه لإضافته إلي الحبة . ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا .

من قصص الأنبياء

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أي الكتاب الجامع لكونه فارقًا بين الحق والباطل ، وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة، وذكرًا يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع . وقيل الفرقان النصر ، وقيل : فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان .

﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ﴾ صفة للمتقين أو مدح لهم منصوب أو مرفوع . ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ حال من الفاعل أو المفعول . ﴿ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض .

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ ﴾ يعني القرآن . ﴿ مُّبَارَكٌ ﴾ كثير خيره . ﴿ أَنزَلْنَاهُ ﴾ على محمد ﷺ . ﴿ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ استفهام توبيخ .

قصة إبراهيم

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾ الاهتداء لوجوه الصلاح وإضافته ليدل على أنه رشد مثله وأن له شأنًا . وقرئ رشده وهو لغة . ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ موسى وهارون أو محمد ﷺ . وقيل : من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال : إني وجهت .﴿ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ علمنا أنه أهل لما آتيناه ، أو جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الخصال وفيه إشارة إلي أن فعله سبحانه وتعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴾ متعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف : أي اذكر من أوقات رشده وقت قوله : ﴿ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ تحقير

لشأنها وتوبيخ على إجلالها ، فإن التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع ، واللام للاختصاص لا للتعدية فإن تعدية العكوف بعلى . والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن يؤول بعلى أو يضمن العكوف معنى العبادة .

﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها .

﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ منخرطين في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين إلى دليل ، والتقليد إن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على حق .

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ كأنهم لاستبعادهم تضليله إياهم ظنوا أن ما قاله إنما قاله على وجه الملاعبة ، فقالوا أبجد تقوله أم تلعب به .

الآيات من ٥٦ : ٦٣

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾ إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والأرض أو للتماثيل ، وهو أدخل في تضليلهم وإلزام الحجة عليهم . ﴿ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم ﴾ أي المذكور من التوحيد . ﴿ مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ من المتحققين له والمبرهنين عليه ، فإن الشاهد من تحقق الشيء وحققه .

﴿ وَتَاللَّهِ ﴾ وقرئ بالباء وهي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب . ﴿ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾ لأجتهدن في كسرها ، ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الأمر وتوقفه على نوع من الحيل . ﴿ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا ﴾ عنها .

﴿ مُدْبِرِينَ ﴾ إلى عيدكم ، ولعله قال ذلك سراً .

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ قطاعًا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع . وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة ، أو جمع جذيذ كخفاف وخفيف . وقرئ بالفتح وجذذًا جمع جذيذ وجذذًا جمع جذة . ﴿ إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ للأصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه . ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ لأنه غلب على ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله : بل فعله كبيرهم فيحجهم ، أو أنهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه عن كاسرها إذ من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل العقد فيبكتهم بذلك ، أو إلى الله أي يرجعون إلى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم .

﴿ قَالُوا ﴾ حين رجعوا . ﴿ مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ بجرأته على الآلهة الحقيقة بالإعظام ، أو بإفراطه في حطمها أو بتوريط نفسه للهلاك .

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾ يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع ، أو صفة لفتى مصححة لأن يتعلق به السمع وهو أبلغ في نسبة الذكر إليه . ﴿ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ خبر محذوف أي هو إبراهيم ، ويجوز أن يرفع بالفعل لأن المراد به الاسم .

﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في أعينهم تمكن الراكب على المركوب . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ بفعله أو قوله أو يحضرون عقوبتناله .

﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ حين أحضروه .

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ أسند الفعل إليه تجوزاً لأن غيظه لما رأي من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته إياه ، أو تقريراً لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق : أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبته أنت ، أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه ، وقيل : إنه في المعنى متعلق بقوله ﴿ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ وما بينهما اعتراض أو إلى ضمير فتى أو إبراهيم ، وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله . وما روى أنه عليه الصلاةوالسلام قال « لإبراهيم ثلاث

كذبات(٢٧) تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته .

الآيات من ٦٤ : ٧١

﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) ﴾

﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ وراجعوا عقولهم . ﴿ فَقَالُوا ﴾ فقال بعضهم لبعض ﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ بهذا السؤال أو بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم إنه لمن الظالمين .

---

(٢٧) رواه الشيخان في الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وذكره ابن كثير فى تفسيره قال : إن ابراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث : اثنين فى ذات الله ، قوله : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ وقوله ﴿ إنى سقيم ﴾ قال : وبينما هو يسير فى أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة إذ نزل منزلا فأتى الجبارَ رجل فقال : إنه قد نزل هاهنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس فأرسل إليه فجاء ، فقال : ماهذه المرأة منك ؟ قال : أختى . قال : فاذهب فأرسل بها إلى ، فانطلق إلى سارة فقال : إن هذا الجبارً سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى عنده ، فإنك أختى فى كتاب الله ، وإنه ليس فى الأرض مسلم غيرى وغيرك ، فانطلق بها ابراهيم ، ثم قام يصلى ، فلما أن دخلت عليه فرآها أهوى إليها فتناولها فأخذ أخذاً شديدا ، فقال : ادعى الله لى ولا أضرك فدعت له ، فأرسل ، فأهوى إليها فتناولها ، فأخذ بمثلها أشد ، ففعل ذلك الثالثة فأخذ فذكر مثل المرتين الأوليين ، فقال : ادعى الله فلا أضرك ، فدعت له فأرسل ، ثم دعا أدنى حجابه فقال : إنك لم تأتنى بإنسان ولكنك أتيتنى بشيطان ، أخرجها وأعطها هاجر ، فأخرجت وأعطيت هاجر، فأقبلت ، فلما أحس ابراهيم بمجيئها انفتل من صلاته ، وقال : مهيم ؟ قالت : كفى الله كيد الفاجر وأخدمنى هاجر . قال محمد بن سيرين : فكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال : تلك أمكم يابنى ماء السماء .

﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة ، شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعليًا على أعلاه . وقرئ نُكِّسوا بالتشديد ونَكَسُوا أي نكسوا أنفسهم . ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على إرادة القول .

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ ﴾ إنكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر فإنه ينافي الألوهية .

﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ تضجر منه على إصرارهم بالباطل البين ، وأف صوت المتضجر ومعناه قبحاً ونتنًا واللام لبيان المتأفف له . ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ قبح صنيعكم .

﴿ قَالُوا ﴾ أخذا في المضارة لماعجزواعن المحاجة . ﴿ حَرِّقُوهُ ﴾ فإن النار أهول ما يعاقب به . ﴿ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ ﴾ بالانتقام لها . ﴿ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ إن كنتم ناصرين لها نصراً مؤزراً ، والقائل فيهم رجل من أكراد فارس اسمه هيون ، خسف به الأرض ، وقيل : نمروذ .

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ذات برد وسلام أي ابردي بردًا غير ضار ، وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة وإقامة كوني ذات برد مقام ابردي ، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . وقيل نصب سلامًا بفعله أي وسلمنا سلامًا عليه . روي أنهم بنوا حظيرة بكُوثي وجمعوا فيها نارًا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها . فقال له جبريل : هل لك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا . فقال : فسل ربك فقال : حسبي من سؤالي علمه بحالي ، فجعل الله تعالى ـ ببركة قوله ـ الحظيرة روضة ولم يحترق منه إلا وثاقه ، فاطلع عليه نمروذ من الصرح، فقال : إني مقرب إلى إلهك فذبح أربعة آلاف بقرة ، وكف عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام . وكان إذ ذاك ابن ست عشرة سنة .

وانقلاب النار هواء طيبًا ليس ببدع غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو إذن من معجزاته . وقيل : كانت النار بحالها لكنه سبحانه وتعالى دفع عنه أذاها كما ترى في السمندل ، ويشعر به قوله على إبراهيم .

﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ﴾ مكرًا في إضراره . ﴿ فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾أخسر من

كل خاسر لما عاد سعيهم برهانًا قاطعًا على أنهم على الباطل وإبراهيم على الحق وموجبًا لمزيد درجته واستحقاقهم أشد العذاب .

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي من العراق إلى الشام ، وبركاته العامة أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية . وقيل : كثرة النعم والخصب الغالب . روي أنه عليه الصلاة والسلام نزل بفلسطين ، ولوط عليه الصلاة والسلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة .

الآيات من ٧٢ : ٧٧

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣) وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧) ﴾

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ عطية فهي حال منهما أو ولد ولد ، أو زيادة على ما سأل وهو إسحاق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة . ﴿ وَكُلاًّ ﴾ يعني الأربعة . ﴿ جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ بأن وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين .

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً ﴾ يقتدى بهم . ﴿ يَهْدُونَ ﴾ الناس إلى الحق . ﴿ بِأَمْرِنَا ﴾ لهم بذلك وأرسلنا إياهم حتى صاروا مكملين . ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾ ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم ، وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله : ﴿ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ﴾ وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل ، وحذفت تاء الإقامة المعوضة من إحدى

الألفين لقيام المضاف إليه مقامها . ﴿ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ موحدين في العبادة ولذلك قدم الصلة .

قصة لوط

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا ﴾ حكمة أو نبوة أو فصلاً بين الخصوم . ﴿ وَعِلْمًا ﴾ بما ينبغي علمه للأنبياء . ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ ﴾ قرية سدوم ﴿ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ﴾ يعنى اللواطة وصفها بصفة أهلها ، أو أسندها إليها على حذف المضاف وإقامتها مقامه ويدل عليه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ فإنه كالتعليل له .

﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ﴾ في أهل رحمتنا أو جنتنا . ﴿ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى .

قصة نوح

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ ﴾ إذ دعا الله سبحانه على قومه بالهلاك . ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل المذكورين . ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾ دعاءه . ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ من الطوفان أو أذى قومه والكرب الغم الشديد .

﴿ وَنَصَرْنَاهُ ﴾ مطاوع انتصر أي جعلناه منتصراً . ﴿ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ لاجتماع الأمرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ، ولعلهما لم يجتمعا في قوم إلا وأهلكهم الله تعالى .

الآيات من ٧٨ : ٨٢

﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢) ﴾

قصة الحرث وكيف حكم فيها كل من داود وسليمان

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾ في الزرع ، وقيل في كرم تدلت عناقيده . ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ﴾ رعته ليلاً . ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما عالمين .

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ الضمير للحكومة أو للفتوي وقرئ فأفهمناها . روي أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة : غير هذا أرفق بهما ، فأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها، والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتي يعود إلى ما كان ثم يترادان . ولعلهما قالا اجتهاداً . والأول نظير قول أبي حنيفة في العبد الجاني . والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة في العبد المغصوب إذا أبق . وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل إذ المعتاد ضبط الدواب ليلاً ، وهكذا قضي النبي ﷺ لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته فقال « **على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل** » .

وعند أبي حنيفة لا ضمان إلا أن يكون معها حافظ لقوله ﷺ « **جرح العجماء جبار** » . ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ دليل على أن خطأ المجتهد لا يقدح فيه(٢٨) وقيل : على أن كل مجتهد مصيب ، وهو مخالف لمفهوم قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا ﴾ ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله ففهمناها لإظهار ما تفضل عليه في صغره .

معجزة داود

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ يقدسن الله معه إما بلسان الحال أو بصوت يتمثل له ، أو بخلق الله تعالى فيها الكلام . وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا أو يسبحن . ﴿ وَالطَّيْرَ ﴾ عطف على الجبال أو مفعول معه . وقرئ بالرفع على الابتداء أو

---

(٢٨) جاء فى صحيح البخارى من حديث عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

العطف على الضمير على ضعف . ﴿ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ لأمثاله فليس ببدع منا وإن كان عجباً عندكم .

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ ﴾ عمل الدرع وهو في الأصل اللباس قال :

البس لكل حالة لبوسها إمَّا نعيمها وإمَّا بوسها (٢٩) .

قيل : كانت صفائح فحلَّقها وسردها . ﴿ لَكُمْ ﴾ متعلق بيعلم أو صفة للبوس . ﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ ﴾ بدل منه بدل الاشتمال بإعادة الجار ، والضمير لداود عليه الصلاة والسلام أو للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع وفي قراءة أبي بكر ورويس بالنون لله عز وجل ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ ذلك أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع . .

معجزة سليمان

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ ﴾ وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الأول لأن الخارق فيه عائد إلى سليمان نافع له ، وفي الأول أمر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالإضافة إليه . ﴿ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ شديدة الهبوب من حيث إنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال تعالى :﴿ غدوها شهر ورواحها شهر ﴾ (٣٠) وكانت رخاء في نفسها طيبة . وقيل : كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى حسب إرادته . ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾ بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأول أو حال من ضميرها . ﴿ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ إلى الشام رواحاً بعدما سارت به منه بكرة . ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ فنجريه على ما تقتضيه الحكمة .

﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ ﴾ في البحار ويخرجون نفائسها ، ومن عطف على الريح أو مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة . ﴿ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ ﴾ ويتجاوزون ذلك إلى أعمال أخر كبناء المدن والقصور واختراع

---

(٢٩) هذا البيت لشاعر اسمه بيهس وكان يلقب بنعامة ، كان قد قتل له سبعة إخوة ، فجعل يلبس القميص مكان السراويل وعكسه ، وإذا سئل عن ذلك يقول هذا البيت وظل كذلك حتى أخذت دماء السبعة .

(٣٠) سبأ ١٢

الصنائع الغريبة كقوله تعالى : ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ﴾[31] .﴿ وكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم .

الآيات من ٨٣ : ٨٩

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) ﴾

أيوب وكشف الضر عنه

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ بأني مسني الضر ، وقرئ بالكسر على إضمار القول أو تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر ، وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال . ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بمايوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال ، وكان رومياً من ولد غيص بن إسحاق استنبأه الله وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله ، والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعاً وسبعة أشهر وسبع ساعات . روي أن امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف ، أو رحمة بنت إفراثيم بن يوسف قالت له يوما : لو دعوت الله فقال : كم كانت مدة الرخاء ؟ فقالت : ثمانين سنة فقال : أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدةرخائي .

---

(٣١) سبأ ١٣

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾ بالشفاء من مرضه . ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ بأن ولد له ضعف ما كان أو أحيي ولده وولد له منهم نوافل﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ رحمة على أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا فيثابوا كما أثيب ، أو لرحمتنا للعابدين فإنا نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم .

إشارة إلى إسماعيل وإدريس وذي الكفل

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ﴾ يعني إلياس ، وقيل يوشع ،وقيل زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل أمته أو له ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم ، والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف . ﴿ كُلٌّ ﴾ كل هؤلاء . ﴿ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴾ على مشاق التكاليف وشدائد النوب .

﴿ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ﴾ يعني النبوة أو نعمة الآخرة . ﴿ إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإن صلاحهم معصوم عن كدر الفساد .

يونس ونجاته من بطن الحوت بعد أن ابتلعه

﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ وصاحب الحوت يونس بن متى ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا ﴾ لقومه لما برم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجرا عنهم ، قبل أن يؤمر وقبل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك ، وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبًا . ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ، ويعضده أنه قرئ مثقلاً أو لن نعمل فيه قدرتنا ؛ وقيل : هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا ، أو خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسميت ظنا للمبالغة . وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا . ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر والليل . ﴿ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ ﴾ بأنه لا إله إلا أنت . ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ من أن يعجزك شيء . ﴿ إِنِّي

كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ لنفسي بالمبادرة إلى المهاجرة ، وعن النبي ﷺ « **ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له** » .

﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ** ﴾ بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه . وقيل : ثلاثة أيام ، والغم غم الالتقام ، وقيل غم الخطيئة . ﴿ **وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص ، وفي الإمام نجي ، ولذلك أخفي الجماعة النون الثانية فإنها تخفي مع حروف الغم ، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون ، وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعني ، ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الإدغام وامتناع الحذف تتجافي لخوف اللبس . وقيل هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره .

دعاء زكريا

﴿ **وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا** ﴾ وحيدا بلا ولد يرثني . ﴿ **وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ** ﴾ فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به .

الآيات من ٩٠ : ٩٥

﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (٩١) إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣) فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٤) وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥)** ﴾

﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ** ﴾ أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة . ﴿ **إِنَّهُمْ** ﴾ يعني المتوالدين أو

المذكورين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ﴿ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ يبادرون إلى أبواب الخير . ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ ذوي رغب ورهب ، أو راغبين في الثواب راجين للإجابة ، أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية . ﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ مخبتين أو دائبين الوجل ،والمعنى أنهم نالوا من الله ما نالوابهذه الخصال .

مريم والمسيح

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ من الحلال والحرام يعني مريم . ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾ أي عيسى عليه الصلاة ولسلام فيها أي أحييناه في جوفها ، وقيل فعلنا النفخ فيها . ﴿ مِن رُّوحِنَا ﴾ من الروح الذي هو بأمرنا وحده أو من جهة روحنا يعني جبريل عليه الصلاة والسلام . ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ﴾ أي قصتهما أو حالهما ولذلك وحد قوله : ﴿ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى .

رسالات الأنبياء جميعهم أساسها التوحيد

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ ﴾ أي إن ملة التوحيد والإسلام ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها فكونوا عليها . ﴿ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ غير مختلفة فيما بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع . وقرئ أمتكم بالنصب على البدل ، وأمة بالرفع على الخبر ، وقرئتا بالرفع عن أنهما خبران . ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ ﴾ لا إله لكم غيري ﴿ فَاعْبُدُونِ ﴾ لا غير .

﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ صرفه إلى الغيبة التفاتاً لينعي على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا أمره قطعاً موزعة بقبيح فعلهم إلى غيرهم . ﴿ كُلٌّ ﴾ من الفرق المتحزبة . ﴿ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ فنجازيهم .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ بالله ورسله . ﴿ فَلَا كُفْرَانَ ﴾ فلا تضييع . ﴿ لِسَعْيِهِ ﴾ استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه ونفي الجنس للمبالغة . ﴿ وَإِنَّا لَهُ ﴾ لسعيه . ﴿ كَاتِبُونَ ﴾ مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما .

﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ وممتنع على أهلها غير متصور منهم . وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وحرم بكسرالحاء وإسكان الراء وقرئ حرم . ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾

حكمنا بإهلاكها أو وجدناها هالكة . ﴿ أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ رجوعهم إلىٰ التوبة أوالحياة ، ولا صلة ، أو عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه وتقديره : توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم ، أو لأنهم لا يرجعون ولا ينيبون ، وحرام خبره محذوف ، أي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر . وقيل : حرام عزم وموجب عليهم أنهم لا يرجعون

الآيات من ٩٦ : ١٠١

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) ﴾

من علامات الساعة

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ متعلق بحرام أو بمحذوف دل الكلام عليه، أو بلا يرجعون أي يستمر الامتناع أو الهلاك أوعدم الرجوع إلى قيام الساعة وظهور أماراتها : وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وهي حتى التي يحكي الكلام بعدها ، والمحكي هي الجملة الشرطية . وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد . ﴿ وَهُم ﴾ يعنى يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم . ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ ﴾ نشز من الأرض ، وقرئ جدث وهو القبر. ﴿ يَنسِلُونَ ﴾ يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين .

﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ وهو القيامة . ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ جواب الشرط وإذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى : ﴿ إذا هم يقنطون ﴾ (٣٢) فإذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط

---

(٣٢) الروم ٣٦

فيتأكد ، والضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار . ﴿ يَا وَيْلَنَا ﴾ مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول . ﴿ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾ لم نعلم أنه حق . ﴿ بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ لأنفسنا بالإخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر .

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ يحتمل الأوثان وإبليس أعوانه لأنهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم ، لما روي أنه ﷺ لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعري : قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيراً ،والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة ، فقال ﷺ : بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴾ (٣٣) الآية .

وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولاً بمن أو بما يعمه ، ويدل عليه ما روي أن ابن الزبعري قال : هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال ﷺ : « بل لكل من عبد من دون الله » (٣٤) . ويكون قوله إن الذين بيانًا للتجوز أو للتخصيص فأخر عن الخطاب . ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ما يرمى به إليهاوتهيج به من حصبه بحصبه إذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر .﴿ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لأجلها .

﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ لأن المؤاخذ بالعذاب لا يكون إلها . ﴿ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ لا خلاص لهم عنها .

﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ أنين وتنفس شديد وهو من إضافة فعل البعض إلى الكل للتغلب إن أريد ما تعبدون الأصنام . ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ من الهول وشدة العذاب . وقيل لا يسمعون ما يسرهم .

---

(٣٣) الأنبياء ١٠١

(٣٤) ذكره الثعلبي والبغوى بغير إسناد ، قال ابن حجر وصدر هذا الحديث رواه الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنما قد شدت أقدامها بالرصاص ... وأما الحديث المذكور فهو من رواية ابن مردويه والواحدى من حديث ابن عباس أيضا .

ـ راجع التعليق بتمامه فى هامش الكشاف ـ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ أي الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق بالطاعة أو البشري بالجنة . ﴿ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين . روي أن عليًا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكروعمروعثمان وطلحة والزبيروسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ، ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول :

الآيات من ١٠٢ : ١٠٨

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٨) ﴾

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾(٣٥) وهو بدل من مبعدون أو حال من ضميره سيق للمبالغة في إبعادهم عنها ،والحسيس صوت يحس به . ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به .

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ النفخة الأخيرة لقوله تعالى ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض ﴾(٣٦) أو الانصراف إلى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت . ﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ تستقبلهم مهنئين

---

(٣٥) أخرجه ابن أبى حاتم وابن مردويه والثعلبى من رواية ليث بن أبى سليم عن ابن عم النعمان بن بشير وكان من سمار على كرم الله وجهه ،

ـ المرجع السابق ـ

(٣٦) النمل ٨٧ .

لهم . ﴿ هَذَا يَوْمُكُمُ ﴾ يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول . ﴿ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا .

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ ﴾ مقدر باذكر أو ظرف للا يحزنهم ، أو تتلقاهم أو حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون ، والمراد بالطي ضد النشر أو المحو من قولك أطوعني هذا الحديث ، وذلك لأنها نشرت مظلة لبني آدم فإذا انتقلوا قوضت عنهم ، وقرئ بالياء والبناء للمفعول . ﴿ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ طيا كطي الطومار لأجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه ،ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع أي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه .

وقيل : السجل ملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه ، أو كاتب كان لرسول الله ﷺ . وقرئ السجل كالدلو . والسجل كالعتل وهما لغتان فيه .

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾ أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونهما إيجاداً عن العدم ، أو جمعاً بين الأجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس على الإبداء لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدروية . وتناول القدرة القديمة لهماعلى السواء ، وما كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره ﴿ نعيده ﴾ أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده ، أي نعيد مثل الذي بدأنا وأول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف . ﴿ وَعْداً ﴾ مقدر بفعله تأكيداً لنعيده أو منتصب به لأنه عدة بالإعادة . ﴿ عَلَيْنَا ﴾ أى علينا إنجازه . ﴿ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ذلك لا محالة .

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ﴾ في كتاب داود عليه السلام . ﴿ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ أي التوراة ، وقيل : المراد بالزبور جنس الكتب المنزل وبالذكر اللوح المحفوظ . ﴿ أَنَّ الأَرْضَ ﴾ أي أرض الجنة أو الأرض المقدسة . ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾يعنى عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون يرثون مشارق الأرض ومغاربها ، أو أمة محمد ﷺ .

﴿ إِنَّ فِي هَذَا ﴾ أي فيما ذكر من الأخبار والمواعظ والمواعيد ﴿ لَبَلاغاً ﴾ لكفاية أو لسبب بلوغ إلى البغية . ﴿ لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ همهم العبادة دون العادة .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم وموجب

لصلاح معاشهم ومعادهم ، وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال .

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد ، وذلك لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالأولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس . ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضي الوحي المصدق بالحجة ، وقد عرفت أن التوحيد مما يصح إثباته بالسمع .

الآيات من ١٠٩ : ١١٢

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١) قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢) ﴾

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ عن التوحيد . ﴿ فَقُلْ آذَنتُكُمْ ﴾ أي أعلمتكم ما أمرت به أوحربي لكم . ﴿ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ مستوين في الإعلام به أو مستوين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به ، أو في المعاداة أو إيذانا على سواء . وقيل أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير . ﴿ وَإِنْ أَدْرِي ﴾ وما أدري ﴿ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ من غلبة المسلمين أو الحشر لكنه كائن لا محالة .

﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام . ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه .

﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ ﴾ وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون . ﴿ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ وتمتيع إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته .

﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾ اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم ، وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله ﷺ . وقرئ ربٌّ بالضم وربي أحكم على بناء التفضيل واحكم من الأحكام .

﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ ﴾ كثير الرحمة على خلقه .﴿ الْمُسْتَعَانُ ﴾ المطلوب منه المعونة . ﴿ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الإسلام تخفق أياماً ثم تسكن . وأن الموعد به لو كان حقًا لنزل بهم فأجاب الله تعالى دعوة رسوله ﷺ فخيب أمانيهم ونصر رسوله ﷺ ، وقرئ بالياء عليهم .

فضل سورة الأنبياء

وعن النبي ﷺ : « من قرأ اقترب حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن » (٣٧) والله تعالى أعلم .

---

(٣٧) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٢٢) سورة الحج مدنية
وآياتها ثمان وسبعون

سور الحج مكية (١)

إلا ست آيات من هذان خصمان إلى صراط الحميد وآيها ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٣

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) ﴾

التحذير من هول الساعة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ ﴾ تحريكها للأشياء على الإسناد المجازي ، أو تحريك الأشياء فيها فأضيفت إليها إضافة معنوية بتقدير في ، أو إضافة المصدر إلى الظرف على إجرائه مجري المفعول به . وقيل : هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراطها .

﴿ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى .

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ (٢) عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ تصوير لهولها ،

---

(١) في تفسير ابن كثير : سورة الحج مدنية إلا الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ فنزلت بين مكة والمدينة .
وفي تفسير الكشاف : سورة الحج مكية غير ست آيات وهي : هذان خصمان ... إلى قوله : إلى صراط الحميد .
وقال ابن كثير : نزلت سورة الحج بعد سورة النور ، وهذا يؤيد مدنيتها .

(٢) من دقائق لغة القرآن ذكر التاء في مرضعة ، لأن هذه الكلمة لاتدخلها تاء التأنيث عادة لأنها من خصائص الإناث فلا مرضع إلا أنثى . ولا تدخل التاء في هذه الكلمة إلا في

والضمير للزلزلة ، ويوم منصوب بتذهل ، وقرئ تَذْهَل وتُذْهُل مجهولاً ومعروفًا أي تذهلها الزلزلة ، والذهول الذهاب عن الأمر بدهشة ،والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دَهِشَت التي ألقمت الرضيعَ ثديها نزعته من فيه وذُهلت عنه ، وما موصولة أو مصدرية . ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ جنينها . ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ ﴾ كأنهم سكارى . ﴿ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ ﴾ على الحقيقة . ﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم ، وقرئ ترى من أريتك قائمًا أو رؤيت قائمًا بنصب الناس ورفعه على أنه نائب مناب الفاعل ، وتأنيثه على تأويل الجماعة ، وإفراده بعد جمعه لأن الزلزلة يراها الجميع ، وأثر السكر إنما يراه كل أحد على غيره ، وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى إجراء للسكر مجرى العلل . ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ نزلت في النضر بن الحارث ، وكان جدلاً يقول : الملائكة بنات الله والقرآن أساطيرالأولين ولا بعث بعد الموت هي تعمه وأضرابه . ﴿ وَيَتَّبِعُ ﴾ في المجادلة أو في عامة أحواله ﴿ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ متجرد للفساد وأصله العري(٣) .

الآيات من ٤ : ٧

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن

حالة إلقام المرضع ثديها لطفلها فيقال لها في هذه الحالة مرضعة لا مرضع . فانظر إلى بلاغة القرآن ودقة استعمالاته اللغوية المعجزة .

(٣) ذُكر في سبب نزولها غير مامر : قال ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب المكي قال : قال خبيث من خبثاء قريش : أخبرنا عن ربكم من ذهب هو أو من فضة هو أو من نحاس هو؟ فتقعقعت السماء قعقعة ـ والقعقعة في كلام العرب : الرعد ـ فإذا قحف رأسه ساقط بين يديه . وقال مجاهد : جاء يهودي فقال : يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو من در أم من ياقوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته .

ـ تفسير ابن كثير ـ سورة الحج ـ

يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧) ﴾

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ ﴾ على الشيطان . ﴿ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ ﴾ تبعه والضمير للشأن . ﴿ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ﴾ خبر لمن أو جواب له ، والمعنى كتب عليه إضلال من يتولاه لأنه جُبل عليه ، وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه أنه يضله لا على العطف فإنه يكون بعد تمام الكلام . وقرئ بالكسر في الموضوعين على حكاية المكتوب أو إضمار القول أو تضمين الكتب معناه . ﴿ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ بالحمل على ما يؤدى إليه .

* الإعجاز العلمى

حول الآية رقم (٥) من سورة الحج يحدثنا دكتور محمد علي البار في كتابه « خلق الإنسان » فيقول :

يتحدث القرآن الكريم عن أطوارالنمو الإنساني في مواضع متعددة . . ويجعلها دليلا قاطعا على إعادة الخلق ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ .

وقد مر معنا الكثير من الآيات الكريمة التي تتحدث عن هذه الأطوار مجملة ومفصلة « ما لكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطوارا ﴾ . قال ابن عباس وقتادة وعكرمة والسدي وابن زيد : معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى آخر أطوار الإنسان .

﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم . ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ .

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ .

﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾ .

﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم* الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ .

﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾

من هذه الآيات الكريمة نستطيع أن نحدد معالم أطوار الجنين الإنساني وهي :

دليل على إمكانية البعث بعد الموت

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ ﴾ من إمكانه وكونه مقدوراً ، وقرئ من البعَث بالتحريك كالجلَب . ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم ﴾ أى فانظروا في بدء خلقكم فإنه يزيح ريبكم فإنا خلقناكم . ﴿ مِّن تُرَابٍ ﴾ بخلق آدم منه ، أو الأغذية

* الإعجاز العلمي

١ ـ نطفة . ٢ ـ علقة . ٣ ـ مضغة مخلقةوغير مخلقة . ٤ ـ عظام .
٥ ـ لحم يكسو العظام . ٦ ـ التسويةوالتصوير (خلق آخر)والتعديل .
٧ ـ نفخ الروح .

مرحلة النطفة :

وقد وردت في القرآن في اثني عشر موضعاً كما ذكرت أحيانا باسم الماء المهين والنطفة تطلق على ثلاثة أشياء هي :

١ ـ نطفة الذكر وهي الحيوانات المنوية . . ٢ ـ نطفة الأنثي وهي البويضة .
٣ ـ النطفة الأمشاج وهي النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة أي البويضة الملقحة .

والنطفة الأمشاج هي بداية مرحلة خلق الإنسان حيث يلقح الحيوان المنوي البويضة في الثلث الوحشي من قناة الرحم . . . ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا ﴾ .

فإذا ما لقحت البويضة وصارت بويضة ملقحة FERTILIZED OVUKM ابتدأت انقسامات متعددة وتعرف هذه المرحلة بمرحلة الانقسام والانشقاق CLEAVAGE وتتحول البويضة الملقحة (النطفة الأمشاج) إلي ما يشبه التوتةفتسمى عندئذ التوتة MO-RULIA ثم تنتقل بعد ذاك فتصير مثل الكرة المجوفة وتدعى عندئذ الكرة الجرثومية BLASTULA ويبقى قطر النطفة الأمشاج حتى بعد أن تصبح كرة جرثومية لا يزيد عن ١ / ٤ ميليمتر .

وتستغرق هذه المرحلة أسبوعا كاملا حتى تعلق هذه النطفة الأمشاج التي تحولت إلى كرة جرثومية لها خلايا آكلة وقاضمة تعلق بواسطتها وبواسطة خملات دقيقة MICROVILLI بجدار الرحم .

وتتحول حينئذ إلى المرحلة التي تليها وهي العلقة .

مرحلة العلقة :

هي الطورالثاني الذي تنتقل إليه النطفة . . ويبدأ العلوق منذ اليوم السابع (منذ التلقيح) عندماتلتصق الكرة الجرثومية بجدار الرحم . . وتمد الخلايا الخارجية الآكلة معاليق صغيرة متعددة MICROVILLI لتلتقي بمثيلاتها الموجودة على الخلايا الطلائية ENDO-THELIAL CELLS في غشاء الرحم ENDOMETRIUM وتتشابك هذه المعاليق ثم تبدأ الخلايا الآكلة TROPHOBLASTS في الانغراز وفي قضم خلايا غشاء الرحم =

التي يتكون منها المني . ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ مني ، من النَّطْف وهو الصب . ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ قطعة من الدم جامدة . ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ قطعة من اللحم وهي في الأصل قدر ما يمضغ . ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ مُسَوَّاة لا نقص فيها ولا عيب ،

* الإعجاز العلمي

حتي تتمكن من الولوج إلى داخل الغشاء ... وتبدأ عندئذ تعلقهابواسطة الخلايا الخلاوية الآكلة SYNCYTIO TROPHOBLASTS التي تتحول إلى الخملات المشيمية CHORIONIC VILLI وهي تمثل تعلق الكرة الجرثومية بجدار الرحم .

ثم إن الكرة الجرثومية تنقسم إلى كتلة خلايا خارجية آكلة TROPHOBLASTS وظيفتها العلوق بجدارالرحم وامتصاص الغذاء منه .. (وهي تشكل ٩٠ بالمائة من مجموع خلايا الكرة الجرثومية) وكتلة خلايا داخلية INNER CELL MASS (تشكل ١٠ بالمائة من مجموع الكرة الجرثومية) .. وهذه الكتلة الداخلية يخلق الله منها الجنين .

ويتعلق الجنين بواسطة معلاق CONNECTING STALK يربطه بالغشاء المشيمي (الكوريون) .

فهناك إذن جملة تعلقات في هذه المرحلة ، تعلق أولى بواسطة الخملات الدقيقة . ثم تعلق ثاني بواسطة الخلايا الآكلة TROPHOBLASTS ، ثم تعلق ثالث بواسطة الخملات المشيمية CHORIONIC VILLI ، ثم تعلق رابع يربط بين الجنين الحقيقي وبين الغشاء المشيمي بواسطة المعلاق ..

ولا شك أن أهم ما يميزهذه المرحلة هو هذا التعلق ، وأن وصف العلقة العالقة بجدار الرحم والمحاطة بالدم المتجمد (المتخثر) هو أدق وصف لهذه المرحلة .

وتستغرق هذه المرحلة أسبوعين تقريبا ينمو خلالها القرص الجنيني إلى لوح كمثري الشكل وذو ثلاث طبقات متمايزة .

أ ـ الطبقة الخارجية الاكتودرم . ب ـ الطبقة المتوسطة الميزودرم .

جـ ـ الطبقة الداخلية الانتودرم .

وفي نهاية هذه المرحلة تتكثف الطبقة المتوسطة القريبة من محورالجنين لتشكل الكتل البدنية SOMITES. ويبدأ ظهور أول كتلة بدنية في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح . وعندئذ تكون العلقة قد تحولت إلى مضغة .

وفي هذه المرحلة نجد أن الكرة الجرثومية التي كانت قبيل العلوق لا تزيد عن نصف مليمتر قد أصبحت بعد العلوق بأسبوع واحد فقط ميليمتر ونصف .

وفي نهاية الأسبوع الثالث (منذ التلقيح) يصبح طول اللوح الجنيني (ومن الآن فصاعدا لا يحسب إلا طول الجنين الحقيقي فقط) ميليمترين ونصف .

وقد فصلنا في وصف هذه المرحلة في فصل العلقة فليرجع القارئ لمزيد من التفصيل إلى بعض المراجع المتخصصة.

وغير مسواة ، أو تامة وساقطة ، أو مصورة وغير مصورة . ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها أخري ، وأنَّ من قدر علي تغييره وتصويره أولا قدر على ذلك ثانيا ، وحذف المفعول إيماء إلى أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر . ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ

* الإعجاز العلمي

والطور الثالث حسب التقسيم القرآني هو طور المضغة(الأسبوع الرابع) .

ويبدأ هذا الطور بظهور الكتل البدنية SOMITES ويكون أول ظهورها في أعلى اللوح الجنيني جهة الرأس ثم يتوالي ظهور هذه الكتل من الرأس إلى مؤخرة الجنين . . ويبدأ ظهورها في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح .. ثم تستمر في الظهور واحدة على كل جانب من محورالجنين حتى تبلغ ٤٢ إلى ٤٥ زوجا من الكتل البدنية .

وهذه الكتل البدنية ليست إلا تكثيف لطبقة الميزودرم المتوسطة بجانب محور الجنين . .

ويصحب ظهور هذه الكتل الأقواس البلعومية PHARYNGEAL ARCHES نتيجة لظهور شقوق وميازيب في الطبقة الخارجية (الاكتودرم) وبروز نتوء في الطبقة المتوسطة (الميزودرم) . . وتتكون بذلك خمسة أزواج من الأقواس البلعومية في المنطقة العليا من الجنين (تحت قمة الرأس مباشرة) .

ويكون وصف المضغة أو القطعة من اللحم التي مضغتها الأسنان و لاكتها ثم قذفتها هو أصدق وصف وأدقه لهذه المرحلة

والكتل البدنية SOMITES وهي تعطي الجنين شكل المضغة .

مرحلة العظام و اللحم :

﴿ فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ﴾

وهي مرحلة تستغرق الأسبوع الخامس والسادس والسابع . وتتحول الكتل البدنية SOMITES إلى جزئين :

١ ـ جزء أمامي وأنسي ويسمى القطعة الهيكلية SCLEROTOMES وهي تكون عظام الفقرات . . كما أن انسياب خلاياه في المنطقة العنقية يشكل عظام الأطراف العليا . . وانسياب خلاياه في المنطقة القطنية والعجزية يشكل عظام الأطراف السفلى . . كما تشكل الأربع كتل البدنية الواقعة في منطقة الرأس الجزء المؤخري القاعدي من الجمجمة . . وتتكون الأضلاع من نتوءات من العمود الفقري في المنطقة الصدرية .

وبذلك يتشكل معظم الجهاز الهيكلي من هذه الكتل البدنية . . أما عظام الوجه والفكين وعظام الأذن الوسطى (المطرقة والسندان والركاب) فإنها جميعا تشكل من القوس البلعومي الأول . . ويتكون العظم اللامي HYOID من القوس البلعومي الثاني .

ولا يبقى إلا قحفة الجمجمة التي تتكون من الخلايا الميزودرمية (المتوسطة) المتكثفة في قمة الرأس . . والتي تتحول مباشرة من غشاء إلى عظم دون أن تتحول إلى غضاريف . .

مَا نَشَاءُ ﴾ أن نقره . ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ هو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه أربع سنين ، وقرئ ونقره بالنصب وكذا قوله : ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ عطفا على نبين كأن خلقهم مدرجاً لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الأرحام حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف ، وقرئا بالياء رفعاً ونصباً ويقر بالياء ونقر من قررت الماء إذا صببته ، وطفلا حال أجريت على تأويل كل واحد أو للدلالة على

* الإعجاز العلمي

كما هو معهود في أغلب عظام الجسم . . .

٢ ـ جزء خلقي وظهري DORSOLATERAL ويسمي المقطع العضلي الأدمي DERMOMYOTOME الذي سرعان ما ينقسم بدوره إلى قسمين :

أ ـ أدمي DERMOTOME وهو يشكل أدمة الجلد وما تحت الجلد من أنسجة .

ب ـ عضلي وهو يشكل معظم عضلات الجسم وخاصة تلك الموجودة في الجذع كما تنساب خلايا هذا القطاع العضلي في المنطقة العنقية لتكون عضلات الطرف العلوي وفي المنطقة القطنية والعجزية لتكون عضلات الأطراف السفلية . . ولا يزال هناك من علماء الأجنة من يقول أن عضلات الأطراف تتكون في موضعها . . ويكون تكوّن العظام سابقا ولو ببضعة أيام لتكون العضلات . . وتأتي العضلات بعد ذاك لتكسو العظام .

ويقول الدكتور لانجمان في كتاب علم الأجنة الإنساني :

« وفي الأسبوع السادس تكون هذه الهياكل الغضروفية لعظام الأطراف العلوية والسفلية قد ظهرت بوضوح . . وإن كان الطرف العلوي يسبق الطرف السفلي ببضعة أيام»

وأول علامةعلى وجود عضلات الأطراف تظهر في الأسبوع السابع » .

وعندما يتحدث عن الفقرات والعمود الفقري يقول :

« وبعد أن تتحرك خلايا القطع الهيكلية SCLEROTOMES إلى الجهة الأنسية مكونة العمود الفقري تعرف الخلايا المتبقية من الكتلة البدنية SOMITES باسم المقطع الآدمي DERMATOME والمقطع العضلي MYOTOME « ونتيجة لتكون جسم الفقرة من قطعتين هيكليتين متجاورتين فإن ذلك الالتحام يؤدي إلى تحرك القطع العضلية لتغطيتها » .

ومعني هذا أن العظام تسبق العضلات . . ثم تكسو العضلات العظام وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ﴾ .

ثم أنشأناه خلقا آخر : وهو طور التصوير والتسوية والتعديل ثم النفخ في الروح وقد تحدثناعن التصوير فليرجع إليها القارئ الكريم عند قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾.

الجنس أو لأنه في الأصل مصدر . ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالأنعم جمع نعمة كأنها شدة في الأمور . ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ عند بلوغ الأشد أو قبله . وقرئ يتوفى أو يتوفاه الله تعالى . ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ وهوالهرم والخرف ، وقرئ بسكون الميم . ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسي ما عمله وينكر ماعرفه ، والآية استدلال ثان على إمكان البعث بما يعترى الإنسان في أسنانه من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة ، فإن من قدرعلى ذلك قدر على نظائره . ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رمادًا ﴿ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴾ تحركت بالنبات. ﴿ وَرَبَتْ ﴾ وانتفخت، وقرئ وربأت أي ارتفعت . ﴿ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ ﴾ من كل صنف ﴿ بَهِيجٍ ﴾ حسن رائق ،وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة وتحويله على أحوال متضادة ، وإحياء الأرض بعد موتها وهو مبتدأ خبره : ﴿ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ أي بسبب أنه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الأشياء . ﴿ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ وأنه يقدر على إحيائها وإلا لما أحيا النطفة والأرض الميتة . ﴿ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لأن قدرته لذاته الذي نسبته إلى الكل على سواء ، فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها .

﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ فإن التغير من مقدمات الانصرام (٤) وطلائعه . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف .

الآيات من ٨ : ١٢

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ

(٤) الانصرام : الانقطاع والزوال والفناء .

(٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٠) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (١٢) ﴾

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله : ﴿ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ على أنه لا سند له عن استدلال أو وحي ، أو الأول في المقلِّدين وهذا في المقلَّدين ،والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه .

﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾ متكبراً ، وثنى العطف (٥) كناية عن التكبر كليّ الجيد ، أو معرضًا عن الحق استخفافًا به . وقرئ بفتح العين أي مانع تعطفه . ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ علة للجدال ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء على أن إعراضه عن الهدى المتمكن منه بالإقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى إلى الضلال ، وأنه من حيث مؤداه كالغرض له . ﴿ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ وهو ما أصابه يوم بدر . ﴿ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ المحروق ، وهو النار .

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ على الالتفات ، أو إرادة القول أي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ وإنماهو مجاز لهم على أعمالهم المبالغة لكثرة العبيد .

حال بعض الناس بالنسبة للإيمان

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ على طرف من الدين لا ثَبَاتَ له فيه كالذي يكون على طرف الجيش ، فإن أحس بظفر قر وإلا فر . ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ روي أنها نزلت في أعاريب قدموا المدينة ، فكان أحدهم إذا صح بدنُه ونتجت فرسه مهراً سريًا وولدت امرأته غلاما سَويًا وكثر ماله وماشيته قال : ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا

(٥) العِطْف ـ بكسرالعين وسكون الطاء : الجانب ، وقيل : الرقبة ،ومثله تصعير .

واطمأن، وإن كان الأمر بخلافه قال : ما أصبت إلا شراً وانقلب (٦) . وعن أبي سعيد أن يهودياً أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام ، فأتى النبي ﷺ فقال : أقلني فقال : « إن الإسلام لا يقال » فنزلت (٧) . ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ﴾ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد ، وقرئ خاسراً بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصاً على خسرانه أو على أنه خبر محذوف . ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ إذ لا خسران مثله .

﴿ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ﴾ يعبد جماداً لا يضر بنفسه ولا ينفع . ﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴾ عن المقصد من مستعار من ضلال من أبعد في التية ضالاً .

الآيات من ١٣ : ١٧

﴿ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥) وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ (١٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) ﴾

﴿ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ ﴾ بكونه معبوداً لأنه يوجب القتل في الدنياوالعذاب في الآخرة . ﴿ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ﴾ الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله تعالى . واللام معلقة بيدعو من حيث إنه بمعنى يزعم والزعم قول من اعتقاد ، أو داخله على الجملة الواقعة مقولاً إجراء له مجرى يقول : أي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به ، أو مستأنفة على أن يدعو تكرير للأول ومن

(٦) رواه السيوطي في لباب النقول وعزاه إلى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٧) رواه السيوطي في لباب النقول وعزاه إلى ابن مردويه عن طريق عطية عن ابن مسعود رضي الله عنهما .

مبتدأ خبره ﴿ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ ﴾ الناصر . ﴿ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ الصاحب .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ من إثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك الطالح لا دافع له ولا مانع .

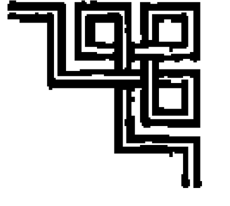
تأكيد نصر الله رسوله ﷺ

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ كلام فيه اختصار ، والمعنى : أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة ، فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه . وقيل : المراد بالنصر الرزق والضمير لمن . ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ فليستقص في إزالة غيظه أو جزعه بأن يفعل كل ما يفعله الممتلئ غيظًا ، أو المبالغ جزعًا حتى يمد حبلا إلى سماء بيته فيختنق من قطع إذا اختنق ، فإن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه . وقيل : فليمدد حبلاً إلى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتي يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره أو تحصيل رزقه . وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام . ﴿ فَلْيَنظُرْ ﴾ فليتصور في نفسه . ﴿ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ﴾ فعله ذلك وسماه على الأول كيداً لأنه منتهى ما يقدرعليه . ﴿ مَا يَغِيظُ ﴾ غيظه أو الذي يغيظه من نصر الله . وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطأوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين .

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ ومثل ذلك الإنزال . ﴿ أَنزَلْنَاهُ ﴾ أنزلنا القرآن كله . ﴿ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ واضحات . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي ﴾ ولأن الله يهدي به أو يثبت على الهدى . ﴿ مَن يُرِيدُ ﴾هدايته أو إثباته أنزله كذلك مبنياً .

الله يفصل بين الأمم يوم القيامة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ بالحكومة بينهم وإظهار المحق منهم على المبطل ، أو الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له ، وإنما أدخلت إن على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد . ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ عالم به مراقب لأحواله .



الآية رقم ١٨

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ ﴾ يتسخر لقدرته ولا يتأتي عن تدبيره ، أو يدل بذلته على عظمة مدبرة ، ومن يجوز أن يعم أولي

* الإعجاز العلمي

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾

من الإعجاز العلمي للقرآن في هذه الآية يحدثناالدكتور / أحمد شوقي إبراهيم قائلا : إن الذي يتدبرالقرآن العظيم يرى ببصيرته أن الكون كله ـ ما فيه ومن فيه ـ في سجود لله تعالى مستمر ، وفي تسبيح له تعالى لا ينقطع . والله تعالى ماخلق خلقاً من خلقه إلا ليعبدوه ، كما قال تعالى : ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ « الذاريات .

ولله يسجد من في السماوات ومن في الأرض هذه حقيقة لا شك فيها ، ونحن لا نعلم كيف تسجد المخلوقات الحية ولا نفقه تسبيحهم لله تعالى وهذه كلها حقائق غيبية ليس هناك مصدر للعلم عنها إلا القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واليوم نناقش كيف أن خلقا من الجمادات يسجد لله تعالى :

إن سجود الشمس لله تعالى حقيقة لا شك فيها وجاء ذكرها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف . فقد قال الله تعالى ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ﴾ الحج : ١٨ .

وقال رسول الله ﷺ عن الشمس أنها تخر ساجدة تحت العرش ، وما معنى سجود الشمس لله تعالى ؟ إننا لا ندري كيفية سجودها لله عز وجل ﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

إلا أننا على ضوء التقدم العلمي في عصر العلم الحالي يمكننا أن نفهم بعض المعاني في

العقل وغيرهم علي التغليب فيكون قوله :وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ

* الإعجاز العلمي

سجود الشمس لله تعالى فلقداكتشف حديثا أن الشمس ليست ثابتة في السماء ولكنها تدور حول نفسها وفي الوقت نفسه تندفع في فضاء الكون في فلك حلزوني منذ خلقها وإلى الآن وإلى ما شاء الله . . هكذا فطرها الله تعالى وهي خاضعة للفطرة التي فطرهاالله عليها وهي مستسلمة ومنصاعة لأمره عز وجل . . وفي كل ذلك معني الخضوع والاستسلام والسجود لله تعالى . . ولقد ذكر القرآن الكريم حقيقة سجود الشمس لله تعالي وذكر الحديث النبوي نفس الحقيقة وذكر كيفية حركة الشمس . ومكان سجودها لله تعالى أيضاً . . ذلك أن الحديث النبوي تفسير للقرآن الكريم وامتداد له ، فقد روى الإمام مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون أين تذهب الشمس ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم : قال « إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لهاارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى إلى مستقرها ذاك تحت العرش . فيقال لها : ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها أتدرون متى ذلك ؟ ذاك حين لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » .

نلاحظ أن أفعال حركة الشمس في الحديث النبوي تصوراندفاع الشمس في فلكها الحلزوني الذي اكتشف حديثا جدا وهي تجري ترتفع ترجع ثم تجري . ثم ترتفع وترجع ثم تجري ولا تصدرهذه الأفعال في حركة الشمس إلا فلكا حلزونيا .

وما معنى « ثم تجري لا يستنكرالناس منها شيئا » ؟

الناس يعيشون علي كوكب الأرض والأرض تجري مع الشمس . تذهب معها أينما ذهبت وتصعد معها أينماصعدت وتهبط معها أينما هبطت . لذلك لا يستنكر الناس على كوكب الأرض من حركة الشمس شيئا . . فهم يتحركون معها دائماً .

ومامعنى سجود الشمس تحت العرش ؟

نفهم ذلك إذا علمنا أن ملكوت السماوات والأرض في جوف ملكوت الكرسي فذلك قول الله عز وجل ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ البقرة ٢٥٥ . . وملكوت الكرسي في جوف ملكوت العرش كما جاء في الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه « الكرسي في جوف العرش » إذن فالسماوات والأرضين كرة داخل كرة أكبر منها هي ملكوت الكرسي وهذا كرة داخل كرة أكبر هو ملكوت العرش .

نفهم مما سبق أن كل من في السماوات والأرضين تحت الكرسي والكرسي تحت العرش . . ولما كان كل من في السماوات ومن في الأرض يسجد لله تعالى . . فإنما يسجدون له تحت

﴿ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾ إفرادا لها بالذكر لشهرتهاواستبعاد ذلك منها . وقرئ والداوب بالتخفيف كراهة التضعيف أو الجمع بين الساكنين . ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾ عطف عليها إن جوز إعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه ، وإسناده باعتبار أحدهما إلى أمر وباعتبار الآخر إلى آخر ، فإن تخصيص الكثير يدل على خصوص ا عنى المسند إليهم ، أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب ، أو فاعل فعل مضمر أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة . ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ بكفره وإبائه عن الطاعة ، ويجوز أن يجعل وكثيراً تكريراً للأول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب أن يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفاً بما بعده . وقرئ حق بالضم وحقًا بإضمار فعله . ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ ﴾ بالشقاوة ﴿ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ يكرمه بالسعادة ، وقرئ بالفتح بمعني الإكرام ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ من الإكرام والإهانة .

*** الإعجاز العلمي**

العرش . . فالشمس أينما تذهب إنما تسجد تحت العرش . . والناس جميعا إذ يسجدون لله تعالى في هذه الأرض إنما يسجدون تحت العرش ﴿ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾

وما معنى « تطلع الشمس من مغربها ؟ .

اكتشف العلماء أن الكون يتسع الآن وسيظل يتسع إلى أن يأتي زمن يتوقف فيه عن الاتساع ويبدأ في الانكماش تدريجيا ، حينئذ ستنعكس حركات كل الكواكب والنجوم فتشرق الشمس من المغرب وتغرب في الشرق . . يحدث ذلك قبيل انفجار الكون كله وقيام الساعة فذلك حديث رسول الله ﷺ « فتصبح الشمس طالعة من مغربها » ثم قال : « أتدرون متى ذلك ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال « ذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا » .

صدق رسول الله ﷺ .

يطلب من مكتبات الأهرام وسائر مكتبات الجمهورية
رقم الإيداع في دار الكتب ١١٤٢٠ / ٩٧

تم بحمد الله المجلد الثالث ويليه المجلد الرابع